

الفرائد

مقالاتٌ مُفرَدةٌ في الدينِ والحياةِ

الجزء الأول

علي فريد



مقَالاتٌ مُفرَدةٌ في الدينِ والحياةِ

الجزء الأول



علي فريد


بسم الله الرحمن الرحيم

الفهرس



بسم الله الرحمن الرحيم

والحمدُ لله رَبِّ العالمين، والصلاةُ والسلامُ على سَيِّدِ الأنبياءِ والمُرسَلين، وعلى آله وصَحْبِهِ الطيبينَ الطاهرين.. ثم أمَّا بَعْد..

فهذه مَقالاتُ فَرائدُ -مِن الإِفرادِ لا التَّفَرُّد- لم يَكتبْها القَلمُ بِقَدْرِ ما كَتبَتْها الأَحداثُ، ولم يَخُطَّها البَنانُ بِقَدْرِ ما خَطَّهَا الجَنانُ.. جَاءَ بَعضُها عَفْوَ الخَاطِرِ في سَاعةٍ أو بَعضِ سَاعةٍ، وجَاءَ بَعضُها الآخَرُ كَدَّاً للذِّهنِ في أَيَّامٍ وأَسابيعَ.

ولأنَّها بِنتُ زَمَنِهَا وأَحداثِهِ؛ فَفيهَا مِن أَلَمِ الأَيَّامِ وأَمَلِهَا بَعضُ ما في الأَيَّامِ مِن أَلَمٍ وأَملٍ، ومِن اسْتواءِ الفِكرةِ والْتوائِها بَعضُ ما أَحدَثَتْه الأَيَّامُ في النَّفْسِ مِن اسْتواءٍ والْتواءٍ.. وقد كُتِبتْ كُلُّها عَقِبَ ما سُمِّيَ بالرَّبيعِ العَرَبِيِّ، وما أَكثَرَ ما أَحدَثَ هذا الرَّبيعُ مِن أَلَمٍ وأَملٍ اسْتوتْ بِهما النُّفوسُ حِيناً والْتوتْ بِهمَا أَحياناً!!

ولأنَّها مَقالاتٌ مُفرَدَةٌ، فلن تَجِدَ بَينَها تلكَ الوَحدةُ المَوضوعيَّةُ التي تَجِدُها في الكُتُبِ ذاتِ المَوضوعِ الوَاحِدِ، ولكنَّك -مَعَ هَذَا- لن تعدَمَ رَابطاً خَفياً بينَ غَالِبِ مَوضوعاتِها أو خَيطاً نَاظماً بينَ جُلِّ أَفكارِها، وما ذَاكَ إلَّا لِتقارُبِ الزَّمنِ وتَشابُكِ الأَحداثِ وَهَمِّ الفُؤادِ وانْشِغالِ الخَاطِرِ.

وقد كُنتُ زَوَّرتُ في نَفسِي أن أَعودَ على هذه المَقالاتِ -بَعدَ نَشرِها على شَبكاتِ التَّواصُلِ الاجتماعِيِّ- بالتَّعديلِ والتَّبديلِ، أو بالزِّيادةِ والنُّقصانِ، تَبعاً لتَجدُّدِ حَدَثٍ، أو تَكذيبِ خَبرٍ، أو خَطأِ تَصورٍ، بَيْدَ أَنِّي عَدَدْتُ ذلك خِيانةً لرُوحِ الكَاتبِ آنَ كَتَبَ، وتَشويهاً لجسَدِ المَكتوبِ حِينَ كُتِبَ، فآثرتُ أنْ أُمِرَّهَا كما جَاءَتْ أَوَّلَ تَحريرٍ، وأُبْقِيَها كما نُشِرَتْ أَوَّلَ تَحبيرٍ، لِتَكُونَ صورةَ حَالٍ، ورَصْدَ واقِعٍ، وَقَيدَ آبِدَةٍ.. وما أَظُنُّنِي وَجدْتُ فيها -حِينَ هَيَّأْتُها لِلنَّشرِ- شَيئاً يُمكِنُ أنْ يُبدَّلَ تَبَعاً لذلك، ولو وَجدْتُ لأَثْبَتُّ المَقالَ كما نُشِرَ أَوَّلَ مَرَّةٍ، وأَشَرْتُ إلى الخَطأِ أو التَّكذيبِ في الهَامِشِ.. اللَّهُمَّ إلَّا خَطَأً لُغَوِيّاً أَحدَثَه السَّهْوُ واحتَاجَ إلى تَصويبٍ، أو سَبْقَ قَلمٍ أَحدَثَتْه العَجلةُ واحتَاجَ إلى تصحيحٍ، أو بَعثَرَةَ جُمَلٍ أَحدَثَتْها التَّرَدُّدُ واحتَاجَتْ إلى تَرتيبٍ، مِمَّا لا يَكادُ يَسلمُ مِنه كَاتبٌ أو يَتنَزَّهُ عنه مَكتوبٌ.. والكَمالُ للهِ وَحدَهُ جَلَّ وعَلَا.

وقد رَتَّبتُها مُتَتَابِعةً حَسَبَ تَاريخ نَشرِها لا حَسَبَ قُرْبِ مَوضوعاتِ بَعضِها مِن بَعضٍ، لِتكُونَ مُسلْسلةً زَمناً لا مَوضوعاً، فيَستعينَ القَارئُ الكَريمُ بِمَعرفةِ أَجواءِ المَبنَى على الإِحاطةِ بالمَعنَى، وبِمَعرفةِ السِّياقِ على فَهْمِ المَساقِ!!

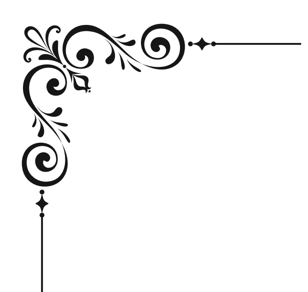
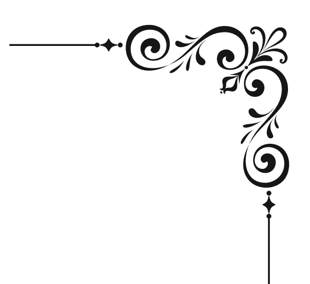
ثُمَّ إنّي لا أَكادُ أَجِدُ دُعاءً أَدعُو بِهِ بَينَ يَدَيْ كِتَابِي هَذَا أَمْثَلَ مِن دُعاءِ الجَاحظِ -رَحِمَهُ اللهُ- حِينَ صَدَّرَ كِتَابَه (البَيانُ والتَّبَيُّن) بِقَولِهِ: "اللَّهُمَّ إِنَّا نعوذُ بِكَ مِن فِتنةِ القَولِ، كَمَا نَعوذُ بِكَ مِن فِتنةِ العَمَلِ، ونَعوذُ بِكَ مِن التَّكلُّفِ لِمَا لا نُحسِنُ كما نَعوذُ بِكَ مِن العُجْبِ بِما نُحسِنُ، ونَعوذُ بِكَ مِن السَّلاطةِ والهَذَرِ، كما نَعوذُ بِكَ مِن العِيِّ والحَصَرِ".

اللَّهُمَّ آمِينَ

علي فريد

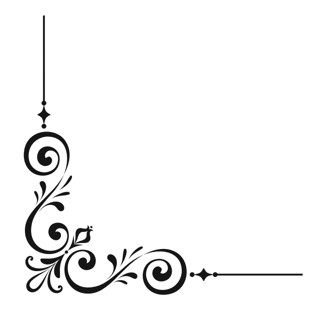
٨/ جمادى الآخرة /١٤٤٤هـ

١/١ / ٢٠٢٣م

(١)

إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيْدَاً وَنَرَاهُ قَرِيباً




لَمْ يَدُرْ بِخَلَدِ الطَّالِبِ الصِّربِيِّ (غَافرِيلو برِينْسِيب) أَنَّ رَصاصاتِهِ الَّتي أَطلقَها على وَليِّ عَهدِ النَّمَسا عَامَ ١٩١٤م سَتَقتُلُ مَا يَقربُ مِنْ عَشرةِ مَلايينَ إِنسانٍ، وتُغيِّرُ خَارطةَ أُورُبَّا السِّياسيةِ، وتُنشئُ نِظاماً عَالمياً جَديداً، وتُسقِطُ سُلالاتٍ حَاكمةً صَمدَتْ أَمامَ رِياحِ التَّغييرِ العَاتيةِ مُنذُ الحُروبِ الصَّليبيةِ الأُولَى وحَتى الحَربِ العَالميةِ الأُولى، لِتَتداعَى -كَجبلٍ مَدكوكٍ- أَمامَ رَصاصاتِ ذلكَ المُراهقِ الصِّربِيِّ!!

ومِنْ طَلاقةِ قُدرةِ الخَالقِ -جَلَّ وعَلا-، أَنَّهُ إذا أَرادَ إِمضاءَ أَقدارِهِ هَيَّأَ لَها أَسباباً يَراهَا النَّاسُ تَافهةً، فَلا رَصاصاتُ الطَّالبِ الصِّربِيِّ، ولا عَربةُ الخُضارِ الخَاصةِ بالبُوعَزيزي -رَحمهُ اللهُ-، تُعتبرانِ في عُرفِ النَّاسِ شَيئاً مَذكوراً مُقارنةً بِالنَّتائجِ المُترتبةِ عَليهِما!!

والوَاقفونَ عَلى شَواطئِ نَهرِ التَّاريخِ يُدركونَ أَنَّ نَهرَ التَّاريخِ -غَالباً- مَا يَنقلِبُ رَأساً عَلى عَقبٍ كُلَّ مِئةِ سَنةٍ، ورُبَّما أَقلَّ!!

ويَقيني -الذي قَدْ أَحتملُ بِسببهِ استِهبالَ المُستهبلينَ- أَنَّ عَربةَ خُضارِ البُوعزيزي سَتَكونُ السَّببَ (التَّافهَ!!) لإسقاطِ عَصرِ لُورنْسِ العَربِ بِأَضلاعهِ الثَّلاثةِ:

- المَركزيةِ الأوربيةِ.
- سَايكس بِيكُو.
- النِّظامِ العَالميِّ.

إنَّ مِئةَ عَامٍ مِن (الدَّرْوَشَةِ) العَربيةِ والإِسلاميةِ كافيةٌ جِداً.. لَقدْ مَاتَ ذَلكَ الجِيلُ الذي آمَنَ بِوُعودِ (كتشنر) و(مَكماهُون) عَنْ خِلافةٍ عَربيةٍ في شِبهِ جَزيرةِ العَربِ، مُصدِّقاً -بِسَذاجةٍ مُنقطعةِ النَّظيرِ- أنَّ (الحِدَّايَةَ قد تَرمِي كَتَاكيتَ).. كَما أنَّ الجِيلَ الذي صَنَعَهُ (مَايلز كُوبلاند) و(روزفلت) في (لُعبةِ الأُممِ) و(سِباقِ المَسافاتِ الطَّويلةِ) يَلفظُ الآنَ أَنفاسَهُ الأَخيرةَ مُخَلِّفَاً وَراءَهُ أَطلالَ قَوميةٍ عَربيةٍ بَغيضةٍ، جَعلتِ العَربَ ظَاهرةً صَوتيةً في أَثيرِ الإِذاعاتِ الَّتي أَنشأَتْها، وأَشلاءَ كَرامةٍ في سَاحاتِ المَعاركِ الَّتي خَاضَتْها!!

تَذَكَّرُوا جَيداً: أَنَّهُ قَبلَ مِئةِ سَنةٍ لَمْ يكنْ هُناكَ شَيءٌ اسمهُ: السُّعوديَّةُ، الإِماراتُ، الكُويتُ، مِصرُ، سُوريَّا، العِراقُ، لُبنانُ، الأُردنُّ، السُّودانُ، فِلسطينُ، تُركِيَا، بَاكستانُ، المَغربُ، مُوريتانيَا، بَنجلاديشُ.. إلخ إلخ!!

وتَذَكَّرُوا أَيضاً: أنَّ مَجموعةً مِنَ المُوظَّفينَ الأُوربيينَ الصَّليبيينَ جَلسُوا يَشربونَ شَايَ السَّاعةِ الخَامسةِ ومَعهُمْ أَقلامٌ وخَرائطُ، ثُمَّ (تَخَبْطُوا) عَلى خَرائطِهِمْ بِأقلامِهِمْ، فاسْتَنْبَتوا هذهِ (الأَكشاكَ) لِلعربِ والمُسلمينَ، لأَنَّهُمْ لَمْ يَجدُوا قُنبلةً نَوويةً يَضربونَنا بِها أَسوأَ وأَقسَى مِنَ (الدَّولةِ القَوميةِ والوَطنيةِ).. لَقدْ كَانوا رُحماءَ مَعَ هِيروشِيما ونَجازاكِي!!

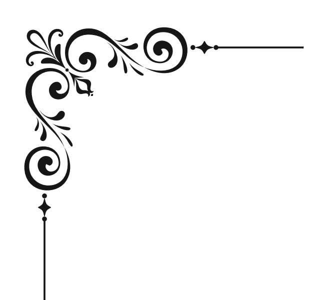
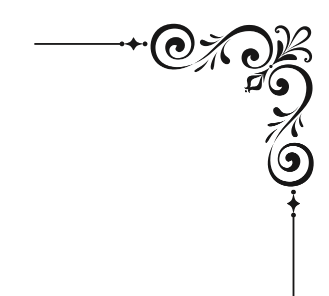
نَحنُ مُقبلونَ عَلى تَغيُّراتٍ شَديدةٍ وجَذريةٍ في العَالمِ كُلِّهِ، ولَيسَ في المِنطقةِ العَربيةِ فَقطْ.. ومَنْ يَظنُّ أنَّ الأَمرَ مُسْتَبْعَدٌ أو مُبالَغٌ فيهِ، فَلْيتذكَّرْ أنَّ العَالَمَ استَيقظَ ذَاتَ صَباحٍ فَلمْ يَجدِ الاِتِّحادَ السُّوفيتيَّ!!

المَركزيةُ الأوربيةُ سَتسقطُ.. سَايكس بِيكُو سَتَسقطُ.. النّظامُ العَالميُّ سَيَسقطُ.. لا شَيءَ بَقِيَ عَلى حَالِهِ بَعدَ عُودِ الكِبريتِ الذي التَهَمَتْ نِيرانُهُ جَسدَ البُوعَزِيزِي.. وعَلى العَربِ الآنَ أنْ يَتَيقَّنوا أنَّ مِنطقَتَهُمُ العَربيةَ أَصبحَتْ في قَلبِ العَاصفةِ، وأنَّ التَّاريخَ يُعيدُ ترتيبَ أَوراقِهِ، وأنَّ (المَركزيةَ) بَدأَتْ تَتزَحزَحُ شَيئًا فَشيئًا عَنْ بِلادِ الثَّلجِ اشتِياقاً لِدفءِ الشَّمسِ فيما يُسمُّونَهُ الشَّرقَ الأَوسطَ!!

هَلْ تَرَوْنَ الأَمرَ بَعيداً؟! لا بَأسَ.. تَذَكَّرُوا فَقَطْ: أنَّ رَضيعاً اسمُهُ مُوسى -عَليهِ السَّلامُ- لَمْ يكنْ بينَهُ وبَينَ إِسقاطِ فِرعونَ والفِرعونيةِ سِوَى الخُروجِ -خَائفاً يَترَقَّبُ- مِنْ قَصرِ فِرعونَ ذَاتِهِ!!

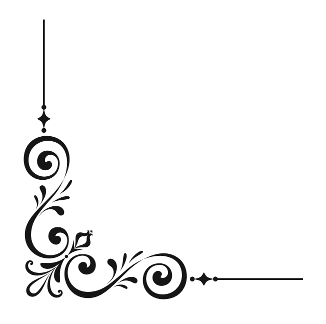
١٨/ صفر/ ١٤٣٥هـ

٢١/ ١٢/ ٢٠١٣م

(٢)

عَلَى مَشارِفِ التِّيهِ




حَسناً أَيُّهَا السَّادةُ..

نَحنُ الآنَ عَلى مَشارفِ التِّيهِ.. مَشارفِ الخُروجِ مِنهُ ولَيسَ الدُّخولَ فيهِ!!

هَا نَحنُ نَنفضُ عَنْ أَجسادِنا غُبارَ تُرابِهِ، وعَنْ نُفوسِنا ظَلامَ دَهاليزِهِ، وعَنْ أَرواحِنا عَلائقَ دُروبِهِ، وعَلى مَرمى البَصرِ؛ يَلوحُ كَالسَّرابِ (مُغْتَسَلٌ بَاردٌ وشَرابٌ)، وَثْبَةٌ أو وَثْبَتانِ ويَنتهِي الأَمرُ!!

لَقدْ كَانَ تِيهاً طَويلاً مُظلِماً أَلقانَا فيهِ نَابليونُ مُنذُ مَا يَزيدُ عَلى مِئتَيْ سَنةٍ، وأَخرجَنا مِنهُ السِّيسِي مُنذُ ثَمانيةِ أَشهرٍ..

أَغوانَا نَابليونُ فَأَكَلْنا مِنَ الشَّجرةِ، فَلمَّا هَبطْنَا إِلَى الأَرضِ فَتحَ لَنا (صُندوقَ بَاندورَا)؛ فَانْهالَتْ كُلُّ شُرورِ العَالَمِ عَلينا: اللِّيبراليةُ، العِلمانيةُ، القَوميةُ، الوَطنيةُ، المَاركسيةُ، الاشتِراكيةُ، الدِّيمقراطيةُ!!

كَانَ وَحَلاً مُتلاطِماً، وكُنَّا نَظُنُّهُ جَناتِ عَدْنٍ.. وكُلَّما صَرخَ فينا (مُوسى) وأَخذَ بِرؤوسِنا يَجُرُّها إِليهِ لِيُدخلنَا الأَرضَ المُقدسةَ؛ تَفَلَّتْنا مِنْ يَديهِ وآذَيناه، حتى مَاتَ مُوسى وأَلفُ مُوسَى غَماً وحُزناً!!

وفِي رَابعةَ -حِينَ أَيقظَنَا الرَّصاصُ- عَلِمْنَا أَنَّ اللهَ بَرَّأَ مُوسَى مِمَّا قُلنَا فيهِ، وأَنَّ مُوسَى كَانَ يَجُرُّ رُؤوسَنا إِليهِ لِيَحْفَظَها مِنْ رَصاصِ السِّيسِي!!

عَلِمْنَا: أَننا لَسنَا (أَبْنَاءُ اللهِ وَأَحِبَّاؤُهُ)، وأَنَّ اللهَ لَيسَ بَينَهُ وبَينَ أَحدٍ نَسَبٌ إِلَّا طَاعتُهُ، وأَنَّ الجبَلَ الَّذي آوَيْنا إِليهِ لَمْ يَعصِمْنا مِنَ الماءِ، وأَنَّ الأَمرَ

(لَيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ).

عَلِمْنَا: أَنَّ الدِّيمقراطيةَ لَيستِ الرُّكنَ السَّادسَ مِنْ أركانِ الإِسلامِ، وأَنَّ الإِعلانَ العَالَمِيَّ لِحُقوقِ الإنسانِ لَيسَ الجُزءَ الحَادي والثَّلاثينَ مِنَ المُصحفِ، وأَنَّ الَّذي قَالَ: (عَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ مِنْ بَعدي)؛ لَمْ يَكنْ يَقصِدُ بِالخلفاءِ الرَّاشدينَ: جَان جَاك رُوسو، وجُون لُوك، وفُولتير!!

عَلِمْنَا: أَنَّهُ -صَلَّى اللهُ عَليهِ وسَلَّمَ- بُعِثَ بِالسَّيفِ بَينَ يَدَيِ السَّاعةِ، وأَنَّ آخِرَ هَذا الأَمرِ لا يَصلحُ إِلَّا بِما صَلَحَ بِهِ أَوَّلُهُ: «شِدةٌ في غَيرِ عُنفٍ ولِينٌ في غَيرِ ضَعفٍ»، وأَنَّ «وَضعَ النَّدى في مَوضعِ السَّيفِ بالعُلَا مُضِرٌّ كَوضعِ السَّيفِ في مَوضعِ النَّدى»، وأَنَّنا أُوتينَا مُلْكاً فَلَمْ نُحسِنْ سِياستَهُ «وكُلُّ مَنْ لا يَسوسُ المُلْكَ يَخلعُهُ»!!

عَلِمْنَا: أَنَّ حُصونَنا مُهددةٌ مِنْ دَاخلِها، وأَنَّ السَّامرِيَّ لَمْ يَكنْ شَخصاً بَلْ حَالةً، وأَنَّ لُوطاً -عَليهِ السَّلامُ- كَانَتْ تَنامُ في فِراشِهِ حَيَّةٌ تَسعَى، وأَنَّ الخَندقَ الَّذي حَفرناهُ حَولَ المَدينةِ لِيَحميَ صُدورَنا مِنْ سُيوفِ الأَحزابِ؛ لَمْ يَحمِ ظُهورَنا مِنْ خَناجرِ بَني قُريظةَ، وأَنَّ الَّذي تَسَوَّرَ الدَّارَ عَلى عُثمانَ لَمْ يَكنِ ابنَ سَبإٍ بَلْ كَانَ ابنَ أَبي بَكرٍ، وأَنَّ سَليلَ بَيتِ النُّبوةِ قَدْ يُصبحُ -في وَقتٍ مَا- أُلْعُوبَةً في يَدِ (لُورنسِ العَربِ)!!

عَلِمْنَا: أَنَّ الطَّريقَ إلى جَهنمَ مَفروشٌ بِالنَّوايَا الحَسنةِ، وأَنَّ شُهودَ بَدرٍ لَمْ يَعصمْ حَاطبَ بنَ أَبي بَلْتَعَةَ مِنَ الزَّللِ، وأَنَّ الصَّلاةَ عَلى ابنِ سَلولٍ

-لِتَطْيِيبِ خَاطِرِ وَلَدِهِ- لَمْ تُقبلْ، وأَنَّنا كُنَّا مُسوخاً حِينَ رَضِينَا أَنْ نَعبدَ رَبهُمْ سَنةً لِيعبدُوا رَبنَا سَنةً، وأَنَّ عَمرَو خالِد وأَمثالَهُ لا يَصلحونَ لِتدريسِ (بَابِ الجِهادِ)!!

عَلِمْنَا: أَنَّ (حُدَيْبَةً) دُونَ وَحيٍ (أُحُدٌ) كَاملةٌ، وأَنَّ ثَورةً دُونَ دَمٍ حَملُ كَاذبٌ، وأَنَّهُ لا اجتهادَ مَعَ النَّصِّ، ولا خِيَرَةَ لَنا فيما قَضى اللهُ ورَسولُهُ، وأَنَّ الثَّوراتِ تَسقطُ حِينَ تَتَحاكَمُ إلى القَوانينِ الَّتي ثَارَتْ عَليهَا، وأَنَّ المَبادئَ الَّتي يَتنازلُ أَصحابُها عَنْ بَعضِها -بِدَعوَى التَّدَرُّجِ- تُصبحُ كَالسَّيِّدةِ الفَاضلةِ الَّتي يَغتصبُها أَبناؤهَا بِدَعوى الحِفاظِ عَليهَا!!

عَلِمْنَا: أَنَّ سَيِّد قُطْب لَمْ يكنْ مجنوناً حِينَ كَانَ يَصرخُ في الشَّوارعِ: الدَّواءُ فيهِ سُمٌّ قَاتلٌ، وأَنَّ حازم صلاح أبو إسماعيل لَمْ يكنْ مَريضاً بِالوهمِ حِينَ حَذَّرَ مِنَ الذِّئابِ والثَّعالبِ، وأَنَّ المُلَّا عُمرَ لَمْ يكنْ مِثالياً حَالماً حينَ أَضاعَ مُلكَهُ بِرفضِهِ تَسليمَ مُسلمٍ لِكافرٍ، وأَنَّ ابنَ لادنٍ لَمْ يَكنْ إرهابياً حِينَ حَملَ مِعْولَهُ لِيهدمَ قُبورَ (بيرسي كوكس، وسايكس، وبيكو) الَّتي عُبِدَتْ في جَزيرةِ العَربِ مِنْ دُونِ اللهِ، بَعدَ مَوتِ مُحمدِ بنِ عَبدِ الوَهابِ، وأَنَّ الغُتْرَةَ البَيضاءَ والثَّوبَ الأَبيضَ واللِّحيةَ الطَّويلةَ؛ لا يَصنعونَ سَلفياً مُحترماً، وأَنَّ المُفتيَ قَدْ يكونُ جَزَّاراً، والأَزهرَ قَدْ يُصبحُ كاتدرائيةً، وشَاشةَ التِّلفازِ قَدْ تَتحولُ لِرشَّاشِ (عوزي) الإسرائيليِّ!!

عَلِمْنَا أيضاً.. أنَّ الدَّولةَ العَميقةَ لَمْ تكنْ عَميقةً إلَّا بِقدرِ سَطحيتِنا نَحنُ!!

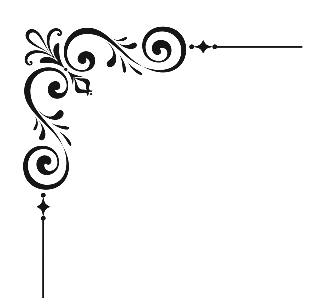
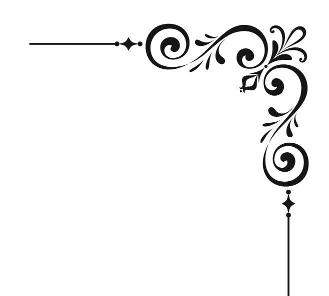
عَلِمْنَا كَثيراً، كَثيراً، كَثيراً.. وكَانَ هَذا العِلمُ هُوَ بوابةَ الخُروجِ مِنَ التِّيهِ!!

ولِأنَّهُ لا مَخاضَ بِدونِ ألَمٍ، فَقدْ كَانَتْ رَابعةُ مَخاضاً مُؤلماً حَدَّ الفَزعِ، وكَانَ السِّيسِي بِمثابةِ القَابلةِ الَّتِي أخرجَتْنا (خَلْقَاً مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ): القَوميةِ والعِلمانيةِ والدِّيمقراطيةِ!!

نَحنُ الآنَ عَلى مَشارِفِ الخُروجِ مِنَ التِّيهِ، بَيْدَ أنَّ الأَمرَ لَمْ ينته بَعدُ.. إنَّ اللهَ مُبْتَليكُم بِنَهَرٍ، فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلْيَرْضَ بالقُعودِ مَعَ الخَوالفِ فِي الظُّلماتِ الثَّلاثِ، ومَنِ اكْتفَى بِغُرفةٍ يَدِهِ فَأغلبُ ظَنِّي أنَّهُ سَيقولُ -بَعدَ الجوازِ-: (لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ)، وأما الَّذينَ يَظنونَ أنَّهُمْ مُلاقو اللهِ، فَكأَنِّي أَسمعُهُمُ الآنَ يَدعونَ: (رَبَّنا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرَاً وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ)، وكَأَنَّ دَاودَ قَدِ انحنى لِالتقاطِ حَجَرِ مِقلاعِهِ، وكَأَنَّ جَالوتَ قَدْ تَشَحَّطَ فِي دَمِهِ، وكَأَنِّي أَسمعُ مِنْ خَلفِ الحُجُبِ -بَعدَ جَلاءِ الغُبارِ- صَوتَ الرَّحمةِ يُناديِنا: (ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ).

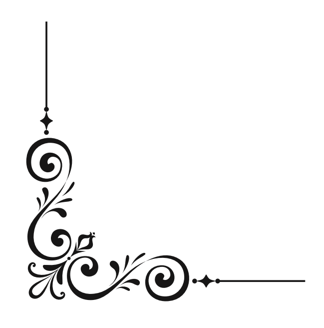
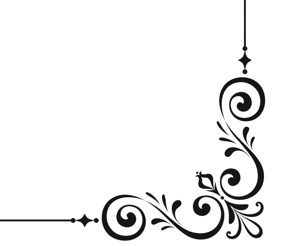
١٣ / جمادى الأولى/ ١٤٣٥هـ

٢٠١٤/٣/١٤م

(٣)

الحَقيقَةُ العَاريَةُ

مِصرُ لَيستْ تُونسَ!! لِيبيا لَيستْ تونسَ!! سُوريَّا لَيستْ تُونسَ!!

هَكذا اسْتهبلَ الطُّغاةُ ابْتِداءً.. وحِينَ تَأَكَّدَ لَهُم أَنَّ أنظمتَهُم لَمْ تَكنْ أَشدَّ تَحصيناً مِنْ نِظامِ تُونسَ؛ انتفى الفَرقُ بينَ مَنْ قَالَ: «أنا فَهِمْتُكُمْ.. فَهِمتُكمْ»، و«لَمْ أَكُنْ أنْتَوي»؛ وبينَ مَنْ قَالَ: (آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ)!!

لا أَحدَ يَتعلَّمُ مِنْ أَحدٍ.. هَذِهِ هِيَ الكَارثةُ!!

فِي عَشريةِ الجَزائرِ السَّوداءِ أَخرجَ العَسكرُ أَلسنتَهُم لِلإسلاميينَ وقَالوا لَهُم: «بُلُّوا الصُّندوقَ واشْربُوا مَاءَهُ».. كَانَ الأَمرُ فَجَّاً، وازدادَتْ فَجَاجتُهُ حِينَ اختلطَ الدَّمُ بِالماءِ، فَلَمْ يَعدْ يَعرفُ الشَّاربُ مَاذا يَشربُ، وأصبحتِ الجُثثُ وَجبةً يَوميةً فِي وَسائلِ الإعلامِ حَتَّى أَلِفَها النَّاسُ..

فَوجٌ يَمُوتُ وَنَنْسَاهُ بِأَرْبَعَةٍ ** فَلَمْ يَعدْ أَحَدٌ يَبْكِي عَلَى أَحَدِ

كَانَ «العَالَمُ الدِّيمقراطيُّ الحُرُّ!!» حَاضِراً فِي كُلِّ رَصاصةٍ اسْتقرَّتْ فِي رَأسِ جَزائريٍّ، أو سِكينٍ مَرَّتْ عَلى رَقبتِهِ، أو بَلْطَةٍ قَطَّعتْ جَسدَهُ إلى أَشلاءٍ.

فِي غَزَّةَ.. أَخرجَ العَالَمُ الحُرُّ لِسانَهُ لِحماسَ أَيضاً وقَالَ لَها: بُلِّي الصُّندوقَ واشربِي مَاءَهُ!!

مَاتَ الأطفالُ في المُستشفياتِ لِأنَّ آباءَهم أخَذَتْهُمُ (الجَلالَةُ الدِّيمقراطيةُ)، فَصدَّقوا العَالَمَ الحُرَّ، ووَضعوا أَصواتَهُم في الصُّندوقِ لِحماسَ.. ومُنذُ سَنواتٍ والعَالَمُ الحُرُّ يَستمتِعُ بِحصارِ وكُلائه المَحليينَ لِأهلِ غَزَّةَ، ويَتراقصُ على مُوسيقى قَذائفِ الأباتشي وهِيَ تَدُكُّ الدِّيمقراطيةَ المَزعومةَ قَبلَ أنْ تَدُكَّ البُيوتَ والمَساجدَ والمُستشفياتِ!!

في مصرَ.. ثلاثُ سَنواتٍ عِجافٍ ونَحنُ نَودُّ أنَّ غَيرَ ذاتِ الشَّوكةِ تكونُ لَنا، وكَأنَّنا -لِفَرْطِ هَبَلِنَا- نُريدُ مِنَ اللهِ -جَلَّ وعَلا- أنْ يُغيِّرَ سُنَنَهُ الكَونيةَ مِنْ أجلِ سَوادِ عُيونِنا!!

لَمْ يَفهمِ الإسلاميونَ في مِصرَ دَرسَ الدِّيمقراطيةِ، تَماماً كَما لَمْ يَفهمْ مُباركٌ والقَذافيُّ وبَشارٌ، دَرسَ الثَّورةِ!!

حُكَّامُنَا مِنَّا ونَحنُ مِنْ حُكَّامِنا..

العَقلياتُ وَاحدةٌ وإِنِ اختلفَتِ المَبادئُ.. آلياتُ التَّعاملِ وَاحدةٌ وإنِ اختلفَتِ المُنطلَقاتُ.

أعْرِفُ أنَّ الأمرَ لَيسَ بِهذهِ البَساطةِ، وأنَّ التَّفاصيلَ الّتي يَكمنُ فيها الشَّيطانُ أعقدُ مِنْ جُحرِ ضَبٍّ، ولكنّي أَعرِفُ أيضاً أنَّ الأرضَ لَيسَتْ هِيَ المَكانَ الطَّبيعيَّ لِلمثاليينَ، وأنَّ الحَقَّ لَمْ يكنْ -غَالباً- فَوقَ القُوةِ، وأنَّ الحَديدَ فيهِ بَأسٌ شَديدٌ ومَنافعُ لِلناسِ، وأنَّ الَّذي قَالَ في (أُحُد): أُعْلُ هُبَلُ، هُوَ الَّذي قَالَ لِلعباسِ في (فَتحِ مَكةَ) بَعدَ أنْ رَأى جَيشَ الحَقِّ: لَقدْ صَارَ مُلْكُ ابنِ أخيكَ عَظيماً!!

أعْرِفُ أيضاً.. أنَّ الدّيمقراطية المُصَدَّرَة لنا لَيستْ أكثرَ مِنْ (تَسويغٍ) سِياسيٍّ وثَقافيٍّ (اسْتَلْطَخَ) بِهِ العَالَمُ الحُرُّ فرأسَهُ لِلسيطرةِ عليها قبلَ ذَبحِها، ومِنَ النَّادرِ أنْ تجدَ حرباً في التَّاريخِ -قديماً أو حَديثاً- لا تتَّكِئُ على تَسويغٍ ثَقافيٍّ أو دِينيٍّ أو سِياسيٍّ أو اقتصاديٍّ، أو تجمعُ بينَها، لِيُمَرِّرَ القَويُّ أطماعَهُ مِنْ خِلالِها ويَجعلَ مِنْها تُكأةً لِلسيطرةِ على الضَّعيفِ الَّذِي لا ذَنبَ لَهُ سِوَى ضَعفِهِ.. وأَعْظِمْ بِهِ مِنْ ذَنبٍ!!

والمُسَوِّغونَ آلةُ حَربٍ أُخرَى مِنْ آلاتِ الحَربِ، يَتقدمونَ ويَتأخرونَ حَسَبَ الحَاجةِ، ومَا مِنْ فَاتِحٍ أو غَازٍ في التَّاريخِ امتلَكَ الحِنْكَةَ والعَقلَ إلَّا وجَعلَ هَمَّهُ فيهم قَبلَ أنْ يجعلَهُ في سَيفٍ أو تُرسٍ أو مِدفعٍ أو دَبابةٍ، وأينَما وُجدَتِ الجيُوشُ وُجدَ المُسَوِّغونَ، بَلْ إنَّ الجيُوشَ ذَاتَها لا تَقومُ إلَّا علَى فِكرِ المُسَوِّغينَ الَّذينَ يؤسِّسونَ لأمرينِ مُهمَّينِ: مَركزيةِ الأنا، وهَامشيةِ الآخَرِ!!

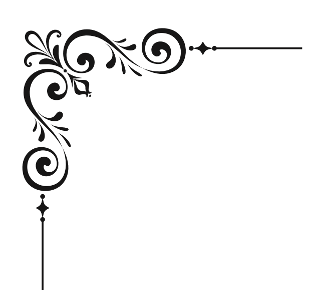
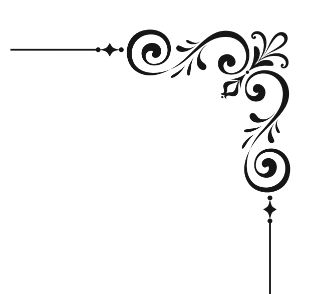
الحَقيقةُ العَاريةُ الّتي يَجبُ أنْ نُؤمنَ بِها -دُونَ الخَوضِ في التَّفاصيلِ- أنَّ كَهَنَةَ العَالَمِ الحُرِّ لا يُفرقونَ -حِينَ يَكونُ الأمرُ خَاصاً بِنا- بَينَ البُندقيةِ والدِّيمقراطيةِ، هُما في نَظرِهم آلتانِ لِلسيطرةِ: إحداهُما تَقتلُكَ، والأخرى تَشُلُّ حَركتَكَ قَبلَ قَتلِكَ!!

عَدا ذَلكَ.. يَستطيعُ الدِّيمقراطيونَ أنْ يَتفلسفُوا عَليَّ كَعادتِهِم، وأستطيعُ أنا أنْ أَخلعَ لَهُمْ حِذائِي كَعادَتي!!

أيُّها الإِسلاميونَ.. اعلمُوا أنَّكُم لَنْ تُؤمنوا بِاللهِ حَقاً حَتَّى تكفُروا بِديمقراطيةِ الذِّئابِ والثَّعالبِ، فَإنْ لَمْ يكنْ مِنَ الدِّيمقراطيةِ بدٌّ، فَإياكُم أنْ تَذهبُوا لِصُندوقِ الانتخاباتِ قَبلَ أنْ تمتلكوا صُندوقَ ذَخيرةٍ.. ولَيسَ وَراءَ ذَلكَ مِنَ العَقلِ حَبَّةُ خَرْدَلٍ.

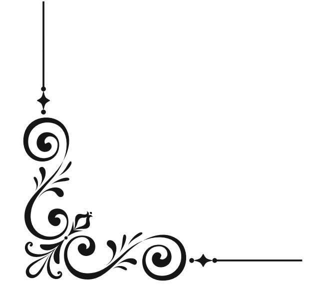
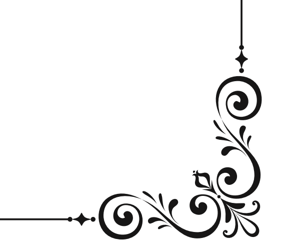
٢٥ / جمادى الآخرة/ ١٤٣٥هـ

٢٥/ ٤ / ٢٠١٤م

(٤)

لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ

لَوْ سَأَلْتَنِي: مَتى هَلكَ فِرعونُ؟!

سَأَقولُ لَكَ: حِينَ بُعِثَ مُوسَى!!

- ومَتى هَلكَ النُّمرودُ؟!

- حِينَ بُعِثَ إبراهيمُ!!

- ومَتى فُتحَتِ القُدسُ؟!

- حِينَ وُلِدَ صَلاحُ الدِّينِ!!

- ومَتى حَدثَتْ مَذبحةُ القَلعةِ؟!

- حِينَ وُلدَ مُحمَّد عَلِي!!

بُنِيَ الكَونُ على نِظامٍ، وذَلكَ جَمالُهُ، وأُجْرِيَ على قَوانينَ وسُنَنٍ، وذَلكَ جَلالُهُ.. ولأنَّ رَبِّي لَطيفٌ لِما يَشاءُ، فَإنَّهُ يُسبِّبُ الأسبابَ ثُمَّ يُجريها لإِمضاءِ إرادتِهِ الجَميلةِ الجَليلةِ.. ويَكأَنَّهُ -جَلَّ وعَلا، ولا يُتَأَلَّى عَليهِ- أَرادَ إِهلاكَ فِرعونَ، فَخلقَ مُوسى، وبَينَ وِلادةِ مُوسَى وإِهلاكِ فِرعونَ سَنواتٌ مِنَ العَذابِ والأَلَمِ والتَّمحيصِ لِموسَى ومَنْ مَعَهُ، وسَنواتٌ مِنَ الطُّغيانِ والظُّلمِ والتَّجبُّرِ مِنْ فِرعونَ ومَنْ مَعَهُ.

قَدْ تَتجَلَّى أَسبابُ سُننِ اللهِ في عَينَيْ هُدهدٍ يُخبرُ عَنِ امرأةٍ تَملكُهُم، أو أَسنانِ دَابةٍ تأكُلُ مِنْسَأةً، أو بَعضِ بَقرةٍ صَفراءَ فَاقعٍ لَونُها تَسُرُّ النَّاظرينَ،

أو بَطنِ حُوتٍ تُؤْوِي نَبياً يُنادِي فِي الظُّلماتِ، أو وِلادةِ مَولود يُذِلُّ اللهُ بِهِ مَنِ اسْتَذَلَّ قَومَهُ.. مُلكُهُ وخَلْقُهُ وقَوانِينُهُ وسُنَنُهُ ونِظامُهُ.. كُلُّ شَيءٍ عِندَهُ بِمقدارٍ، ولا رَادَّ لِمشيئتِهِ، وهُوَ -جَلَّ وعَلا- لا يَعجَلُ بِعَجَلَةِ أَحَدِنا.

قَدْ يَلوحُ لَكَ النَّصرُ حَتّى لا يَكونَ بَينَكَ وبَينَهُ إلّا أنْ تَمُدَّ يَدَكَ فَتقطفَهُ، ثُمَّ يَصرفُهُ اللهُ عَنكَ بِكَ لِيبتليكَ: (وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِ حَتَّىٰ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّن بَعْدِ مَا أَرَاكُم مَّا تُحِبُّونَ مِنكُم مَّن يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ الْآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ).

وقَدْ تَتخبطُ فِي أَمواجِ اليأسِ حَتّى لا تَجدَ قَشةً تَتعلقُ بِها، ثُمَّ يُخرجُ لَكَ اللهُ مِنْ مَعينِ الغَرقِ قَاربَ نَجاة: (فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَىٰ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ فَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنِ اضْرِب بِّعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ الْآخَرِينَ وَأَنجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُ أَجْمَعِينَ ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ).

أسبابٌ لِسننٍ، وسُننٌ تُهَيِّئُ لَها الأَسبابُ، لا عَبثَ هُنا: (وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ لَوْ أَرَدْنَا أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا لَّاتَّخَذْنَاهُ مِن لَّدُنَّا إِن كُنَّا فَاعِلِينَ).

لَيسَ مَطلوباً مِنكَ إِلَّا الفِعلُ.. إنْ فَعلْتَ فَقدِ انْتَصَرْتَ!!

لَمْ يَنهزمْ أَصحابُ الأُخدودِ رَغمَ فَنائِهِم، ولَمْ يَنتصرْ صاحبُ الأُخدودِ

رَغمَ بَقائِه، أنتَ لا تَعرفُ أينَ يكمنُ النَّصرُ ولا أينَ تكمنُ الهَزيمةُ، «رُبَّما أَعطاكَ فَمنعَكَ، ورُبَّما مَنعَكَ فَأَعطاكَ، ومَتى فتحَ لَكَ بَابَ الفَهمِ في المَنعِ عَادَ المَنعُ عَينَ العَطاءِ».

(لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ)، ولا يَهولَنَّكَ بَطشُ الظَّالمينَ، فَما هِيَ إلا طَرفةُ عَينٍ حَتَّى تَرى الظَّالمَ يُردِي ذَاتَهُ بِذاتِه..

يَسعَى الظَّالمُ بِعقلِهِ إلى حَتفِهِ: «واللهِ! لا نَرجعُ حَتَّى نَرِدَ بَدراً، فَنُقيمَ بِها ثَلاثًا، نَنحرُ الجزورَ، ونُطعمُ الطَّعامَ، ونُسقِي الخمرَ، وتَعزفُ لَنا القِيانُ، وتَسمعُ بِنا العَربُ فَلا يَزالونَ يَهابونَنا أَبداً».

هَكذا تَكبَّرَ أَبُو جَهلٍ.. أَرادَ (يومَ زِينةٍ)، فَأعطاهُ اللهُ إِيَّاهُ، فَانتهى جِيفةً عَفِنةً في بِئرِ بَدرٍ بعدَ أنْ نَهشتْهُ سُيوفُ مُعاذٍ، ومُعوِّذٍ، رُويعِي الغَنمِ، رِضوانُ اللهِ عَليهِم أجمعينَ!!

أَفْضَلُ مَا فِي النَّفْسِ يَغْتَالُهَا ** فَنَسْتَعِيذُ اللهَ مِنْ جُنْدِهِ
وَرُبَّ ظَمْآنٍ إِلَى مَوْرِدٍ ** وَالْمَوْتُ لَوْ يَعْلَمُ فِي وِرْدِهِ

لا تَعرفُ القُنبلةُ أنَّ مَقتلَها في انفجارِها، ولا تَعرفُ الرَّصاصةُ أنَّ فَناءَها في انطلاقِها، هِيَ قَاتلةٌ مَقتولةٌ، ولَيستِ اليَدُ الَّتي تَنزعُ الفَتيلَ أو تَضغطُ الزِّنادَ سِوى سَببٍ مِنْ أَسبابِ السُّننِ الرَّبانيةِ لِتنفيذِ إِرادةِ اللهِ.

لَنْ تَنهزمَ إلَّا إذا أَردتَ، ولَنْ تَنتصرَ إلَّا إذا أَردتَ، ودَعكَ مِنَ المَقاييسِ

البَشريةِ لِلنَّصرِ والهَزيمةِ.. لَيسَ مَطلوباً مِنكَ أنْ تَرى النَّصرَ، مَطلوبٌ مِنكَ أنْ تُحاولَ صِناعتَهُ، فَإِنْ رَأيتَهُ فَشفاءٌ لِلصُّدورِ، وإِنْ عُوجِلْتَ دُونَهُ فَقَدْ أَعذَرْتَ أَمامَ رَبِّكَ!!

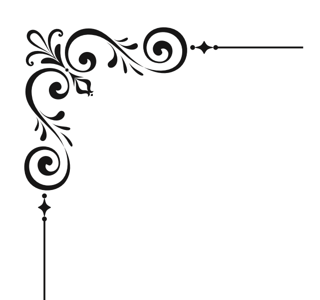
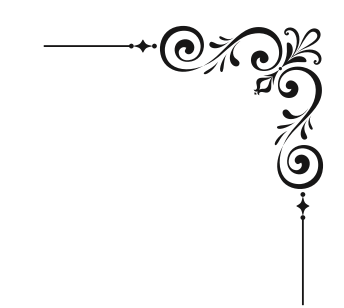
لا تُؤَجِّلْ مَعركتَكَ ولَو لَمْ يكنْ في يَديكَ سوى يَديْكَ، إنْ خَلَتْ يَداكَ مِمَّا تَظنُّهُ قُوةً لَمْ يَخْلُ عَقلُكَ مِنَ القُوةِ، والقُوةُ أَنواعٌ، فَبأَيِّها عَارَكْتَ فَأَنتَ في مَعركةٍ.

قَدْرُكَ مَا لَمْ تَبلغْهُ، فَإِذا بَلغتَهُ فاعْتَقِدْ غَيرَهُ، واعْلَمْ أنَّ وَهْمَ النَّجاحِ كَوَهْمِ الفَشلِ، كِلاهُما فَشَلٌ.

مَا تَزَالُ الْأَرْضُ عَامِرَةً ** بِالرِّفَاقِ الثُّقَّبِ الْكُرَمَا
وَلِمَاذَا لَا أُشَاهِدُهُمْ؟! ** أَعْظَمُ الْأَخْطَارِ مَا انْكَتَمَا

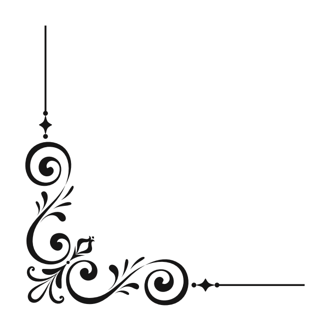
١٦/شعبان/١٤٣٥هـ

١٤/ ٦/ ٢٠١٤م

(٥)

مَباوِلُ الشَّيطانِ




ضِفَّةُ عَباسٍ، كَقاهرةِ السِّيسِي، كَرياضِ ابنِ سُعودٍ، كَدبيِّ ابنِ زَايدٍ، كَعمَّانِ ابنِ الحُسينِ؛ لا شَيءَ -رَسْمِيٌّ- في هَذهِ المُدنِ يُنْبِئُ عَنْ أَصلِها؛ كُلُّها مَباولُ شَيطانٍ بَعيدةٌ عَنِ اللهِ قَريبةٌ مِنْ أَمريكَا!!

لَمْ تَستطِعِ الحَداثةُ، ولا مَا بَعدَ الحَداثةِ، ولا اللِّيبراليةُ، ولا النيوليبراليةُ، أنْ تُلَوِّنَ الأَعمدةَ العَقَديَّةَ الّتي بُنِيَت عَليها تَلُّ أَبيبَ، بَينَما أَصبحَتْ تِلكَ المُدنُ -بِفعلِ تِلكَ الأَمراضِ- مُسوخاً مُشوَّهةً لا يُدرَى وَجهُها مِنْ قَفاها!!

مُدنٌ عَربيةٌ تَقتلُ العُروبةَ، وإِسلاميةٌ تُحاربُ الإِسلامَ، وأَصيلةٌ تَخنقُ الأَصالةَ.. لا شَيءَ هُنا مُنطَلِقٌ مِنْ مَنطقٍ، عَتَهٌ مَحضٌ، لا مَعقولٌ نَاتِجٌ عَنْ لا وَعيٍ، عِقدُ لُؤلؤٍ عَلى خِنزيرٍ، سَيَّارةُ مرسيدس يَجرُّها بَعيرٌ، حَمَّامُ سِباحةٍ في بَيتِ شَعرٍ، (شُورت وفَانلة وكَاب) في مَجلسِ عَزاءٍ، بَدلةٌ كَاملةٌ بِربطةِ عُنقٍ عَلى شَاطئِ بَحرٍ، عِمامةٌ أزهريةٌ مَعَ بَنطلونِ جينز عَلى مِنبرِ المَسجدِ الحَرامِ!!

كَرأسٍ إلى قَدَمَيْهِ ارْتَحَلْ ** كَخاتِمَةٍ مَا لَها مُسْتَهَلْ
كَأعْقابِ مُنْهَزِمٍ، وَجْهُهُ ** قَفاهُ، كَبَدْءٍ بِلا مُقْتَبَلْ
كَعَوْسَجَةٍ جَذَّرَتْهَا الرِّياحُ ** كَسادِسَةٍ فَوقَ كَفٍّ أَشَلْ
كَمَلْوءَةٍ وهْيَ أَخْلَى يَداً ** وأَقْلَقَ مِنْ سَهَرِ المُعْتَقَلْ
يُقاتِلُ فيها الفَراغُ اسمَهُ ** وتَحكي عَلى مَا وكَيفَ اقْتَتَلْ

لَها قامَةُ العَصْرِ لكنْ لَها ** رؤوسٌ كَأخْفافِ يومِ الجَمَلْ
مَلامِحُها فَوقَنا كَالصُّخور ** وتَحتَ نِعالِ الأعادي قُبَلْ

مَرحباً بِكُم، أنتم في بِلادِ العَربِ، حَيثُ لا شَيءَ يُنْبِئُ عَنْ شَيءٍ، حيثُ يَفرُّ المَرءُ مِنْ أخيه، وأُمّهِ وأَبيهِ، وصَاحبَتِهِ وبَنيهِ، لِكلِّ امرئٍ مِنْهُم -في جَزيرَتِهِ المَعزولةِ- شَأنٌ يُغنيه!!

تُخبرُكَ الحَداثةُ أنَّكَ مِصريٌّ، لا شَأنَ لكَ بِما يَحدثُ في غَزَّةَ!!

ثُمَّ تُخبرُكَ أنَّكَ قَاهريٌّ، لا شَأنَ لَكَ بِما يَحدثُ في الإِسكندريةِ!!

ثُمَّ تُخبرُكَ أنَّكَ مِنْ مَدينةِ نَصرٍ، لا شَأنَ لَكَ بِما يَحدثُ في العَباسيةِ!!

ثُمَّ تُخبرُكَ أنَّكَ في عَبَّاس العَقَّاد، لا شَأنَ لَكَ بِما يَحدثُ في مَكرَم عُبَيْد!!

ثُمَّ تُخبرُكَ أنَّكَ في البِنايةِ رَقْمِ ١٤، لا شَأنَ لَكَ بِما يَحدثُ في البِنايةِ رَقْمِ ١٣!!

ثُمَّ تَأمُرُكَ أنْ تُغلِقَ بَابَ شقتِكَ عَلى مَنْ فيها، تَمهيداً لِغلقِ بَابِ نَفسِكَ عَلى نَفسِكَ!!

وبَعدَ أنْ كُنتَ تَلتقي بِجيرانِكَ في الشَّارعِ خَمسَ مَراتٍ في خَمسِ صَلواتٍ في اليَومِ واللَّيلةِ، ثُمَّ بِجيرانِكَ في الحَيِّ مَرةً كُلَّ أسبوعٍ، ثُمَّ بِإخوانِكَ المُسلمينَ في العَالَمِ مَرةً في العَامِ، أصبحْتَ رَئيسَ جُمهوريةِ نَفْسِكَ، ومُواطناً مَسخاً يَكفرُ بِاللهِ ويُؤمنُ بِالحداثةِ!!

كَانَت القَضيَّةُ فِي الأَصلِ إِسلاميةً، ثُمَّ صَيَّرَها عَبدُ النَّاصرِ قَوميةً، ثُمَّ جَعلَها السَّاداتُ فلسطينيةً، ثُمَّ حَصرَها مُباركُ فِي غَزَّةَ، ثُمَّ أطلقَ السِّيسِي، وعَبَّاسُ، ودَحلانُ، ومُحمدُ بنُ زَايدٍ، صَواريخَهُم على غَزَّةَ مِنْ تَلِّ أَبيبَ!!

مَا هَذا؟! كَيفَ وَصلْنَا إلى هَذا المُستنقَعِ؟!!

لَقدْ كَانَ غَارُ حِرًا مَأمَنًا ** فَأمْسَى الرَّدى يَنبَري مِنْ حِرَا

يُروى أنَّ ذُريةَ آدمَ تَقلَّبَتْ فِي نَعيمِ التَّوحيدِ عَشرةَ قُرونٍ كَاملةٍ؛ حَتّى مَاتَ آخرُ الرِّجالِ المُحترمينَ: (وَدٌّ، وسُواعٌ، ويَغوثُ، ويَعوقُ، ونَسرٌ)؛ فَدبَّ الشَّيطانُ إلى أَتباعِهِم؛ فَبالَ فِي أَدمِغتِهِم وأَقنعَهُم أنْ يَجعلوا لَهُم تَصاويرَ وتَماثيلَ لِيَتذكَّرُوهُم فَيَجتهِدُوا فِي العِبادةِ، ولمَّا تَطاولَ الأمدُ وتَعاقبَتِ الأجيالُ وتَناسلَتْ (مَباولُ الشَّيطانِ)، دَبَّ الشَّيطانُ إلى نَسلِهِم مَرةً أُخرَى قَائلاً: (لا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ ولا تَذَرُنَّ وَدًّا ولا سُواعاً ولا يَغوثَ ويَعوقَ ونَسْراً).. كَانوا -فِي الأصلِ- رِجالاً صَالحينَ، ثُمَّ أَصبَحُوا آلهةً!!

هَكذا يَبدأ الأمرُ.. ضَعْ فَيرُوساً فِي الجِهازِ واترُكْهُ يَتفاعلُ!!

كُنَّا أُمَّةً وَاحدةً، تَحتَ رَايةٍ وَاحدةٍ، سَمِّها خِلافةً، أو سَمِّها مُلْكَاً عَضوضاً، لا بَأسَ.. المُهمُّ أنَّها كَانَتْ رَايةً وَاحدةً، وكَانَتِ الدُّولُ العَربيةُ والإِسلاميةُ الحَاليةُ كَالمحافظاتِ فِي نِطاقِ الدَّولةِ، ولَمْ يَكنْ يَتخيلُ أحدٌ أنَّه سَيأتِي اليَومُ الّذي تُصبحُ فيهِ العِراقُ دَولةً، وسُوريَّا دَولةً، ومِصرُ دَولةً، والأردنُّ دَولةً، والمَغربُ العَربيُّ دُولاً، تَماماً كَما لا يَتَخَيَّلُ أَحدُ الآنَ أنَّهُ يُمكنُ لِأسيوطَ،

وسُوهاجَ، والفَيُّومِ، والمَنصورةِ؛ أنْ يُصبحُوا دُولاً مُستقلةً بِأعلامٍ مُختلفةٍ وجُيوشٍ مُتحالفةٍ مَعَ أعداءِ المُحافظةِ الأُخرَى!!

وكَانَ أنْ دَبَّ الشَّيطانُ وتَحركَتِ المَباولُ!!

لَمْ يكنْ لَنا قَانونٌ غَيرَ الشَّريعةِ، ولا دُستورٌ غَيرَ القُرآنِ، ولَمْ يكنْ يَجرُؤُ حَاكمٌ أنْ يَقولَ: الدِّينُ مُقَدَّسٌ والسِّياسةُ مُدَنَّسةٌ؛ فَلنُحافظْ عَلى الدِّينِ -مُقَدَّسَاً- في المَسجدِ، ونَتعاملُ نَحنُ بَينَنَا بِدينِ الإنسانيةِ.. كَانَ الأمرُ -في عُمومِهِ- مُنضبطاً بِأحكامِ الشَّريعةِ، وكَانَتِ الأَهواءُ تَنطلقُ حِيناً وتُعْقَلُ أَحياناً.. ودَبَّ الشَّيطانُ، وتَحركَتِ المَباولُ، ووُلِدَتِ العِلمانيةُ!!

وُلِدَتْ خَضراءَ دِمَنٍ؛ جَميلةٌ تَسْحَرُ أَعيُنَ النَّاسِ وتَسترهِبُهُم بِتجريدِها وذَاتيَّتِها وفَردانيَّتِها ومَصلحيَّتِها.. أصبحَ الدِّينُ لِلَّهِ والوَطنُ لِلجميعِ، وشَيئاً فَشيئاً؛ ضَاعَ الدِّينُ، وتَفَتَّتَ الوَطنُ، وصَارَ أكبرُ هَمِّكَ في الحَياةِ ألّا تَأتيَكَ الطَّعنةُ مِنْ أخيكَ!!

يَتساءلُ عَربيٌّ:

لِماذا لا يَتحركُ العَربُ مِنْ أَجلِ غَزَّةَ ؟!

فَيردُّ الآخرُ:

لَقدْ تَحرَّكُوا أيُّها العَبيطُ، ومَا يَحدثُ الآنَ مِنْ مَجازرَ نَاتِجٌ عَنْ تَحرُّكِهِم!

أهُنا (دُبي) أمْ (ويلز) يا سُفُنَاً ** تَرْمَدُّ إرهاباً وتَقْمَرُّ
وتَصيحُ: صَهْيَنْ يا أَخَا (مُضَرٍ) ** مَنْ أنتَ؟ أينَ خُيولُكَ الضُّمْرُ؟
يا (الأَحمديُّ) هَلْ أنتَ أنتَ؟ هُنا ** (تِكساسُ) أينَ الأوجُهُ السُّمْرُ؟
كَيفَ التقى (وِلْيَمْ) و(عَلقمةٌ) ** ومَتى تَصَافَى الثَّلجُ والجَمْرُ؟؟
يا زَامِرَ (الجَهْرا) أتُطْرِبُها؟ ** لِلبارِجاتِ الطَّبلُ والزَّمْرُ
البَحرُ يا نَفّاطُ مُتَّقِدٌ ** غَامِرْ، وإلّا اجتاحَكَ الغَمْرُ
حُرّاسُكَ اشْقَرُّوا متى انْقَرَضَتْ ** (عَبْسٌ) وأينَ تَغَيَّبَتْ (نَمِرُ)!؟
أتُرى (كلابُ الحوْأَبِ) اشْتَبَهَتْ ** أمْ أُلْجِمَتْ عن نَبْحِ مَنْ مَرّوا؟!

يَسخرُ أحدُهُم قَائلاً: أصبحَ العَربُ ثَلاثةً: عَاربةٌ، ومُستعربةٌ، ومُتصهينةٌ!!
الصِّنفُ الثَّالثُ هُوَ الإصدارُ الأخيرُ مِنْ (مَباولِ الشَّيطانِ)!!

يَنهقُ أحَدُهُم: «اللهمَّ انصرْ إسرائيلَ عَلَى حَماس وكُلِّ إخوانجي، وطُزْ باللي يبي يكفّرني».

يَنعقُ آخرُ: «تَرى أزعجتونا، فلسطين فلسطين، يا ربِّ إسرائيل تحيهم ونرتاح مِنْ نباحكم».

يَنبحُ ثَالثٌ: «كَالعادةِ حَماس خِلص الدّعم عندهم قاموا يستفزّون اليهود عشان يقصفونهم، مَتى يا فِلسْطُزْ تتخلونَ عَنْ شَبحِ النَّذالةِ، بِصراحةٍ اليَهوديُّ أفضلُ لِأنَّهُ يُدافعُ عَنْ أرضِهِ حَتّى لَو سَرقَهَا عكسَ الفِلسطينيِّ الّذي

يَبيعُ أرضَهُ وعِرضَهُ بِسهولةٍ».

تَفُحُّ عجوزٌ مِنْ بَقايا اليَسارِ المِصريِّ: «أُطالبُ بِإخراجِ الفِلسطينيينَ مِنْ مِصرَ ومُصادرةِ أموالِهِم»!!

تُضيفُ أخرى: «كَتَّر خَيرك يا نتنياهو رَبنا يكَتّر مِنْ أمثالكَ لِلقضاءِ عَلى حَماسَ أُسِّ الفَسادِ والخِيانةِ والعِمالةِ الإخوانيةِ، وقَسماً بِاللهِ اللي هَيقولّي حَرام مِشْ عَارفة مُمكِنْ أعملْ إيه.»!!

حَمَدُ المَزروعي، عَبْدُه خال، عبدُ الرَّحمنِ الرَّاشِد، مَظهَر شَاهين، لَميس الحَديدي، تَوفيق عُكاشة، وائل الإِبراشِي، جَمال فَهمِي.. ولا يَزالُ حَبلُ الوَساخةِ على الجَرّارِ!!

يا اللهُ.. مَتى خُلقَ هؤلاءِ؟! ومِنْ أيِّ جِيفةِ خِنزيرٍ عَفنٍ تَناسلَ هَذا الدُّودُ؟!!

الأَسامِي طِبْقُ الأَسامي: عَليٌّ ** نَاصرٌ، خَزعلٌ، سُليمانُ، عَدليُّ
كُلُّهُمْ يَنطقونَ (ماكو) كَنُطْقي ** هَلْ غُزاتي أنا.. دَمي ذَوْبُ نَصْلِي؟

أصبحَ الأمرُ تَجريداً عِلمانياً بَحتاً، وصَارَت مَباولُ الشَّيطانِ تَتَنَفَّسُ الكَذبَ بِدَعوَى السِّياسةِ، والجُبنَ بِدَعوَى الحِكمةِ، والخِيانةَ بِدَعوَى وِجهاتِ النَّظرِ، والعِمالةَ بِدعوَى كَامْب دِيفِيد!!

الكَارِثةُ.. أنَّ ذَاتَ المَباولِ لا زَالَت تُحَدِّثُني عَنْ (نَصارى المَوصلِ)

الّذينَ وَجدوا فُرصةً لِلخروجِ، خِلافاً (لِمسلمي أفريقيا الوُسطى) الّذينَ لَمْ يَجدوا إلّا حَرَّ السَّكاكينِ في الشَّوارِعِ، تَحتَ سَمعِ وبَصرِ جُنودِ فَرنسا، أُمِّ العِلمانيةِ وأبيها!!

إنَّهم يُعطونَكَ العِلمانيةَ وتَوابعَها لِتكونَ -فَقطْ- سُوقاً لِمنتجاتِهِم، وفَأرَ تَجارِبَ لِأسلحتِهِم، وكَلبَ حِراسةٍ لِآبارِ نفطِهِم، ومُثقفاً مَسخاً يُردِّدُ تَفاهاتِهِم وأكاذيبَهم عَنِ الحُريةِ والدِّيمقراطيةِ وحُقوقِ الإنسانِ.. وكَلمةُ الإنسانِ في نَظرِهِم لا تَنطبقُ عَليكَ.

دِيني، وصِفْري.. هَذا هُوَ الصِّراعُ!!

المَعركَةُ وَاضحةٌ.. ولَكنَّكَ أَعمَى!!

مُنذُ مَا يُقاربُ المِئةَ سَنةً احتفلَ لُويد جُورج رَئيسُ وُزراءِ بِريطَانيَا بِسقوطِ القُدسِ عَلى يَدِ اللنبي قَائلاً: «إنَّهُ بِتحريرِ القُدسِ تَمكنَ العَالَمُ المَسيحيُّ مِنِ استردادِ أماكنِه المُقدسةِ.»!!

نَشرتِ الصِّحافةُ البَريطانيةُ وَقتَها صُوراً لِلجنرالِ اللنبي وهُوَ يَدخلُ القُدسَ وكَتبَتْ تَحتَها كَلمتَهُ الشَّهيرةَ: «اليومَ انْتَهتِ الحُروبُ الصَّليبيةُ»!!

في كِتابِهِ (حَياةُ المَسيحِ الشَّعبيةُ) يَقولُ باترسون سمث: «بَاءَتِ الحُروبُ الصَّليبيةُ بِالفشلِ لكنَّ حَادثاً خَطيراً وَقعَ بَعدَ ذَلكَ حِينَما بَعثَتْ إنكلترا بِحملتِها الصَّليبيةِ الثَّامنةِ فَفازَتْ هَذهِ المَرَةَ، إنَّ حَملةَ (اللنبي) عَلى القُدسِ أثناءَ الحَربِ العَالَميةِ الأولى هِيَ الحَملةُ الصَّليبيةُ الثَّامنةُ والأَخيرةُ»!!

لَستُمْ بِالطبعِ في حَاجةٍ لِتذكيرِكُم أنَّ مَباولَ الشَّيطانِ العَربيةِ مُمَثَّلَةً في جُنودِ فَيصلِ بنِ الحُسينِ كَانَت ضِمنَ تِلكَ الحَملةِ الصَّليبيةِ!!

(أَنتُم مَهووسونَ بِالعقيدةِ والأَيدلوجيَا، أَنتُم شُوفونيونَ، الحَربُ سِياسيةٌ واقتصاديةٌ بَحتةٌ).. هكَذا يَنْهَقُ مَبولَةُ شَيطانٍ، فَإذا رَصَصْتَ لَهُ كلَّ مُنطلَقاتِ القَومِ في المَاضي والحَاضرِ، رَاغَ مِنْكَ كَما تَروغُ الثَّعالبُ، وإذا ذَكَّرتَهُ بِكلمةِ بُوشَ إِبَّانَ الحَربِ عَلى العِراقِ، أو بِكلمةِ وَزيرِ خَارجيةِ الانقلابِ المِصريِّ الّذي قَالَ فِيها مُنذُ أيامٍ: «خِلافُنا مَعَ حَماسَ خِلافٌ عَقائديٌّ»، أَخرجَ الخِنزيرَ القَابعَ بِداخلِهِ وبَدأَ يُحدثُكَ عَنِ الإرهابِ والصَّواريخِ العَبثيةِ!!

مَباولُ الشَّيطانِ لا تَفنَى ولا تُسْتَحْدَثُ مِنْ عَدمٍ، والّذينَ أَسقَطُوا الخَونةَ -قَديماً- (في بِئرِ سَبعٍ)، سَقطوا هُمْ -حَديثاً- (في بِئرِ غَزَّةَ)!!

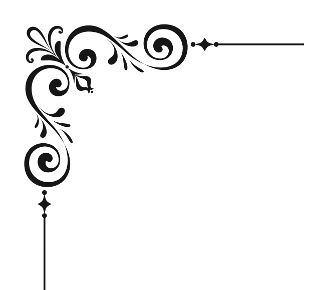
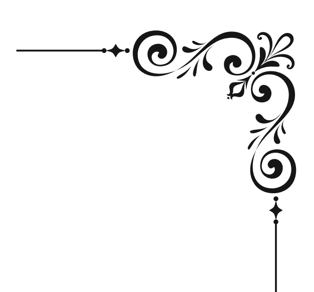
وغَزَّةُ تَرفعُ وَجهَها لِلّهِ، وتَصرخُ في وَجهِ المُبادرةِ المِصريةِ، وقَافلةِ المَعونةِ الإماراتيةِ:

بَنى مَسجداً لِلّهِ مِنْ غَيرِ حِلِّهِ ** وكَانَ بِحمدِ اللَّهِ غَيرَ مُوفَّقِ

كَمُطعِمَةِ الأيتامِ مِنْ كَدِّ فَرجِها ** لَكِ الوَيلُ، لا تَزني ولا تَتَصَدَّقي

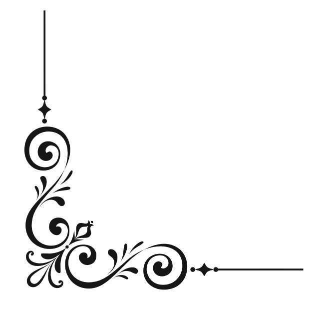
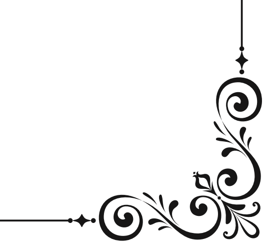
٢٩ /رمضان/ ١٤٣٥هـ

٢٦ / ٧ / ٢٠١٤م

(٦)

كُفَّ عنِ البَصْقِ في وَجْهِ أَبيكَ

حِينَ تَكونُ عَربياً ثُمَّ تَكتبُ اسمَكَ بِحروفٍ أَجنبيةٍ، فَأَنتَ تبصُقُ في وَجهِ أَبيكَ!!

لا تَوصيفَ لِحالتِكَ أقلُّ مِنْ هَذا!!

اللغةُ أُمٌّ، ومِنَ العَارِ أنْ تَرمِيَ أُمَّكَ عَلى قَارعةِ الطَّريقِ لِأنَّها لَمْ تَعُدْ جَميلةً في نَظرِكَ.. الأُمهاتُ لَسْنَ نِساءً يُقَسْنَ بِمَقاييسِ الجَمالِ والقُبحِ، الأمهاتُ جَميلاتٌ في كُلِّ حَالاتِهِنَّ!!

وَجهُكَ جَميلٌ لِأنَّهُ أَصيلٌ، ولَيسَ لِأنَّهُ أَبيضُ أو أَسمرُ أو حُلوُ التَّقاطيعِ.. لِماذا تُصرُّ على تَلطيخِ وَجهِكَ بِما تَظُنُّهُ زِينةً، بَينَما هُوَ طِينٌ مُطَيَّنٌ بِطينٍ؟!

أعْرِفُ أنَّكَ تَرى الأَمرَ أَهونَ مِنْ هَذا، وهَذهِ هِيَ الكَارثةُ!!

فِي إِحدَى قُرَى دَاغِستانَ، سَمِعَ رَسولُ حمزاتوف -صَاحبُ رِوايةِ بَلَدِي- امْرَأتينِ تَتلاعنانِ، **قَالَت إِحداهُما:**

- لِيَحْرِمِ اللهُ أطفالَكِ مَنْ يَستطيعُ أنْ يُعلِّمَهُمُ اللُّغةَ!!

فَردَّتِ الأُخرَى:

- بلْ لِيَحرِمِ اللهُ أطفالَكِ مَنْ يَستطيعونَ أنْ يُعلِّموهُ اللُّغةَ!!

كَانَتْ هَذهِ اللَّعنةُ -كَما يَقولُ حَمزَاتُوف- أرْهَبَ لَعنةٍ سَمِعَها في لَعناتِ أَهالِي الجِبالِ!!

الأمرُ ليسَ هيّناً كما تظنُّ، بَلْ هوَ لعنةٌ.. لعنةٌ سَتُصيبُكَ في مَقْتَلٍ!!

أَنتَ مُخطِئٌ حينَ تظنُّ أنَّ اللُّغةَ ليسَت أكثرَ مِن أداةِ تواصُلٍ تَستطيعُ استبدالَها وَقتما تَشاءُ.. الأمرُ أشبهُ بِفقدانِ أَوراقِكَ الثُّبوتيةِ في أَرضِ غُربةٍ، إِنْ فَقدتَها تَحوَّلْتَ إلى كائنٍ يتنفسُ، تَماماً كما يتنفسُ الكَلبُ والحِمارُ والخِنزيرُ!!

اللُّغةُ تَاريخُكَ الّذي تَحملُهُ فَوقَ ظَهرِكَ، وتُراثُكَ الّذي يُشكِّلُ وَعيَكَ، وهُويتُكَ الّتي تُنْبئُ عَنْ ذَاتِكَ، ورُوحُكَ الّتي تَمورُ بينَ جَوانحِكَ، ووَجهُكَ الّذي تُقابلُ بِهِ الدُّنيا.. أنتَ الجَنينُ وهِيَ الحَبْلُ السُّرِّيُّ الّذي إنِ انقطعَ مُتَّ.. لِماذا تُصرُّ على الانتحارِ؟!

في باريسَ، لَقِيَ رَسولُ حمزاتوف رَسَّاماً دَاغستانياً هَاجرَ مُنذُ ثَلاثينَ سَنةً ولَمْ يَعُدْ لِبلادِهِ.. لَقدْ شَعرَ مَعَهُ بِبعضِ الدِّفءِ الّذي يَشعرُ بِهِ أبناءُ البَلدِ الوَاحدِ في الغُربةِ، وحِينَ عَادَ إلى دَاغستانَ سَأَلَ عَنْ أهلِهِ فَاكتشفَ أنَّ أُمَّهُ لا تَزالُ عَلى قَيدِ الحيَاةِ.. فَرِحَتْ كَثيراً حِينَ حَدَّثَها عَنِ ابنِها، وفي نِهايةِ الزِّيارةِ سَأَلَتْهُ: هَلْ تَحدثْتُما بِالآفاريَّةِ؟ فَأجابَ رَسولُ: كلا، لَقدْ تَحدثْنَا بِواسطةِ مُترجمٍ، كُنتُ أنا أتكلَّمُ الرُّوسيةَ وابنُكِ يَتكلمُ الفَرنسيةَ.. غَطَّتِ الأُمُّ وَجهَها بِطَرحتِها السَّوداءِ كَما تَفعلُ النِّساءُ حِينَ يَسمَعْنَ بِموتِ أبنائِهِنَّ، وبَعدَ صَمتٍ حَزينٍ قَالَت: أنتَ مُخطِئٌ يا رَسولُ، لَقدْ مَاتَ ابنِي مُنذُ زَمنٍ بَعيدٍ، هَذا لَمْ يكنِ ابني، فَابني لَمْ يَكنْ لِيستطيعَ أَنْ يَنسى اللُّغةَ الّتي عَلَّمتُهُ إِيَّاها أنا أُمُّهُ الآفاريَّةُ!!

لِكي تَشعُرَ بِفداحةِ الأَمرِ، تَذكَّرْ أنَّ أعظمَ الكُتَّابِ والعُلماءِ الأَتراكِ تَحولّوا -ذَاتَ صَباحٍ كَئيبٍ- إلى أُمِّيِّينَ لا يُحسِنونَ القِراءةَ ولا الكِتابةَ.. أَرادَ أتاتوركُ إِسقاطَ الإِسلامِ وعَلْمَنَةَ الحَيَاةِ، فَكانَ أَوّلُ مَا فَكرَ فِيهِ هُوَ إِسقاطَ اللُّغةِ وحُروفِها.. مَنَعَ الكِتابةَ بالحُروفِ العَربيةِ، فَأَصبحَ النَّاسُ وقَدِ انقطعوا -مَعْرِفِيّاً- عَنْ تُراثِهِم المَكتوبِ، لَقَدْ تَحولّوا فَجْأَةً إلى أُمِّيِّينَ.. وكَانَ عَلى الكَاتبِ التُّركِيِّ والمُعلِّمِ التُّركِيِّ والمُثقفِ التُّركِيِّ أَنْ يَعودَ إلى مَقاعدِ الدِّراسةِ -بِجوارِ أَطفالِهِ- لِيتَعلَّمَ حُروفَ الهِجاءِ اللّاتينيةِ الّتي أَجبَرَهُم أَتاتوركُ عَلى الكِتابةِ والقِراءةِ بِها!!

استطاعَ المُعلِّمُ التُّركِيُّ أنْ يَتعلَّمَ -بِصُعوبةٍ- حُروفَ الهِجاءِ المُستَحْدَثَةَ لِيقرأَ ويَكتبَ مِنْ جَديدٍ، أمّا طِفلُهُ فَقَدْ نُقشَتِ الحُروفُ المُستَحْدَثَةُ عَلى صَفحةِ رُوحِهِ وتَجذَّرَتْ في ذَاتِهِ مُكَوِّنةً شَخصيتَهُ وهُويتَهُ!!

بَعدَ عِشرينَ سَنةً كَانَ عَلى ذَاتِ الطِّفلِ -الّذي أَصبحَ شَاباً- أَنْ يَستعينَ بِأبيهِ، لِيَفُكَّ لَهُ طَلاسمَ كِتابٍ كُتبَ قَبلَ عِشرينَ سَنةً، تَماماً كَما يَستعينُ الإِنجليزُ الآنَ بِقواميسِ اللُّغةِ الإِنجليزيةِ القَديمةِ لِيفهَمُوا شِكسبيرَ!!

- هَلِ الأَمرُ مُقلقٌ إلى هَذهِ الدَّرجةِ؟!

- لا، الأمرُ لَيسَ مُقلِقاً.. الأمرُ مُرعبٌ، مُرعبٌ حَدَّ الشُّعورِ بِأَنَّنا يُمكنُ أَنْ نَتحولَ -بِسببِ استهانتِكَ بِالأمرِ- إلى هُنودٍ حُمرٍ!!

لَنْ أُحدّثَكَ عَنْ تَارِيخ الحَربِ على اللُّغةِ العَربيةِ.. لَنْ أُحدثَكَ عَنِ الجُهودِ الحَثيثةِ لِوأدِ هَذهِ اللُّغةِ، لَنْ أَقُولَ لَكَ: إنَّ الإنسانَ -إنْ أمْعَنْتَ النَّظرَ- لَيسَ أَكثرَ مِنْ (لُغةٍ وعَقيدةٍ)، إنْ سَقطَتْ إحداهُما سَقطَتِ الأُخرَى، وإنَّهُ لَيسَ ثَمَّةَ لُغةٌ حَيةٌ في الدُّنيا مُرتبطةٌ بعقيدةٍ كَارتباطِ العَربيةِ بِالإسلامِ، وإنَّ البَوابةَ الأولى الّتي يَدخلُ مِنْها الغُزاةُ هِيَ اللُّغةُ العَربيةُ، وإنَّ استخدامَكَ لِلحروفِ العَربيةِ في كِتابةِ اسمكَ عَلى مَواقعِ التَّواصلِ الاجتماعيِّ؛ يُعتبرُ تَدريعاً وتَقويةً لِلبوابةِ مِنَ السُّقوطِ.

لا تَستهِنْ بِالأمرِ، سَاعدْ في تَحصينِ بَوابةِ بَيتِكَ كَي لا يَقتحمَهُ الغُزاةُ!!

الغُزاةُ أَذكياءُ جِداً، فَلا تكنْ مُغفلاً.. إنَّهُم يُحسِنونَ التَّدرجَ في الغَزوِ، وشَيئاً فَشيئاً سَتجدُهُم في غُرفةِ نَومِكَ!!

دَعْكَ مِنَ التَّعَلُّلِ بِاضطرارِكَ -عِلمياً وثَقافياً ومُجتمعياً- لِاستخدامِ الحُروفِ واللُّغاتِ الأجنبيةِ.. أنتَ تَعلمُ أنَّها عِلَلٌ فَارغةٌ، ولَو تَعَلَّلْتَ بِالاضطِرارِ في كُلِّ شَيءٍ فَلَنْ تُنتجَ شَيئاً، إلى مَتى سَتظلُّ تَتفاخرُ وتَتلذَّذُ بِأكلِ الميتةِ؟! أَعطِني مَوعِداً يُمكنُ أَنْ تَكُفَّ فيهِ عَنْ أكلِ المُنخنقةِ والمَوقوذةِ والمُترديةِ والنَّطيحةِ، هَذا عبثٌ، لَيسَ ثَمَّةَ اضطرارٌ ولا يَحزنونَ!!

الحَقيقةُ أنَّ شُعورَكَ بِالنَّقصِ والضَّعَةِ، وقَابليتَكَ لِلاستعمارِ، ووَلَعَكَ كَمغلوبٍ بِتقليدِ الغَالبِ، هُوَ الّذي يَكسرُ رُوحَكَ الآنَ، فَلا تَكذبْ عَلى نَفسِكَ وتَتَعَلَّلْ بِعللٍ فَارغةٍ، لَنْ تُحققَ شَيئاً طَالما ظَللْتَ تَكذبُ عَلى نَفسِكَ،

صَارِحْ نَفسَكَ بِالحقيقةِ، فَإنَّ الصِّدقَ مَعَ النَّفسِ أولُ طَريقِ العَودةِ إلى الذَّاتِ.

احترِمْ ذَاتَكَ وكُفَّ عَنِ الشُّعورِ بِالنقصِ!!

يَذكرُ رَسولُ حمزاتوف أنَّ الشَّاعرَ الدَّاغستانيَّ (أبو طالب) ذَهبَ مَرةً إلى موسكو، وفي الشَّارعِ اضطُرَّ أنْ يَسألَ عَنِ السُّوقِ، وكَانَ أنْ صَادفَ إنكليزياً فَسألَهُ، فَلمْ يَفهمِ الإنكليزيُّ أبا طَالبٍ، فَأخذَ يَستفسرُ مِنْهُ بِالإنكليزيةِ، ثُمَّ بِالفرنسيةِ، ثُمَّ بِالإسبانيةِ.. حَاولَ أبو طَالبٍ أنْ يَتفاهمَ مَعَهُ بِالرُّوسيةِ أولاً، ثُمَّ بِاللّاكيةِ، ثُمَّ بِالآفاريةِ، فَاللّيزغينيةِ، فَالدرغينيةِ، فَالكوميةِ.. ثُمَّ افترقَا دُونَ أنْ يَفهمَ أحدُهُما الآخَرَ.. أحدُ الدَّاغستانيينَ المُثقفينَ جِداً جِداً (والّذينَ أخطأَ الإمامُ شَاملٌ بِتركِهم عَلى قَيدِ الحيَاةِ!!) قَالَ لِأبي طَالبٍ: أرأيتَ قِيمةَ الثَّقافةِ يا أبا طَالبٍ، لَو كُنتَ مُثقفاً أكثرَ لَاستطعتَ التَّحدثَ مَعَ الإنكليزيِّ!! رَدَّ أبو طَالبٍ: ولَكنْ لِماذا يَجبُ أنْ يَحسبَ الإنكليزيُّ نَفسَهُ أكثرَ ثَقافةً مِنّي، فَهوَ بَدورِهِ لَمْ يَكنْ يَعرفُ أيَّةَ لُغةٍ مِنَ اللُّغاتِ الّتي حَدَّثْتُهُ بِها!!

أنتَ مُنْسَحِقٌ حَضارياً، و(عُقدةُ الخَواجةِ) تَكسِرُ نَفسَكَ.. أنا أَعذِرُكَ في ذَلكَ، فَانْسِحاقُكَ هَذا لَيسَ بِدعاً مِنَ السُّنَنِ الرَّبانيةِ في صُعودِ الحَضاراتِ وسُقوطِها!!

مَا يَحدُثُ لَكَ الآنَ حَدثَ لِلشبابِ الأُوربيِّ قَديماً، فَقدْ كَانَ شَبابُ أَلمانيا وبَريطانيا وفَرنسا وإيطاليا -في فَتراتِ مَجدِ المُسلمينَ- يَأتونَ إلى الأندلسِ

لِيَتَلَقَّوا العِلمَ عَلى أيدي العُلماءِ المُسلمينَ، وكَانَتْ لُغَةُ العِلمِ آنذاكَ هِيَ اللُّغَةَ العَربيةَ؛ فكَانَ لِزاماً على كُلِّ طَالبٍ مِنْهُم أنْ يَتعلمَ العَربيةَ أَولاً، وكَانوا إذا رَجعوا إلى بِلادِهِم؛ تَفاخروا أَمامَ أَقرانِهِم بِالمصطلحاتِ العَربيةِ والألفاظِ العَربيةِ والشِّعرِ العَربِيِّ؛ بَلْ كَانوا يَستفتحونَ مُناقشاتِهِم لِقومِهِم بِالعربيةِ؛ لِيعرفَ مُحدِّثُهُم أَنَّهُم مِنْ أهلِ العِلمِ والثَّقافةِ والمَعرفةِ (تَماماً كَما تَحشرُ أنتَ الآنَ كَلمةً أو كَلمتينِ بِالإنجليزيةِ أو الفَرنسيةِ لِيعلمَ مُحدِّثُكَ أَنَّكَ مُثقفٌ)، وقَدْ تَنَبَّهَتِ الكَنيسةُ -آنذاكَ- لِهذا الخَطرِ؛ فتوعدَتْ هَؤلاءِ الشَّبابِ (الرُّقَعاءِ!!) -كَما سَمَّتهُم- بِالحرمانِ مِنْ مَلكوتِ السَّماءِ إنْ لَمْ يَتوقَّفُوا عَنْ ذَلكَ!!

وفي سَنةِ ٢٤٠ هـ- ٨٥٤ م؛ أصدرَ القَسُّ ألفارو القُرطبيُّ (وَثيقةَ آهات)، سَماها (الدَّليلُ المُنيرُ)؛ يَتحسرُ فيها عَلى الشَّبابِ المَسيحيِّ الَّذي تَعَرَّبَ وابتعدَ عَنْ ثَقافتهِ ولُغتهِ ودِينِهِ، يَقولُ فيها: «يَطربُ إخوانِي المَسيحيونَ بِأشعارِ العَربِ وقَصصِهِم؛ فَهُم يَدرسونَ كُتبَ الفُقهاءِ والفَلاسفةِ المُحمديينَ لا لِتفنيدِها؛ بَلْ لِلحصولِ عَلى أُسلوبٍ عَربِيٍّ صَحيحٍ رَشيقٍ، فَأينَ تَجدُ اليَومَ عَالِماً مَسيحياً يَقرأُ التَّعليقاتِ اللّاتينيةِ عَلى الكُتبِ المُقدسةِ؟ وأينَ ذَلكَ الَّذي يَدرسُ الإنجيلَ وكُتبَ الأنبياءِ والرُّسلِ؟ واأَسفاهُ.. إنَّ شَبابَ المَسيحيينَ -الَّذينَ هُم أبرزُ النَّاسِ مَواهبَ- لَيسوا عَلى عِلمٍ بِأيِّ أدبٍ ولا أيَّةِ لُغةٍ غَيرَ العَربيةِ؛ فَهُم يَقرؤونَ كُتبَ العَربِ ويَدرسونَها بِلهفةٍ وشَغفٍ، وهُم يَجمعونَ مِنْها مَكتباتٍ كَاملةً تُكلفُهُم نَفقاتٍ بَاهظةً، وإنَّهم لَيترنَّمونَ فِي كُلِّ مَكانٍ بِمدحِ تُراثِ العَربِ، وإنَّكَ لَتراهُم مِنَ النَّاحيةِ الأُخرَى يَحْتَجُّونَ فِي زِرايةٍ

-إذا ذُكِرت الكُتبُ المَسيحيةُ- بِأنَّ تلكَ المُؤلفاتِ غَيرُ جَديرةٍ بِالتفاتِهم؛ فَوَاحَرَّ قَلباهُ! لَقدْ نَسِيَ المَسيحيونَ لُغتَهُم ولا يَكادُ يُوجدُ مِنْهُم وَاحدٌ في الأَلْفِ قَادرٌ عَلى إنشاءِ رِسالةٍ إلى صَديقٍ بِلاتينيةٍ مُستقيمةٍ، ولَكنْ إذا استدعى الأمرُ كِتابةً بِالعربيةِ فَكَم مِنْهُم مَنْ يَستطيعُ أَنْ يُعبِّرَ عَنْ نَفسِهِ في تِلكَ اللُّغةِ بِأعظمِ مَا يكونُ مِنَ الرَّشاقةِ؛ بَلْ قَدْ يَقرِضُونَ مِنَ الشِّعرِ مَا يَفوقُ في صِحةِ نَظمِهِ شِعرَ العَربِ أنفُسِهم».

هَذا مَا كَتبَهُ ألفارو القرطبيُّ.. ولاحِظِ ارتباطَ اللُّغةِ عِندَهُ بِالدِّينِ!!

لَمْ يَقتصرِ الأمرُ -آنذاكَ- عَلى اللُّغةِ؛ بَلْ وَصلَ تَقليدُ الأوربيينَ لِلعربِ والمُسلمينَ إلى المَأكلِ والمَشربِ والأزياءِ والنَّظافةِ الشَّخصيةِ الّتي لَمْ يكُنِ الأُوربيونَ يَعرفونَ عَنْها شَيئاً.

ونَظرةٌ سَريعةٌ في كِتابِ (الاعتِبَار) لأُسامةَ بنِ مُنقذٍ، أو كِتابِ (شَمسُ الإسلامِ تَسطعُ عَلى الغَربِ) لِلمستشرقةِ الألمانيةِ زيجريد هونكه؛ تَضعُ يَدكَ عَلى كَمِّ القَرفِ الّذي كَانَ الأوربيونَ يَتَقَلَّبونَ فيهِ، والّذي اغتسلوا مِنْ أدرانِهِ بَعدَ احتكاكِهِم بِالمسلمينَ.

ولَمْ يكنْ تَقليدُ الأُوربيينَ لِلمسلمينَ مُقتصِراً عَلى عَوامِّهِم فَقطْ؛ بَلْ وَصلَ إلى خَواصِّهِم وأُمرائِهِم ومُلوكِهِم وبَعضِ بَاباواتِهِم؛ حَتّى إنَّ (بلدوين) -مُغتصبَ القُدسِ- أطلقَ لِحيتَهُ كَالمسلمينَ، وارتدى الزِّيَّ العَربيَّ.. وضَربَ (بتانكرد) -مُغتصبُ أنطاكيةَ- صُورتَهُ عَلى النُّقودِ بِالزِّيِّ العَربيِّ.. وحَرصَ

(رُوجيه الثاني) إمبراطورُ النُّورمانِ عَلى ارتداءِ المَلابسِ العَربيةِ في بِلاطِه، وتَعَلُّمِ العُلومِ العَربيَّةِ والتَّحدُّث بِالعربيةِ.. أمَّا البابا (سلفستر الثاني)، فَقَدْ بَدأَ حَياتَهُ العِلميةَ في قُرطبةَ، وتَعَلَّقَ بِالعَربِ وعَشِقَ عُلومَهُم وانبهرَ بِهِم، حَتّى قَالَ مَرةً عَنْ مَكتبةِ القَاهرةِ في زَمنِه: «إنَّهُ لَمِنَ المَعلومِ تماماً أنَّهُ ليسَ ثَمَّةَ أحدٌ في رُوما لَهُ مِنَ المَعرفةِ مَا يُؤهلُه لأَنْ يَعملَ بَواباً لتلكَ المكتبةِ، وأنَّى لَنا أنْ نُعَلِّمَ النَّاسَ ونَحنُ في حَاجةٍ لِمَنْ يُعلِّمُنا، إنَّ فَاقدَ الشَّيءِ لا يُعطيهِ».

وسلفستر هَذا دَليلٌ وَاضحٌ عَلى أثَرِ البَعثاتِ العِلميَّةِ في الصِّبا، فَرَغمَ مَا لِهذهِ البَعثاتِ مِنْ فَوائدَ جَمَّةٍ إلّا أنَّ تَطبيقَها عَلى الوَجهِ الّذي طُبِّقَتْ بِهِ عِندنا أَنتجَ مَا نَحنُ فيهِ مِنْ عَارٍ!!

نَحنُ نُلقِي بِأبنائِنا إلى أَعدائِنا لِيُعَلِّموهُم فَيَعودُوا لِيهدِمُوا حُصونَنا مِنْ دَاخلِها، والشَّجرةُ لا يَقطعُها إلّا أحدُ فُروعِها!!

أعْرِفُ أنَّ هَذا مَجدٌ غَابرٌ، فَلا تَتفلسفْ عَليَّ بـ (كَانَ فِعلٌ مَاضٍ نَاقصٌ)، ودَعني أسألُكَ: كَيفَ غَبرَ هَذا المَجدُ؟!

غَبرَ هَذا المَجدُ بِسَببِكَ أنتَ وأَمثالِكَ، بِسببِ تَقليدِكَ الأَعمَى، بِسببِ شُعورِكَ بِالنَّقصِ والضَّعةِ، بِسببِ قَابليتِكَ لِلاستعمارِ، بِسببِ ذَوبانِكَ كَمَغلوبٍ في غَالبِكَ!!

أنتَ تَمتلكُ حَضارةً عَظيمةً، وتُراثاً عَظيماً، ولُغةً عَظيمةً، فَلماذا تَستبدلُ الّذي هُوَ أدنى بِالّذي هُوَ خَيرٌ؟!

لا بَأسَ بِتَعَلُّمِكَ مِنْ غَيرِكَ، بَلِ الوَاجِبُ عَليكَ أنْ تَتعَلَّمَ مِنْ غَيرِكَ، فَالحِكمَةُ ضَالَّةُ المُؤمنِ أيْنَما وَجدَها فَهوَ أحقُّ النَّاسِ بِها، ولَكِنْ، كُنْ أنتَ.. كُنْ نَفسَكَ.. لا تَكنْ كَالجَدْيِ الّذي ذَهبَ إلى الغَابَةِ لِينموَ لَهُ ذَنَبُ ذِئبٍ فَعادَ حَتّى بِدونِ قَرنينِ!!

لِماذا تَحتقرُ نَفسَكَ؟!

أنتَ وَحدَكَ المَسؤولُ عَنْ سُقوطِكِ، وأنتَ وَحدَكَ المَسؤولُ عَنْ نَهضتِكَ، أنتَ مَنْ سَيُقرِّرُ الوَقتَ الّذي تَنتهِي فيهِ دَورةُ حَضارةٍ لِتَبدأَ فيهِ دَورةُ حَضارةٍ أُخرَى.. انْزِواؤكَ في دَهليزِ الظَّلامِ الّذي تَنزَوِي فيهِ لَنْ يَصنعَ مِصباحاً.. هَذا يَكفِي!!

اخترعَ أَحدُ الشَّبابِ جِهازَ إِنذارٍ ثُمَّ سَمَّاهُ بِاسمٍ إنجليزيٍّ، وحِينَ سَألْتُهُ: لِماذا لَمْ تُسَمِّهِ بِاسمٍ عَربِيٍّ؟! ضَحكَ وعَجبَ مِنْ سُؤالي ونَظرَ لِيْ نَظرةَ ابنِ المَدينةِ لِابنِ الأَرياف.. عَرفتُ مَا يَدورُ فِي عَقلِهِ، فأَدَرْتُ مَعهُ حِواراً طَويلاً عَنْ مَركَزيةِ اللُّغةِ وارتباطِها بِالهُويةِ، فَخرجَ بَعدَهُ مُصمِّماً عَلى تَعلُّمِ العَربيةِ تَعلُّماً يُساعدُهُ فِي مَجالِ عَملِهِ العِلميِّ.

بَعدَ خُروجِهِ تَذكرتُ قَولَ الرَّافعِيِّ -رَحمَهُ اللهُ- حِينَ قَالَ -فِي مَعرضِ حَديثِهِ عَنْ تَراجُعِ العَربيةِ فِي هَذا العَصرِ مُؤكِّداً عَلى أنَّ هَذا التَّراجعَ عَائدٌ لِتراجعِ أَصحابِ اللُّغةِ ولَيسَ إلى اللُّغةِ ذَاتِها- قَالَ: «ومَتى كَانَت اللُّغةُ صُورةَ الأُمَّةِ، فَإنَّ كُلَّ مَا يَعْتَوِرُ هَذهِ يَتصلُ أَثَرُه بِتلكَ ضَرورةً، ولِذلكَ بَقيتِ

العَربيةُ في نفسِها على مُرونتِها الأُولَى حَتّى يُتاحَ لَها أَقوامٌ كَأولئكَ الأَقوامِ وتُقَيَّضَ لَها أقلامٌ كَتلكَ الأقلامِ».

فَليسَ لِلُّغةِ ذَنبٌ حِينَ تَتراجعُ بِتراجُعِ أَهلِها، وهَذا مَا يُؤَكِّدُهُ العَالِمُ الفرنسيُّ (فندريس) حِينَ يَقولُ: «إنَّنا لا نَعلمُ إِطلاقاً لُغةً قَدْ قَصُرَتْ عَنْ خِدمةِ إِنسانٍ عِندَهُ فِكرةٌ يَودُّ التَّعبيرَ عَنْها»، ثُمَّ يُعقِّبُ قَائلاً: «فَلا نُنصتُ إذنْ إلى أُولئكَ المُؤلِّفينَ العَاجزينَ الَّذينَ يُحَمِّلونَ لُغاتِهِم مَسؤوليةَ النَّقصِ في مُؤلفاتِهِم، لِأَنَّهُم هُمُ المَسؤولونَ عَلى وَجهِ العُمومِ عَنْ هَذا النَّقصِ».

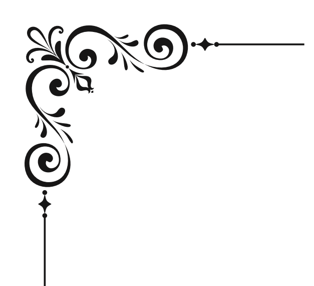
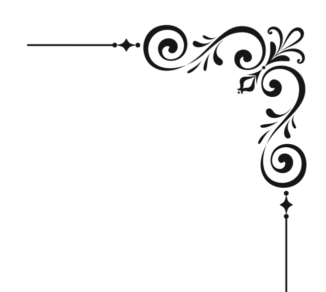
لَقَدْ أَحيَا اليَهودُ لُغتَهُمُ العِبريةَ بَعدَ مَوات، والعَربيةُ لَيسَت لُغةً مَيتةً أَو فَقيرةً، بَلْ هِيَ بَحرٌ مُتجدِّدٌ يَكْمُنُ الدُّرُّ في أَحشائِهِ، ولَكنَّ المُشكلةَ فيكَ أنتَ.. أنتَ سَببُ النَّكسةِ، فَكُنْ سَببَ النَّهضةِ!!

أنا لا أُطالبُكَ الآنَ بِإتقانِ العَربيةِ، ولا بِتَحَرّي الإحسانِ آنَ الكِتابةِ بِها، هَذا مُستوىً آخَرُ سَأُطالبُكَ بِهِ فيما بَعدُ.. أنا الآنَ أُحاولُ -فَقَطْ- مَنعَكَ مِنَ البَصقِ عَلى وَجهِ أَبيكَ، وإِلقاءِ أُمِّكَ عَلى قَارعةِ الطَّريقِ.. أُحاولُ فَقطْ أَنْ أُقنعَكَ بِكِتابةِ اسمِكَ في مَواقعِ التَّواصلِ الاجتماعيِّ بِحُروفٍ عَربيةٍ.. هَذا فَقطْ مَا أُطالبُكَ بِهِ الآنَ..

أَرجُوكَ.. كُفَّ عَنِ البَصقِ في وَجهِ أَبيكَ!!

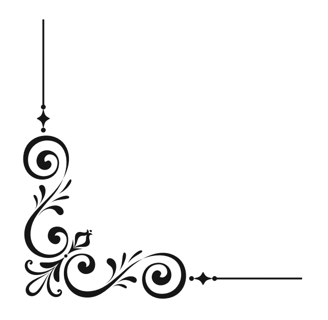
٢١ / ذو الحجة / ١٤٣٥هـ

١٥ / ١٠ / ٢٠١٤م

(٧)

المُسْتَهْبِلونَ في الأَرضِ




- مَاذا سَيَفعلونَ حِينَ يَتوقفونَ عَنِ الرَّكضِ؟!

- سَيَركضُونَ مُجدداً!!

- ومَاذا سَيَحدُثُ حِينَ تَنتهي مَأسَاتُهُم؟!

- سَيَبحثُونَ عَنْ مَأساةٍ أُخرَى!!

- ولِماذا لَمْ يَتَّعِظُوا بِغيرِهِم؟!

- لِأَنَّهُم كَغيرِهِم!!

(لَا يُلْدَغُ المُؤمنُ مِنْ جُحرٍ وَاحدٍ مَرَّتينِ).. هَكذا قَالَ -صَلّى اللهُ عَليهِ وَسَلَّمَ-..

ولِأَنَّهُم يُلدَغونَ مِنْ ذَاتِ الجُحرِ أَلفَ مَرةٍ، فَإِنَّ عَليكَ أَنْ نَتوقفَ كَثيراً قَبلَ إِسباغِ صِفةِ الإِيمانِ عَلى هَؤلاءِ المَلدوغينَ مِراراً وتَكراراً!!

يُحَدِّثُنا التَّاريخُ القَريبُ أَنَّ مَكماهونَ، ولُورنسَ، سَيطرَ كُلُّ وَاحدٍ مِنْهُما عَلى حَفيدٍ مِنْ أَحفادِ رَسولِ اللهِ -صَلّى اللهُ عَليهِ وسَلَّمَ-، لِيضربَا بِهِما كِيانَ الخِلافةِ في مَقتلٍ!!

لَمْ تَكُنِ الخِلافةُ العُثمانيةُ آنذاكَ خِلافةً بِالمَعنى المُنضبطِ لِلخلافةِ، بَلْ كَانَت -مِنَ النَّاحيةِ الشَّرعيةِ- كَثوبٍ ضَمَّ سَبعينَ رُقعةً مُشَكَّلَةَ الأَلوانِ مُختلفاتٍ!! بَيْدَ أَنها -في النِّهايةِ- كَانَتْ رَايةً رُوحيةً ومَعنويةً جَامعةً لِلمُسلمينَ

عَلى اختلافِ أَجناسِهِم وأَعراقِهِم، وحِينَ بَهَتَتْ شُعلةُ الإِسلامِ في نُفوسِ أَصحابِها، دَارَت عليها وعَليهِم رَحى السُّنَّةِ الرَّبانيةِ، فَطحنَتْها وطَحنَتْهُم.

جَاءَتِ الرِّسالةُ الأُولَى مِنَ الشَّريفِ حُسينٍ لمكماهون، تَماماً كَما جاءَتِ الرِّسالةُ الأُولى مِنِ ابنِ العَلقميِّ لهُولاكُو!!

كِلاهُما عَرضَ نفسَهُ، وكِلاهُما ابتَغَى العِزةَ عِندَ الكَافرينَ، وكِلاهُما قَالَ: لِلَّهِ يا مُحسنينَ!!

ولا فَرقَ -في طَلبِ المَعونةِ مِنَ الكَافرينَ- بَيْنَ رِسالةٍ وَرقيةٍ، أو مَشورةٍ في غُرفةٍ مُغلقةٍ، أو وَفدٍ يَحُجُّ إلى الكُونجرسِ، أو مَقالةٍ في الواشنطن بُوسْت!!

- هَلْ كَانَ الشَّريفُ حُسينٌ عَميلاً؟!

- لا أَظُنُّ، أو بِالأحرَى، لا أَدرِي!

- هَلْ كَانَ يُدرِكُ أنَّ فِعلَهُ هَذا يُعدُّ خِيانةً؟!

- أَيضاً لا أَدرِي!

- هَلْ كَانَ أَهبلَ؟!

- بِالتَّأكيدِ، وجَاءَ بَعدَهُ مُستهبلونَ خَونةٌ!!

انْتَهى ابنُ العَلقميِّ عِندَ التَّتارِ إلى «حَالةٍ أَخسَّ مِنَ الذُّبابِ» -كَما يَقولُ الإِمامُ السُّبكيُّ-، فكَانَ يَتلقَّى الإِهاناتِ مِنْ صِغارِ جُندِ التَّتارِ شَتماً وصَفعاً ورَكلاً، حَتى مَاتَ كَمداً في بَيتِهِ في ذَاتِ السَّنةِ الَّتي سَقطَت فيها بَغدادُ!!

وانْتَهى الشَّريفُ الهَاشميُّ -بَعدَ تَفاصيلَ كَثيرةٍ- طَريداً شَريداً في قُبرصَ يَتدافعُ أبناؤُه بَينَهُم تكاليفَ الإنفاقِ عَليهِ. وحِينَ أَقعدَهُ المَرضُ أَعادوهُ لِيُدفَنَ في القُدسِ، بَينَما مكاهون يَجلسُ سَاقاً عَلى سَاقٍ في شُرفةِ فُندقِ (شيبرد) بِالقاهرةِ، يَحتسي شَايَ السّاعةِ الخَامسةِ، ويَنفثُ دُخانَ غَليونهِ عَلى صَفحةِ النّيلِ!!

كَانَ ابنُهُ (فَيصلُ) أَذكَى أَبنائِه، أو أَغباهُم، لا فَرقَ.. سَيطرَ عَليهِ لُورنسُ، فَأبلى بَلاءً حَسناً في إِسقاطِ خِلافةِ جَدهِ -صَلّى اللهُ عَليهِ وسَلَّمَ-، مُمَنّياً نَفسَهُ بِمُلْكِ العَربِ بَعدَ أَبيهِ الّذي تَمَنّى الخِلافةَ عَنْ طَريقِ الاستعانةِ بِبريطانيا الّتي عَمِلَت بِالباعِ والذّراعِ لإِسقاطِ الخِلافةِ!!

لَمْ يَهْنأْ فَيصلُ بِحُكمِ سُوريّا بَعدَ دُخولِهِ دِمشقَ عَلى أَسِنَّةِ رِماحِ الجنرالِ اللنبي، فقد أخرجوهُ لِلعراقِ تَنفيذاً لِمعاهدةِ (سايكس بيكو) الّتي جَعلَتْ سُوريّا مِنْ نَصيبِ الفرنسيينَ، وبَعدَ ثَلاثةِ عُقودٍ -لَمْ تَحظَ العِراقُ فيها بِاستقرارٍ كاملٍ- انتهى حُكمُ الهَاشِمِيّينَ هُناكَ بِمجزرةِ قَصرِ الرِّحابِ البَربريةِ البَشعةِ.

هَكذا إذنْ بَدأَ تَاريخُ القَومجيةِ العَربيةِ، هَبَلُ رَجلٍ حَالمٍ أَدَّى إلى استِهبالِ رِجالٍ خَونةٍ!!

يُعَلّمُنا التّاريخُ أَنَّ (أَبا رِغالٍ) لَيسَ شَخصاً، بَلْ حَالةً!!

ويُعَلّمُنا أَيضاً أَنَّ آباءَ الرِّغالِ في كُلِّ عَصرٍ ومِصرٍ لَنْ يَكُفُّوا عَنْ عَرضِ

خَدماتِهِم عَلى كُلِّ أبرهةَ جَديدٍ، سَواءً أكانَ اسمُهُ (مكماهون) أم (لورنس) أم (فيلبي) أم (وليم شكسبير) أم (بيرسي كوكس) أم (غلوب باشا).

ولَو سَرَّحتَ طَرفَكَ في أيِّ قُطرٍ عَربيٍّ مِنَ المُحيطِ إلى الخَليجِ وقَرأتَ التّاريخَ الحَقيقيَّ لِلأسرةِ أوِ الفِئةِ الّتي سَيطرَت عَليهِ، فَلَنْ تَجدَ في أَسلافِها سِوى مُستهبلينَ خَونةٍ، أو حَمْقَى حَالمينَ، وعادةً مَا يَنتهي الحَمقى الحَالمونَ في مَزبلةٍ مِنْ مَزابلِ التّاريخ تُقامُ عَلى عَجلٍ، لِيتسلمَ الرّايةَ بَعدَهُم مُستهبلونَ خَونةٌ يَنتهونَ في مَزبلةٍ أُخرَى مُجاورةٍ يُتأَنَّقُ في بِنائِهَا عَلى مَهلٍ!!

كُلُّ هَذا -وأَبشَعُ مِنهُ- حَدَثَ ويَحدثُ مُنذُ مَا يَزيدُ عَلى مِئةِ سَنةٍ، والأَمثلةُ في التَّاريخِ القَديمِ أَكثرُ مِنْ أنْ تُحصَى!!

يَبدأُ الأَمرُ عَادةً بِرسائلَ مَكماهونيَّةٍ (أو بِمقالةٍ في صَحيفةِ مكماهون نَفسِهِ)، ثُمَّ بِلقاءٍ في دَولةٍ عَربيةٍ حَليفةٍ، ثُمَّ بِإملاءِ شُروطٍ، ثُمَّ بِإمداداتِ سِلاحٍ، ثُمَّ بِتحالُفٍ كَاملٍ، (ولا بَأسَ بِقراءةِ الفاتحةِ بَعدَ ذلكَ طَلباً لِلبركةِ!!)، ثُمَّ بِخازوقٍ يَخرجُ مِنَ الرّأسِ مَعَ عَارِ الأبدِ ولَعناتِ الدَّهرِ!!

هَذهِ هِيَ دَركاتُ الهَبلِ والاستهبالِ، ولا فَرقَ في هَذهِ الدَّركاتِ بَينَ مُستهبلٍ قَومجيٍّ عِلمانيٍّ، و مُستهبلٍ إِسلاميٍّ مَقاصديٍّ، كِلاهُما يَسقُطُ ويَظنُّ في نَفسِهِ الصُّعودَ، ويَنْحَطُّ ويَظنُّ في نَفسِهِ العُلوَّ، ويَذِلُّ ويَظنُّ في نَفسِهِ العِزَّ!!

بَيْدَ أنَّكَ تَتجاوزُ -بِقَرفٍ أَحياناً- عَنِ استهبالِ العِلمانيينَ عَلى اختلافِ مَشاربِهِم في العَلْمَنَةِ، رُبَّما لأنَّكَ تَشعرُ أنَّ الاستهبالَ والاستعباطَ والتَّحامقَ،

صِفاتٌ لازمةٌ لِلعلمانيِّ، إنْ زَالَت عَنهُ زَالَت عَنهُ العِلمانيةُ!!

أمّا المُستهبلُ الإِسلاميُّ، فإنَّكَ لا تَستطيعُ -مَعَ عَصرِ كَثيرٍ مِنَ اللَّيمونِ- تَجاوزَ استهبالِهِ، خَاصةً إذا هَداهُ استهبالُهُ لِافتعالِ تَأصيلٍ شَرعيٍّ لِلاستهبالِ!!

كانَ (صُلحُ الحُديبيةِ) مِثالاً أَثيراً لِمُستهبِلِي الإِسلاميينَ، تَماماً كَما كَانَتْ (صَحيفةُ المَدينةِ) مِثالاً أَثيراً لِمُستهْبِلي العِلمانيينَ، وكنتُ أَظنُّ أنَّ الطَّرفَينِ المُستهبلَينِ سَيكُفَّانِ عَنِ الاستهبالِ بَعدَ سَيلِ مَا يُسمى بِالرَّبيعِ العَربيِّ، ولكنْ يَبدو أنَّني كُنتُ مُخطِئاً.

يُمارِسُ العِلمانيونَ (تَأويلاً حَداثياً بَشعاً لِلتُّراثِ)، تَماماً كَما يُمارِسُ بَعضُ الإِسلاميينَ (تَأويلاً مَقاصدياً أَبشعَ لِلتراثِ)، ومَعَ اختلافِ المُنطلقاتِ تَظلُّ الآلياتُ وَاحدةً، لَنْ تجِدَ كَبيرَ فَرقٍ بَينَ مَنْ يَستخدمُ مُصطلحاتِ الإِسلامَويةِ، والماضَويَّةِ، والحَداثةِ ومَا بَعدَ الحَداثةِ، وبَينَ مَنْ يَستخدمُ مُصطلحاتِ فِقهِ الوَاقعِ، ودَرءِ المَفاسدِ المُقدَّمِ عَلى جَلبِ المَصالحِ!!

سَتجدُ في تَاريخِ المُسلمينَ -خَاصةً في العَهدِ الأَولِ- أَمثلةً كَثيرةً يُمكِّنُ لِأصحابِ الأيدلوجيّاتِ المُختلفةِ استخدامَها بِأريحيةٍ كَبيرةٍ لِتتوافقَ مَعَ أيدلوجيّاتِهِم: صُلحُ الحُديبيةِ، صَحيفةُ المَدينةِ (رَغمَ تَضعيفِ البَعضِ لَها)، الاستعانةُ بِسلاحِ صَفوانَ بنِ أُمَيَّةَ في حُنينٍ، ثُلُثُ ثِمارِ المَدينةِ في الأَحزابِ (لَمْ تتمَّ)، دَرءُ الحَدِّ بِالشُّبهةِ في عَامِ الرَّمادةِ، التَّدرجُ في تَحريمِ الخَمرِ، صَبرُ الرَّسولِ -صَلّى اللهُ عَليهِ وسَلَّمَ- عَلى مُنافقِي المَدينةِ، لَوازمُ الاسْتضعافِ في

العَهدِ المَكيّ، مَوقفُ الرَّسولِ -صَلّى اللهُ عليهِ وسَلَّمَ- مِنْ تَصرفِ حَاطبِ بنِ أبي بَلتعةَ -رَضيَ اللهُ عَنهُ- قَبلَ فَتحِ مكةَ، التَّفاصيلُ الكَثيرةُ حَولَ مَا شَجَرَ بَينَ الصَّحابةِ بَعدَ عَصرِ النُّبوةِ، هَذا عَدا آلافِ الآراءِ لآلافِ العُلماءِ في أَبوابِ الفِقهِ الخَاصةِ بِالسياسةِ الشَّرعيةِ، مُضافاً إليها إِمكانيةُ اسْتخدامِ آياتِ القُرآنِ الكَريمِ ذَاتِهِ وأَحاديثِ النَّبيّ -صَلّى اللهُ عَليهِ وسَلَّمَ- في جَرّ القُرصِ إلى نَارِكَ!!

يكْمُنُ الإشكالُ في تَحديدِ الإِشكالِ، أو كَما يَقولُ الفُقهاءُ: (تَحريرُ مَحلّ النّزاعِ).. سَيُمارِسُ عَليكَ المُستهبلونَ مِنَ الطَّرفينِ إرهاباً مَعلوماتياً تَجميعياً لِتضيعَ بَينَ الوَقائعِ وتَنزيلاتِها!!

قَدْ تَكونُ الوَاقِعَةُ القَديمةُ صَحيحةً، ولكنَّ تَنزيلَها عَلى الوَاقعِ الجَديدِ خَاطئٌ.. لا تَنظرْ إلى كَثرةِ الوَقائعِ الّتي يَسردُها لَكَ الطَّرفانِ.. أَعْمِلْ عَقلَكَ في الوَاقعِ الحَديثِ، ثُمَّ انظُرْ إلى تَفاصيلِ الوَاقعةِ القَديمةِ، دُونَ إِغفالِ السّياقِ والمآلِ، فَهُما مُنطلَقُكَ لِحفظِ عَقلِكَ مِنَ الإرهابِ المَعلوماتيّ التَجميعيّ الّذي يُمارِسُهُ عَليكَ المُستهبلونَ!!

سَيَقولُ لَكَ العِلمانيُّ المُستهبلُ: إنَّ عُمَرَ -رَضيَ اللهُ عَنهُ- أَسقطَ حَدَّ السَّرقةِ عَامَ الرَّمادةِ.. ولا يُمكنُ لِعُمَرَ أَنْ يُسقطَ حَدَّاً مِنْ حُدودِ اللهِ، ولكنَّهُ دَرَءَ الحَدَّ بِالشُّبهةِ.. بَيْدَ أَنَّ العِلمانيَّ اختارَ مِنْ أَلفاظِ بَعضِ الفُقهاءِ لَفظَ (الإِسقاطِ) لا لَفظَ (الدَّرْءِ)، لِيَغرِسَهُ في عَقلِكَ، وبَينَهُما بَوْنٌ شَاسعٌ..

ومَعَ تَتابعِ المُشكلاتِ الاقْتصاديةِ وتَوالي الأزماتِ المَاليةِ، سَتقتنعُ بِإدامةِ (إسقاطِ) الحَدّ لأنَّكَ -حَسَبَ مَا تَرى في وَاقِعِكَ- تَعيشُ عَامَ رَمادةٍ مُنذُ خُروجِكَ مِنْ بَطنِ أُمِّكَ إلى دُخولِكَ لِبطنِ الأرضِ!!

سَيقولُ لَكَ الإِسلاميُّ المُستهبلُ: إنَّ النَّبيَّ -صَلّى اللهُ عَليهِ وسَلَّمَ- اسْتعانَ بِسلاحِ صَفوانَ بنِ أُمَيَّةَ في حُنينٍ.. ولكنَّهُ لَنْ يُخبرَكَ أنَّ مَعركَةَ حُنينٍ هَذهِ وَقعَت بَيَنَ المُسلمينَ والمُشركينَ، ولَيسَ بينَ المُسلمينَ والمُسلمينَ، وأنَّ صَفوانَ -رَضيَ اللهُ عَنهُ- كَانَ -آنذاكَ- لا يَملكُ مِنْ أمرِ نَفسِهِ شَيئاً، فَهوَ طَليقُ رَسولِ اللهِ -صَلّى اللهُ عَليهِ وسَلَّمَ-، فَضلاً عَنْ أنْ تكونَ لَهُ قُوةٌ في ذَاتِهِ يُهددُ بِها الإسلامَ المُنتصرَ القَويَّ المُسيطرَ.

(السِّياقُ والمآلُ) يا عِبادَ اللهِ.. السِّياقُ والمآلُ!!

وإنْ كانَ السِّياقُ والمآلُ قَدْ عُمِّيَا عَلى الشَّريفِ حُسينٍ (هَذا بِافتراضِ تَفكيرِهِ في الأَمرِ)، فإنَّ مآلَ عَملَ الشَّريفِ حُسينٍ لَمْ يَعُدْ مُعَمَّىً عَلينا نَحنُ الآنَ، بَلِ اتَّضحَ لَهُ هوَ ذَاتِهِ آخرَ أيّامِهِ، فَعَمَلُهُ -إنْ أَحسَنَّا الظَّنَّ فيهِ- خَطيئةٌ بَشعةٌ ارتكبَها هُوَ بِهبلٍ، بَينَما تَقليدُنا نَحنُ لَهُ استهبالٌ خَائنٌ نَرتكبُهُ بَعدَ مَعرفتِنا مآلَ عَملِهِ!!

تُوبوا إلى رُشدِكُم إنْ كَانَ بَقيَ مِنْهُ شَيءٌ، فإنَّ إحسانَنَا الظَّنَّ فيكُم لا يَعني التَّجاوزَ عَنِ الهَبلِ الحَالمِ الّذي سَيُؤدِّي إلى الاسْتهبالِ الخَائنِ، وتَذكَّروا أنَّ كَعبَ بنَ مَالكٍ -رَضيَ اللهُ عَنهُ- أحدَ الثَّلاثةِ الّذينَ خُلِّفوا- أَمَّ التَّنورَ بِرسالةِ

مَلِكِ غَسَّانَ فأَحرَقَها قَائلاً: «وهَذا أيضاً مِنَ البَلاءِ»، وكَانَ فِي الرِّسالَةِ: «بَلغَنا أَنَّ صَاحبَكَ قَدْ قَلاكَ، ولَمْ يَجعلْكَ اللهُ بِدارِ هَوانٍ ولا مَضيعةٍ، فَالْحَقْ بِنا نُواسِكَ»، وكَانَ آنذاكَ فِي أَشَدِّ حَالاتِ ضَعفِهِ البَشَرِيِّ «حَتّى ضَاقَت عَلَيهِمُ الأَرضُ بِما رَحُبَت وضَاقَت عَلَيهِم أنفسُهُم»، ولكنَّهُ أَيقنَ أَنْ لا مَلجأَ مِنَ اللهِ إلّا إليهِ، ولَيسَ إلى مَلِكِ غَسَّانَ، أو أمريكا وأوربَّا، أوِ المُجتمعِ الدَّوليِّ والنِّظامِ العَالميِّ!!

تَذَكَّروا أيضاً.. أنَّ مُعاويةَ -رَضيَ اللهُ عَنهُ- كَتبَ لِقيصرِ الرُّومِ عَلى ظَهرِ رِسالَتِهِ -حِينَ أرادَ قَيصرُ أَنْ يَتخابثَ ويَدخلَ بَينَهُ وبَينَ عَليٍّ -رَضيَ اللهُ عَنهُ- في حَربِهِما-: «أَخَّانِ قَدْ تَشاجَرا فَما بَالُكَ تَدخلُ فيما بَينَهُما وتُعلي مِنْ نُباحِكَ، إنْ لَمْ تُخرِسْ نُباحَكَ أَرسَلْتُ إليكَ بِجيشٍ أَوَّلُهُ عِندَكَ وآخِرُهُ عِندي يَأتونَني بِرأسِكَ أُقَدِّمُهُ لِعليٍّ».

وتَذَكَّروا أيضاً.. أنَّ المُعْتَمِدَ بنَ عَبّادٍ -عَلى مَا فيهِ مِنْ مَثالبَ- قَالَ -حِينَ خَوَّفُوهُ مِنِ ابنِ تاشَفِينَ: «لَأَنْ أَرعَى الإبلَ عِندَ ابنِ تاشَفِينَ خَيرٌ مِنْ أَنْ أرعى الخَنازيرَ عِندَ ألفونسو».

إِذَا كَانَت أَقصَى أَمانِيِّكُم أَنْ تكونُوا كَالمَناذرةِ والغَساسنةِ، فَاعلموا أَنَّ النُّعمانَ بنَ المُنذرِ انتهى تَحتَ أَرجُلِ الفِيلةِ، بَينَما هَانئُ بنُ مَسعودٍ الشَّيبانيِّ عَاشَ -بَعدَ ذِي قَارٍ- بِشرفِ العُمْرِ، كَما عَاشَ -بَعدَ مَوتِهِ- بِحُسْنِ الأُحْدُوثةِ.

إِذَا كَانَت أَقصَى أَمانِيِّكُم أَنْ تَكونوا كَمُلوكِ الطَّوائفِ، فَاعلمُوا أَنَّ أَبا

عَبدِ اللهِ الصَّغيرِ بَكى عَلى غِرناطةَ كَالنساءِ بَعدَ أنْ ضَيَّعَ مُلكاً لَمْ يُحافظْ عليهِ كَالرجالِ.

إِذَا كَانَ أَقصَى أَمانِيِّكُم أنْ تَكونوا كَحُكَّامِ هَذهِ الأَكشاكِ العَربيةِ فِي القَرنِ العِشرينَ، فَاعلموا أَنَّ: ابنَ عَلِيّ هَربَ، والقَذافِيَّ قُتلَ، ومُباركًا أُجبرَ عَلى التَّنحي، وعلي عبد اللهِ صالح أَكَلَتِ النَّارُ وَجهَهُ، وبَشارًا لَمْ يَعدْ يَأمنُ عَلى نَفْسهِ فِي غُرفةِ نَومِهِ.. ومَهما حَدثَ فِي هَذهِ الثَّوراتِ مِنِ انتكاساتٍ، فَيَقينِي أَنَّ لُصوصَ هَذهِ الأَكشاكِ فِي هَذا الجَسدِ العَربِيِّ المُمزقِ، سَيَؤُولُ مُلكُهُم إلى زَوالٍ!!

لَقَدْ أَخرَجَتْكُمُ الثَّوراتُ العَربيةُ مِنْ ذُلِّ وصَغارِ مَنافي الأَرضِ وسُجونِها، فَلا تَكونوا كَالّذينَ جَاوزَ اللهُ بِهِمُ البَحرَ بِمُعجزةٍ، فَكانَ أَوَّلُ مَا قَالوهُ لِموسى -حِينَ أَتَوْا عَلى قَومٍ يَعكفونَ عَلى أَصنامٍ لَهُمْ-: (اجْعَلْ لَنَا إِلَهاً كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ).

اعْلَموا أَنَّ الأَمريكانَ كَالحانوتيةِ، رَأسُ مَالِهِم جُثَثٌ!!

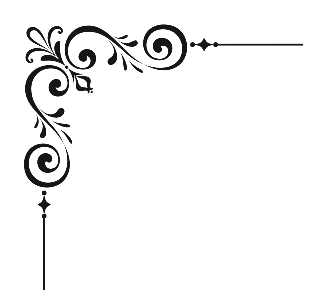
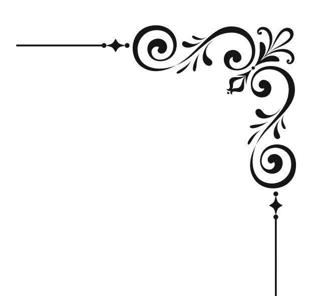
وأَنَّ الطَّريقَ إلى جَهنمَ مَفروشٌ بِالنَّوايا الحَسنةِ!!

وأَنَّ الضَّوءَ فِي نِهايةِ النَّفقِ لَيسَ مَخرجاً، بَلْ قِطارًا قَادمًا!!

تَحيَّاتِي.. إِنْ أَردتُموها.

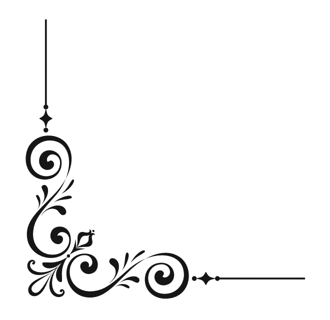
٨ / شوال / ١٤٣٦هـ

٢٥/ ٧ / ٢٠١٥م

(٨)

انْتَهى الدَّرْسُ يا غَبِيُّ




أَنتَ الآنَ في الزَّاويةِ تَماماً..

جِدارانِ مُتقاطعانِ عَنْ يَمينِكَ وشِمالِكَ وأَنتَ في عُنقِ المُثَلَّثِ، لَيسَ بَينَكَ وبَينَ السُّقوطِ سِوَى خَطوةٍ تَخطُوها لِلأَمامِ.. إنْ خَطَوْتَهَا فَقدْ وَقعْتَ في الفَخّ الجَديدِ، وإنْ لَمْ تَخْطُها فَأَنتَ مَحشورٌ بَينَ مُتقاطِعَينِ كَفأرٍ مُنهَكٍ!!

انْتَهى الدَّرسُ يا غَبِيُّ.. عَادَ الشّاهِنشَاه مَرَّةً أُخرَى..

عَادَ كُورشُ، وقمبيزُ، وداريوشُ، وسابورُ ذُو الأَكتافِ.. هَلْ تَذكُرُ سَابورَ ذَا الأَكتافِ؟! لَكَ الوَيلُ إنْ كُنتَ نَسِيتَ الرَّجلَ الَّذي خَلَّعَ أَكتافَ العَربِ ذَاتَ انتقامٍ!!

لَقَدْ عَادُوا جَميعاً.. هَاهُم يَخرجونَ مِنْ عَباءةِ الصَّفويّ جَزَّاراً جَزَّاراً.. عِمامةٌ سَوداءُ، وقَلبُ أَسودُ، وخِنجرٌ كَربلائيٌّ يَدَّعي وَصْلاً بِالحُسينِ ويَطعنُ انتقاماً لِذي قَارٍ والقادِسيةِ!!

النُّعمانُ بنُ المُنذرِ يَنتظرُكَ تَحتَ أَرجُلِ الفِيلَةِ، ورِبْعِيُّ بنُ عَامرٍ يُغطِّي وَجهَهُ -أَمامَ رُستمَ- خَجَلاً مِنْ أَحفادِهِ الحَمقَى!!

مَاذا كَسبْتَ الآنَ؟!

لَقَدِ اتَّفقَ كِسرَى وقَيصرُ، فَقلْ لِي يا أخا النِّفطِ مَاذا سَتفعلُ؟!

العِمامَةُ السَّوداءُ الّتي التَفَّتْ حَولَ رَقبةِ صَدَّامٍ ذَاتَ أضحى مُباركٍ تلتفُّ الآنَ حَولَ رَقبتِكَ!!

كَانَ صَدَّامُ طَاغيةً مُستبداً، تَماماً كأنْتَ، ولـكنَّهُ كَانَ عَليكَ حِيناً ولَكَ أَحياناً، وكُنتَ تَستطيعُ -بِقليلٍ مِنَ الحِكمَةِ- أنْ تَجعلَهُ لَكَ دائماً.. أمَّا كِسرى وقَيصرُ، فَلستَ عِندَهُما سِوى كَلبٍ تَابعٍ أو بَقرةٍ حَلوبٍ!!

مَضى الآنَ زَمنُ الحَديثِ عَنْ صَدَّامٍ وكَوارثِهِ.. هَلْ كَانَ بِإمكانكَ تَفادي مَا حَدثَ؟! أظنُّ أنَّهُ كَانَ بِإمكانِكَ، لكنَّكَ لَمْ تُرِدْ، أو حَتّى لَمْ تُفكِّرْ في تَفاديهِ.

لا بَأسَ.. لَقد اسْتَمْتَعْتَ بِحمايةِ قَيصرَ عَقداً كَاملاً مِنَ الزَّمنِ بَعدَ التَّخلُّصِ مِنْ صَدَّامٍ، ولكنَّ قَيصرَ الآنَ مُضطرٌّ لِلتَّعاملِ مَعَ كِسرى، وكِسرى لا يَرى عَدواً لَهُ في الأرضِ سِواكَ.. مَاذا سَتفعلُ؟!

لَنْ أُحدِّثَكَ عَنْ شَعبِكَ الّذي أخْرَجْتَهُ مِنَ المُعادلةِ مُبكراً.. كَانَ بِإمكانِكَ أنْ تَعتمدَ بَعدَ اللهِ عَليهِ، ولكنَّكَ لَمْ تَرَ في شَعبِكَ إلّا عَدواً مُفْتَرَضاً!!

وكَثعبانٍ يَأكلُ ذَيلَهُ، بَدأتَ في قَضمِ جَسدِكَ قِطعةً قِطعةً!!

اسحَبِ الخَارطةَ الآنَ، وانظرْ حَولَكَ..

في الشَّمالِ: (عِراقٌ وشَآمٌ) سَاهَمْتَ أنتَ في تَدميرِهما، لِيتناولَهُما كِسرى كَما يَتناولُ الضَّبعُ الخَسيسُ غَزالينِ مَجروحينِ لَمْ يُجهِدْ أَقدامَهُ في الرَّكضِ نَحوَهُما!!

وفي الجَنوبِ: (يَمَنٌ) لَو ظَلَّ أهلُهُ يَنتقمونَ مِنْكَ مِئةَ سَنةٍ قَادمةٍ على مَا فَعَلْتَهُ بِيَمَنِهِمْ خِلالَ مِئةِ سَنةٍ مَاضيةٍ؛ لَمَا شَفى انتقامُهُم لَهُم غَليلاً!!

وفي الشَّرقِ: آياتُ اللهِ العُظمى يَشحَذونَ خَناجِرَهُم وسُيوفَهُم لِيُعِيدُوا تَخطيطَ مَا خَطَّتْهُ أَقلامُ وليم كوكس، وسايكس، وبيكو!!

وفي الغَربِ: بَحرٌ وَراءَهُ دَولةٌ كَانَ يُمكنُ أنْ تكونَ دِرعاً لَكَ في وَجهِ إيرانَ، فأَسْقَطْتَ رَئيسَها المُنتخبَ، وأَصْعَدْتَ فيها (خَيرَ أجنادِ الأرضِ!!) لِتُصبحَ بِسببِكَ أُضحوكَةَ العَالَمِ!!

لَقَدْ أزلْتَ بِيديْكَ بَوَّاباتِ بَيتِكَ، وجَعلْتَ الجِبالَ الّتي كَانَت تَعصمُكَ مِنَ الماءِ هَباءً مَنثوراً.. بيتُكَ الآنَ مُشرَعٌ لِلريحِ والأَوبئةِ.. أنتَ لَمْ تَبصقْ في البئرِ الّتي تَشربُ مِنْها، بَلْ بَصقْتَ لِلأعلى فَسقطَتْ بَصقتُكَ على وَجهِكَ، وتَبجُّحُكَ بِالعَقيدةِ الآنَ لَنْ يَنفعَكَ كَثيراً؛ فَالّذينَ يُحاربونَ مَعَ الشَّيطانِ في الشَّمالِ لا يُمكنُ أنْ يُحارِبوا مَعَ اللهِ في الجَنوبِ!!

والعَقيدةُ السَّمحةُ لَيسَتْ (بِشْتَاً) يُرتَدَى في المُناسباتِ أو سَيفاً يُرقصُ بِهِ في (عَرْضَةٍ)!! ولَو كَانَ ذَلكَ كَذلِكَ، لَقنعَ ابنُ عَبدِ الوَهّابِ -رَحمهُ اللهُ- بِالدّرعيَّةِ، ولَمْ يَهدِفْ نَحرهُ لِلسُّيوفِ لِيُثَبِّتَ أَركانَ التَّوحيدِ في جَزيرةِ مُحمدٍ -صَلّى اللهُ عليهِ وسَلَّمَ-!!

لَقدْ مَلأْتَ الدُّنيا تَبجُّحاً بِابنِ عَبدِ الوَهّابِ، فَما الّذي أَبقَيْتَ مِنْهُ الآنَ؟! مَا الّذي أَبقيتَ مِنْ (كِتَابِ التَّوحيدِ) و(ثَلاثةِ الأُصولِ)؟! لَمْ تَبْقِ مِنْهُ سِوَى

لِقاءاتٍ مَراسميةٍ مَعَ شُيوخِ التَّنميةِ البَشريةِ الّذينَ اسْتَبْدَلوا بِالبخاريِّ ومُسلِمٍ (قُبعاتِ التَّفكيرِ السِّتِّ) و(العَاداتِ السَّبعِ لِلنّاسِ الأكثرِ فَعاليةً)!! واكْتفى الأَقدَمونَ مِنْهُم بِفتاوى الحَيضِ والنِّفاسِ، والنَّمْصِ، وحَفِّ الشَّوارِبِ، وإِعفاءِ اللِّحَى، ووُجوبِ طَاعةِ وَليِّ الأَمرِ!!

وحِينَ تَمَلْمَلَ ابنُ عَبدِ الوَهّابِ مِنْ أَلاعيبكَ أفْسَحْتَ لَهُ في سُجونِكَ ذَلكَ (المَكانَ اللاّئقَ!!)، ثُمَّ أطلقْتَ نَصارَى لُبنانَ ورَافضتَها ودُروزَها وعِلمانييكَ في وَسائِلِ الإعلامِ -كَكلابٍ مَسعورةٍ- لِيَنثُروا المِلحَ في الأَرضِ الطَّيبةِ تَمهيداً لِتحوُّلاتٍ اجتماعيةٍ ودِينيةٍ وفِكريةٍ؛ كَتلكَ الّتي حَدَثَتْ في مِصرَ مُنذُ تَسَلُّمِ (تَاجرِ التَّبْغِ) مُحَمَّد عَلِي مَقاليدَ الأُمورِ فيها لِيؤسسَ -بِقصدٍ أو بِدونِهِ- لِكلِّ هَذا الخَرابِ الّذي نَعيشُهُ الآنَ!!

لَقدِ اسْتَبْدَلْتَ بِابنِ عَبدِ الوَهّابِ المُستشرقَ جومار، والقَسَّ دنلوب، وتَاجرَ البُندقيةِ دليسيبس، والاستعماريَّ جوزيف أنتيلمي.. كما اسْتَقْدَمْتَ لِلأرضِ الطَّيبةِ أَلفَ شِبلي شُميل، وألفَ سَليم تَقلا، وأَلفَ جُرجي زَيدان، وأَلفَ هِنري كوريل.. ثُمَّ اسْتَنْبَتَّ -بِبذورٍ هَجينة- أَلفَ لُويس عَوض، وأَلفَ سَلامة مُوسى، وأَلفَ قَاسم أمين، وأَلفَ هُدى شَعراوي، وأَلف صَفية زَغلول، وأَلفَ دُرِّية شَفيق!!

ثُمَّ سِرتَ في طَريقٍ لا يَكادُ المُدقِّقُ فيهِ يَلمحُ كَبيرَ فَرقٍ بَينَهُ وبَينَ الطَّريقِ الّتي سَارَتْ فيهِ الأُسرَةُ العَلويةُ في مِصرَ حَتّى صَارَتْ أثَراً بَعدَ عَينٍ!!

أَخرِج ابنَ عَبدِ الوَهّابِ مِنْ سُجونِكَ اللّائقةِ، أو كُفَّ عَنْ رَفعِهِ شِعاراً.. لَمْ يَعُدِ ادِّعاؤكَ لَهُ مُقنعاً!!

لَقدِ امْتَلَكْتَ كُلَّ ما يُمكنُ أنْ يجعلَ مِنْكَ قَائدَ أُمّةٍ، فَماذا فعلْتَ أكثرَ مِمّا فَعلَ الوَليدُ بنُ يَزيدَ؟!

استهانَ الوَليدُ بنُ يَزيدَ بِالأَساسِ الّذي قَامَ عَليهِ مُلْكُ جَدِّهِ، فَأخذَ يَنقضهُ حَجراً حَجراً ، ولَمْ يكنْ في بَني أُمَيّةَ آنذاكَ حَكيمٌ يَأخذُ الرَّايةَ بِحقِّها، فَلمّا قَامَ آخِرُهُم وأَصْبَرُهُم لِيتداركَ الأَمرَ، كَانَ الخرَقُ قَدِ اتَّسعَ عَلى الرَّاتقِ، فَجالَتِ الخيَلُ فَوقَ أَجسادِهِم، وصَالَتِ السُّيوفُ عَلى رُؤوسِهِم، ورَفرفَتِ الرّاياتُ السُّودُ بَينَ قُصورِهِم، ثُمَّ انطفأتْ شَمسٌ عَظيمَةٌ تَراكَمَتْ أَسبابُ انْطِفائِها شَيئاً فَشيئاً حَتّى تَجسدَتْ في (حَفيدٍ) لَمْ يُحسِنْ تَربيتَهُ أَبٌ، ولَمْ يَردَعْ نَزقَهُ عَمٌّ!!

ولَو تَغاضَيْنا عَنْ أَساسِكَ الحَقيقيِّ فَماذا فَعلْتَ بِأساسِكَ المُدَّعَى؟!

لَمْ تَترُكْ مَعركَةً بَينَ مُسلمينَ وكُفارٍ إلّا وخُضتَها في صَفِّ الكُفّارِ، فَلا أنتَ حَافظْتَ عَلى مَا ادَّعيتَ، ولا أَنتَ تَركْتَ غَيرَكَ يَبني عَلى أَساسِكَ المُدّعَى!!

مَا أَشدَّ غَيظي مِنْكَ وحُزني عَليكَ!!

لَقَدْ سِرْتَ عَلى نَهجِ ابنِ عَبدِ الوَهّابِ ولكنْ بِمِمْحاةٍ!!

وكَأنَّ الّذي أَنْشأكَ إنّما أَنْشأكَ لِتكونَ كَسرابِ الصَّحراءِ يَتخايلُ أَمامَ المُوشكِ عَلى الهَلكةِ؛ فَيأملُ في النَّجاةِ؛ فَيجِدُّ في الطَّلبِ، حَتّى إذا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيئاً!!

مَا تَركَ الصَّفويونَ القَتلةُ حِزباً لَهُم في هَذهِ الأَكشاكِ العَربيةِ إلّا ودَعموهُ؛ بَلْ واشتروا وَلاءاتِ المُتأسلِمينَ الحَمقى.. ومَا تَركْتَ أَنتَ هَيئةً أو حِزباً أو جَماعةً سُنيةً إلّا وسَعيتَ في تَدميرِها وإنهائِها والتَّخلصِ مِنْها.. وكَأَنَّكَ سِلاحٌ فَاسِدٌ لا يَقتلُ إلَّا صَاحبَهُ!!

أَفْسَدْتَ الجِهادَ الأَفغانيَّ قَديماً، ودَعمْتَ عَسكرَ الجَزائِرِ في العَشريةِ السَّوداءِ ضِدَّ مُسلميها، وهَلْهَلْتَ حَركَةَ السُّودانِ الإِسلاميةَ الوَليدةَ بِمساعدَتكَ لِجون قَرنق، ولَمْ تَسترحْ حَتّى رَأيْتَ السُّودانَ نُسخةً أُخرى مِنْ هَذهِ الأَكشاكِ العَربيةِ، واسْتَنْبَتَّ في الشَّامِ بَنادِقَ مُرتَهَنَةً بِقرارِكَ وقَرارِ أَسيادِكَ لِتُفسدَ جِهادَ الشّامِ كَما أَفسدْتَ جِهادَ أَفغانستانَ حَذْوَ الحُطَّةِ بِالحُطَّةِ والحِسَّةِ بِالحِسَّةِ؛ حَتّى لَتَكادُ حَربُ الشّامِ أنْ تَكونَ إِعادةً مُعَرَّبَةً لِمَسرحيةِ أَسيادِكَ الّتي نُسِجَتْ خُيوطُها في أَفغانستانَ، وكُنْتَ أَنتَ النَّولَ الّذي نُسِجتْ عَليهِ، وصَنَعْتَ -مَعَ غَيرِكَ- انقِلابَ مِصرَ مِنْ أَلِفِهِ إلى يَائِهِ- وأَدخَلْتَ الحُوثِيَّ صَنعاءَ نِكايةً في حِزبِ الإِصلاحِ، ثُمَّ زَعمْتَ حَربَهُ في عَاصفةِ حَزمِكَ، ثُمَّ اكْتشفْتَ -بَعدَ مِلياراتِ الشَّعبِ الّتي أَنْفَقْتَها- أَنَّ الحُوثِيَّ جارُكَ، وأَنَّ تَنظيمَ القَاعدةِ هُوَ الخَطرُ الدَّاهمُ، وعَمِلْتَ بِالباعِ والذِّراعِ لِإسقاطِ الثَّوراتِ

العَربيةِ، وتيْئِيسِ الشُّعوبِ مِنْ طَلبِ العَدلِ والحُريةِ، ووأدِ أَيِّ حَراكٍ مُسلمٍ في كُلِّ بلدٍ عَربيٍّ مِنَ المُحيطِ إلى الخَليجِ، حَتّى وَصلَ وَباؤُكَ لِلإسلاميينَ في مَاليزيا فَدعمْتَ عَدوَّهُمْ بِمئاتِ المَلايينِ!!

كُلُّ هَذا -ومَا خَفِيَ كَانَ أعظمَ- فَعَلْتَهُ رَافعاً (كِتَابَ التَّوحيدِ) عَلى رُمحِ (فيلبي)!!

مَنْ أنتَ ومَا أنتَ؟!

لَمْ تَتركْ رَايةً إسلاميةً إلا ونَالَها مِنْكَ مَا يَنالُ الآمنُ مِمَّنْ ظَنَّهُ أَخاهُ، فَيولِّيهِ ظَهرَهُ، فَلا يَشعرُ إلّا وخِنجرُ الغَدرِ يَخترقُ ظَهرَهُ!!

مَنْ سَيمدُّ لَكَ طَوقَ نَجاةٍ إنْ أَدركَكَ السَّيلُ، وإِنَّهُ واللهِ لَمُدْرِكُكَ!!

القَرامِطةُ الجُدُدُ صَاروا بِسببِكَ في شَمالِكَ وجَنوبِكَ وشَرقِكَ، والرَّاياتُ السُّودُ تَتَلَمَّظُ لِلانتقامِ مِنْكَ، والنَّسرُ الأَمريكيُّ يُفتِّشُ في دَفاترِكَ القَديمةِ لِيُعيدَ تَهيئةَ المَلعبِ لِلُعبةٍ جَديدةٍ، فَأينَ تَذهبُ مِنْ هَؤلاءِ الّذين إنْ نَجوتَ مِنْ أَتونِ أَحدِهِم لَمْ تَلْبَثْ أنْ تَقعَ في أَتونِ الآخَرِ!!

وكَانَ يُجيرُ النّاسَ مِنْ سَيفِ مَالكٍ ** فَأصبحَ يَبغي نَفسَهُ مَنْ يُجيرُهَا

فَكانَ كَعنزِ السُّوءِ قَامَتْ بِظِلْفِهَا ** إلى مُدْيَةٍ وَسْطَ التُّرابِ تُثيرُهَا

سَتعلمُ عَبدُ القَيسِ إنْ زَالَ مُلكُهَا ** عَلى أيِّ حَالٍ يَستمرُّ مَريرُهَا

فِي طَرِيقِكَ إلى السُّقوطِ لا يُقاتلُكَ عَدوٌّ أشَدُّ عليكَ مِنْ نَفسِكَ!!

أنتَ تَسيرُ إلى هَاويةٍ سَحيقةٍ.. هَاويةٍ سَارَ إليها قَبلَكَ الخديوي (الحَفيدُ) إسماعيلُ حِينَ قرَّرَ -ذَاتَ عَتَهٍ- أنْ يَجعلَ مِصرَ قِطعةً مِنْ أُوربَّا، فَرهَنَ مُقدَّراتِها المَاديةَ لِلأجانبِ حَتّى لَمْ يَبْقَ شَاذٌّ مِنْ شُذّاذِ الآفاقِ إلّا وتَملَّكَ في مِصرَ مَا لَمْ يكنْ يَحلمُ أنْ يَقفَ عَلى بَابِهِ بوّاباً. وحِينَ ذَهبَتِ السَّكرةُ وجاءَتِ الفِكرةُ انقلبَ شُذّاذُ الآفاقِ عَلى المَعتوهِ ورَمَوْهُ لِلمَنْفَى كَخِرقةٍ بَاليةٍ، ثُمَّ لَمْ يَمُتْ حَتّى عَاينَ أَحذيةَ جُنودِ الإنجليزِ في قَاعةِ عَرشِهِ!!

أَنتَ -عَلى الحَقيقةِ- لا تَطرحُ اكتِتاباً، أنتَ تَبيعُ أَبَرَّ أبنائِكَ، وتَرهنُ دُرّةَ تَاجِكَ، وتَكسرُ عَمودَ خَيمَتِكَ.. طُموحُكَ لَنْ يَبتلعَ مَشاكلَ الفَقرِ والبَطالةِ والإِسكانِ.. طُموحُكَ لَنْ يَبتلعَ سِواكَ.. واستنساخُ (دُبَيّ) في (الرّياضِ) لا يُمكنُ أنْ يَمرَّ -إذا مَرَّ- إلّا بِزَلازلَ اجتِماعيةٍ مُرعبةٍ سَتُخَلْخِلُ أَوَّلَ ما تُخَلْخِلُ أَركانَ عَرشِكَ!!

إنَّ سِباقَ التَّسَلُّحِ الّذي أَدخلوكَ فيهِ، واقتِصاديَّاتِ الحُروبِ الّتي وَقعْتَ في فَخِّها، والنَّهبَ المُستمرَّ لِمقدراتِ البَلدِ مِنْ قِبَلِ الشَّركاتِ الكُبرى عَابرةِ القَاراتِ، ومِلياراتِ الشَّعبِ الّتي تَدفعُها كإِتاوةٍ لِلغربِ عَلى شَكلِ وَدائعَ واستثماراتٍ، والرَّشاوَى المِلياريةَ الّتي تُرسلُها لِخَوَنةِ شُعوبِهِم لِتَجفيفِ مَنابعِ الثَّورةِ بِالحديدِ والنّارِ، والأَعباءَ الدّاخليةَ البَاهظةَ.. كُلُّ هَذا وغَيرُهُ سَيبتلعُكَ ويَبتلعُ طُموحَكَ المُدَّعى!!

ولَو كَانَتِ (الرُّؤى) المُجردةُ تَنفعُ أَصحابَها، لَنَفَعَ عَبدَ النّاصرِ (مِيثاقُهُ)؛ وقَدْ كَانَ أَكثَرَ نَفيراً وجَعْجَعةً، ثُمَّ لَمْ تُنتِجْ جَعْجَعَتُهُ الاشتراكيةُ الفَارغةُ سِوى أنِ ازدادَ الغَنيُّ غِنىً والفَقيرُ فَقراً، مَعَ صَاروخينِ مِنْ خَشبٍ: (قَاهرٍ وظَافرٍ)!!

ومَا الخَصْخَصَةُ والاكتتابُ واقتصادُ السُّوقِ -في الدُّولِ الوَظيفيةِ- سِوى سُمٍّ في دَسَمٍ يَتَناولُهُ -في مَطعمِ مَدرسةِ شيكاغو- أَحمقُ تَيّاهٌ يَتلاعبُ بِعقلِهِ المُطبِّلونَ، والمُحَلِّلونَ، والخُبراءُ الإِستراتيجيُّونَ، وذِئابُ صُندوقِ النَّقدِ الدَّوليِّ، وثَعالبُ الشَّركاتِ العَابرةِ لِلقارّاتِ؛ فَيُوغلُ في الرُّؤى والأَحلامِ، حَتَّى يَصحوَ ومَصيرُ (النُّمورِ الآسيويةِ) -بِالنِّسبةِ لَهُ- تَرَفٌ يَتَمَنَّاهُ ولا يُدركُهُ!!

يُريدُ مَا لَيسَ يَعي، يَبْتَدي ** يَعي، وقَدْ فَاتَ أَوانُ البِذارْ
المَوسِمُ الوَهْميُّ لِأغبى المُنى ** يُعطي قُبيلَ الحَرثِ وَهْمَ الثِّمارْ

يا هَذا..

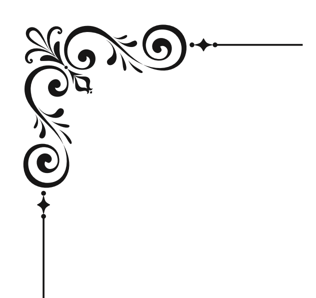
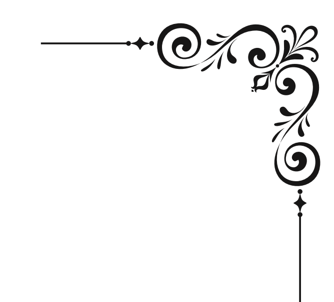
قَدْ كَانَ يَحزُنُني أَنْ يَذهَبوا بِكَ فَيأكلَكَ الذِّئبُ، ثُمَّ لَمّا تَتابعَتِ الأَحداثُ وتَراكَمَتِ البَيِّناتُ، أَدركَ الأَعمَى أنَّ الذِّئبَ لَمْ يَدخلْ إلّا مِنْ خِلالِكَ، وأَنَّكَ -حِينَ صَاحبْتَ الذِّئبَ- لَمْ يَردعْكَ عَنْ مُصاحبَتِهِ أَشلاءُ أَصحابِهِ القُدامى، ثُمَّ ازْدَدْتَ ضِغْثاً عَلى إِبّالَةٍ، فَقتلْتَ حُرّاسَ بَيتِكَ، فَصرْتَ كَمحكومٍ بِالإِعدامِ

اشْتدَّ خَوفُهُ مِنَ الشَّنقِ صَباحاً فَشنق نَفسَهُ لَيلاً.. ولَتكونَنَّ واللهِ شَرَّ مَأكولٍ يأكُلُهُ صَاحِبُهُ!!

وإنّي مِنْ ذَلكَ وعَليكَ لَحزينٌ!!

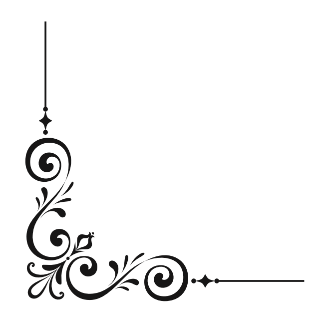
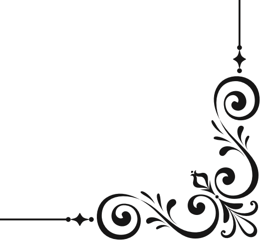
٢٣ / شعبان / ١٤٣٧هـ

٣١/ ٥ / ٢٠١٦م

(٩)

العُثمانليَّةُ التّائِهَةُ

لَنْ يَتركونا وإنْ تَركناهُم!!

الّذينَ فَشلوا مُنذُ مائةِ سَنة في إِسقاطِ القُسطنطينيةِ بِحَمْلةِ الدَّردنيلِ في الشَّمالِ، أَسقطُوا القُسطنطينيةَ بِإشعالِ الثَّورةِ العَربيةِ في الجَنوبِ.. إنَّهُم الرُّومُ أَصحابُ القُرونِ، وسَيعودونَ ونَعودُ!!

لا يُمكنُ أنْ نَعرفَ الآنَ حَقيقةَ مَا حَدثَ، كُلُّها رِواياتٌ مُتضاربةٌ نَستطيعُ تَصديقَ أَكثرِها غَرائبيةً بِذاتِ السُّهولةِ الّتي نَستطيعُ بِها تَصديقَ أَكثرِها مَعقوليةً، والحَقيقةُ -غَالباً- رَفاهيةٌ يَصعبُ الحُصولُ عَليها!!

تُركيا -في العُمومِ- أَشبهُ بِلُعبةِ المَتاهةِ، لا تَكادُ تَنتهِي فيها مِنْ دِهليزٍ حَتى يُسلمَكَ الدِّهليزُ لِدهاليزَ، وفِي كُلِّ دِهليزٍ مَمرَّاتٌ بِغُرَفٍ تَخرجُ مِنْها حَيّاتٌ وعَقاربُ وأَشباحٌ ومَهالكُ!!

هِيَ شَبكةُ صَيادٍ تَقَلَّبَ بِهَا سَمكُ الرَّعادِ أَلفَ مَرةٍ، وكُلَّما حَاولْتَ تَفكيكَها تَشابكَتْ في يَديكَ مَرةً أُخرَى مَعَ صَعقةٍ أو صَعقتينِ مِنَ السَّمكِ المُلتفِّ بِهَا.. فَلا تَطمعْ -والحَالُ هَذهِ- في الحُصولِ عَلى رَفاهيةِ الحَقيقةِ!!

هَذا العُثمانلِيُّ التَّائهُ لَمْ يَنجحْ في شَيءٍ قَدْرَ نَجاحِهِ في إِصابةِ النَّاسِ بِالتِّيهِ، أنتَ مَعَهُ مُتذبذبٌ بِينَ الفِكرةِ ونَقيضِها، بَينَ خَيالكَ العَاطفيِّ عَنْ سُليمانَ القَانونيِّ وهُوَ يَردُّ عَلى استغاثةِ مَلكِ فَرنسا مُعتبراً فَرنسا وِلايةً تَابعةً لَهُ، وبَينَ خَيالِكَ الوَاقعيِّ عَنْ عَبدِ الحَميدِ الثَّانِي وهُوَ يَقودُ سَفينةً عُثمانيةً تَائهةً تَجري

بِهِم في مَوجٍ كَالجبالِ، ولا عَاصِمَ مِنْ أَمرِ اللهِ إلّا مَنْ رَحمَ!!

يُعطيكَ أردوغانُ كُلَّ مَا تُريدُ، كُفرَ العِلمانيةِ المَحض وإِيمانَ الإِسلامِ الخَالِصَ، ثُمَّ يَترُكُكَ مُتأرجِحاً بَينَ صَحيحِ العَقيدةِ في الوَلاءِ والبَراءِ والمُفاصلةِ، وبَينَ صَحيحِ الفِقهِ في استصحابِ الوَاقعِ ودَرءِ المَفاسدِ المُقدَّمِ على جَلبِ المَصالحِ!!

حِيناً، تَرى فيه وَجهاً عُثمانياً بِقناعٍ أَتاتُوركِيّ، وحِيناً: تَرى فيهِ وَجهاً أَتاتوركياً بِقِناعٍ عُثمانِيّ، فَإِذا نَزَعْتَ القِناعَينِ عَنِ الوَجهينِ، تَداخَلَتْ أَمامَكَ الوُجوهُ والأَقنعةُ حَتى لا تَكادُ تَعرفُ وَجهاً مِنْ قِناعٍ!!

تَنظرُ لِظروفِ المَنطقةِ وأَوضاعِها فَتشعرُ أَنَّهُ سَدٌّ أَخيرٌ -وإنْ لَمْ يَكنْ مَنيعاً- بَينَكَ وبَينَ السَّيلِ الّذي يُوشكُ أنْ يُطيِّنَ مَعالمَ المِنطقةِ لِيُعيدَ بِناءَها حَسَبَ الخطةِ الجَديدةِ، ثُمَّ تَنظرُ مَرةً أخرى لِظروفِ المِنطقةِ وأَوضاعِها فَلا تَستبعدُ أنْ يَكونَ هُوَ ذَاتُهُ -عَرفَ أو لَمْ يَعرفْ- دَفقةَ مَاءٍ شَديدةً في هَذا السَّيلِ الطَّامي!!

تَتذكَّرُ (إنجرليك)، ومَعَها تَتذكَّرُ التّسعينياتِ -ومَا أدراكَ مَا التّسعينياتِ-، حِينَ أَفتَى عُلماءُ الدّينِ وحَفَظَةُ المِلّةِ!! بِجوازِ الاستِعانةِ بِالكُفّارِ في صَدِّ المُسلمينَ المُعتدينَ، ثُمَّ تَتذكَّرُ أَنَّكَ أَقنعْتَ نَفسَكَ وَقتَها بِصحةِ الفَتوى مِنْ قَبيلِ (الحُديبيةِ) و(ثُلثِ ثُمورِ المَدينةِ)، ثُمَّ تَرى مآلَ الأَمرِ بَعدَ أنْ بَاضَ الكُفارُ في دِيارِنا وفَرّخوا واتَّخذوا بِلادَنا قَاعدةً لِضَربِ بِلادِنا ولَمْ يَتركوا في

نَخيلنا تَمرةً وَاحدةً إلّا أَكلوهَا ثُمَّ بَاعُوا نواها لَنا، فَلا تعرفُ هَلِ المَجازرُ الّتي حَدثَتْ بَعدَ صُدورِ الفَتوى أَقلُّ حِدَّةً مِنَ المَجازرِ الّتي كَانَ يُمكنُ أنْ تَحدثَ لَو لَمْ تَصدُرِ الفَتوى، ثُمَّ تَنتقلُ لِمستوىً آخَرَ في المَجازرِ لِتقارنَ بينَ المَجازرِ الّتي كَانَتْ سَتحدثُ لِلمسلمينَ في تُركيا ومَا حولَها لَو نَجحَ الانقلابُ، وبَينَ المَجازرِ الّتي تَحدثُ الآنَ لِلمسلمينَ في العِراقِ والشَّامِ مُنطلقةً بَعضُ أَسبابِها مِنْ تُركيا، فَيهولُكَ الأَمرُ حِينَ تكتشِفُ أَنَّكَ صِرتَ تُفرِّق -في بَحرِ الدِّماءِ دُونَ أَنْ تَدري- بَينَ دِماءِ مُسلمينَ ودِماءِ مُسلمينَ آخرينَ.. والمُسلمونَ عُدولٌ تَتكافأُ دِماؤُهُم ويَقومُ بِذمَّتِهِم أَدناهُم.

ثُمَّ لا تلبثُ أَنْ تلعنَ هَذا الوَضعَ كُلَّهُ حِينَ تَكتشِفُ أَنَّ عَبَدَةَ الحُديبيةِ وعُشّاقَ فِقهِ الوَاقعِ، أَوصلُونا إلى لَحظةٍ صِرنا نُوازنُ فيها بينَ إِمكانيةِ تَقبُّلِنا لِسَفكِ دِماءِ المُسلمينَ في الشَّمالِ، وإِمكانيةِ تَقبلِنا لِسفكِ دِماءِ المُسلمينَ في الجَنوبِ، وكَأَنَّهُ لا خِيارَ أَمامَ المُسلمينَ إلّا أنْ تُسفَكَ دِماؤُهُم بِما جَنتْهُ عُقولُهُم!!

وحِينَ تَبتعدُ عَنِ المَشهدِ قَليلاً ثُمَّ تُعيدُ التَّفكيرَ فيهِ، تَكتشفُ أَنَّ النَّتائجَ الّتي تَطلُبُها لا مُنطلقاتِ لَها في أَرضِ الوَاقعِ، وأَنَّكَ تَعيشُ وتُفكرُ في صُندوقٍ مُغلقٍ اسمُهُ (النِّظامُ العَالميُّ) لَهُ مُنطلقاتٌ مُضادةٌ تَماماً لِلمنطلقاتِ الّتي تَتخيَّلُ أَنتَ جَريَانَها في الوَاقعِ، فَصرتَ -كُلَّما رَتَّبتَ نَتيجةً عَلى مُنطلقٍ-، تَشعرُ بِلا مَعقوليةِ النَّتيجةَ مَعَ ذَلك المُنطلقِ، لِغفلتكَ عَنْ غِيابِ المُنطلقِ الّذي تَتوهمُ حُضورَهُ، حَتى اجتمعَتْ بينَ يَديكَ مِئاتُ (النَّتائجِ غيرِ المَعقولةِ) لِمئاتِ

(المُنطلقاتِ المُتَوَهَّمَةِ).. ومعَ تَتابعِ الزَّمنِ وتَطاولِ الأَمدِ تَسرَّبَ إلى نَفسكَ وتَرَسَّبَ فيها (لا معَقوليةُ) مُنطلَقكَ ذَاته!! وإذ أنتَ بَينَ أمرَينِ لا ثَالثَ لَهُما: إمّا أنْ يَغلبَكَ الشَّكُّ في مُنطلَقكَ فتَكْفُرَ بِهِ وتُصبحَ رَقْماً في صُندوقِ النّظامِ العَالميّ، وإمَّا أنْ تكسرَ هَذا الصُّندوقَ وتَخرجَ إلى شَمسِ اللهِ المُشرقةِ لِترى مُنطلَقَاتكَ بِنَتائجِها كَشمسِ اللهِ المُشرقةِ!!

وقَدْ غَبَرْنا زَمناً نُطيعُ سَادتَنا وكُبراءَنا دَاخلَ الصُّندوقِ مُلفَّقِينَ وَراءَهُم بَينَ الأَبيضِ والأَسودِ ومُوفّقِين مَعَهُم بينَ الظّلِّ والحَرورِ ومُساوِينَ بِسببِهم بَينَ الظُّلماتِ والنُّورِ.. ولِكي يَتماشَى الإسلامُ مَعَ (صُندوقِ النّظامِ العَالميّ) جَمَعْنا فيهِ الأَشتاتَ والأَضدادَ والمُتناقضاتِ حَتى صَارَ أَكثرُ دينٍ يَجهلُهُ الإسلاميونَ هُوَ الإِسلامَ ذاتَهُ، وصَارَتِ المَبادئُ كَالسَّيدةِ الفَاضلةِ الّتي يَغتصبُها أَبناؤُها بِدعوى الحِفاظِ عَليها.. وكَأَنَّنا -لِشدَّةِ حِرصِنا عَلى عَدمِ تَشويهِ الإِسلامِ- لَمْ نَعدْ مُسلمينَ!!

أردوغانُ لَيسَ أَكثرَ مِنْ رَئيسِ دَولةٍ عِلمانيةٍ وَطنيةٍ دِيمقراطيةٍ في صُندوقِ النّظامِ العَالميّ؛ يَعملُ بِآلياتِهِ ويَسيرُ وَفْقَ مُنطَلَقاتِهِ، إلّا أنَّ أَصحابَ الصُّندوقِ لا يُريدونَ في هَذهِ المَنطقةِ الخَطيرةِ -عَقائدياً واقتصادياً- أحداً يُمكنُ أنْ يُزعجَهُم بِمجردِ التَّفكيرِ في التَّعاملِ النِّدّيِّ مَعَهُم أو رَفْعِ رَأْسهِ لِتُساوِيَ رُؤوسَهُم، أو المُساومةِ الشَّديدةِ في فَتحِ الأَسواقِ لِمنتجاتِهِم وبَضائعِهِم أو فَتحِ القَواعدِ لِصواريخِهِم وطَائراتِهِم.. ولِأنَّهُم يعرفونَ الخلَفيةَ العَقائديةَ الّتي جَاءَ مِنْها أردوغانُ ومُفاصلتَها لِلنظامِ العالميِّ، ويَعرفونَ أيضاً أنَّ مجيئَهُ كَانَ حَسَبَ

قَواعدِ النّظامِ العَالميّ الدّيمقراطيّ، فَإنَّ خَشيتَهُم مِن إمكانيةِ خَلخلةِ أُسُسِ النّظامِ مِنَ الدَّاخلِ تَظلُّ مُسيطرةً عَلى نُفوسِهِم وعُقولِهم وهَواجسِهم رَغمَ مَا يَظهرُ مِنْ أَردوغانَ بينَ الفَينةِ والأُخرَى مِنْ مُخالفةٍ لأصولِهِ العَقائديةِ.. وحَتى لَو كَانَ أردوغانُ عِندَنا وعِندَهُم لا يَبدُو بِهَذهِ الصُّورةِ إلّا أنَّهُ في تَصوُّرِهِم يُمكنُ أنْ يكونَ تَجرِبةً يُنسَجُ عَلى مِنوالِها ويُسارُ عَلى أَثرِها.. وهُم لا يَسمحونَ بِالتَّجارِبِ إنْ وَصلَ الأَمرُ لِلجذورِ، فَاستلهامُ الإسلامِ أو إعطاءُ بَعضِ مَظاهرِهِ شَيئاً مِنْ حُريةِ الحركةِ قَدْ يُقبَلُ في جَزيرةِ العَربِ أو مِصرَ أوِ الشَّامِ، أو غَيرِها مِنَ المَناطقِ الّتي يَتعاملونَ مَعَها حَسَبَ ظُروفِها، ولَكنَّهُ مُخيفٌ جِداً في مِنطقةٍ كَانَتْ -مُنذُ تِسعينَ سَنةً فَقطْ- عَاصمةَ الخِلافةِ الإسلاميةِ ومَقرَّ رَاياتِها الخَفاقةِ، وإنْ غَابَ هَذا المَعنى عَنْ بَعضِنا في زَحمةِ التَّصوراتِ السّياسيةِ والاقْتصاديةِ فَإنَّهُ لا يَغيبُ عَنِ الصَّليبيينَ وأَحفادِهِم.. وكُلُّهُم صَليبيُّونَ!!

لَقَدْ فَشِلَ الانقِلابُ.. ولَكنْ هَلْ سَينجحُ أردوغانُ؟!

الحَمدُ لِلهِ عَلى نِعمةِ فَشَلِ الانقلابِ.. ولَكنْ هَلْ سَيأتِي انقلابٌ آخَرُ نَقولُ فيهِ كَما نَقولُ الآنَ عَنِ انقلابِ مِصرَ: الحَمدُ لِلهِ عَلى نِعمةِ الانْقلابِ؟!

مَقتلُ تُركيا -غَالباً- في جَنوبِها، كَما أَنَّ مَقتلَ العَربِ -غَالباً- في شَمالِهِم، ثُمَّ تَتكاثرُ المَقاتلُ حَتى لا تَعرفَ مِنْ أينَ تَأتِي الضَّرباتُ!!

سَيعودونَ ثَانيةً وثَالثةً ورَابعةً، بِنفسِ الطَّريقةِ أو بِطُرُقٍ أُخرَى، كَما

فَعلوها بَعدَ حَملةِ الدَّردنيلِ الفَاشلةِ في الشَّمالِ، فثوَّروا العَربَ في الجَنوبِ، لِيُسيْطِروا عَلى تُركيا مِنْ جَنوبِها، ثُمَّ أَسقطُوا العَربَ في شَمالِهِم بِسوريا والعِراقِ، لِيُسيطِروا بَعدَها عَلى شَمالِ العَربِ وجَنوبِهِم وشَرقِهِم وغَربِهِم.. وعَادوا وعُدنا مِنْ حَيثُ بَدؤوا وبَدأْنا!!

أَغلبُ ظَني أنَّ نَجاحَ الانقِلابِ كَانَ سَيجعلُ مِنَ الخَليجِ مَحطةً ثَالثةً لَهُ بَعدَ تُركيا والعِراقِ والشَّامِ، هَذهِ طَبائعُ الأَشياءِ، تَطولُ الفَترةُ الزَّمنيةُ الفَاصلةُ أو تَقصُرُ.. لَقدْ كَانَ فَشلُهُم في الدَّردنيلِ مُدوِّياً، ولِأَنَّهُم -كَما قَالَ عَمرُو بنُ العاصِ رَضيَ اللهُ عَنْهُ عَنِ الرُّومِ-: «أَسرعُهُم إِفاقةً بَعدَ مُصيبةٍ، وأَوشكُهُم كَرّةً بَعدَ فَرّةٍ...»، فَقدْ أَفاقُوا في جَنوبِ تُركيا العَربيِّ وكَرّوا بَعدَ الفَرّةِ، فَطوّقُوها مِنْ جِهاتِها الأربعِ، ثُمَّ دَخلوا الخَليجَ فَفتَّتُوهُ إلى مَا تَرونَ، وإِنَّهُم لَعائدونَ لِتفتيتٍ آخَرَ!!

ومِنْ أَعجَبِ العَجبِ أنَّ أردوغانَ -عَلى مَا فيهِ- لا يَزالُ حَتى الآنَ، (أَقولُ: حَتى الآنَ) دِرعاً وَاقياً لِصنفينِ مِنْ أَعدائِهِ: الّذينَ يبغِضونَهُ في الخَليجِ، والّذينَ يُكفّرونَهُ في العِراقِ والشَّامِ، ولَو اعتبرَ هؤلاءِ أنَّ هَذا الانقلابَ الفَاشلَ حَملةُ دَردنيلٍ أُخرَى، ثُمَّ نَظروا إلى ما حَدثَ بَعدَها مِنْ أَهوالٍ في العَقدِ الثّاني مِنَ القَرنِ العِشرينَ، لَعرفوا ما الّذي كانَ يَنتظرُهُم إنْ سَقطَ أَردوغانُ.. ولا أَدري واللهِ كَيفَ يَفرحُ عَاقلٌ بِانهيارِ سَدٍّ كانَ يَأتيهِ مِنْ بَعضِ شُقوقِهِ بَعضُ غَرقٍ، ولَوِ انهارَ لَجاءَهُ سَيلٌ عَرِمٌ، وما فِكرةُ (إِدارةِ التَّوحشِ) بِصالحةٍ في كُلِّ حِينٍ أو مُجديةٍ في كُلِّ مَكانٍ.. وقَدْ عَرفْتُم ما

يَنتظرُكُم فتَجَهَّزُوا لَهُ.

تَبدُو تُركيا الآنَ كَمضمارٍ كَبيرٍ يصهَلُ فيهِ فَرَسٌ وَاحدٌ: أَردوغانُ.. هَذا هُوَ الظَّاهرُ، والباطنُ يعلمهُ اللّٰهُ، ثُمَّ المُتحرِّكونَ فيهِ!!

الأَخبارُ الّتي تَتوالَى تِباعاً تُؤكِّدُ أنَّ الرَّجلَ هَبَّتْ رِياحهُ فَاغتنَمَها.. مَنْ سَيَسألُهُ الآنَ عَنْ إقالةِ آلافِ القُضاةِ والعَسكريِّينَ ورُؤساءِ الإداراتِ والمُؤسساتِ؟! مِنَ المُستبعدِ عَقلاً أنْ نُصَدِّقَ أنَّ هَذهِ الآلافَ المُؤلَّفةَ شَاركَتْ -فِعلياً- في التَّخطيطِ لِانقلابٍ فَاشلٍ كهَذا.. لَقدْ جَاءتْهُ الفُرصةُ على طَبقٍ مِنْ ذَهبٍ لِتَصفيةِ حِساباتِهِ السِّياسيةِ مَعَ أبشعِ مُؤسسةٍ عَسكريةٍ في الشَّرقِ، ثُمَّ مَعَ الكِيانِ المُوازي، حَليفِهِ القَديمِ الّذي أَصبحَ -في تُركيا الأَردوغانيةِ- مِشْجَباً تُعَلَّقُ عَليهِ كُلُّ مَشاكلِها، بِحقٍّ حِيناً وبِباطلٍ أَحياناً!!

لَمْ أَستسغ اتّهامَ الكِيانِ فَورَ وُقوعِ الانقلابِ، هَذا أَشبهُ بِاتّهامِ (الإِرهابِ الإِسلاميِّ!!) بَعدَ كُلِّ حَدثٍ عَنيفٍ في الغَربِ قَبلَ التَّحقيقِ فيهِ!!

يَبدو أنَّ الجميعَ مُقتنعٌ بِتورُّطِ هَذا الكِيانِ، وأنا مِنْهُم، ولكنْ لا أَظُنُّ أنَّ عَاقلاً يَحتاجُ إلى كَثيرِ تَدبُّرٍ لِيَعلمَ أنَّ الدُّولَ العَربيةَ والإِقليميةَ والعَالميّةَ الّتي نَجحَتْ في وَأدِ الثَّوراتِ العَربيةِ أو تَعويقِها كانَت هِيَ المُحركَ الأَولَ لهَذا الانقلابِ الفاشلِ، وحِينَ يَخرجُ الرَّئيسُ بعدَ ساعةٍ مِنْ بَدءِ الانقلابِ لِيتَّهِمَ الكِيانَ المُوازيَ تَحديداً، فإنَّ اتّهامَهُ هَذا لَيسَ أَكثرَ مِن تكأَةٍ أُحسِنَ استخدامُهَا لِضَربِ (البَردَعةِ) بَدَلاً مِن (الحِمارِ) الّذي يَحتاجُ ضَربُهُ أو مُقاومَتُهُ وَقتاً وجُهداً غيرَ مُتوفِّرَينِ الآنَ!!

لا تَلتفتْ كَثيراً لِلدّعاياتِ التَّجميليَّةِ الّتي تَجعلُ (العَقائديةَ) سَبباً في مُعاداةِ أَردوغانَ لِلكِيانِ المُوازِي؛ فَلا كُولِن هُوَ الشَّيطانُ الرَّجيمِ الّذي يُناهضُ أردوغانَ بِسببِ الإِسلامِ، ولا أردوغانُ هُوَ المَلاكُ الرَّحيمُ الّذي يُحاربُ كُولن لِلدّفاعِ عَنِ الإِسلامِ.. هِيَ مَصالحُ سِياسيةٌ قَدْ يَكونُ لَها بُعدٌ فِكريٌّ قَوميٌّ تَوافقَت حِيناً فَتَحالَفَا، ثُمَّ تَضَادَّتْ فَتَنَافَرَا، وقَديماً قَالَتِ العَربُ: «لا يَجتمعُ سَيْفَانِ في غِمدٍ ولا فَحْلانِ في قَرَنٍ»، وما إِسقاطُ أردوغانَ لأَحمَد دَاوُود أوغلو عَنَّا بِبعيدٍ، وإِنَّ مِنَ العَبَطِ العَابِطِ والخَبْطِ الخَابِطِ أنْ يُدخلَ (إِخوانُنا الطَّيبونَ) الدِّينَ في مَعركةٍ بَيَنَ رَجلَيْنِ لا فَرقَ بَيَنَهُما -في التَّصوفِ والعِلمانيةِ والتَّعامُلِ مَعَ الغَربِ والأَخطبوطيةِ التَّنظيميةِ والبراجماتيةِ السّياسيَّةِ- إلّا كَالفرقِ بينَ السَّبَّابةِ والوُسْطَى؛ يَختلفانِ شَكلاً وحَجماً ولكنَّهُما في النِّهايةِ إِصبعانِ في يَدٍ وَاحدةٍ!!

رُبَّما أَكونُ مُخطئاً.. ولكنَّ ضَخامةَ الإِقالاتِ تَدلُّ عَلى ضَخامةِ الفُرصةِ.. وهَذا العُثمانليُّ التَّائهُ (صَايعُ) حَقيقيٌّ رَغمَ تِيهِهِ!! فَمِنَ الصُّعوبةِ بِمكانٍ أنْ نَقتنعَ بِمشاركةِ كُلِّ هَؤلاءِ في انقلابٍ قُطِّعَتْ ذُيولُهُ في ثَلاثِ سَاعاتٍ فَقَطْ!!

هَذهِ مَعَرَّةُ الدَّهرِ لِجيشٍ أَنجحَ أَربعةَ انقِلاباتٍ عسكريَّةٍ في خَمسينَ سَنةً، بَعدَ أنْ أَسقطَ قَائدُهُ الأَولُ نِظامَ خِلافةٍ استمرَّ أَكثرَ مِنْ أَلفٍ وأَربعِ مِئةِ عَامٍ، وتَجذَّرَتْ فيهِ العِلمانيةُ الأَتاتوركيةُ تَجذُّرَ الظُّفْرِ في اللَّحمِ!!

لِماذا فَشِلوا إذنْ؟!

فَتِّشْ عَنِ القُوةِ.. مَبدأ الأَمرِ ومُنتهاه، وما حَولَها أَدواتٌ مُساعدةٌ، كُلُّ أَداةٍ بقَدرِها!!

لا تُغفلِ الشَّعبَ الَّذي خَرجَ لِلحفاظِ عَلى كِيانِهِ مِنْ أَوباشِ العَسكرِ مصَّاصِي الدِّماءِ، ولكنَّ قَذيفةً واحدةً مِنْ طَائرةٍ انقلابيةٍ، كَفيلةٌ بِإعادةِ النَّاسِ إلى مَنازِلِهم ما لَمْ تُسقِطْها قَذيفةٌ مُضادةٌ مِنْ مَدفعٍ أو طَائرةٍ مُواليةٍ!!

تُركيا أُمُّ الانقِلاباتِ وأَبوها.. انقلابُ السِّتينياتِ الَّذي افتتحَ دِهليزَ الانقِلاباتِ العَسكريةِ، ثُمَّ انقلابُ السَّبعينياتِ الَّذي سُمِّيَ (انقلابَ المُذكرةِ)؛ لأَنَّ العَسكرَ لَمْ يُكلفوا خَاطرَهُم بِتحريكِ الدَّباباتِ، بَلْ أَرسلوا مُذكرةً لِلحكومةِ فَسقطَت دُونَ أَنْ يَهتزَّ شَاربُ أَحَدٍ، ثُمَّ انقلابُ الثَّمانينياتِ الدَّمويُّ، ثُمَّ انقلابُ التِّسعينياتِ الأَبيضُ عَلى أَربكانَ ذي التَّوجهِ الإسلاميِّ، والَّذي سُمِّيَ (انقلابَ ما بَعدَ الحَداثةِ)؛ لأَنَّهُ تَمَّ بِهدوءٍ (كَالسِّكِّينِ في الحَلاوةِ) دُونَ اعتراضٍ شَعبويٍّ أو نُخبويٍّ أو حَلٍّ لِلبرلمانِ أو تَعليقٍ لِلدُّستورِ.

الشُّعوبُ نَسَقٌ واحدٌ، أو تَكادُ أَنْ تَكونَ نَسقاً وَاحداً، لا يَتظاهرونَ إلى الأَبدِ دُونَ قُوةٍ تَحميهِم أو قِيادةٍ وَاعيةٍ تُرشدُهُم وتُرَشِّدُهُم.. والَّذين يُقارنونَ الشَّعبَ التُّركيَّ في ٢٠١٦م بِالشعوبِ العَربيةِ في ثَوراتِها الحاليةِ مُخطئونَ جِداً.. بَلْ يَجبُ أَنْ نُقارنَ الشَّعبَ التُّركيَّ في ٢٠١٦م بِالشعبِ التُّركيِّ ذَاتِهِ في ١٩٨٠م حِينَ وَقعَ الانقلابُ الثَّالثُ عَلى التَّوالي في مَسيرةِ انقلاباتِ تُركيا المَوعودةِ بِانقلابٍ كُلَّ عَشرِ سَنواتٍ تَقريباً!!

استطاعَتِ الدَّولةُ التُّركيةُ العَميقةُ تهيئةَ الأَجواءِ الاجتماعيةِ والسِّياسيةِ لِتَقَبُّلِ انقلابِ السَّفَّاحِ كَنعان إيفرين، فَأشاعَتِ الفُوضَى، وعَرقلَتْ مَسيرةَ الدِّيمقراطيةِ المَزعومةِ، وخَنقَتِ المَجالَ السِّياسيَّ العامَّ، ودَعَمتْ إنشاءَ جماعاتٍ قوميةٍ مُتطرِّفَةٍ ذَاتِ توجُّهٍ يمينيٍّ ويَسارِيٍّ، وساهَمَتْ في نَشرِ الرُّعبِ والخَطفِ والقَتلِ وقَطعِ الطُّرُقِ، والهُجومِ عَلَى مُؤسساتِ الدَّولةِ وحَرقِ مَقراتِ الأَحزابِ والمَقاهِي والفَنادقِ والمَطاعِمِ السِّياحيةِ، وأَشعلَتِ الفتنَ الطَّائفيةَ بينَ طَوائِفِ الشَّعبِ حَتى وَصلَ مُعدَّلُ القَتلِ سنةَ ١٩٧٩م إلى عِشرينَ قَتيلاً في اليومِ الواحِدِ، إضافةً إلى تَرتيبِ المُظاهرَاتِ والاعتصامَاتِ العُمَّاليَّةِ اليوميَّةِ الّتي أَدَّتْ إلى تَوَقُّفِ المَصانعِ عن العملِ وتَغَوُّلِ البَطَالةِ والفَقرِ والمُخدِّراتِ والدَّعارَةِ!!

لَقَدْ تَمَّ تَهيئةُ الشَّعبِ للانقلابِ من خِلالِ إشاعَةِ الفُوضَى أَوَّلاً، ثُمَّ التَّركيزِ عَلى تَصويرِ المُؤسسةِ العَسكريةِ كَملاذٍ آمِنٍ للشَّعبِ التُّركِيِّ الّذي لم يَكُنْ يَدري -في عُمومِهِ- أَنَّ مُؤسسَتَهُ تلكَ هي السببُ المُباشِرُ في فَسادِ وإِفسادِ الحياةِ في تُركِيَا!!

وَقعَ الانقلابُ المَدعومُ أَمريكيًا، واختَفَتْ بعدَهُ -مؤقَّتاً- كُلُّ مَظاهرِ الفَوضَى الّتي هيَّأَت له، مما أَكَّدَ لِلْواعِينَ وُقوفَ الدَّولَةِ العَميقةِ وَراءَهَا!!

واستقبلَ كَثيرٌ مِنَ الشَّعبِ التُّركِيِّ الانقلابَ بالتَّرحَابِ والبَهجَةِ!!

ولو بَحثتُمْ في أَرشيفِ تِلكَ الأَيامِ لربَّمَا عَثرتُمْ عَلى نُسخَةٍ تُركيَّةٍ مُشابِهَةٍ

لـ(تَسْلم الأَيادي) و(قُوم نَادي ع الصَّعيدي) و(إحنا شعب وانتو شعب) و(إيفرين لعبها صح)!!، وربَّما وجدْتُم أَيضاً كَلماتٍ لثَعالبِ دِينٍ تَقولُ للعسكرِ: (اضرِبْ في المَليانِ) و(رِيحتهم نتنة) و(طُوبَى لمن قتَلَهم وقَتَلُوه).. أمَّا جَبهاتُ الإِنقاذِ البرادِعيَّةِ، ونُشطاءُ السبوبَةِ، والدَّاعونَ إلى انتخاباتٍ رِئاسيَّةٍ مُبكرَةٍ، والسَّائرونَ نِياماً في حِزبِ (تُركيا الطرِيَّةِ)، وأَصحابُ (اللكلُكْ الفارِغ) عن الوِصايَةِ العَسكريَّةِ والعَلاقاتِ المَدنيَّةِ العَسكريَّةِ، والتَّافهونَ الّذينَ ظَلُّوا يَكتُبونَ بعدَ الانقلابِ: (سليمان ديميريل سيِّئ الذِّكرِ)، والصِّبيانُ الّذينِ (لِلأسفِ كانُوا يَعرفونَ)، والسُّذَّجُ الّذينَ كَانوا يَقولونَ: (إخوانَّا اللي فُوق عَارفين كُلَّ حاجة.. وإيفرين في جِيبنا)، وغيرُهُم مِمَّنِ ابتُلِيَتْ بِهِم مِصرُ في ثورَتِها.. فيَقِيني أَنَّكُم كُنتُم سَتجدونَ العَشرَةَ مِنْهُم بِليرةٍ في تُركيا الثَّمانينياتِ.

جَلَسَ الجميعُ عَلى الخَازوقِ، وسَكَنَ الجنرالُ القَصرَ بَدَلَ الثُّكنَةِ، ففَسَدَتْ الثُّكَنةُ والقَصرُ معاً، وبَدأَ عَصرُ الإرهابِ البَشِعِ بِاعتقالِ مِئاتِ الآلافِ، ومُحاكَمَةِ مِئاتِ الآلافِ، وفِرَارِ الآلافِ، وإِقالةِ الآلافِ، وإِعدامِ المِئاتِ، وانتِحارِ العَشراتِ، وتَقييدِ أَسماءِ مِليونَيْ مُواطِنٍ تُركِيٍّ بِاعتبارِهِم خَطَراً عَلى الأمنِ القوميِّ.. ولاحقاً قال إيفرين في إِشارَةٍ إلى مَنْ أُعدِمُوا بعد الانقلابِ: «هل كانَ علينا أنْ نُطعمَهُم في السِّجنِ لسنواتٍ بَدَلاً مِنْ شَنقِهِم»؟!

وسَقَطَتْ سُمعةُ الأَتراكِ إلى الحَضيضِ حَتَّى إنَّني لا زِلتُ أَذكُرُ أنَّ الصُّورةَ المُتَخَيَّلَةَ لِلرَّجلِ التُّركِيِّ في أَذهانِ أَبناءِ جِيلي أَواخرَ التِّسعينياتِ، لم تكنْ تَخرُجُ عن صُورةِ (الحَلَّاقِ الماهرِ) و(معلم الشَّاورما والمشاوي) و(رجل

العصابات) الشّريرِ الّذي يَظهرُ دائماً بينَ فتاتينِ جميلتَيْنِ شِبهِ عاريتَينِ!!

تَغيَّرتِ الصُّورةُ تَماماً بمَجيءِ أَردوغانَ، واستطاعَ الرَّجلُ أن يُذيقَهُم قَدراً كَبيراً من عُسيلَةِ الأَمنِ والأَمَانِ والرَّخَاءِ والحُريَّةِ والرَّفاهيَةِ، بعدما كانَتْ إسطنبولُ نَفسُها تَفتقرُ إلى مَاءِ الشُّربِ النَّظيفِ (كما سَمعنَا مِنْ بَعضِ الأَترَاكِ) فَضلاً عن أَزمَاتِ الإِسكانِ، والمواصَلاتِ، والصَّرفِ الصِّحيِّ، والبَطَالَةِ، والصِّحةِ، والتَّعليمِ، والقُمامَةِ الّتي كانَتْ مَعلَماً مَلحوظاً في إسطنبولَ!!

أَضِفْ إلى ذلكَ عَودةَ الإِحساسِ القَوميّ بالعُنصرِ التُّركيِّ الّذي سَاهمَ في حُكمِ الدُّنيا منذُ اصطنعَهُ المُعتصِمُ ابن (مَاردةَ) التُّركيةِ وهارونُ الرَّشيدُ العَباسيُّ، مُروراً بسَيطرتِهِ عَلى مَقاليدِ الخِلافَةِ، وانتهاءً بسُقوطِهَا بهِ ومَعَهُ.

الشُّعوبُ إذنْ تَتغيَّرُ بتَغيُّرِ العَوامِلِ سَلباً وإِيجاباً، والتَّهيئَةُ النَّفسيَّةُ لتَقَبُّلِ الانقلابِ عَلى أَردوغانَ لم تَحدثْ، وإنْ كانَ حَدثَ بعضُها فلم تؤتِ ثمارَهَا؛ لأنَّ أردوغانَ عَمِلَ -بما قدَّمَهُ للشَّعبِ منذُ ٢٠٠٢م- عَلى تَهيئَتِهِ نَفسياً واجْتماعِياً واقتصادِياً لرَفضِ أيِّ انقلابٍ قادِمٍ، وقد نَجَحَ معَ الشَّعبِ التركيِّ وفَشِلَ مَعَ النِّظامِ الأَتاتوركِيّ!! وحُدوثُ الانقلابِ -حَتى ولو فَشِلَ- دليلٌ عَلى ذلكَ!!

الشَّعبُ إذنْ كانَ السَّببَ الثانيَ -بَعدَ القوة- في إِفشالِ الانقلابِ، وقد رَأيتُ ورَأى غَيرِي بَعضَ اللَّقطاتِ المُصوَّرةِ لمجموعَةٍ مِنَ النَّاسِ تُخاطِبُ -بِهُدوءٍ وحِكمَةٍ- جُنديَّاً فوقَ دَبابَةٍ، وكأنَّها تَستثيرُ فيهِ النَّخوَةَ الوَطنيَّةَ لِيَعودَ

مِنْ حيثُ أَتَى.. كانَ الجُنديُّ يَرُدُّ عَليهم بِلا مُبالاةٍ واضِحةٍ حَتَّى جاءتْ مجموعةٌ مِنَ الشُّرطَةِ (المُسلَّحَةِ) أو القُواتِ الخَاصَّةِ التَّابعَةِ لأردوغانَ مَصحوبَةً بالتَّكبيراتِ والهُتافاتِ، لتتَغيَّرَ نَفسيةُ الناسِ وتَتصاعَدَ داخِلَهَا وَتيرةُ الرَّفضِ ثُم تَعتلِي الدَّبابَةَ وتُساعِدَ في اعتقالِ الجُنديِّ!!

في مِصرَ.. كانَ الثُّوارُ يَفعلونَ ذلكَ مُكْتَفِينَ باستثارَةِ وطنيَّةِ الجُنودِ والضُّباطِ، لأنَّهُ لم يَكنْ بجانبِهم شُرطيٌّ مُسلَّحٌ يُساعدُهُم في اعتِقالِ الجُنديِّ المُسلَّحِ، وقد اكتَشَفُوا بعدَ تجرِبَةٍ مَريرَةٍ أنَّ الرَّجلَ العَسكرِيَّ لا يَقتنِعُ -غَالباً- إلَّا بالقُوَّةِ، وأنَّ الوَطنيةَ عِندَهُ غيرُ الوَطنيةِ عِندنَا، وأنَّهُ لا يَفهَمُ في حَياتِهِ شَيئاً غيرَ إصدارِ الأَوامرِ أو تَنفيذِهَا، وأنَّه لا يَرَى في المُواطِنِ المدنيِّ سِوى طِفلٍ يَتيمٍ قَاصرٍ لا بُدَّ مِنْ وُجودِ وَليِّ أَمرٍ له يُدبِّرُ شُؤونَهُ ويُنظِّمُ حياتَهُ ويحافِظُ عَلى مالِهِ، (ويَسرقُهُ أَحياناً أو دَائماً)!!

عَقلُ العَسكريِّ -إنْ كَانَ يملِكُ وَاحداً- لا يَعملُ غَالباً بِذاتِ الآليّةِ المَنطقيَّةِ الّتي يَعملُ بها عَقلُ المَدنيِّ.. وليسَ أَضيعَ مِنْ وَقتٍ تُنفقُهُ في إقناعِ رَجلٍ عَسكريٍّ بالعُدولِ -طَوعاً- عن أَمرٍ أَصدَرَهُ ليُنفِّذَهُ غَيرُهُ، أو أَمرٍ تَلقَّاهُ لِيُنفِّذَهُ هو!!

لقد خَرجَتْ شُعوبُ الثَّوراتِ العربيةِ بِكثافَةٍ للحفاظِ عَلى ثَوراتِهَا مِنْ مَصَّاصِي الدِّماءِ، والمَوَاقِفُ الّتي شَهدْتُها بِنفسِي أَكثرُ مِنْ أنْ تُحصَى، بيدَ أنَّ هَذه الشُّعوبَ افتقدَتْ لأَمرَينِ مُهمَّينِ: القُوَّةِ الحَاسِمَةِ، والقِيادَةِ الوَاعيةِ..

والعَارُ -إنْ جَازَ أنْ نَصُبَّهُ على رَأسِ أَحدٍ-، فَلن يُصبَّ إلَّا عَلى رَأسِ تلكَ القِياداتِ الّتي فشِلَتْ -عَلى سَبيلِ المِثالِ لا الحَصرِ- في الحِفاظِ عَلى مُظاهَرَةٍ وَاحدةٍ مِثلِ مُظاهرَةِ رَمسيسَ الضَّخمَةِ.. والأَمثلَةُ بَعدَ ذَلكَ قَاتِلَةٌ لِلقلبِ والرُّوحِ لا أُحبُّ الخَوضَ فيها أو تَذكُّرَهَا!!

حالُنا الآنَ يُشبِهُ -إلى حدٍّ كَبيرٍ- حَالَ تُركيا في الثَّمانينياتِ، وليسَ حَتماً أنْ نَستغرِقَ كلَّ هَذا الوَقتَ لنصِلَ إلى ما وَصلوا إِليه، فإنَّ التَّغييرَ في كلِّ مَنطقَةٍ مُرتبطٌ بِأَحوالِهَا ومُوَاضعاتِها وأَنساقِهَا.. وأَغلبُ ظَنِّي أنَّ المِنطقةَ كلَّها مُقبلةٌ عَلى تَغييراتٍ جَذريَّةٍ قد لا تُعطِي الفُرصَةَ لتغيُّراتٍ تَقليديَّةٍ.. وإنَّ ذَلكَ لحَسَنٌ في عُمومِهِ رَغمَ ما سيُصاحِبُهُ من أَهوالٍ!!

وأَظنُّنِي لن أَكونَ مُبالِغاً إن قُلتُ: إنَّ المُقارنَةَ بينَ أَردوغانَ ومُرسي -غَفرَ اللهُ له وفَكَّ أَسرَهُ- لن تكونَ في صَالحِ أردوغانَ، فمُجردُ حُدوثِ الانقلابِ بعدَ كُلِّ تلكَ السَّنواتِ مِنَ العملِ والتَّدرُّجِ في التَّمكينِ، دَليلٌ عَلى فَشَلٍ كبيرٍ يَقَعُ وِزْرُهُ على أَردوغانَ وصَحبِهِ، خَاصةً وقد اكتَسبُوا -مِنَ الخبرَةِ الطويلَةِ في الحُكمِ- عَقليةً وَاعيةً تُحسِنُ التَّصرُّفَ في المُلِمَّاتِ، وهو ما لم يَتهيَّأْ لمُرسي وصَحبِهِ.. وكَلامُنا هَذا لَيسَ فيه أَدنَى تَبريرٍ لأَخطاءِ مُرسِي، بل هو فَهمٌ خَاصٌّ لا بَأسَ عِندي في مُناقشتِهِ أو رَفضِهِ.

بَيْدَ أَنَّ أردوغانَ أَحسنَ النُّهوضَ بعدَ عَثرتِهِ، واسْتغلَّ الفرصَةَ لإِحكامِ سَيطرَتِهِ.. ولأَنَّ الضَّعفَ مُسقطٌ للتَّبِعَاتِ، فإنَّ القُوَّةَ مجلَبَةٌ لها، وإنِّي لأَخافُ عَلى أَردوغانَ ومنه في وَقتِ قُوَّتِهِ أَكثرَ مما أَخافُ عَليهِ ومِنْهُ في وَقتِ ضَعفِهِ،

فَما يُمكنُ أنْ يُعتَذَرَ بِهِ لِلضعيفِ قَليلِ التَّمكينِ لا يُمكنُ أنْ يُعتَذَر بِهِ لِلقويِّ المُتمكِّنِ، إلّا إذا أَدْخَلَنا (إخوانُنا الطَّيبونَ) في مَتاهةِ دَرجاتِ التَّمكينِ المُتابعةِ؛ فكلَّما تَمكَّنَ مِنْ مِفصلٍ قالوا: بَقيَ مِفصلٌ، فَإذا تَمكَّنَ مِنْهُ قالوا: بَقيَت مَفاصلُ.. وهكذا دَواليكَ حَتى تَكادُ تَظنُّ أنَّ التَّمكينَ لا يَتمُّ إلّا بِامتلاكِ العَالَمِ!!

يَبدو الأمرُ سَابقاً لأَوانِهِ.. ولكنّي أَظنُّ أنَّ أَولَ ما سَيُقالُ بَعدَ قَليلٍ: ها قَدْ سَيطرَ فكانَ ماذا؟!

ومَقتلُ أردوغان في هَذهِ الـ(ماذا)!!

لَقدْ كَسبَ أردوغانُ جَولةً، ولكنَّهُ يَعلمُ أنَ أمامَهُ جَولاتٍ وجَولاتٍ؛ فَهلْ سَيخضعُ حِفاظاً عَلى مُكتسباتِهِ مُعتبِراً ما حَدثَ (قَرصةَ أُذُنٍ) إنْ لَمْ يَعتدلْ كَما يُريدونَ سَتتبعُها قَرصاتٌ، أَمْ سَيوغلُ في تَحطيمِ القُرصِ الصُّلبِ لِلدولةِ الأتاتوركيةِ وصِناعةِ قُرصٍ آخرَ في مَنطقةٍ يَعتبرُ الصَّليبيونَ العَبثَ بِأُسُسِها الّتي وَضعوهَا مَسألةَ حَياةٍ أو مَوتٍ؟!

إنَّ الهَجمةَ الإعلاميةَ الغَربيةَ الشّرسةَ عَلى إقالاتِ وتَوقيفاتِ أردوغانَ لِلانقلابيينَ تَدلُّ عَلى مَا يُمكنُ أنْ يَحدثَ مِنْ هَذهِ الخَنازيرِ الدّيمقراطيةِ المُتوحشةِ الّتي لَمْ تَنْبِسْ بِبنتِ شَفةٍ حِينَ حُكِمَ بِالإعدامِ عَلى رَئيسٍ جَاءَ بِالدِّيمقراطيةِ؛ في الوَقتِ الّذي هَاجوا فيهِ وماجوا لأنَّ رَئيساً جَاءَ بِالديمقراطيةِ يُحاولُ الحِفاظَ عَلى مُكتسباتِ شَعبِهِ الدّيمقراطيةِ مِنَ العَسكرِ

أعداءِ الدّيمقراطيةِ.. وقَدْ بُحَّتْ أَصواتُنا ونَحنُ نَقولُ: إنَّ الدّيمقراطيةَ عِندَهُم لَيسَتْ أكثَرَ مِنْ صَنمِ عَجوةٍ إنْ جَاعوا أكلوهُ!!

لَقدْ أذلَّ أردوغانُ غِلمانَهُم، فَأخرجَهُم أمامَ الكاميراتِ في صُورةٍ مُزريةٍ نَاكِسِي رؤُوسِهِم لا يَرتَدُّ إليهِم طَرفُهُم وأفئدَتُهُم هَواءٌ، جَنرالاتٌ، عُمداءُ، عُقداءُ، قادةٌ، كَانوا -قَبلَ قَليلٍ- مِلءَ السَّمْعِ والبَصرِ، فَأصبحوا لا يُرى إلّا ذُلُّهُم وانكسارُهُم وحَقارَتُهُم.. وهَذهِ صُورةٌ لا يُمكنُ أنْ يَسمحَ السَّادةُ بِظهورِ أذنابِهِم فيها.

خُطورةُ الصُّورةِ تَكمنُ في مَا تُرسّبُه في النُّفوسِ مِنْ مَعانٍ جَديدةٍ تَكشفُ لِلناسِ أنَّ هَذهِ الطَواويسَ المُنتفخةَ يُمكنُ أنْ يَعتقِلَها (شَابٌّ مُلتحٍ) مُقيدةَ اليَدينِ لِلخلفِ مُطأطأةَ الرَّأسِ ذَليلةَ النَّفسِ لا تَملكُ مِنْ أَمرِها شَيئاً.. هَذهِ الصُّورةُ كانَت حِكراً عَلى المُسلمينَ والعَربِ وأَعداءِ الغَربِ عُموماً، فَعَلُوها مَعَ صَدَّامٍ، كَما فَعلوها مَعَ آسادِ غوانتنامو، كَما فعلوها مَعَ مَظاليمِ أبو غريب، كَما فَعلوها مَعَ المُجاهدينَ في كُلِّ مَكانٍ.. ورُبَّما تَفعلُ الصُّورةُ مَا لا تَفعَلُهُ الجُيُوشُ والأساطيلُ، فَتقتلُ النُّفوسَ وتُحبطُ العَزائمَ قَبلَ أنْ تَتحركَ الجُيوشُ والأساطيلُ!!

وها هوَ أردوغانُ يَستخدِمُ (أسلوبَ الصُّورَةِ) لِتَتَجَذَّرَ في نُفوسِ النّاسِ إمكانيَّةُ تَكرارِها في أماكنَ أُخرَى، وإذا سَقطَتْ هيبةُ الغُلامِ سَقطَتْ هَيبةُ سَيّدِهِ، وإذا سَقطَتْ هَيبةُ السَّيدِ كانَ كَالبَعيرِ الّذي إذا وَقَعَ كَثُرَتْ

سَكاكينُهُ!!

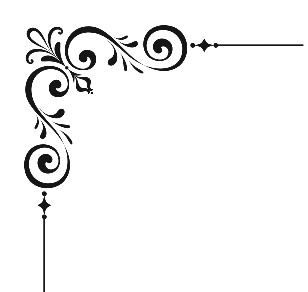
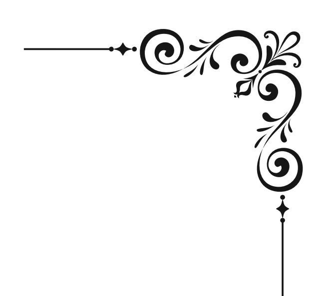
بَيْدَ أَنَّ أردوغانَ في وَضْعٍ لا يُحْسَدُ عليهِ، فهوَ إنِ اعْتَدَلَ لَهُمُ اعْوَجَّ لِلعالَمِ الإسلاميِّ ولِلْفِكْرَةِ الّتي يَحْرِصُ عَلى ارتِداءِ عَباءَتِها، وفي ذلكَ مَقْتَلُهُ عِنْدَنا، وإِنِ اعْوَجَّ لَهُمُ اعْتَدَلَ لِلعالَمِ الإِسلاميِّ ولِلْفِكْرَةِ الّتي يَحْرِصُ عَلى ارتِداءِ عَباءَتِها، وفي ذلكَ مَقْتَلُهُ عِنْدَهُمْ!!

وهُما أَمْرانِ أَحلاهُما مُرٌّ.. غيرَ أَنّي لم أَعُدْ أَسْتَسيغُ الفِكْرَ التَّلفيقيَّ الّذي يَقومُ عَلى التَّوظيفِ المُريبِ لِلحُدَيْبيَةِ، وثُلُثِ ثمورِ المدينَةِ، والفترةِ المَكّيَّةِ، وفِقْهِ الواقِعِ، ودَرْءِ المفاسِدِ المُقَدَّمِ على جَلْبِ المَصالِحِ.. لم أَعُدْ أَسْتَسيغُ أَنْ يُخْبِرَني (إخوانُنا الطَّيِّبونَ) أَنّني إِنْ لم أَقْبَلْ قَتْلَ مِئتَيْ مُسلمٍ في (مَنْبِج) فإِنَّ ثَلاثَ مِئَةِ مُسلمٍ سَيُقْتَلونَ في (طرابزون)، وكأَنَّ حُسْنَ السِّياسَةِ لم يَعُدْ يَمُرُّ إلّا عَلى أَشلاءِ المُسلمينَ!!

أَعْرِفُ أَنَّ الواقِعَ مُرْبِكٌ ومُتَشابِكٌ، ورَفْعُ سَقْفِ التَّوَقُّعاتِ يُنْتِجُ -غالِباً- إِحباطاً ويَأْساً، ولكنَّ حَصْرَ النّاسِ بينَ السَّيفِ والجِدارِ مُناقِضٌ لِسُنَّةِ التَّدافُعِ الثّابِتَةِ.. ومِنَ المَعيبِ أَنْ يُنْجِيَنا اللهُ مِنَ الغَرَقِ بِمعجزَةٍ ثمَّ نكونَ كالّذين قالوا: اجْعَلْ لَنا إِلهاً كما لَهُمْ آلهةٌ!!

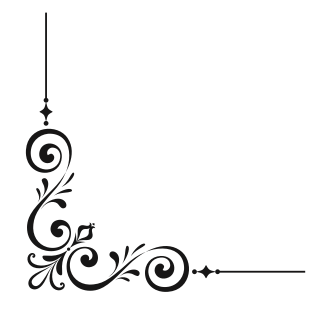
١٧/ شوال / ١٤٣٧هـ

٢٣ / ٧ / ٢٠١٦م

(١٠)

قبضةٌ مِن أثَرِ الرَّسولِ




لا السَّلفيَّةُ سلفيَّةٌ..

ولا الصُّوفيَّةُ صوفيَّةٌ..

ولا الأشاعرةُ أشاعرةٌ..

(الثَّلاثةُ يَشتَغِلونَنا)..

ولا يَكتفونَ بذلك، بل يَضرِبُوننا في خَلَّاطِ التَّفاصيلِ، لنَنشَغِلَ بتفاصيلِ الخلَّاطِ!!

لو عَادَ ابنُ تَيميَّةِ ورَأى أدعياءَ السَّلفيَّةِ، لَكفَّرَهُم أو كادَ! أو عادَ العِزُّ بنُ عَبدِ السَّلامِ ورأى أدعياءَ الأَشاعرةِ، لباعَهم -كما باعَ الأمراءَ- أو كادَ.. أو عادَ إبراهيمُ بنُ أدهمَ، ورَأى أدعياءَ الصُّوفيَّةِ، لَأَوْتَرَ قَوْسَه -التي مَاتَ قابِضاً عليها في سَبيلِ اللهِ- ورَماهُم بسِهامِه أو كادَ.

لم تَكُنِ المعركةُ يَوماً معركةَ سَلفيَّةٍ أو صُوفيَّةٍ أو أَشعريَّةٍ، بل كانت مُنذُ الأزلِ مَعركةَ تَوحيدٍ!!

وليس التَّوحيدُ أنْ تَعرِفَ أسماءَ اللهِ وصفاتِه حَسْبُ، بل عِمادُ التَّوحيدِ أنْ تُفْرِدَهُ بالعِبادةِ، وليسَتِ العِبادةُ أن تَصومَ وتُصلِّيَ حَسْبُ، بل عِمادُ العِبادةِ أَلَّا تُشرِكَ في عِبادتِه غَيرَه، وليس الشِّركُ أنْ تَسجُدَ لصنمٍ حَسْبُ، بل أكبرُ الشِّركِ أنْ تَعتَقِدَ مَنهجاً يُعبِّدُ النَّاسَ للنَّاسِ بَدلاً من تَعبيدِ النَّاسِ لِربِّ

النَّاسِ، وما أَفْرَدَ اللهَ بالعبادةِ مَن اتَّخَذَ مَعَ شَرْعِهِ شَرْعَاً، أو مَعَهُ -سبحانَه- مُشرِّعاً.

وقد قَرَنَ اللهُ الحُكمَ بالعبادةِ حين قال: «إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ»، فمَن صَرَفَ شَيئاً من الحُكْمِ لغَيرِه، فكَأنَّما صَرفَ شَيئاً من العِبادةِ لِغَيرِه، يَستوي في ذلك مَن نَصَبَ في مَعبدِه صَنَماً اعتَقَدَه، فسَجدَ له، ومن نَصَّبَ في (بَرلمانِه) قَانوناً فَرنسيَّاً أو يَاسِقاً تَتَرِيَّاً اعتَقَدَه، فحَكَمَ به، كِلَا الرَّجُلَينِ عَبَدَ غيرَ مَعبودٍ حينَ قَصَدَ غَيرَ مَقصودٍ، والحُكْمُ في بَرلمانٍ بِغيرِ ما أَنزَلَ اللهُ كالسُّجُودِ في مَعبَدٍ لِغيرِ وَجهِ اللهِ، لا فَرْقَ بينَهما إلَّا كالفَرْقِ بينَ الحَرَقِ والغَرَقِ!!

ومُنذُ رَفَعَ الشَّيطانُ رأسَه أَمامَ رَبِّهِ قائلاً: «لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبَاً مَفْرُوضَاً»، بَدأَتِ المَعركةُ، فمَن اتَّخَذَ سَبيلاً غيرَ سَبيلِ اللهِ صَارَ -في مَعركةِ التَّوحيدِ- فَرضَاً للشَّيطانِ ونَصيباً، وإنْ ظَنَّ نَفْسَه وَلِيَّاً لِلرَّحمنِ وحَبيباً.

تكمُنُ الكَارثةُ في الانحرافِ الأَوَّلِ!!

والانحرافُ الأَوَّلُ يَأتيكَ دَائماً مُغلَّفاً بمَصلحةٍ دِينيَّةٍ أو دُنيويَّةٍ، بل ويُسَوَّقُ لكَ -عَادةً- على أنَّه دِرْعٌ يَحمي المَنهجَ مِن السُّقوطِ والذَّوبانِ. ومعَ تَتابُعِ الأَزمنةِ وتَناسُلِ الأجيالِ، تَتناقصُ المصلحةُ شَيئاً فشَيئاً حتَّى لا يَبقَى بَينَ يَدَيِ الجِيلِ الأَخيرِ سِوى الانحرافِ خَالصاً!!

ذَهبَ عمرُو بنُ لُحَيّ الخزاعيُّ إلى الشَّامِ، فرأى الأَصنامَ، فأَعجَبَتْهُ، فجَلَبَها مَعهُ إلى مَكَّةَ.. كم جِيلاً احتاجَتْه الأَصنامُ لتُصبحَ أَمراً وَاقعاً لا يَعترِضُ عليه العربُ، ثُمَّ عَقيدةً رَاسخةً يُقاتلونَ في سَبيلِها؟! هل قَاوَمَ المَكّيُّونَ -آنَذاك- دَعوةَ الشِّركِ كما قَاوَمُوا -بَعْدَ ذلك- دَعوةَ التَّوحيدِ؟! كيف تَسَرَّبَ إلى عَقلِ العاقلِ أنَّ الحَجَرَ الأَصَمَّ يُمكِنُ أنْ يُصبحَ رَبّاً، والبقرةَ العَجماءَ يُمكِنُ أنْ تُصبحَ إِلهاً؟!

تلك اللَّحظةُ المَجنونةُ العاقلةُ أو العاقلةُ المجنونةُ، كيف نَرصُدُ حَرَكَتَها في العقلِ وتَمَوُّجاتِها في الرُّوحِ؛ لِنَعرِفَ متى وكيف ولماذا يُقنِعُ العاقلُ نَفْسَه بغيرِ المَعقولِ؟!

لم يَجِدِ العَربُ سَبباً يَعقلونَ به ما لا يُعقَلُ سوى أن يَقُولُوا: (مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللهِ زُلْفَى).. هكذا يَتفلْسَفُ السَّامِرِيُّ عادةً.. هو لا يَأتيك -ابْتِداءً- بالكُفرِ العَارِي؛ بل يَأتيك بالكُفرِ مَستوراً بضِغثٍ مِن الإِيمانِ.. شيءٌ ما يَحدُثُ في عَقلِه؛ فيَظُنُّ نَفْسَه الأَحكمَ والأَفضلَ؛ تماماً كما حَدَثَ مع الشَّيطانِ: (أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ).. يكْمُنُ في كُلِّ سَامريٍّ شيطانٌ.. إنَّه يَرى ما لا يَرى الآخرون: «بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ»، فيَقبِضُ قَبضةً مِن أَثرِ مُقَدَّسِك، ثُمَّ يُخرِجُ لك مُقَدَّساً جَديداً مُغلَّفاً ببعضِ مُقَدَّسِك الأَصليِّ؛ فيَسْحَرُ عَيْنَيْك ويَخدَعُك عن نَفْسِك؛ لتُسيْطِرَ عليكَ -بَعْدَ ذلك- ذاتُ اللَّحظةِ الَّتي سَيْطَرَتْ عليه (تلك المَجنونةُ العَاقلةُ أو العَاقلةُ المَجنونةُ)؛ لِيُصبحَ المعقولُ في عَقلِكَ غَيرَ مَعقولٍ، وغَيرُ المَعقولِ في عَقلِكَ مَعقولاً، ثُمَّ تَكتشِفُ -بَعْدَ فَواتِ الأَوانِ-

أنَّه لا فَرْقَ بينَك وبينَ السَّامريِّ الأوَّلِ سِوى أنَّ لَحْظَتَه أصابَتْه قَبْلَ أن تُصيبَكَ لحظتُك، وإذ أنت سامريٌّ كاملٌ مَعَ نِصفِ شيطانٍ!!

هَكَذَا تَبْدَأُ الأشياءُ..

فِكرةٌ تَنبُتُ في رأسِ سَامريٍّ مِن أكابِرِ مجُرِميها، يَتَلَقَّفُها العامَّةُ والغَوْغاءُ، ثُمَّ تَتَجَذَّرُ في التُّربةِ تجَذُّرَ العامَّةِ والغَوْغاءِ -ولا جِذْرَ أَثبَتُ مِنَ العامَّةِ والغَوْغاءِ- حتَّى إذا جَاءَ مَن يُذَكِّرُهم بالأصلِ الَّذي طالَ عليه الأَمدُ، قالوا: (إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ)!!

قد يَتَجَسَّدُ الشَّيطانُ في فَردٍ أو أُمَّةٍ، كما يَتَجَسَّدُ في فِكرَةٍ أو مَنهجٍ.. وقد يَظهَرُ لك في الإيمانِ المَشُوبِ كما يَظهَرُ في الكُفرِ المَحضِ.. وقد يَخطُرُ أمامَك في جُبَّةِ صُوفِيٍّ يَتمايَلُ في حَضْرَةٍ، أو عَمَامَةِ أَشْعَرِيٍّ يَتفلْسَفُ في حَلْقَةٍ، أو لِحيةِ سَلَفِيٍّ يُحَدِّثُ في مِحرابٍ.. والطَّامَّةُ الكُبرى أَنْ يَتراءَى لِغَيرِكَ فِيكَ، كما يَتراءَى لكَ في غَيرِكَ، فيَراكَ الآخَرونَ شَيطاناً وتَراهُمْ أَنتَ شَياطِينَ!!

ضَرَبَنَا أُخْطُبُوطُ السَّامِريَّةِ العَلمانيَّةِ بأَذرُعِه المُتعدِّدة: قَومِيَّةٍ، وَطنيةٍ، دِيمقراطيَّةٍ، لِيبراليَّةٍ.. وكان مع كُلِّ ذِراعٍ سَامريٍّ يَؤُزُّه الشَّيطانُ، لِيَنْثُرَ عليه وحَوْلَه (قَبْضَةً مِنْ أَثَرِ الرَّسُولِ)، فيَسحَرَ أَعْيُنَ النَّاسِ ويَستَرْهِبُهم!!

قَبَضَ سَامريٌّ (قَوميٌّ) قَبْضةً مِن أَثَرِ الرَّسولِ مُنطلقاً مِن قَولِه تَعالى: «(كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ)، (وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ حُكْماً عَرَبِيّاً)»، ثُمَّ انْتَهى بِهِ الحالُ إلى قولِ الشَّاعِرِ:

آمَنْتُ بِالْبَعْثِ رَبّاً لا شَرِيكَ لَه ** وَبِالْعُرُوبَةِ دِيناً مَا لَهُ ثَانِي!!

وقَبَضَ سَامِرِيٌّ (وَطنِيٌّ) قَبْضةً مِن أَثَرِ الرَّسولِ مُنطلِقاً مِن قَوْلِه صلَّى اللهُ عَليهِ وسَلَّمَ عن وَطَنِه مكَّةَ: «عَلِمتُ أَنَّكِ خَيرُ أَرْضِ اللهِ، وَأَحَبُّ الأَرْضِ إِلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَلَوْلَا أَنَّ أَهْلَكِ أَخْرَجُونِي مِنْكِ مَا خَرَجْتُ»، ثُمَّ انْتَهى به الحَالُ إلى: (أَخْرِجُوهُمْ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ»!!

وقَبَضَ سامِرِيٌّ (دِيمقراطيٌّ) قَبْضَةً مِن أَثَرِ الرَّسولِ مُنطَلِقاً مِن قَوْلِه تعالى: «وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ»، ثُمَّ انْتَهى به الحالُ إلى: «مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ»!!

وقَبَضَ سامِرِيٌّ (لِيبراليٌّ) قَبضةً مِن أَثَرِ الرَّسولِ مُنْطلقاً مِن قَوْلِه تعالى: (لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ»، «لَسْتَ عَلَيْهِم بِمُسَيْطِرٍ»، «وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ»، ثُمَّ انْتَهى به الحالُ إلى: «لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا)!!

وإذِ الأَسماءُ لا مُسَمَّيَاتِ لَها، والمُصْطلحَاتُ لا مَعانيَ لها، وإذِ القَوميُّ سَامِرِيٌّ يُحارِبُ دِينَه، والوَطنيُّ سَامِريٌّ يُحارِبُ قَوْمِيَّتَه، والدِّيمقراطيُّ سَامِرِيٌّ يُحارِبُ وَطَنَه، واللِّيبراليُّ سَامِريٌّ يُحارِبُ الحُرِّيَّةَ.. واتَّحَدَ النَّقيضُ مَعَ نَقيضِه لضَربِ مَثِيله، فصِرْنا نَرى قَومياً عُروبِيّاً يَتَّحِدُ مَعَ فارسيٍّ أو عِبريٍّ لِضَرْبِ مَثِيلِه العُروبِيِّ، وإِسْلامِيّاً أُصُولِيّاً يَتَّحِدُ مَعَ الصَّليبيِّ والقَوميِّ والدِّيمُقْراطيِّ لِضَربِ مَثِيلِه الإسلاميِّ، ودِيمُقراطِيّاً لِيبراليّاً يَتَّحِدُ مَعَ أَعْتَى الدِّكْتَاتُورِيَّاتِ العَسكرِيَّةِ والقَبَلِيَّةِ لِضَرْبِ الجميعِ!!

ولم يَسْلَمِ الإسلامُ ذَاته مِن السَّامِرِيَّةِ الَّتي تَسَرَّبَتْ إليه، فَأَنْجَبَتْ فِرَقاً وطَوَائِفَ خَرَجَ بَعْضُها مِن دَائرةِ الإسلامِ بالكُلِّيَّةِ، ثُمَّ تلاعَبَ سَامِرِيُّونَ آخَرُون بما بَقِيَ دَاخِلَ الدَّائرةِ، فحَرَّفُوا الكَلِمَ عَنْ مَواضِعه ونَسُوا حَظَّاً مِمَّا ذُكِّرُوا به، وتَقَطَّعُوا أَمْرَهُم بَيْنَهم زُبُراً كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ!!

وكانَ أَنْ حَصَرَ سَامِريُّو السَّلفيَّةِ وسَامِريُّو الأَشعريَّةِ وسَامِريُّو الصُّوفيَّةِ، ابنَ تَيْمِيَّةَ، والعِزَّ بْنَ عَبْدِ السَّلامِ، وإِبراهيمَ بنَ أَدْهَمَ في العَقيدةِ والكَلامِ والزُّهدِ، وتَنَاسَوْا فيهم ما عَدا ذلك، فإذا قِيلَ لهم: إنَّ هَؤلاءِ الأفذاذَ لَمْ يَضَعُوا أَيْدِيَهم في يَدِ طاغوتٍ قَطُّ، ولَمْ يَرْضَخُوا لمُتَجَبِّرٍ قَطُّ، ولَمْ يُداهِنُوا في العَقيدةِ قَطُّ، ولَمْ يَتَهاوَنُوا في الولاءِ والبراءِ قَطُّ، ولم يَتَوانَوْا في الأَمْرِ بالمعروفِ والنَّهيِ عن المُنْكَرِ قَطُّ، نَفَرُوا ونَخَرُوا كالحُمُرِ المُسْتَنْفِرَةِ فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ، وإِذِ الأَمرُ (إِرْجَاءٌ مَحْضٌ) لا سَلَفِيَّةَ فيه ولا أَشْعَرِيَّةَ ولا صُوفِيَّةَ!!

تَساوَى الثَّلاثةُ في الأَكلِ بالدِّينِ، والتَّلاعُبِ بالعَقيدةِ، والتَّمكينِ لِلمُتَجَبِّرِينَ، والمُشاركةِ في سَفْكِ الدِّماءِ المَعصُومَةِ، وتَوْهينِ أَمْرِ الأُمَّةِ، حتَّى قالَ قائلٌ حَصِيفٌ: «كُنَّا نَظُنُّهم ثَلاثةً يَتَصارَعُونَ، فإذا هُم وَاحدٌ يُحاوِلُ تَكسِيرَ مِرْآتِهِ»!!

فلا يَشْمَخَنَّ أَحَدٌ على أَحَدٍ، ولا يَحْتَكِرَنَّ أَحَدٌ الإسلامَ دُونَ أَحَدٍ، فالثَّلاثةُ -رَغْمَ اختِلافِ أَسمائِهم المُدَّعاةِ- يَمْرَحُونَ في قِدِّ الطَّاغوتِ، ويَدُورُونَ في فَلَكِ الأَنظمةِ، ويَتَخَبَّطُون في صُندوقِ النِّظامِ العالميِّ، وما مَثَلُهم إلَّا كَمَثَلِ

ما رَواه الزَّجَّاجِيُّ في (أَمالِيّه) عن تِلْكُمُ المرأةِ الَّتي تَزَوَّجتْ رَجُلاً اسْمُه (حِمارٌ)، فَحُسُنَ مَوْقِعُها عِندَه، فأَرادَتْه على تَغْيِيرِ اسْمِه، فقال: قد فَعَلْتُ، إِنِّي تَسَمَّيْتُ (بَغلاً)، فقالَتْ: هو أَحسَنُ مِن ذاك، ولكنَّك بَعْدُ في الإِصْطَبْلِ!!

جميعُهم لا يَزالُونَ في الإِصْطَبْلِ -إِصطَبْلِ الطُّغاةِ- والطُّغاةُ يَبْحَثُون دائماً عن ضَعيفِي المُستوى، وقَليلِي القِيمةِ، وعَدِيمِي القُدرَةِ، لِيَصْنَعوا منهم دَوائرَ فَاسِدةً مُفْسِدَةً تُحِيطُ بهم بَعْدَ أن يُدخِلُوهم في (خَلَّاطِ التَّلميعِ الإعلاميِّ) لِيُخرِجُوهم حَامِلِينَ:

أَلْقَابَ مَمْلَكَةٍ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهَا ** كَالْهِرِّ يَحْكِي انْتِفَاخاً صَوْلَةَ الْأَسَدِ

والنَّاسُ تَعرِفُ -حِينَ تُسَلَّطُ الأضواءُ على شَخصٍ بعينِه- أنَّ لَقَباً ما قَد خَلَا مَكانُه ويُبحَثُ له عن حَامِلٍ، أو أنَّ فَارِغاً ما قد أَظَلَّ زَمانُهُ ويُبْحَثُ له عن لقبٍ!!

ولا فرقَ -والحالُ هَذهِ- بيْنَ (مُؤتمرِ جُروزْنِي) الَّذي احتَكَرَ فيه (بَعضُ السَّامِرِيِّينَ) الإسلامَ، وأَخرَجُوا منه بَقِيَّةَ المُسلِمِينَ، وبَينَ مُؤتَمَراتِ (جُدَّةَ، والدَّوْحَةِ، والقَاهرةِ، والرِّباطِ) الَّتي يَحتكِرُ فيها (بَعضُ السَّامِرِيِّينَ) الإسلامَ لِيُخرجوا منه بَقِيَّةَ المُسلِمِينَ، لا فَرْقَ بَينَ الإسلامِ الرُّوسيِّ والإسلامِ الأمريكيِّ، الإِصْطَبْلُ واحدٌ، وإنْ سَكَنَهُ شركاءُ مُتَشاكِسُون!!

ولَئِنْ أَتاهُم -حَديثاً- بوتينُ لِيُعَلِّمَهم أَمْرَ دِينِهم، فقد أَتاهُم -قَديماً- بوشُ،

وكِلينتونُ، ورِيجانُ، وكَارترُ، ونِيكسونُ، ورُوزْفلتُ، ولا يَزالُ الحَبلُ على الجِرارِ.

لقد الْتَقَى مُنذُ أَشهُرٍ بابا الفَاتيكانِ مَعَ بَطْرِيركِ الكَنيسةِ الأُرثوذُكسيَّةِ الرُّوسيَّةِ بَعْدَ قَطيعةٍ دامَتْ ألفَ عامٍ، وكان التَّصريحُ الأبرزُ لِلِّقاءِ هو: وُجوبَ اسْتِعادةِ الوَحدةِ المَسيحيَّةِ لإنقاذِ المَسيحيّينَ الَّذين يُواجهونَ العُنفَ في الشَّرقِ الأوسطِ!! (وأنتُم تَعرِفونَ بالطَّبعِ مَعنى هذا التَّصريحِ)!!

وفي سَبْعينيَّاتِ القرنِ العِشرينَ أَفْتَى الرَّافِضيَّانِ: مُوسى الصَّدر، وحَسَن مَهْدي الشّيرازيُّ، وغَيرُهما مِن مَرجعيَّاتِ الرَّافضةِ بإسلامِ الطَّائفةِ النُّصَيْريَّةِ (طَائفةِ حَافظِ الأسدِ)، وإدخالِها ضِمْنَ الشّيعةِ الاثْنَيْ عَشْريَّةِ، بَعْدَ تكفيرٍ دَامَ أكثَرَ مِن أَلفِ سَنةٍ، وما تَجَرَّأَ رَافضيٌّ قَبْلَهما على إدخالِ هذه الطَّائفةِ -تَحديداً- في دَائرةِ الدِّيانةِ الرَّافِضيَّةِ، فَضلاً عن إدخالِها في دائرةِ الإسلامِ.. ومُنذُ ذلك الحينِ بَدَأَ البُوَيْهيُّونَ الجُدُدُ أو القَرامِطَةُ الجُدُدُ -لا فَرْقَ- في بَذْرِ بَذْرَةِ التَّنظيماتِ الرَّافضيَّةِ المُسَلَّحةِ ابْتِداءً من حَرَكَةِ (أَمَل) -ذاتِ الوَجْهِ العَلمانيّ والقَلْبِ الدِّينيّ- وانْتِهاءً بحِزبِ الشَّيطانِ، ويَعرِفُ الجميعُ ماذا فَعَلَتْ حَرَكةُ أَمَل في لُبنانَ، كما يُعايِشُ الجميعُ الآنَ مَجازِرَ حِزبِ الشَّيطانِ لِلمُسلمينَ في الشَّامِ والعِراقِ، ومُعاوَنَتَه لِلطَّائفةِ الَّتي ظَلُّوا يُكَفِّرونها أَلفَ عامٍ مَضَتْ.. والخِسَّةُ مِن مَعْدِنِها لا تُستَغرَبُ!!

الجميعُ يَتَوَحَّدُ، والجميعُ يُدخِلُ مَعَه مَن ليس مِنه، والجميعُ يَنسَى أو يَتناسَى ثَاراتِ أَلفِ عامٍ في سَبيلِ التَّأسيسِ لنظامٍ عالميٍّ جديدٍ يَبْقى مِئَةَ سنةٍ أُخرى قَابعاً على أَنفاسِ المُسلمينَ وجُثَثِهم وأَشلائِهم.. وإِنّي لَأَعجَبُ واللهِ أَشَدَّ العَجَبِ مِن أُولئكَ الّذين يَدَّعونَ الْتِزامَهم -في نِظامِهم- بشَرعِ اللهِ وسُنَّةِ نَبِيِّه، ثُمَّ يَضرِبون -حتَّى الإسقاطِ- كلَّ تيَّارٍ (سُنِّيٍّ مُعتَدِلٍ!!) يَصِلُ إلى الحُكْمِ مِن حَوْلِهم، فيُحاصِرون أَنفُسَهم بأَعدائِهم.. فإذا وَقَعَتِ الواقعةُ لم يَجِدوا حَوْلَهم إلَّا القَرامِطَةَ والصَّليبيّينَ يَتَلَمَّظُون لِلانْقِضاضِ عليهم!!

ومَن يَدري! لَعَلَّنا نَكتشِفُ في قَابِلِ الأيَّامِ أنَّ أَشَدَّ الجِهاتِ هُجُوماً على هذا المؤتمرِ السَّامِرِيِّ هي ذاتُها الجِهاتُ الرَّاعِيَةُ له!!

لقد خَرَجْنا مِن التِّيهِ، أنا على يقينٍ مِن ذلك..

ولكنَّنا لن نَدخُلَ الأرضَ المُقَدَّسَةَ الَّتي كَتَبَ اللهُ لنا إلَّا بَعْدَ دَفْعِ الثَّمَنِ كاملاً!!

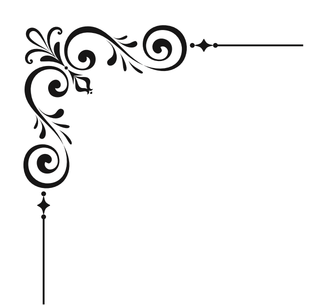
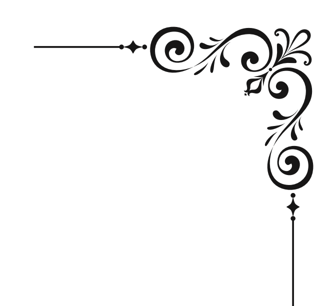
خَرَجْنا مِن تِيهِ الأَيدُلوجيَّاتِ السَّامِرِيَّةِ التي تَساقَطَتْ -وَاقِعِيّاً- أمامَ أَعيُنِنا، فَمَازَ غالبُ النَّاسِ بَينَ الحقِّ والباطلِ، وعَرَفُوا أَنَّهم كانوا يَعيشونَ وَهْمَ الحُرِّيَّةِ ووَهْمَ العَدالةِ ووَهْمَ المساواة.. بَيْدَ أَنَّ الحقَّ -وإنْ ظَهَرَ أَصلُه- فإنَّ أَهْلَه أَخفَى على النَّاسِ مِن إِبرةٍ في كَوْمَةِ قَشٍّ، وكَثْرَةُ المُدَّعِينَ له تَزيدُ أَهْلَه خَفاءً، بل رُبَّما تُعيدُ أَصْلَه إلى حَالَةٍ سَامِرِيَّةٍ جديدةٍ، وما كُلُّ مَن رَفَعَ رَايةً كانَ مِن أَهْلِها، فاحْذَروا أَهْلَ الباطلِ أن يُعيدُوكم في مِلَّتِهم بضِغْثٍ مِن

الحقّ، واعْلَموا أنَّ المَعركَةَ مَعركَةُ تَوحيدٍ، ولا يَتَجَلَّى التَّوحيدُ إلَّا في العُبوديَّةِ الخالصةِ، وقد أَتْعَبَ نَفْسَه مَن بَحَثَ عن الحُرِّيَّةِ والعدلِ والمُساواةِ في غَيْرِ العُبودِيَّةِ لِلَّهِ!!

ولا يَهُولَنَّكُم -مَعَ إخلاصِ التَّوحيدِ بكمالِ العُبودِيَّةِ- عُلُوُّ الباطلِ وكَثْرةُ أَهْلِهِ؛ فإنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عليه وسَلَّمَ لم يُعْطَ مَفاتِيحَ الشَّامِ وفارسَ واليَمنِ إلَّا وهو يَضربُ بِمِعْوَلِهِ صَخرةَ الخَنْدَقِ اسْتِعدَاداً لِحِصارِ الأحزابِ له.. وقد زَاغَتِ الأبصارُ وبَلَغَتِ القُلُوبُ الحَناجِرَ.. بَيْدَ أَنَّ الفِعلَ مِن العَبْدِ والفَاعِلِيَّةِ مِن اللهِ!!

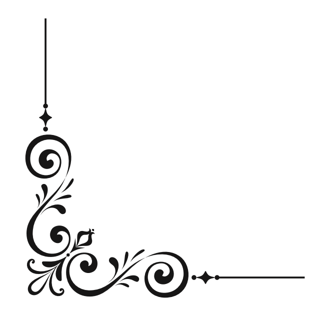
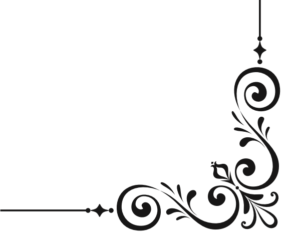
٣ / ذو الحجة / ١٤٣٧هـ

٦ / ٩ / ٢٠١٦م

(١١)

فِي البَدءِ كانَتِ المُفاصَلَةُ

أَولُ النَّصرِ المُفاصلةُ، وأَولُ المُفاصلةِ الابتلاءُ، فإذا ابْتلاكَ فقد هَيَّأكَ للنَّصرِ.. سُنَّةٌ رَبَّانيةٌ لا تكادُ تتخلَّفُ.. وكما يُرسلُ اللهُ رُسُلَه يُرسلُ رَسَائِلَه، وما على العِبادِ سِوى ضَبطِ موجاتِ التَّلقِّي، وقد أَخطأَ التَّلقِّيَ عَن اللهِ مَن لم يَرَ في الابتلاءِ سِوى الابتلاءِ، وإنَّ المُؤمنَ لا يكادُ يَطمئنُّ على مآلِه حتى يُبتَلَى في حَالِه، وفَرقٌ كَبيرٌ -في الحَالِ والمآلِ- بينَ الَّذين قَالُوا حِينَ رَأُوا الأحزاب: (هَذَا مَا وَعَدَنَا اللهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللهُ وَرَسُولُهُ)، وبَينَ الَّذينَ قَالُوا: (مَا وَعَدَنَا اللهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا).

في حَياةِ الأُمَمِ أَزمنةٌ بَيضاءُ نَقيةٌ، لا يَكْمُنُ نَقاؤُها في رَخائِها؛ بل في شِدّتِهَا!!

هي أَزمنةُ تُراكُمِ الوَعيَ كما تُراكُمِ المآسِيَ؛ فإذا تَلاحَقَتِ المآسِي المُتتابِعةُ مع الوَعيِ المُتصاعِدِ وُلِدَتِ المُفَاصَلَةُ.. تلك الأُنثى التي لا تُنجبُ سِوى النَّصرِ!!

لم تَكُنْ (بَدرُ الكُبرى) مُجرَّدَ مَعركةٍ انْتصرَ فيها المُسلمونَ على المُشركينَ؛ بل كانت مُغتسلاً نَفسياً خَالصاً غَسلَ اللهُ فيه نُفوسَهم مِن أَدرانِ الابتلاءِ المَكيِّ.. كانت حَالةً فَريدةً مِن إعادةِ التَّأهيلِ النَّفسيِّ والمَعنويِّ لهم.. فالذين سُحِلُوا في رَمْضَاءِ مَكةَ، وجُلِدُوا في شِعابِها، ووُضِعتِ الصُّخورُ على صُدورِهم في وُديانِها، وطُرِحُوا على الجَمرِ، فلم يُطفِئِ الجَمرَ إلا وَدَكُ ظُهورِهم؛ كانوا

يَحتاجُونَ إلى دَورةٍ نَفسيةٍ مُكثفةٍ تُخبرُهم أنهم يَستطيعُونَ.. وكانت بَدرُ الكُبرى هي تلك الدَّورةَ المُغتَسلَ!!

كان لا بُدَّ لرُوَيْعِيّ الغَنمِ -رَضِيَ اللهُ عنه- أنْ يَرتقيَ ذلك المُرتقَى الصَّعبَ؛ فَيَطَأَ صَدرَ أبي جَهلٍ بِقَدَمَيه ثم يَحتَزُّ رَأسَه.. كان لا بُدَّ لِلعبدِ الحَبَشيِّ -رَضِيَ اللهُ عنه- أن يُجَندِلَ أُمَيَّةَ بن خَلَفٍ.. كان لا بُدَّ لعليٍّ وحَمزَةَ -رَضِيَ اللهُ عنهما- أن يَقتُلا عُتْبَةَ، وشَيْبَةَ، والوَليدَ.. كان لا بُدَّ للذينَ استُضعِفوا أن يَضرِبوا بأَسْيافِهم هَاماتِ الذين اسْتَضعفُوهم ثم يُلقُوهم جِيَفاً نَتِنةً في قَلِيبِ بَدرٍ.. كان لا بُدَّ للمُقَيَّدِينَ السَّابقينَ في بَطحاءِ مَكَّةَ تَحتَ العَذابِ أنْ يُقيِّدوا مُقَيِّدِيهم السَّابقينَ في الحِبالِ أَسْرَى أَذِلَّاءَ يَقتُلُون بَعضَهم، ويَفِدُون بَعضَهم، ويَمُنُّون على بَعضِهم.

وكان لا بُدَّ أنْ يَفعَلُوا كُلَّ ذلك بسلاحِ المُسافِرِ دُونَ عُدَّةٍ أو عَتادٍ -فقد خَرَجُوا خِفافاً لِلقَافلةِ لا لِلحَرَبِ- وهو أَنكَى وأَذَلُّ وأَفضحُ لِلعَدوِّ المُتغطرِسِ الذي غُلِبَ رَغمَ إِعدادِه، وأَقوَى وأَعزُّ وأَشفَى لِصُدورِ المُؤمنينَ الذين غَلَبُوا دُونَ اسْتعدادٍ.

وشِفاءُ الصُّدورِ أَولُ دَرجاتِ العِلاجِ النَّفسيِّ لِلمُستضعفينَ!!

كانت بَدرٌ نَصراً ولم تكنْ فَتحاً.. فَرقٌ كَبيرٌ بَينَ النَّصرِ والفَتحِ!!

حَديثُو العَهدِ بالاستضعافِ قد يُحرِزونَ النَّصرَ إذا أَخذُوا بأَسبابِه، ولكنهم لا يُحرِزونَ الفَتحَ..

الفَتحُ شَيءٌ آخَرُ، دَرجةٌ عُليَا مِن دَرجاتِ العِلاجِ النَّفسيِّ المُعتَمَدِ على تَقَلُّباتِ الوَاقعِ وتَتابُعِ الوَقائعِ..

حَالةٌ مُتقدِّمةٌ مِن الوَعيِ المُفاصِلِيِّ النَّاتِجِ عن الِانصهارِ في أُتُونِ التَّدافُعِ انْتصاراً وانْكساراً..

اسْتنارةٌ عَقليةٌ تَزحفُ شَيئاً فشَيئاً إلى الأَرواحِ والنُّفوسِ فَتَسُلُّها من العَجزِ كما يَنْسَلُّ الفَجرُ مِن السَّحَرِ، وتَسْلَخُها مِن الِاسْتضعافِ كما يَنْسلخُ السَّحَرُ مِن العَتْمَةِ.. ومع كُلِّ حَدَثٍ (مِفْصَلِيٍّ) يَتأسسُ وَعيٌ (مُفاصِلِيٌّ)؛ فتَنفتحُ النُّفوسُ على عَوالِمَ أُخرَى لم تكنْ تَرتادُها، أَحلامٍ أُخرَى لم تكنْ تَأْلَفُها.. ومع كُلِّ حِلمٍ جَديدٍ، يَسَّاقَطُ مِن النُّفوسِ أَثرٌ مِن آثارِ مَرحلةِ الِاستضعافِ، ليَحُلَّ مَحَلَّه أَملٌ مِن آمالِ مَرحلةِ الِاستخلافِ، حتى تَغيمَ المَرحلةُ الأُولى في نُفوسِ أَصحابِها كأنْ لم تَكنْ!!

حِينَها فَقطْ يَحدُثُ الفتحُ!!

(أُحُدٌ، والأَحزابُ، والحُديبيةُ) كانت أَحداثاً مِفصليَّةً أَهَّلَتِ النُّفوسَ لِلفتحِ..

أَقنَعَ المُشركونَ أَنفُسَهم بالنَّصرِ في أُحُدٍ، ثم شَعرُوا بَعدَ قَليلٍ أنه نَصرٌ زَائفٌ.. كانوا لا يَزالونَ يُفكرونَ بِعقليةِ السَّادةِ الذين أَسَّسوا لِلمسلمينَ مَرحلةَ الِاستضعافِ، لم يَتخيَّلوا مُجَرَّدَ وُجودِ مُستَضعَفِيهم السَّابقينَ؛ فضلاً عن أن يَسمحُوا لهم بِدولةٍ وصَولةٍ وشَوكةٍ، ومَنْ كان هذا حَالَه لا يُذهِبُ غَيظَ

قَلبِه سِوَى اسْتئصالِ الشَّأفةِ وإنهاءِ الوُجودِ، فتَجَمَّعُوا لِلأحزابِ عَازِمينَ على إِنهاءِ صُداعِ هذه الشِّرذمةِ المُزمِنِ، فلمَّا خَسِرُوها وتَلاعبتِ الرِّيحُ بخِيامِهم، قَنَعُوا مِن الغَنيمةِ بالإِيابِ.. وشَيئاً فشَيئاً بَدأَتْ تتأَسَّسُ في نُفوسِهم فِكرةُ (التَّغاضِي) وتتساقَطُ فِكرةُ (الاِستئصالِ).. وحَسْبُك بهذا التَّأسيسِ هَزيمةً وانْكساراً.

على الجَانبِ الآخَرِ.. لم يَنتصِرِ المُسلمونَ في أُحُد انتصاراً خَالصاً، ولم يُهزَمُوا هَزيمةً مَحضةً.. كانت أُحدُ هَزَّةً نَفسيةً عَميقةً نَبَّهَتهم إلى أنَّ انْتصارَهم السَّهلَ في بَدرٍ لم يَكنْ نَاتجاً عن عَدَدِهم أو عُدَّتِهم، بل كان أَثراً من آثارِ الاتِّباعِ الكَاملِ والتَّسليمِ الخَالصِ لِلّهِ ولرَسولِه، وأنَّهم في النِّهايةِ بَشرٌ مِن البَشرِ، يُكسَرون كما يَكسِرون ويأَلَمون كما يُؤلِمُون.. وأنَّ الاتِّباعَ الكَاملَ بَعدَ المُفاصَلةِ الخَالصةِ، والتَّسليمَ الخَالصَ بعدَ الإِعدادِ المُمكنِ، هو سِلاحُهم الأَوَّلُ في مُناجَزةِ العَدُوِّ أو مُطاولَته، فَمنِ اتَّبعَ انْتفَعَ، ومَن خَالفَ خُولِفَ عليه.. وكان هذا تأسيساً نفسياً أَوَّلياً لِلفَتحِ.

أمَّا الأحزابُ فكانت ابْتلاءً حَقيقياً بَشِعاً لا يَكادُ يُعرَفُ له مَثيلٌ في تاريخ المُسلمينَ.. ولأَنَّها كانت كَذلكَ، فقد أَسَّستْ في نُفوسِ المُسلمينَ -لأولِ مَرةٍ- فِكرةَ اسْتئصالِ شَأفةِ المُشركينَ وإِنهاءِ وُجودِهم.. لقد تَبادَلوا الأَدوارَ النَّفسيَّةَ الآنَ وبَدأتْ فِكرةُ إِنهاءِ صُداعِ المُشركينَ المُزمِنَ تَتصاعدُ في نُفوسِ المُسلمينَ: هذا الحِصارُ يَجبُ ألَّا يتكرر مَرةً أُخرى.. هذه الشِّدةُ التي

زَاغتْ فيها الأَبصارُ، وبلَغَتْ فيها القلوبُ الحَناجِرَ، وتَلاعبتْ فيها الظُّنونُ بالنُّفوسِ لا يُمكنُ أن يُسمحَ لها بالعَودةِ.. ولأنَّ المَطلوبَ كان أَعظمَ مِن إمكاناتِ الطَّالبِ؛ فقد حَلَّتِ المُطاولةُ في الأَحزابِ مَحَلَّ المُناجَزةِ في أُحُدٍ، ولَعِبَتِ السِّياسةُ والخُدعةُ دَوْرَها في الحَربِ؛ كما تَلعبُ الحَربُ دَوْرَها في السِّياسةِ، ثم انْتَهتِ الشِّدةُ بِتَنظيفِ دَاخلَ البَيتِ مِن رِجْسِ اليَهودِ الذين لا يَطعَنونَ إلَّا في الظَّهرِ.. وكان هذا تَأسيساً نَفسياً آخَرَ لِلفتحِ.

جَاءتِ الحُديبيةُ اخْتباراً أَخيراً في الاتِّباعِ ذَكَّرَهم باختبارِ أُحُدٍ، نَجحُوا فيه جَميعاً بَعدَ لَأْيٍ كما نَجَوْا مِن اختبارِ أُحُدٍ بَعدَ لَأْيٍ أَيضاً.. لقد كانتِ الحُديبيةُ إِلهيةً مَحضةً لا عملَ لِلبشرِ فيها -تَماماً كَبَدرٍ-؛ إِذ مَقاييسُ البَشَرِ تَستبعِدُ انْتصارَ ثَلاثِ مِئةٍ أو يَزيدونَ بِسلاحِ المُسافِرِ، على أَلْفٍ أو يَزيدونَ بِسلاحِ الحَربِ، كما تَستبعِدُ بَتاتاً تلك الشُّروطَ المُجْحِفةَ في الحُديبيةِ.. بَيْدَ أنَّ هذه الشُّروطَ كانت ثُمَالَةَ كَأسِ العَجرَفةِ القُرَشيةِ الغَابرةِ.. رَفْسةَ ذَبيحةٍ تَتَلَبَّطُ في دَمِها قَبلَ الهَدْأَةِ.. شَهْقةَ مَيتٍ أَخيرةً قَبلَ تَسليمِ الرُّوحِ.. لقد مَالتْ بِمكةَ الأَيامُ، وفَقدتْ فِلْذاتِ أَكبادِها، ولم يَعُدْ فيها قُوَّةٌ لِمُطاولةِ المَدينةِ الفَتيَّةِ.. وأَصحابُ المَجدِ الغَابرِ يَحرصونَ قَبلَ السُّقوطِ الأَخيرِ على مَظاهرَ تَافهةٍ يَعرِفونَ -قَبلَ غَيرِهم- أنها كَسَرابٍ بِقِيعةٍ يَلمعُ لِلظمآنِ ثم لا يَروِي ظَمأَه!!

وقَّعتْ قُرَيشٌ على المُعاهدةِ، واعْترفتْ بدَولةِ محمَّد -صَلَّى اللهُ عليه وسَلَّمَ- دُونَ الاعترافِ بنُبوَّتِه.. ولم يَكُنِ المُسلمونَ يَحتاجونَ آنَذاكَ أَكثرَ من هذا..

وكان هذا تَأسيساً نَفسياً أَخيراً لِلفتح!!

أَنتجتِ الحُديبيةُ حَالتينِ نَفسيتينِ مُختلفتينِ: حالةَ قومٍ تَأَجَّجتْ في قُلوبِهم شُعلةُ الفتحِ، فتَشوَّقُوا له، إذ لم يَعُدْ ثَمَّ هَمٌّ سِواه.. وحَالةَ قَومٍ بَهتَتْ في نُفوسِهم ذُبالةُ السِّيادةِ، فقَنعُوا بالاِنتظارِ، إذ لم يَعُدْ ثَمَّ عَملٌ إلَّاه.. وكانَتْ سَنواتِ تَربيةٍ وفُتونٍ هيَّأَ اللهُ فيها كُلَّ طَائفةٍ لقَدَرِها، وسَبَّبَ أَسبابَه بِقَدْرِها.. حتى إذا نَضِجَتِ الثَّمرةُ أَذِنَ بالقَطفِ، ففَتَحَ أَبوابَ مكةَ لِراياتِ التَّوحيدِ.. واللهُ لا يَعجَلُ بِعَجلةِ أَحدِنا.

هكذا يُهيِّئُ اللهُ الأَسبابَ لإِمضاءِ السُّننِ، ومن تَتبَّعَ تَواريخَ الأُممِ والحضاراتِ وَجَدَ -غَالباً- ذاتَ الأَنساقِ بِسياقاتٍ مُختلفةٍ:

(مُفاصلةٌ.. ثم ابْتلاءٌ.. ثم نَصرٌ.. ثم فُتونٌ.. ثم فَتحٌ)!!

وأَيُّما مَرحلةٍ طَالتْ -بَعدَ مَرحلةِ المُفاصلةِ- فَاعلمُوا أنَّ السَّببَ في طُولِها هو غِيابُ المُفاصلةِ ذَاتِها، إذِ المُفاصلةُ هي قَاعدةُ الرَّحى وحَجرُ الزَّاويةِ وأَساسُ البِناءِ، فمن أَسقَطَ المُفاصلةَ وَقَعَ في الِابتلاءِ، ومَن وَقَعَ في الِابتلاءِ دُونَ مُفاصلةٍ، فَسَيَظَلُّ يَتقلبُ بينَ الِابتلاءِ والفُتونِ، ولن يَرى النَّصرَ وإنْ تَوَهَّمَه.

الأُمةُ اليَومَ لا تَحتاجُ إلى المَاءِ والهَواءِ قَدْرَ احْتياجِها إلى المُفاصلةِ!!

إِنَّنا لن نَخرجَ مِن مَرحلةِ الِابتلاءِ حتى نَدخلَ مَرحلةَ المُفاصلةِ، ولن نَدخلَ مَرحلةَ المُفاصلةِ حتى نعرفَ (مَن نَحنُ).. نَحنُ لَسْنا مِصريينَ ولا

سُوريينَ ولا عِراقيينَ ولا سُعوديينَ ولا مَغاربةً، ولا كُلَّ ما يَكبُرُ في نُفوسِنا مِن هذه القَومياتِ والوَطنياتِ التي غَرَسَها في عُقولِنا -ذَاتَ تِيه- (سَايكس وبِيكو).. نَحنُ مُسلمونَ؛ الإِسلامُ شِعارُنا ودِثارُنا، اللّٰهُ رَبُّنا، ومُحَمَّدٌ نَبِيُّنا، ولا إلهَ إلَّا اللّٰهُ مَنهجُ حَياتِنا.

إِيَّاكُمْ أن تَظنُّوا أنه يُمكِنُ لهذه الأُمةِ أن تَنهَضَ لتَدخلَ مَراحلَ السُّننِ الرَّبانيةِ وهي تَعمُل ضِمنَ هذه الأُطُرِ الوَاهيةِ والهُويَّاتِ الزَّائفةِ.. لن تَنجَحُوا أَبداً.. سيَطولُ ابْتلاؤُكم وبَلاؤُكم وفُتونُكم ولن يُباليَ اللّٰهُ بكم في أيِّ وَادٍ هَلَكْتُم حتى تَعرِفوا مَن أَنتمْ، ثم تُفاصِلُوا على أَساسِ هذه المَعرفةِ!!

أَكثرُ من مِئةِ سنةٍ وأَنتمْ تَتقافَزونَ بَينَ هذه الأَنظمةِ؛ تَركُكُم (بِيادَاتُ) العَسكرِ القَوميِّ، إلى نِعالِ أُمراءِ النَّفطِ الأَمريكيِّ، إلى أَحذيةِ مُلوكِ الطَّوائفِ.. لقد صِرتُمْ فِئرانَ تَجارِبَ لم يَبقَ منهجٌ في الأرضِ لم يُجَرَّبْ عليكم.

اكْشفُوا الغِطاءَ عن أَعيُنِكم.. هذه لَيستْ دُولاً، هذه لَيستْ جُيوشاً، هذه لَيستْ مُؤسساتٍ، هذه لَيستْ بَرلماناتٍ، هذه لَيستْ رَاياتٍ، هذه لَيستْ وَزاراتٍ، كلُّ ما حَولَكم وَهمٌ في وَهمٍ!!

لقد تَمَّ بَيعُكم مُنذُ زَمنٍ.. اشْترُوا أَنفُسَكم قَبلَ أن يَبيعَوا أَبناءَكم وأَحفادَكم كما بَاعوكم، أَسقِطُوا هذه الأَنظمةَ؛ فهي العَدُوُّ الأَولُ الذي يَحولُ بَينَكم وبَينَ الدُّخولِ إلى مَراحلِ الفَتحِ.

هذه الأَنظمةُ لَيستْ أَكثرَ من قُوةِ احْتلالٍ أَجنبيةٍ حتى لو غَنَّى مُغَنُّوها:

(حُكَّامُنا من شَعبِنا.. هذا أُخُو وهذا ابنُ عَمٍّ).. لا تُصدِّقُوهم، لقد أَخذُوها بسَيفِ الأَجنبيِّ قَهراً، كما أَخذَ غيرُهم غَيرَها بدَبَّابةِ الأَجنبيِّ قَسْراً.

هذه الأَنظمةُ لَيستْ أَكثرَ مِن وَكيلٍ مَحليٍّ لم يَطلُبْ من سَيدِه الغَربيِّ الكَافرِ سِوى الحُكمِ والتَّحكُّمِ، لِيفتحَ له مَجالَ الأُمةِ العَامَّ، فيَنشُرَ في أَجوائِها أَوبئةً قَاتلةً تَضمنُ تَبعيةَ أَبنائِها بَعدَ الاطمئنانِ إلى تَبعيةِ الوَكيلِ.

أَمريكا لَيستِ العَدُوَّ الأَولَ.. العَدوُّ الأَولُ هُم هَؤلاءِ اللُّصوصُ الذين اسْتخدمتْهم أَمريكا لِوأْدِ ثَوراتِكم.. لا تَستطيعُ أمريكا نَشرَ قُواتِها في كُلِّ بَلدٍ من بُلدانِ الرَّبيعِ العَربيِّ، ولو فَعلَتْ لَهُزِمتْ، فهي تُهزَمُ في كُلِّ حَربٍ تَدخلُها من فِيتنامَ إلى العِراقِ، ولكنَّها تَستخدمُ الوَكيلَ المَحليَّ الذي يَسحَرُ سَحَرَتُه أَعيُنَ الحَمقَى ويَسترهبُهم بمُصطلحات جَوفاءَ عن وَليِّ الأَمرِ، والحَاكِمِ المُتغلبِ، والحُريةِ، والدِّيمقراطيةِ، والأَمنِ، والأَمانِ، والاِستقرارِ، والفَوضى!!

الخِنجرُ المَسمومُ ليس في يَدِ أَمريكا، الخِنجرُ في يَدِ طَويلِ العُمرِ، ووَليِّ الأَمرِ، وعَظمةِ السُّلطانِ، وجَلالةِ المَلكِ، ونَخامةِ الرَّئيسِ، وسُموِّ الأَميرِ، وقَائدِ المَسيرةِ، وبَطلِ الصُّمودِ والتَّصدي.. الخِنجرُ في يَدِ كُلِّ هذه (الأَخطاءِ الفَاحشةِ) التي نَتجَتْ ذاتَ خِيانةٍ من تَلاقُحِ الضِّعَةِ مع الكُفرِ.. أَمريكا لَيستِ الذِّئبَ، وإِنْ كانت، فهي لا تَأكلُكم بالقَدْرِ الذي تَأكلُكم به تلك الأَخطاءُ الفَاحشةُ، وقَديماً قِيلَ: «تَقضِي الأَغنامُ حَياتَها خَائفةً من الذِّئبِ بَينَما لا يَأكلُها سِوى الرَّاعي»!!

أيَّما طَريقٍ وَلَجْتُمُوه قَبلَ أن تُفاصِلوا هذه الأَنظمةَ نَفسياً ثم تُفاصِلوها عَملياً، مَحكومٌ عليه بالفَشلِ، وأيَّما مُفاصلةٍ فَاصلْتُموها لا تَنطلقُ من الدِّينِ مَحكومٌ عليها بالخُسرانِ!!

لقد أَيْقظَتْكم هذه الثَّوراتُ شَيئاً ما، ومن المَعيبِ أن تَعودوا للغَيبوبةِ مَرةً أُخرى، مِن المَعيبِ أَلَّا تَنتبهُوا بَعدَ كُلِّ هذه الدِّماءِ إلى مَكْمَنِ الدَّاءِ وأَصلِ الدَّواءِ، مِنَ المَعيب أن تَبدؤُوا ثَورتَكم بـ(ما لنا غَيرُك يا اللهُ)، ثم تُنهُونها بالانتظارِ في طَوابيرِ البَاصاتِ الخَضراءِ، مِن المَعيبِ أن تَبدؤُوا ثَورتَكم بـ(الشَّعبُ يُريدُ إِسقاطَ النِّظامِ) ثم تُنهونَها بـ(الشَّعبُ يُريدُ الزَّيتَ والسُّكَّرَ)!!

هل تَخافونَ الفَوضَى؟!

ومَن قَالَ لكم إنكم تَعيشُونَ نِظاماً؟!

أنتم تَعيشُونَ الفَوضَى مُذْ وَلدَتْكم أُمهاتُكم، وإِسقاطُكم لهذه الأَنظمةِ هو اسْتعادةٌ للنِّظامِ الحَقيقيِّ وإنْ بَدا لكم في شَكلِ فَوضَى!!

لا بُدَّ مِن دَفعِ الثَّمنِ.. الحُريةُ لَيستْ بالمجَّانِ، والكَرامةُ لَيستْ بالمجَّانِ، ومُجردُ الوُجودِ ليس بالمجَانِ، وإِقامةُ شَرعِ اللهِ في الأَرضِ ليس بالمجَانِ!!

كلُّ دَقيقةٍ تَمرُّ عليكم دُونَ نُهوضِكم لِاستعادةِ النِّظامِ الرَّبانيِّ ستُبقيكُم سَنةً أُخرَى في مُستنقَعِ الفَوضَى الذي تَظنُّونه نِظاماً، وستَدفعُون غَداً أَضعافَ ما تَخشونَ دَفْعَه اليَومَ!!

«إِنَّ الجرُوحَ يُطهِّرُها الكَيُّ

والسَّيفُ يُصْقِلُه الكِيرُ

والخبزُ يُنضِجُه الوَهجُ».

ارْكضُوا نَحوَ ما تَظنونَه فَوضَى فَثمَّ الخَلاصُ!!

فَاصِلُوا كما فَاصَلت المَوصِلُ..

لا تَعرفُ المَوصلُ البَينَ بَينَ.. الوُجوهُ الرَّماديةُ لا تَسكُنُ المَوصلَ، والأَرواحُ المَائيةُ لا تَهفُو إلى المَوصلِ، والنُّفوسُ المُذبذبةُ لا تَحِنُّ إلى المَوصلِ.. في المَوصلِ أمران أَمَرُّهُمَا حُلوٌ: نصرٌ أو شَهادةٌ، حَرٌّ أو قَرٌّ، نَفْحٌ أو لَفْحٌ، نَسيمٌ أو سُمومٌ، جُدُدٌ بِيضٌ أو غَرابيبُ سُودٌ، صَدرٌ دُونَ العَالمَينَ أو قَبرٌ، سَيفٌ في قَلبِ العَدُوِّ، أو قَلبٌ أَمامَ سَيفِ العَدُوِّ.. رُفِعَ الآنَ أَذانُ المُفاصلةِ حَسَبَ التَّوقيتِ المَحَلِّيِّ لِمَدينةِ المَوصلِ وعلى المُخَلَّفِينَ من الأَعرابِ في عَواصِمِ القَهرِ مُراعاةُ فُروقِ التَّوقيتِ!!

الطَّريقُ إلى القُدسِ يَبدأُ من المَوصلِ؛ فإن سَقطَت المَوصلُ فلا قُدسَ لكم!!

الطَّريقُ إلى القَاهرةِ يَبدأُ من المَوصلِ؛ فإن سَقطَت المَوصلُ فلا قَاهرةَ لكم!!

الطَّريقُ إلى الرِّياضِ يَبدأ من المَوصلِ؛ فإن سَقطَت المَوصلُ فلا رِياضَ لكم!!

الطَّريقُ إلى دُبَيٍّ، إلى عَمَّانَ، إلى دِمشقَ، إلى صَنعاءَ، إلى الرِّباطِ، إلى وَاشنطنَ، إلى رُومَا!!

الطَّريقُ إلى أَنفُسِكم يَبدأُ من المَوصلِ؛ فإن سَقطَت المَوصلُ فلن تَجدُوا جَبلاً يَعصمُكم من المَاءِ إذا فَارَ التَّنُّورُ وقُضيَ الأَمرُ وقِيلَ بُعداً للقومِ الظَّالمين!!

لَستُ مُغرماً بتَنزيلِ أَحداثِ الماضي على مُجرَياتِ الحَاضرِ، بَيْدَ أَنِّي لا أَجدُ ثُلَّةً من المُسلمينَ -في السَّنواتِ الحُسُومِ المَاضيةِ- حَقَّقتْ مَعنَى المُفاصلةِ سِواهمْ.. لقد سَبقُونا إلى الدُّخولِ في مَراحلِ السُّننِ الرَّبانيةِ، وإنهم واللهِ لَجَديرونَ بالفَتحِ.. وَيْكأَنَّ مَعركةَ المَوصلِ الأُولى كانت كَمَعركةِ بَدرٍ الكُبرَى (دَورةً مُغْتَسَلاً) غَسلَ اللهُ فيها نُفوسَهم من أَدرانِ الابتلاءِ وأَعلَمَهم أنهم يَستطيعونَ.. ووَيْكأَنَّ هذه الانكساراتِ في السَّنةِ المَاضيةِ كانت انْكساراتٍ (أُحُديةً) ليُصحِّحوا المَسارَ ويُرَشِّدوا الخِطابَ ويَتداركُوا الأَخطاءَ والخَطايَا التي لا تَخلُو منها تَجرِبةٌ إِنسانيةٌ!!

ورُبَّما تكونُ المَعركةُ الدَّائرةُ الآنَ (أَحزاباً) أُخرى اجْتمعَت عليهم فيها مِلَلُ الكُفرِ قَاطبةً؛ ليَستأصلُوا شَأْفَتَهم ويَستبيحُوا بَيضَتَهم ويُنهُوا وُجودَهم، وعسى اللهُ أن يُنهيَها كما أَنهَى الأَحزابَ الأُولَى غَارساً في نُفوسِهم هُم فِكرةَ اسْتئصالِ شَأْفَةِ عَدُوِّهم وعَدُوِّنا، ثم يُتِمَّ عليهم وعلينا الفَتحَ بَعدَ الفُتونِ الذي أَسأَلُ اللهَ أن يَنجُوا في إِدارةِ تَقلُّباتهِ!!

أَعرِفُ أنَّ هذا التَّنزيلَ وأَمثالَه مَسلكٌ وَعْرٍ وأَرضٌ زَلِقةٌ وفَلاةٌ مُسبعَةٌ لا أَسمحُ لنَفسِي بإِطلاقِه مُوقِناً به وجَازماً بصَوابِه، بَيدَ أَنّي أَقرأُ الحَاضرَ مُستنِيراً بالمَاضي مع اعْتبارِ مَساراتِ المَاضِي المُختلفةِ والحَذرِ من دَهاليزِ الحَاضرِ المُظلمةِ.

فإن كَانتِ الأُولى، فإنَّ ذلك مِمَّا يُفرِحُ القَلبَ ويَشفِي الصَّدرَ، وإن كانت -لا قَدَّرَ اللهُ الثَّانيةُ- فإنه لا ييأَسُ مِن رَوحِ اللهِ إلَّا القَومُ الكَافرونَ!!

وما الخرُوجُ من المَوصلِ والانحيازِ إلى الصَّحراءِ بهَزيمةِ حَربٍ، وإن كانت خَسارةَ مَعركةٍ، وإنَّ الذي قَدَّرَ اللهُ له دُخولَها مَرةً لَقادرٌ على دُخولِها وغَيرِها مَراتٍ ومَراتٍ، واللهُ لا يَعجَلُ بعَجلةِ أَحدِنا.

وقد انْتقضَ العربُ بالرِّدةِ بَعدَ رَسولِ اللهِ -صَلَّى اللهُ عليه وسَلَّمَ- ودَخلَ المُسلمونَ مَرةً أُخرَى في مَراحلِ السُّننِ الرَّبانيةِ، فنَجَّاهم اللهُ من الابتلاءِ برَجُلٍ من أَعاجيبِ الدُّنيَا اسمُه أبو بَكرٍ الصِّديقُ، أَصَرَّ على المُفاصلةِ القَاطعةِ والاتِّباعِ الكَاملِ والتَّسليمِ الخَالصِ، فجَمعَ المُرتدِّينَ مع مَانعِي الزَّكاةِ وقَاتلَ الصِّنفينِ، وأَنفَذَ بَعْثَ أُسامةَ، وأَسَّسَ لإِسقاطِ أقوى قُوَّتينِ في وَقتِه: فارسَ والرُّومِ!!

لَستُ خائفاً على هَؤلاءِ الذين اسْتبانَ لهم الطَّريقُ ووَضَحتْ لهم الرَّايةُ، الخَوفُ علينا نَحنُ حِينَ نتعلَّلُ بأَعاليلِ المُبطِلينَ وأَباطيلِ المُرجِفينَ مُنتظرِينَ الرَّايةَ النَّقيةَ!!

وأَخشى أَنَّنا سنَنتظِرُ حتى نَرى شَرَفَ بَناتِنا يَسيلُ بَينَ أَفخاذِهنَّ بفِعلِ رَافضيٍّ حَاقدٍ أو صَليبيٍّ نَجِسٍ.

سنَنتظِرُ حتى نَرى عُلماءَنا تُثقَبُ رؤوسُهم وأَعينُهم وآذانُهم بالمِثقابِ الكَهربائيِّ.. سنَنتظِرُ حتى نرى أَطفالَنا يُذبَحُون من الوَريدِ إلى الوَريدِ أَمامَ أَعينِنا.. سنَنتظرُ حتى نَفترِشَ الأَرضَ ونَلتحِفُ السَّماءَ في مُخيَّماتِ اللُّجوءِ إنْ مَنُّوا علينا بها.. سنَنتظرُ حتى نُصبحَ مَواليَ عند الوَلِيِّ الفَقيهِ يَشفِي بِذُلِّنَا غَيظَ قَلبِه ومَرَضَ نفسِه وعُقَدَ تُراثِه.

حَدِّثُوني وَقتَها عن الرَّايةِ النَّقيةِ، وعن الخَوارجِ، وعن الحَاكِمِ المُتغلِّبِ، وعن وَلِيِّ الأَمرِ الذي يَدفعُ جِراءَه مِن ذَوِي اللِّحَى للتَّباكِي في وَسائلِ الإِعلامِ على مُهَجَّرِي المَوصلِ؛ بَينمَا طَائراتُه وطَائراتُ الكُفارِ تَنطلقُ من أَرضِه لِتَدكَّ المَوصلَ!!

إِنَّ شَرَّ المُخادعينَ الذي يَخدَعُ نَفْسَه.. وأَنتمْ مُنذُ زَمنٍ لا تَخدعونَ إِلَّا أَنفُسَكم.. أيُّ خَوارجَ وأيُّ دَواخلَ.. لقد وَصَلَتِ السِّكينُ لِلعَظمِ!!

مِثاليُّونَ أَنتمْ جِداً.. تَبحثونَ عن الرَّايةِ النَّقيةِ وتَستظلُّونَ برَاياتٍ نُسِجتْ خُيوطُها في مُستنقعٍ!!

مِثاليُّونَ أَنتمْ جِداً.. تَتهمونَ الجَميعَ بالخَارجيةِ فإذا جِئتمْ لوَلِيِّ الأَمرِ الذي ارْتكبَ كُلَّ مُكفِّرٍ في الدُّنيا قُلتمْ: كَما تكونُوا يُوَلَّى عليكم!!

مِثاليُّونَ أَنتمْ جِداً.. تَنتظرونَ الكُفرَ البَواحَ لتُخرجُوا على الحُكامِ.. قَاتلَكُمُ اللهُ.. وهل بَقِيَ في حَظائِرِكم -التي تُسمُّونَها دُوَلاً- كُفرٌ لم يَحْكُمْ أو يَتَحَكَّمْ؟! وهل حَكَمَكُم مُنذُ مِئةِ سَنةٍ أو يَزيدُ سِوى الكُفرِ البَواحِ؟!

كان حَسَنُ البَنَّا خَارجياً.. كان عُمرُ المُختارُ خَارجياً.. كان سَيِّد قُطْب خَارجياً.. كان ابنُ عَبدِ الوَهابِ خَارجياً.. الخَطابيُّ.. خَطَّابٌ.. شَاملٌ.. أُسامةُ.. أَيمنُ.. الزَّرقاويُّ.. السُّوريُّ.. طَالبانُ المَلَّا عُمرُ.. ألم يُتَّهَمْ كلُّ هَؤلاءِ بهذه التُّهمةِ القَذرةِ؟!

أَبَقِيَ أَحَدٌ أَرادَ التَّغييرَ أو أَرادَ المُفاصلةَ أو أَرادَ (بَعضَ مُفاصلةٍ) لم يَتهمْه أَبناءُ الخِيانةِ حُكَّامُكم بالخَارجيةِ؟! ألم يَأْنِ للذين مَنَحَهم اللهُ عُقولاً أن يَفهمُوا أن هذه الخَارجيةَ تُهمةٌ مُعَلَّبةٌ يَرمِي بها كِلابُ السُّلطانِ كُلَّ مَن قَاومَ كُفرَ السُّلطانِ؟!

حَسناً.. هم خَوارجُ!!

كُونُوا أَنتمْ دَواخِلَ وفَاصِلُوا كما فَاصَلُوا.. تَوضَّؤُوا بالدَّمِ مِثلَهم، فإنَّ الزَّمنَ زَمنُ دَمٍ، وليس زَمنَ مُواءَماتٍ!!

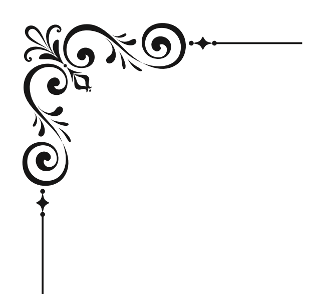
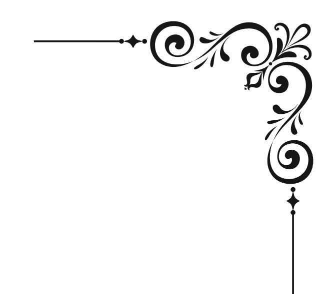
الخَوارجُ لا يَرَوْنَ العَدُوَّ في قَاعاتِ المُؤتمراتِ، ولا رَدَهَاتِ الفَنادقِ، ولا أَمامَ طَاولاتِ المُفاوضاتِ.. الخَوارجُ يَرَوْنَ العَدوَّ في سَاحاتِ المَعاركِ جُثثاً هَامدةً، أو يَراهُمُ العَدوُّ في سَاحاتِ المَعاركِ جَثامِينَ مُبتسِمةً!!

كُونُوا دَواخلَ وتَعلَّموا منهم المُفاصلةَ.. أو تَعَلَّمُوهَا من العَلمانيّينَ الذين لَحَسُوا) كُلَّ دِيمُقراطيَّاتِهم حِينَ وَصلَ الأَمرُ إلى الإِسلامِ.. تَعلَّموا المُفاصلةَ من العَلمانيّينَ إن لم يُعجِبْكُمُ الخوَارجُ.. وَيْكأَنَّ اللهَ يَستهينُ بعَبدِه -حِينَ يَترُكُ شَرعَه- فيُعلِّمه الإيمانَ على يَدِ الكُفَّارِ!!

جَرِّبُوا الخارجيةَ مَرةً وَاحدةً، فرُبَّما تَبدؤُون -حِينَها- العَيشَ كبَشرٍ!!

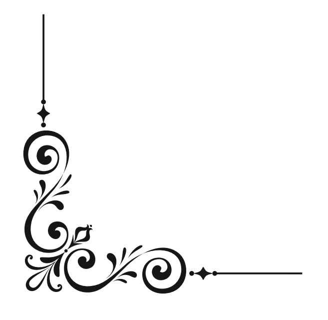
٢١ / ربيع الأول / ١٤٣٨هـ

٢١ / ١٢ / ٢٠١٦م

(١٢)

تَغْرِيبَةُ الأَمِيرِ البَصِيرِ




جَاءَ كالرِّيحِ.. ذَهبَ كالعَاصِفةِ!!

وكالخَرائبِ التي تُخلِّفُها العَواصفُ، خَلَّفَ عُمرُ عبدُ الرَّحمنِ وَراءَه خَرائبَ جَماعاتٍ، وأَطلالَ مَناهجَ، ومَشايخَ كأَعجازِ نَخلٍ خَاويةٍ!!

جَاءَ فِي وَقتِه تَماماً -لا قَبلَه ولا بَعدَه- على فَترةٍ من المُبصرينَ الذين لا تَخلُو الدُّنيَا من أَنوارِهم!!

كان سَيدٌ -رَحمَه اللهُ- حَديثَ عَهد بشَهادة، أَسلمَ الرُّوحَ وسَلَّمَ الرَّايةَ، وتَأَسَّى بإِبراهيمَ والذين معه «إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ».. وكانت الرَّايةُ قد تمزقتْ إلَّا قَليلاً باجتهادِ الذين ارْتأَوْا -مُختارينَ أو مُجبَرينَ- أن يكونُا (دُعاةً لا قُضاةً)، وأَطلَّ زَمنُ الضّغثِ بقَرنيْه، واخْتلطَ الحَقُّ بالبَاطلِ، وسَالتْ أَوديةٌ بقدَرِهَا، واحْتملَ السَّيلُ زَبَداً رَابياً، وكَثُرَ الغُثاءُ حتى لا تكادُ تَجدُ شَيئاً مما ينفعُ النَّاسَ.. وكانت سَنواتُ فُتونٍ رَماديةٌ، فكان عُمرُ عبدُ الرَّحمنِ!!

فِي الطَّريقِ إلى المُفاصلةِ، ستَجدُ اسْمَه!!

فِي الطَّريقِ إلى الوَلاءِ والبَراءِ، ستَجدُ اسْمَه!!

فِي الطَّريقِ إلى الكُفرِ بالطَّاغوتِ، ستَجدُ اسْمَه!!

وبَعدَ خُروجِكَ من التِّيهِ، خُذْ عن يَمينكَ قَليلاً.. ستَجدُه يَنتظرُك مع سَيدٍ، وأُسامةَ، وعَزَّامٍ، وخَطَّابٍ، والمَلا عُمرَ، ويَاسينَ، ورِفاعي سُرورٍ،

وثُلَّةٍ مِن الأَوَّلينَ الذين لم يَفتِلْ شَوارِبَهم الخوَفُ، ولم يَخضِبْ لِحَاهُم دَرءُ المَفاسدِ، ولم يَغسِلْ وُجوهَهُم فِقهُ الوَاقعِ.. كانوا قَدَرَ اللهِ في الأَرضِ، عَاشُوا كما أَرادَ ومَاتُوا كما أَحبَّ.. جَاؤُوا كالرِّيحِ ورَحلُوا كالعَاصفةِ!!

أُولئك -الذين لا يَظهرُون في جِيلٍ وَاحدٍ مَرتين- يَتركُون الدُّنيَا لأَبنائِها وقد صَارَت بَعدَهم غَيرَهَا قَبلَهم!!

في كُلِّ زَمنٍ غُرباءُ، وفي الغُرباءِ خُلَّصٌ يَقبضُون على جَمرِ الحَقيقةِ فيَستنيرُون ويُنيرُون!!

يُعيدُونها جَذَعَةً كأَولِ ظُهورٍ، سَاطعةً كأَولِ بُزوغٍ، صَافيةً كأَولِ دَرٍّ، بَيضاءَ نَقيةً، لَيلُها كنَهارِها لا يَزيغُ عنها إلَّا هَالكٌ، يَحطُّون رِحالَهم على الأَرضِ كأنهم نَزلُوا من السَّماءِ السَّاعةَ، فحَياتُهم مَعَنا حُلمُ نَائمٍ يَعيشُ على الأَرضِ بمَقاييسِ السَّماءِ، وحَياتُنا مَعَهم خَيالُ حَالمٍ يَرَى عَوالمَ السَّماءِ في مَعالِمِ الأَرضِ، فإذا انْتبهُوا عَادُوا إلى سَماواتِهم، وإذا اسْتيقظْنا أَخلدْنا إلى الأَرضِ، ثُم تَبقَى لَذَّةُ الوَجْدِ في حَسْرةِ الفَقدِ، وحَسرةُ الفَقدِ في لَذَّةِ الوَجْدِ، ونحن بَينَهما مَشْدودُون إلى رُوحِ السَّماءِ مَغروسُون في طِينِ الأَرضِ، لا يُفارِقُنا التَّوقُ حتى نَدفَعَ جِزيةَ السَّماءِ عن قَلبٍ ونحن صَاغرُون.. وليس لِلسَّماءِ جِزيةٌ سِوى تَركِ عَلائقِ الأَرضِ!!

هم رُسُلُ الجنَةِ جَاؤُوا لِنَرَى كيف تَكونُ الحَياةُ في الجنَةِ.. يَغرسُون في الدُّنيَا غَرساً من الآخِرةِ، فتُزهِرُ الدُّنيَا بقَدْرِ ما كَتبَ اللهُ لهم فيها من

حَياة، فإذا انتقلُوا جَاءَ آخَرُون فغَرسُوا غَرساً آخَرَ، وهكذا دَوالَيْك، لتَبقَى الدُّنيا مُزهرةً بغِراسِ الآخِرة، فتَتِمَّ الحُجةُ ويَظهرَ الحَقُّ ويَسطَعَ البُرهانُ، ويَظَلَّ الغَرسُ حَبلاً سِرّياً يَربطُ أَهلَ الأَرضِ بأَهلِ السَّماءِ.. وكما أن (الْأَنبِيَاءُ أَوْلَادُ عَلَّات، أُمَّهَاتُهُمْ شَتَّى وَدِينُهُمْ وَاحِدٌ)، فإن وَرثةَ الأنبياءِ أَولادُ عَلَّاتٍ مَصَبَّاتُهم شَتَّى ومَنبعُهم وَاحدٌ!!

وُلِدَ في الأَرضِ..

قُتلَ في أَمريكَا..

إذ أَمريكَا -بما تُبَشِّرُ به من زَيفٍ- لَيستْ قِطعةً من الأَرضِ، بل قِطعةً مِن جَهنَّمَ، كان وُرودُها على الأَميرِ البَصيرِ حَتماً مَقضِيّاً!!

أَنَارَ اللهُ بَصيرتَه بفَقدِ بَصرِه بعَدَ عَشرةِ أَشهُرٍ من وِلادته.. حَفظَ القُرآنَ الكَريمَ بُعَيْدَ العَاشرةِ.. الْتحقَ بالأَزهرِ.. أَنهَى دِراستَه العُليَا أَوائلَ السَّبعينيَّاتِ بَعدَ فَترةِ اعْتقالٍ.. سُجِنَ.. عُذِّبَ.. طُورِدَ.. حُورِبَ.. وفي كُلِّ بَلدٍ حَطَّ فيها رِحالَه تَلقَّتْه الجَاهليةُ بأَحضانِها وتَزيَّنتْ له، فركَلَها بقَدمَيْه!!

«لا تَجوزُ الصَّلاةُ على جَمالِ عَبدِ النَّاصرِ».. هكذا صَرَخَ الفتى فَوقَ المِنبرِ!!

كان عبدُ النَّاصرِ -ذلك المَسخُ المَخذُولُ- قد فَطَسَ للتَّوِّ، وكانوا يَعبدُونه من دُونِ اللهِ أو يكادُون، ومَن عَاشَ سَنواتِ الجَحيمِ النَّاصريةَ سيَفهمُ مَعنَى أن يَصعدَ شَابٌّ -في العِقدِ الثَّالثِ من مُفاصَلتِه- فَوقَ المِنبرِ، ليُعلِنَها مُدوِّيةً:

«لا تَجوزُ الصَّلاةُ على جَمالِ عَبدِ النَّاصرِ».

المُفاصلةُ لَيستْ كَلمةً تُقالُ، بل حَياةً تُحيَا ورُوحاً تُحيِي، ولكي تَفهمَ طَبائعَ نُفوسِ أَصحابِها تَذَكَّرْ أنهم يَعيشُون على الأَرضِ بمَقاييسِ السَّماءِ!!

ستَعرفُ مِن هذه الحَادثةِ شَكلَ الحيَاةِ التي عَاشَها الأَميرُ البَصيرُ، شَكلَ المَسارِ الذي سَارَ فيه، شَكلَ التَّغريبةِ الرُّوحيةِ التي أَعمَتْ بَصرَه ورُوحَه عن مَفاتِنِ جَاهليةِ القَرنِ العِشرينَ، تِلك الجَاهليةُ الطَّاغيةُ التي أَوْقعتْ غَيرَه في شِباكِها، فركَنُوا إليها شَيئاً قَليلاً أو كَثيراً، مَعذورِين أو غَيرَ مَعذورِين.. بَيْدَ أن الذين يَعيشُون في الأَرضِ بمَقاييسِ السَّماءِ يَعلمُون أَنَّ الدُّنيَا كُلَّها لا تَعدِلُ طَرفَةَ عَينٍ مِن (ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ)!!

«لا يُمكنُني أن أُصافِحَ يَداً أَعلمُ أنها أَوْقعتْ أَذًى بمُسلمٍ»!!

هكذا أَسكتَ المَشايخَ الذين رَاودُوه عن مُفاصلتِه ليُقابِلَ رَجُلاً من أَكابِرِ مُجرِميها كان يُباشِرُ تَعذيبَ المُسلمينَ بيَديْه في السُّجونِ!!

شُيوخُ (التَّنميةِ البَشريةِ) الآنَ لا يُصافِحُون سِوى تلك الأَيدي!!

والذين صَدَّعوا رُؤوسَنا بقِصَصِ تَرفُّعِ العُلماءِ عن الدُّخولِ على السَّلاطينِ، جَمَعَتْهُم ابْنةُ القَذَّافي قَديماً لِتسمَعَ منهم القُرآنَ غَضَّاً طَرِيَّاً كما نَزَلَ!!! وتَصيرُ اللِّحَى والعَمائمُ والغُتَرُ -مِن أَجلِ مَصلحةِ الدَّعوةِ- خَواتِمَ وخَلاخيلَ تَتزيَّنُ بها الحَمقاءُ بنتُ الأَحمقِ!!

الذين علَّمونَا أنَّ ابنَ حَنبلٍ، وابنَ تَيميَّةَ، وأَبَا حَنيفةَ، سُجِنوا وجُلِدُوا على كَلمةٍ يَقولُونها أو على صَمتٍ يَصمتُونه، لم يُبقُوا في مَعاجمِ اللُّغةِ كَلمةَ نفاقٍ أو جُملةَ تَزلُّفٍ إلَّا حَبَّرُوها وبُحَّتْ أَصواتُهم بها في طَاعةِ وَليِّ الأَمرِ ومَديحِ طَويلِ العمرِ الذي لولاهم ما طَالَ عُمُرُه في الجوْرِ، ولا تَمَّ أَمرُه في الطُّغيانِ!!

كم هو مُغيظٌ ذلك المثالُ الذي يُريكَ نَقْصَ ابْتداعِكَ في إِمكانيةِ تَحقُّقِ كَمالِ اتّباعِه!! ومَدخولُ النِّيَّةِ لا يَكرَهُ إلَّا مَن يُذَكِّرُه كمالُه بنَقصِه، واعْتدالُه بمَيلِه، ومُفاصلتُه بتَمييعِه، وعَزيمتُه برُخَصِه، والقَادةُ لا يَأخذُون بالرُّخَصِ، ولأَمرٍ ما قَالتِ العَربُ: والضِّدُّ يُظْهِرُ حُسْنَهُ الضِّدُّ!!

في جَزيرةِ مُحمدٍ -صَلَّى اللهُ عليه وسَلَّمَ- اكْتشفَ الخَديعةَ، عَلِمَ أنَّ شَركَ القُصورِ أَقتلُ للتَّوحيدِ مِن شَرَكِ القُبورِ، وأَنَّ عَقيدةَ الوَلاءِ والبَراءِ لَيستْ أَكثرَ مِن «عَبَّادِ شَمسٍ يَميلُ مع السَّيفِ حَيثُ يَميلُ»، وأنَّ شَرعَ اللهِ صَارَ «قَوائمَ مَائدةٍ للتَّواقيعِ أو قَلَماً أو عَصاً في المَراسِمِ»، وأنَّ بِرميلاً وَاحداً مِن النَّفطِ أَذهَبُ لعُقولِ الرِّجالِ مِن بِئرِ خَمرٍ، وأنَّ أَبرهةَ الحَبَشيَّ كان أَقلَّ فَهماً مِن العَمِّ سَامَ الذي رَأى أنَّ (أَمْرَكَةَ) البيتِ الحَرامِ أَجدَى مِن هَدمِه!!

عَادَ إلى مِصرَ ليَرَى نَواطيرَهَا قد نَامتْ عن ثَعالِبِها، ويرَى عَناقيدَهَا -في الانفتاحِ- (سَداحَ مَداحَ)، ويَرَى كَامبَ دِيفيدَ يَبعثُ خُطبةَ الجُمُعةِ للجَامعِ الأَزهرِ، ويَرَى شِنودةَ يُؤَسِّسُ (الأُمةَ القِبطيةَ) و(مَدارسَ الأَحدِ)، ويرَى (كَافورَ) يَتبجحُ مِن أَقصَى حَلقِه بأنه: «لا دِينَ في السِّياسةِ ولا سِياسةَ في الدِّينِ»!!

وحِينَ هَبَّتِ النَّواطيرُ في يَومِ المَنصَّةِ، اقْتِيدَ الأَميرُ البَصيرُ إلى السِّجنِ ثُم إلى قَاعةِ المَحكمةِ ليُعلنَها مُدوِّيةً مَرةً أُخرَى:

«نعمْ.. إنِ الحُكْمُ إلّا للّهِ» كَلمةُ حَقٍ وصدقٍ نَادَى بها مِن قَبلُ الكَريمُ بنُ الكَريمِ بنِ الكَريمِ بنِ الكَريمِ نَبيُّ اللهِ يُوسُفُ بنُ يَعقوبَ بنِ إِسحاقَ بنِ إِبراهيمَ، نَادَى بها مِن دَاخلِ سِجنِه من مِصرَ، ولَم تَمنَعْه قُيودُ السِّجنِ مِن أن يُعلِنَ الحَقَّ.. «إنْ كُنَّا نَحنُ خَوارجَ، فَمن تكونُون أنتم؟ هل تَكونُون عَلياً وأَصحابَه؟ هل كان عليٌّ -رَضيَ اللهُ عنه- مُقتبِساً أَحكامَ شَريعتِه من النَّصارَى واليَهودِ؟! أم كان حُكمُه يَقومُ على الاشْتراكيةِ والدِّيمقراطيةِ؟!»... «ما الذي يَستطيعُ أن يَقولَه مَن يُنَحِّي شَريعةَ اللهِ عن حُكمِ الحَياةِ ويَستبدلُ بها شَريعةَ الجَاهليةِ وحُكْمَ الجَاهليةِ، ويَجعَلُ هَوَاه هو أو هَوَى شَعبٍ من الشُّعوبِ أو هَوَى جِيلٍ من البَشرِ، فَوقَ حُكْمِ اللهِ وفَوقَ شَريعةِ اللهِ؟!».

كان مَوقفَ موتٍ طَلَبَهُ الأَميرُ البَصيرُ وانغمسَ فيه، تَماماً كما طَلَبَه ابنُ تَيَّمِيَّةَ وانْغمَسَ فيه:

«يا فُلانُ، أَوْقِفْني مَوقفَ المَوتِ».. هكذا هَتَفَ ابنُ تَيمِيَّةَ بأَحَدِ القَادةِ في مَعركةِ (مَرجِ الصُّفَّرِ)، فَسَاقَهُ القَائدُ إلى مُقابَلةِ العَدُوِّ وهم مُنحدِرُون كالسَّيلِ تَلُوحُ أَسلحتُهم من تَحتِ الغُبارِ المُنعقدِ عليهم، ثُم قَالَ له: يا سَيِّدي، هذا مَوقفُ المَوتِ، وهذا العَدوُّ قد أَقبَلَ تَحتَ هذه الغُبَرةِ المُنعقدةِ، فدُونَك ما تُريدُ، قال: فرَفَعَ طَرْفَهُ إلى السَّماءِ وأَشخَصَ بَصَرَه، وحَرَّكَ شَفتَيْه طَويلاً، ثُم انْبعَثَ وأَقدَمَ على القتالِ!!

تَخيَّلُوا ابنَ تَيميَّةَ تَحتَ تلك العَجَاجةِ يَستقبلُ جُموعَ التَّتارِ الذين لم يَقِفْ في وَجهِهم شَيءٌ، تَخيَّلُوا الشَّيخَ الجَلِيلَ يَضرِبُ بسَيفِه يَمْنَةً ويَسْرَةً، تَخيَّلُوا صَاحِبَ القَلمِ وقد أَلقَى القَلمَ ليَمتَشِقَ الحُسامَ.

إنَّ الصُّورةَ النَّمطيةَ التي رَوَّجُوها لابنِ تَيميَّةَ لَتَستعصِي على مُفارَقةِ الأَذهانِ لِتَحُلَّ مَحَلَّها صُورةُ الفَارسِ الذي يَطعَنُ ويُطعَنُ.. وَيكأَنَّ إِبعادَ هذه الصُّورةِ عن الأَذهانِ مَقصودٌ لِذَاتِه!!

وَقَفَ ابنُ تَيميَّةَ مَوقِفَ المَوتِ، كما وَقَفَ الأَميرُ البَصيرُ مَوقِفَ المَوتِ، كما وَقَفَ سَيِّدٌ مَوقِفَ المَوتِ، كما وَقَفَ ابنُ حَنبلٍ مَوقِفَ المَوتِ، كما وَقَفَ أَحمدُ بنُ نَصرٍ الخُزاعيُّ مَوقِفَ المَوتِ، كما وَقَفَ كلُّ الرَّبَّانيِّينَ مَوقِفَ المَوتِ، ولو سَارَ لَعَقَةُ المَوائدِ -مِن شُيوخِ الفِتنةِ- على سَنَنِ هؤلاءِ الرَّبَّانيِّينَ، ما ارتَفَعَ للبَاطلِ رَايةٌ ولا حَقَّقَ الطَّاغوتُ غَايةً، بيدَ أَنَّ مُصطلحاتِ (الخَوارجِ والبُغاةِ والغُلاةِ) قَريبةُ المُتناوَلِ يَسيرةُ التَّبعاتِ هَيِّنةُ التَّكاليفِ، لا يَجِدُ المُتكئُونَ على أَرائِكِهم مُسَوِّغاً لاتِّكائِهم أَسهلَ ولا أَيسرَ منها.. هي عِلْكَةٌ حُلْوَةٌ تَعلُكُها حَميرُ العِلمِ التي تَحملُ الأَسفارَ وتُراكِمُ الدُّولارَ، ثُم تَبصُقُها في وُجوهِ النَّاسِ بما حَمَلَتْ مِن مَرارةِ أَجوافِهم، وكُلَّما اشْتدَّتِ المَرارةُ ارتَفَعَتْ عُضويةُ هَؤلاءِ في الهَيئاتِ العَالميةِ لعُلماءِ المُسلمينَ، وفي المَجالسِ العُليا لشُورَى الطَّواغيتِ، وفي المُؤتمراتِ العِلميةِ لتَعريفِ الإسلامِ الوَسطيِّ الذي يَقبَلُ كُلَّ كُفَّارِ الأَرضِ لِإرضاءِ كُلِّ كُفَّارِ الأَرضِ!!

وقَديماً وَقفَتْ مُسوخُ بِلِحَىً تُبايِعُ مُوسوليني أَميراً للمُؤمنينَ وتَتبرَّأُ من الخَارجيِّ عُمرَ المُختارِ!!

في بيشاورَ وأَفغانستانَ تَلا الأَميرُ البَصيرُ سُورةَ الحُجُراتِ مِراراً وتَكراراً..

كانتْ «وَإِنْ طَائِفَتَانِ» هِجِّيرَاه في مُحاولاتِه اليَائسةِ لإصلاحِ ما أَفسدَه المُمَوِّلُ في نُفوسِ المُجاهدينَ أو الذين كُنَّا نَظُنُّهم مُجاهِدينَ.. بَيْدَ أَنَّ المُموِّلَ كان أَذكى وأَقدَرَ حِينَ أَحسنَ قَطْعَ الشَّجرةِ باسْتخدامِ غُصنٍ من أَغصانِها.. وكما يَحدُثُ الآنَ في (شَامِ الفَصائلِ) حَدثَ قَديماً في (أَفغانستانِ المُجاهدينَ) حَذْوَكَ الحَقارةِ بالحَقارةِ، والخِيانةِ بالخِيانةِ، والكُفرِ بالكُفرِ!!

في السُّودانِ.. حَصلَ على التَّأْشيرةِ الأَمريكيةِ.. كان هذا من الغَرائِبِ، وَظَلَّ السُّؤالُ الذي أَثارَتْه الصَّحافةُ الأَمريكيةُ لَاحقاً عن حُصولِ الأَميرِ البَصيرِ على التَّأْشيرةِ بَينَما اسمُه على لَائحةِ الإِرهابِ حَائراً بلا إِجابةٍ!!

هل خُدعَ الأَميرُ البَصيرُ؟!

هذا أَغلبُ الظَّنِّ، إلى أن يَظهرَ شَيءٌ آخَرُ!!

ولأَنَّ الدِّيكتاتوريةَ العَسكريةَ الفَاجرةَ كالدِّيمقراطيةِ اللِّيبراليةِ الكَافرةِ، لا فَرقَ بَينَهما في الكُفرِ والفُجرِ، فقد أَلقَى الأَميرُ البَصيرُ عَصَا التَّرحالِ في سُجونِ الدِّيمقراطيةِ الأَمريكيةِ، مع رَمزيةٍ عَاليةِ الجَودةِ: أَنَّ هذا مِن ذَاكَ وذَاكَ مِن هذا، لا فَرقَ بَينَ نِظامَينِ كَافرَينِ فَاجرَينِ يَقتُلُك أَحدُهما بقَانونٍ مُفتَعَلٍ، بَينَما يَقتلُك الآخَرُ خَارجَ القَانونِ!!

رَجعَتِ الدِّيمقراطيةُ الغَربيةُ إلى أَصلِها الحَقيرِ حِينَ تَتعامَلُ مع المُسلمينَ عَامَّةً ومع المُفاصلِينَ منهم خَاصَّةً!!

وَصَلَ الأَمرُ برَامزي كِلارك -وَزيرِ العَدلِ الأَمريكيِّ الأَسبقِ ومُحامي الشَّيخ- أن يَقولَ: «لا أَعتقدُ أنَّه كان يُوجَدُ أَيُّ دَليلٍ ضِدَّ عُمرَ عبدِ الرَّحمنِ؛ بل كان هناك أَحدُ الجَواسيسِ يَعمَلُ لمَصلحةِ الِاستخباراتِ الأَميركيَّةِ؛ أَوقَعَ به».

أَمَّا القَانونُ الإِداريُّ الخَاصُّ الذي طُبِّقَ على الأَميرِ البَصيرِ فقد قال عنه كِلاركُ: «هي وَثيقةٌ مُتفرِّدةٌ لم أَرَ مَثيلاً لها في أيَّةِ قَضيَّةٍ مِن قَبلُ؛ فهي تُحَجِّمُ عَملَ المُحامينَ الخَاصِّينَ بالشَّيخِ الذين لم يَتبَقَّ منهم أَحدٌ غَيري».

لقد اتَّفقَتِ الدِّيكتاتوريَّتانِ -العَسكريةُ والدِّيمقراطيةُ- على الأَميرِ البَصيرِ، وحِيكَتْ خُيوطُ المُؤامرةِ بدِقَّةٍ، وصَدرَ الحُكمُ السِّياسيُّ في المَكتبِ البَيضاويِّ قَبلَ أن يَصدُرَ في قَاعةِ مَحكمةٍ مُنحازَةٍ لا فَرقَ بَينَها وبَينَ مَحاكِمِ أَمنِ الدَّولةِ السُّفلَى في الأَكشاكِ العَربيةِ، وأُلقِيَ الشَّيخُ المُصابُ بسَرطانِ البَنْكرياسِ، والسُّكريِّ، والرُّوماتيزمِ، والصُّداعِ المُزمنِ، والضَّغطِ، وبَعضِ أَمراضِ القَلبِ، مع عَدمِ القُدرةِ على الحركةِ إلَّا على كُرسيٍّ مُتحرِّكٍ.. أُلقِيَ في زِنزانةٍ انْفراديةٍ، وقُطِعَت اتِّصالاتُه بالعَالَمِ الخَارجيِّ تَماماً، وكان نَصيبُ (لين ستيوارت) النَّاشطةِ الحُقوقيةِ ومُحاميةِ الشَّيخِ عَشرَ سَنواتٍ في السِّجنِ لِمُجرَّدِ تَوصيلِ رِسالةٍ إلى أَهلِه وبَعضِ تَلاميذِه، ثم أَخرَجُوها بَعدَ ذلك لدَواعٍ صِحيَّةٍ

فَاقدةً لشَهادةِ مُزاولةِ المِهنةِ!!

هذا كَثيرٌ.. كَثيرٌ جداً!!

إنَّه لا يُمكِنُ لإِنسانٍ مَهما بَلَغَ اتّساعُ خَيالِه أن يَصلَ إلى تَخيُّلِ تلك الحَالَةِ التي كان يَعيشُها الأَميرُ البَصيرُ في تلك الزِنزانةِ الانفراديةِ لأكثرَ مِن عِشرينَ سَنةً مع كُلِّ تلك الأَمراضِ!!

لم يَكُنْ رَهينَ محبسَينِ، بل محَابِسَ.. ولم يَكُنْ سِجنُه الدِّيمقراطيُّ -والحَالَةُ هذه- يَختلِفُ كَثيراً عن (تَزمامارتَ)، و(تَدمُرَ)، و(صِيدنايَا)، و(الحَربيِّ)، و(العَقربِ).

كان على الأَميرِ البَصيرِ ألَّا يَدخلَ تلك البِلادَ إلَّا غَازياً، بَيدَ أنَّ ظَنَّه الحُريةَ والعَدالةَ في تلك البِلادِ رُبَّما قَلَّلَ شَيئاً ما من إِحساسِه -رَحمَه اللهُ- بما يَحمِلُ مِن مُفاصَلةٍ لا يُمكِنُ أن تَحتملَها تلك الدِّيمقراطيةُ الكَافرةُ، وأَقدارُ اللهِ غَالبةٌ، وقَديماً ظَنَّ يُوسُفُ -عليه السَّلامُ- أنَّ ذِكْرَ ذلك النَّاجي له عِندَ رَبِّه رُبَّما يُنْجِيه من اللُّبْثِ في السِّجنِ بِضعَ سِنينَ!!

ولَيتَ المُتخبِّطينَ -حتى الآنَ وبَعدَ كُلِّ ما جَرَى- في مُستنقَعِ الدِّيمقراطيةِ يَرحُمون أَنفُسَهم من الرَّكضِ وَراءَ السَّرابِ، إن لم يَرحمُوا مَن وَراءَهم!!

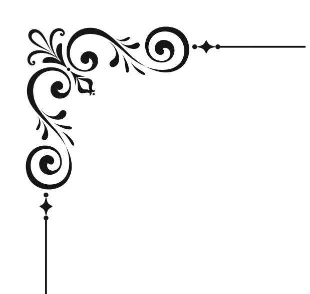
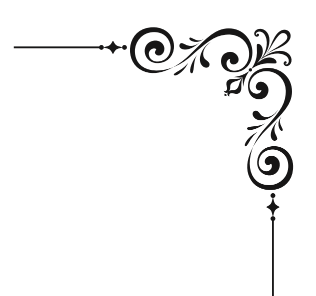
إنَّ الدِّيمقراطيةَ الأَمريكيةَ لم تَحتمِلْ (مُفاصِليَّاً) وَاحداً يَعلَمُ أنه لا يَجتمعُ الإِسلامُ بنُسختِه الأَصليةِ مع الدِّيمقراطيةِ بنُسختِها الحَقيقيةِ في قَلبِ مُؤمنٍ أَبداً، بَينَما احتَملَتْ؛ بل وتَزيَّنَتْ بعَشراتِ ومِئاتِ اللِّحَى التي خَدَعَتْ

نَفسَها -ومَن وَراءَها- بآليَّاتِ الصُّندوقِ وتَفاصيلِ القَوانينِ التي يُمكِنُ أن تُوجَدَ في الدِّيمقراطيةِ كما يُمكِنُ أن توجَدَ في غَيرِها.. وما كانت الدِّيمقراطيةُ الفَاجرةُ مع الأَميرِ البَصيرِ أَكثرَ مِن امْرأةِ عَزيزٍ قَدَّتْ قَميصَه مِن دُبُرٍ، فَظَنَّتْ أنها أَدركَتْه، بَينَما وَسَمَتْه بِوَسمِ البَراءَةِ!!

لقد عَادَ الأَميرُ البَصيرُ إلى سَماواتِه مُخَلّفاً وَراءَه أَسئلةَ المُفاصلةِ بلا أَجوبةٍ، وأَخلَدْنَا نحن إلى الأَرضِ نُجَعجِعُ بتَفاهاتِ الدِّيمقراطيةِ بلا طَحنٍ، وتَأَصَّلَ زَمنُ الفُسْطاطَينِ حتى لم يَعُدِ النَّاسُ يَرَوْن سوى الإِيمانِ الأَبلجِ أو الكُفرِ اللَّجْلَجِ، وعَادتِ الأُممُ مِن حيث بَدأتْ، تَعَضُّ على أُصولِها بالنَّواجذِ وتَترُكُ مُحْدَثاتِ الأُمورِ، ونَحنُ كما نَحنُ: كُلَّما أَردنَا أن نَخرُجَ من غَمٍّ أَعادَنَا بَعضُنا في غُمَمٍ.. ومَن لم يَأتِ عَاصفةً جاءَ زَبداً، ومَنْ جاءَ زَبَداً ذَهَبَ جُفَاءً!!

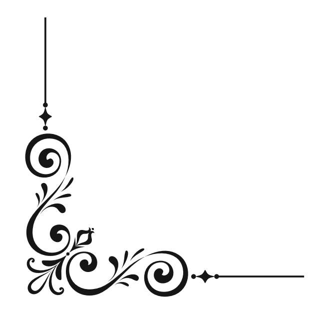
٢٩ / جُمادى الأولى / ١٤٣٨هـ

٢٦ / ٢ / ٢٠١٧م

(١٣)

رِسالةٌ إلى الأَشْعَثِ الأَغْبَرِ




لا يَأْسَ ولا فَرَحَ.. اليَأْسُ كُفرٌ، واللهُ لا يُحِبُّ الفَرِحينَ!!

مَدارُ الأَمرِ على العَملِ والثَّباتِ، مِن العَارِ أن تَستسلِمَ حِينَ الهَزيمةِ، ومِن خَطَلِ الرَّأيِ أن تغفلَ حِينَ الانتصارِ.. القِيامةُ لن تَقومَ غداً، وأنتَ لستَ صَاحبَ الفَسيلةِ، فإن كُنْتَ صَاحِبَهَا فَاغرِسْهَا، وإن لم تَكُنْه فَلا تَذهَبْ نَفْسُكَ على كَبوةٍ حَسَراتٍ؛ في الزَّمانِ مُتَّسعٌ للتَّدبيرِ كما في المَكانِ مُتَّسَعٌ للحَركةِ.. أنتَ على الطَّريقِ ما دُمتَ حَيَّاً، رَاجِعْ ولا تَتَرَاجَعْ؛ فإنْ خُيِّرتَ بين المُرَّينِ فَكُنْ لَحْمَ السيفِ ولا تَكُنْ بَقِيَّتَهْ!!

لم يَفْهَمْهُم سِواكَ، ولم يَفهمْكَ سِواهُم؛ أُولئكَ الذين ظَنُّوا أَنَّهم امْتلكُوا سُلطانَ المَوتِ على رُوحِ الحيَاةِ، (فَاسْتَكْبَرُوا فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً).. جَاؤُوا من كُهوفِ الخرابِ كما تَأْتي الطَّواعينُ والأَوبئةُ: نُفوساً مُظلِمةً تَعَتَّقَتْ في دَرَكَاتِ جَهنَّمَ، وأَرواحاً مُحرِقةً تَطايرَتْ من زَفَرَاتِ جَهنَّمَ، وأَجساداً مُنتِنةً نَبَتَتْ من طِينةِ خَبالِ جَهنَّمَ، ثم تَجَسَّدوا وُحوشاً في هَيئةِ بَشرٍ: من (أُوربانَ الثَّاني) إلى (بَات رُوبرتسونَ)، ومن (مِيكافيلِّي) إلى (كِيسنجرَ)، ومن (شيلوك) إلى (مليتون فريدمان)، ومن (ليوبولد الثَّاني) إلى (رامسفيلد)، وكأنهم كانوا مَقصِدَ مَلائكةِ اللهِ حِينَ قالوا: (أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ)؟!!

ولأنَّ «على هذه الأَرضِ ما يَستحِقُّ الحيَاةَ»، جِئتَ أَنتَ مِنْ أَقصَى المَدائنِ تَسعَى، أَشعثَ أَغبرَ، تَدفعُكَ الأَبوابُ، وتَخلعُكَ القَبائلُ، ويأتمِرُ بك المَلأُ، دَمُكَ وَضُوؤُك، وآيةُ السَّيفِ فَاتحةُ صَلاتك، ورُوحُكَ زَكاةُ رُوحِك، وحَجُّكَ هَيعَةٌ كُلَّما سَمِعتَها طِرتَ إليها، مِيقاتُها ثُكْنَةٌ تُدكُّ، أو قَلعةٌ تُقتَحَمُ، أو مُفَخَّخَةٌ تَتبختَرُ بها إلى الخُلودِ!!

جِئتَ على فَترةٍ من السَّيفِ أَبْصَرَ مِن زَرقاءِ اليَمامةِ، تَرى الخِيانةَ فتَقولُ: خِيانةٌ، ولا تَجتهدُ، وتَرى الكُفرَ فتَقولُ: كُفرٌ، ولا تَتأَوَّلُ، جِئتَ قِصاصاً يُحْيِي، وقَتلاً يَنفِي القَتلَ، ورَحمةً تَصُبُّ كَوثرَ التَّوحيدِ على رُؤوسِ المُدَنَّسِينَ في مُستنقَعِ الدِّيمقراطيةِ، (تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا)، وتُلبِسُهم أَردِيةَ العُبوديةِ بَيضاءَ نَقيةً، وتُقلِّدُهم سَيفَ المُفاصلةِ كشِهابِ نَارٍ مِنْ قَبَسِ نُورٍ، فكأَنَّك كُنتَ رَدَّ اللهِ على مَلائكتِه: (إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ)!!

وَحدكَ أيُّها الأَشعثُ الأَغبرُ فهِمتَ المُعادلةَ، وَحدكَ رَأيتَ المَلِكَ عَارياً، وَحدكَ كَشَفتَ فَأرَ السَّدِّ، ودَابةَ المِنسَأةِ، وتَسويلَ نَفْسِ السَّامرِيِّ!!

لم يَخدعْك بَريقُ الدِّيمقراطيةِ الزّائفُ، ولا زَهْوُ القَوميةِ الكَاذبُ، ولا شِعاراتُ الوَطنيةِ الجوفاءُ.. رَأيتَ (سَايكسَ) يَرسُمُ أَعلامَنا في عِشرينَ دَقيقةً لنَرفعَها نحن مِئةَ سَنةٍ ونَموتَ من أَجلِها فَرِحينَ بوَهمِ الدَّولةِ، رَأيتَ (كُوكسَ) يَضربُ في القَلبِ ويَرسُمُ حُدودَ جَزيرةِ مُحمدٍ -صلَّى اللهُ عليه وسَلَّمَ- وأَرواحُ الأَنصارِ -الذين أَنِفُوا أن يُعطُوا ثُلُثَ تُمورِ المَدِينةِ لأَمثالِهم من

العَرَبِ- تزفِرُ في البَقيعِ غَضباً على الذين أَعطَوُا الطَّارِفَ والتَّليدَ لأَعدائِهم من العَجمِ، رَأيتَ خَلْفَ كُلِّ عسكريٍّ (مَايلز كُوبلاند) يَصنعُ زَعيماً خَالداً ذِكْرُهُ في الهَزائِمِ والنَّكساتِ، رَأيتَ تَحتَ كُلِّ عِمامةٍ سَوداءَ خُمَيْنِيّاً أَسودَ القَلبِ يَرفعُ رَاياتِ الحُسينِ على رِماحٍ قد ارتَوتْ من دِماءِ الحُسينِ!!

رَأيتَ في كُلِّ حَاكمٍ لِصاً، وفي كُلِّ حُكومةٍ عِصابةً، وفي كُلِّ دَولةٍ خَرابةً، وفي كُلِّ مُستشرِقٍ جَاسوساً، وفي كُلِّ مَركزِ أَبحاثٍ حِصانَ طِرْوَادَةَ، وفي كُلِّ حَمامةِ سَلامٍ أَباتشي، وفي كُلِّ غُصنِ زَيتونٍ مِشطَ رَصاصٍ، وفي كُلِّ تِمثالِ حُريةٍ فَروةَ رَأسٍ مَنزوعةً لِهنديٍّ أَحمرَ!!

رَأيتَ ورَأَوْا أَنكَ رَأيتَ، فَهِمتَهُم وفَهِموكَ، حتى إذا كَبُرَ عليهم مَقامُكَ وتَذكيرُكَ بآيةِ السَّيفِ، اسْتيأَسُوا منكَ فأَجمعُوا أَمْرَهم وشُركاءَهم وخَلَصُوا نَجِياً، قَالَ كَبيرُهم: خَارِجيٌّ.. ثُم انطلقَتْ أَبواقُ السُّوءِ تَصُمُّ آذانَ العَامَّةِ، ودَارَتْ رَحى الأَكاذيبِ تطحَنُ عُقولَ الخَاصةِ، وإِذْ أنتَ بَينَ الأَبواقِ والرَّحَى وَاسطةُ عِقدٍ في سِلسلةٍ ذَهبيةٍ من الذين قَالَ اللهُ فيهم: (وَكَأَيِّن مِّنْ نَّبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَآ أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ).

اللهُ يُحبُّ الصَّابرينَ فلا تيأَسْ!!

لا يَأسَ اليومَ ولا مَخيلةَ غَداً، اليومَ أَمرٌ وغَداً أُمورٌ..

لَمْلِمْ جِراحَك واعْصِفْ بمَجزَرةٍ أُخرَى..

الحِكمةُ -الآنَ- لَيستْ ضَالَّةَ المُؤمنِ؛ بل القُنبلةَ!!

قَاتِلْ للأَمرِ ولا تُقاتلْ للنَّصرِ، مَنْ قَاتَلَ للنَّصرِ فكأَنَّما اشْترطَ على اللهِ، واللهُ لا يُشتَرَطُ عليه، فإنْ أَدركتَ النَّصرَ فقد نَعِمْتَ في الدُّنيَا بتَنفيذِ أَمرِه، وإنْ عُوجِلتَ دُونَه فقد نَعِمتَ في الآخِرةِ لتنفيذِ أَمرِه، ومَا على مُتقلِّبٍ بَيَنَ نَعيمَينِ بَأساءُ!!

«ما لا تَستطيعُ إِنجازَه بالعُنفِ تَستطيعُ إِنجازَه بعُنفٍ أَكبرَ»!!

هكذا يَقولُ الرُّوسُ وهكذا يَفعلُون، هكذا يُفكِّرُ الأَمريكانُ وهكذا يَفعلُون، هذه هي الدُّنيَا، بُنِيتْ على المُدافعةِ وقَامتْ على الصِّراعِ، من العَبثِ أن تُكَلِّفَهَا ضِدَّ طِباعِها، ومن الحُمقِ أن تَقضيَ عُمرَك في العَبثِ!!

العظيمُ الذي قَالَ له عَمُّه: «تَباً لكَ سَائرَ هذا اليَومِ، أَلهذا جَمعْتَنا؟!».. هو نَفْسُه -صلَّى اللهُ عليه وسَلَّمَ- الذي قَالَ أبو سُفيانَ لِعَمِّه بَعدَ سَنواتٍ: «لقد صَارَ مُلْكُ ابنِ أَخيكَ عَظِيماً»، والصِّدِّيقُ الذي مَنعُوه عِقالاً كانوا يُؤَدُّونه إلى رَسولِ اللهِ -صلَّى اللهُ عليه وسَلَّمَ-، لم يُرسِلْ لهم أبا ذَرٍّ لِيُناقشَهم بالحِكمةِ والمَوعظةِ الحَسنةِ، بل أَرسَلَ لهم سَيفَ اللهِ ليَفتتحَ المَجزرةَ!!

ومُسْتَكْبِرٍ لَمْ يَعْرِفِ اللهَ سَاعَةً ** رَأَى سَيْفَهُ فِي كَفِّهِ فَتَشَهَّدَا

هكذا قَالَ سَيدُ شُعراءِ الدُّنيَا قَديماً.. وأَقدمُ منه قَولُ أَبي مُسْلِمِ الخُراسانِيّ (صَاحِبِ الدَّولةِ العَباسيةِ) حِينَ جاءَه كِتَابُ عَبدِ الحَميدِ (كَاتبِ الدَّولةِ الأُمويةِ)، فَخَشِيَ على نَفسِه من بَلاغةِ عَبدِ الحَميد -حِينَ كَانتِ البَلاغةُ تَقتُلُ أَهلَ العُقولِ-، فضَرَبَ الكِتَابَ بسَيفِه قَبلَ أن يَقرأَه، ثم أَنشأَ يَقولُ:

مَحَا السَّيْفُ أَسْطَارَ الْبَلَاغَةِ وَانْتَحَى * عَلَيْكَ لُيُوثُ الْغَابِ مِنْ كُلِّ جَانِبِ

لم يَقُلِ الخُراسانيُّ شِعراً قبلَه ولا بَعدَه.. كان بَيتاً يَتيماً قَالَه ذَاتَ حَزمٍ، ثم يَتَّمَ بَعدَه آلافَ الأَطفالِ، لأنَّ آبَاءَهم لم يكونُوا على اسْتعدادٍ لفَهمِ طَبيعةِ السُّننِ الرَّبانيةِ في صُعودِ الدُّولِ وسُقوطِها!!

آخِرُ الدَّواءِ الكَيُّ..

وَمَا نَيْلُ الْمَطَالِبِ بِالتَّمَنِّي ** وَلَكِنْ تُؤْخَذُ الدُّنْيَا غِلَابَا

الأُمويُّونَ، العَبَّاسيُّونَ، العُثمانيُّونَ، الفَاطميُّونَ، الأَيُّوبيُّونَ، المَماليكُ، الأَغالبةُ، الأَدارسةُ، البُوَيْهِيُّونَ، السَّلاجقةُ.. لن تَجدَ دَولةً قَامتْ وتَسلْطنتْ إلَّا بالسَّيفِ وعلى السَّيفِ، يَستوي في ذلك الدُّولُ الكَافرةُ والدُّولُ المُسلمةُ.. التَّغييرُ الجذَريِّ لا يَتمُّ إلا بالقُوَّةِ، سَواءٌ أَكانَ تَغييراً من بَاطلٍ إلى حَقٍّ أم من حَقٍّ إلى بَاطلٍ.. الحَقُّ والبَاطلُ -وَاقعياً- نِسْبيَّانِ إلى الحَدِّ الذي يَجعَلُهما كعَجينِ الصَّلصالِ، تُشَكِّلُهُمَا يَدُ القُوةِ كيف شَاءَت!!

حَقُّ القُوةِ يُغيِّرُ.. قُوةُ الحَقِّ تُديمُ.. فإذا بَهتَتْ شُعلةُ الحَقِّ في نُفوسِ

أَصحابِها جَرَتْ عليهم سُنَّةُ التَّداولِ بقُوةٍ نَاشئةٍ تجعلُهم أَثراً بعدَ عَينٍ وشَواهِدَ بَعدَ مَشَاهِدَ.. وهكذا دَواليْكَ حتى يَأْتيَ أَمرُ اللهِ!!

لا شَيءَ بينَ مَشرِقيْها ومَغرِبيْها سِوَى هذا، فلا يَستخفنَّكَ الذين يُسارعُون فيك (يَقُولُونَ نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ).. لقد ارتَضَوُا الوَهمَ وتَوهَّمُوا الرِّضَا، فأَرْكَسَهم اللهُ في الذُّلِّ، (وَمَنْ يُرِدِ اللهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللهِ شَيْئًا).

السُّلطةُ أَداتُك لتَحقيقِ غَايتِك، فاحْرِصْ على طَلبِها حِرصَك على تَحقيقِ التَّوحيدِ بإِخلاصِ العُبوديَّةِ، فإِنَّهما لا يَثبُتانِ إِلَّا بالسِّنانِ بَعدَ اللِّسانِ، وخَلِّ عنك وَهمَ الوَاهمينَ الذين قَالُوا -طَمْأنةً لكِلابِ الحِراسةِ-: «نُريدُ أَنْ نُحكِّمَ بشَرعِ اللهِ لا أن نُحكَمَ بشَرعِ اللهِ»، فدَارتْ بهم دَوَّاماتُ الوَهمِ حتى لم يبْقَ شَرعٌ في الدُّنيَا إِلَّا حَكَمَهم عدا شرعِ اللهِ!!

إذا أَردتَ إِصلاحَ العَالَمِ فسَاهِم في تَسريعِ انْهيارِه!!

ما حَولَكَ لَيسَ عَالَمَاً.. ما حَولَكَ لَيسَ سِوى مَناطِقَ تَوحُّشٍ أَدارُوها مُنذُ ما يَزيدُ على مِئتيْ سَنةٍ حِينَ قَطَّعُوهَا قِطَعَاً ثم نَصَّبُوا عليها كِلابَ حِراسةٍ تَحرُسُ قَواعدَ المَكانِ التي قَعَّدُوهَا، ثم أَطلقُوا عليها مُصطلحاتٍ تَسحَرُ أَعيُنَ النَّاسِ وتَستَرهِبُ قُلوبَهم: دَولةٌ، إِمارةٌ، مَملكةٌ، جُمهوريةٌ، جَماهيريةٌ.. بَينَما لا يَستطيعُ كَلبُ الحِراسةِ أن يَتصرَّفَ في مَفْحَصِ قَطَاةٍ منها خَارجَ إِرادةِ الرَّاعي الرَّسميِّ لمَنطقةِ تَوحُّشِه!!

إسقاطُ هذا التَّوحُّشِ فِطرةُ إنسانيةٌ قَبلَ أن يكونَ فَريضةً دِينيةً؛ فلا يَسْتخفنَّكَ المُتعجِّلُون الإنسانويُّون مُعتزِلُو الصِّراعِ السُّلطويِّ؛ فإنَّهم آفَةُ هذا التَّيَّارِ، بل هم -عَلِمُوا أم لم يعلَمُوا- أَداةٌ من أَدواتِ حِراسةِ قَواعدِ المَكانِ في يَدِ كَلبِ الحِراسةِ، وما اعتزَلُوا إلَّا حِينَ عَلِمُوا أنَّهم سيَدفعُون ثَمَنَ الكَلامِ، فأَمْسَكُوا أَلسِنَتَهم إلَّا عنك، وكَفُّوا نُبَاحَهم إلَّا عليك، ثم اعْتَنقُوا دِينَ الإنسانيةِ الذي يَرَى صَوتَ صُراخِ المُغتَصَبةِ عَورةً، وقَتلَ مُغتَصِبِهَا إرهاباً!!

ولا يَزالُ المُتَعَجِّلُ فيهم يَظنُّ حَياتَه (لَبِنَةَ الحَياةِ) وليسَ (لَبِنَةً في الحَياةِ)؛ فإن لم يُدرِكْ مُنَاه في حَياتِه توهَّمَ الفَشلَ، فنَكَصَ على عَقبيْه وارْتَكسَ في وَحَلِ الهَزيمةِ؛ فلا يَبلغُ أَعداؤُه منه -حِينئذٍ- مِثلَ ما يَبلغُه من نَفْسِه، وما عَلِمَ هذا المُرتكسُ أنَّ مَدارَ الأَمرِ على الفَتحِ ولَيسَ على النَّصرِ.. الفَتحُ حَالةٌ نَفسيةٌ تَراكُميةٌ تَتخلَّلُها انْتِصاراتٌ وانْكساراتٌ، تَقَدُّمٌ وتَراجُعٌ، كَرٌّ وفَرٌّ.. ولو عَاشَ في زَمنِ (مَوْدود) وقَالَ مِثلَ ما يَقولُ الآنَ؛ لسَخِرَ منه من عَاشَ في زَمنِ (صَلاحِ الدِّينِ) أو (الأَشرفِ خَليلٍ)؛ فقد بَدَأَ الأَميرُ الصَّالحُ شَرفُ الدِّينِ مَوْدودُ الجِهادَ ضِدَّ الصَّليبيِّينَ في مَطلعِ القَرنِ السَّادسِ الهِجريِّ، وكان -ويا لغَرابَةِ المُوافقاتِ!- أَميراً للسَّلاجقةِ على المَوصلِ (تلك المَدينةِ التي يُعلِّمُنا التَّاريخُ أنْ لا شَيءَ فيها يُشبِهُ شَيئاً في غَيرِها، كأنَّها -لتَفرُّدِها- أَرضُ قِيامةٍ، لَيسَ فيها مَعْلَمٌ لأَحدٍ)، واستُشهِدَ -ويا لغَرابَةِ المُوافقاتِ أَيضاً!- في مَسجدِ دِمشقَ على يَدِ الرَّافضةِ البَاطنيةِ، (ليعلِّمَنا التَّاريخُ أَيضاً أنَّ الرَّافضيَّ أَداةُ قَتلٍ، إن لم يُقتَلْ قَتَلَ)، وسَقطَ آخِرُ مَعقلٍ للصَّليبيِّينَ في بِلادِ الإِسلامِ

عام ٦٩٠ هـ على يَدِ المَلكِ الأَشرفِ خَليلِ بنِ المَنصورِ قَلاوونَ.. وبَينَ الرَّجلينِ ستَجدُ (آقَ سنقرَ، وابْنَه عِمادَ الدِّينِ زِنكي، وحَفيدِه نُورَ الدِّينِ)، ثم (حِطِّينَ صَلاحِ الدِّينِ) ثم الدَّولةَ الأَيوبيَّةَ كُلَّهَا بأُمرائِها وقَادتِها وحُروبِها وانْتصاراتِها وانكساراتِها، ثم مَعركةَ المَنصورةِ، ثم (شَجرَ الدُّرِّ)، ثم دَولةَ المَماليكِ: (أَقطايَ، أَيْبكَ، قُطُزَ عَينِ جَالوتَ، بِيبرَسَ أَنطاكيةَ، المَنصورَ قَلاوونَ، ثم ابْنَه الأَشرفَ خَليلاً) فَاتِحَ عَكَّا الذي قَضَى على الوُجودِ الصَّليبيِّ في بِلادِ الإِسلامِ!!

الطَّريقُ طَويلٌ وشَاقٌّ، ولكنْ لا طَريقَ إلى الفَتحِ سِواه!!

وأَولُ الفَتحِ قِطعَةُ أَرضٍ، يَحميها ويُوَسِّعُها سِلاحُ رَدعٍ، ثم مُفاصِلةٌ (عَاقلةٌ) تَعرِفُ مِن أين تُؤكلُ الكَتفُ وكيف تُقطَعُ الرُّؤوسُ!!

إذا أَردتَ السَّلامَ فَتَجَهَّزْ للحَربِ، واصْبرْ فإنَّ الدُّنيَا تَتقلَّبُ والأَيامُ دُوَلٌ!!

لم يَمضِ على دَفعِ أَمريكَا الجِزيةَ لوِلايةِ الجَزائرِ العُثمانيةِ أَكثرُ من مِئتيْ سَنةٍ؛ فلا تُيئِسَنَّكَ كَبوةٌ كَبوْتَهَا أو عَثرةٌ عَثَرتَها، إنَّما هي: «يَومٌ عَليْنا ويَومٌ لنا، ويَومٌ نُسَاءُ ويَومٌ نُسَرُّ»!!

الذين وَدُّوا أنَّ غَيرَ ذَاتِ الشَّوكةِ تَكونُ لهم -خَوفاً مِن تَبعاتِ ذَاتِ الشَّوكةِ- واخْتارُوا السَّلامَ طَلباً للعَافيةِ وصِيانةً للأَرضِ وحِفظاً للأَموالِ والأَولادِ والأَعراضِ؛ لم تُبْقِ أَساطيلُ الكُفارِ لهم أَرضاً ولا مَالاً ولا

عِرضاً، قُتلَ الأَولادُ وانتُهِكَتِ الأَعراضُ وشُرِّدَتِ الأُسَرُ، وبَقِيَتْ «يَدُ العَارِ مَرسومةً بأَصابِعِها الخَمسِ فَوقَ الجِباهِ الذَّليلةِ»!!

هذه المُدُنُ المُهَدَّمةُ والأَشلاءُ المُمزَّقةُ والمَلايينُ المُشَرَّدةُ أَثمانٌ لَازمةُ الدَّفعِ ودُيونٌ وَاجبةُ السَّدادِ، ولو دَرَسْتَ تَاريخَ الكُفارِ لَعَلِمتَ أَنَّ بَذرةَ هذا النِّظامِ العَالميِّ الذي نَعيشُه الآنَ لم تُبذَرْ إلا بَعدَ حَربِ الثَّلاثينَ سَنةً التي أَكلَتِ الأَخضرَ واليَابسَ في أُوربَّا، ثم نَمَتْ وتَرعرعَتْ تِباعاً، كُلَّما ذَبُلَتْ سَقَوْها بدِمائِهم ودِماءِ أَعدائِهم، حتى أَينعَتْ واسْتوَتْ على سُوقِها بعدَ هِيروشِيمَا ونَجازاكِي، وسْتالينجرادَ ولُندنَ وبَاريسَ وبِرلينَ!!

انْظُرْ إلى هذه المُدنِ الآنَ وتَذَكَّرْ كيف كانَتْ بُعَيْدَ الحَربِ العَالميةِ الثَّانيةِ؟!!

لم تَكُنْ أَنتَ سَبباً في خَرابِ مُدُنِكَ العَامرةِ، كانَتْ خَراباً فجِئتَ لِتُعمِّرَهَا بالهَدمِ وتُداوِيَها «بالتي كانَتْ هي الدَّاءُ».. مُدُنُكَ العَامرةُ بالهَدمِ والعَقيدةِ خَيرٌ وأَحَبُّ إلى اللهِ مِن مُدُنِهم المُهدَّمةِ بالعَمارِ والكُفرِ، وما كُلُّ عَمارٍ عَمَاراً.

مُدُنُ الضِّرارِ لَيستْ مُدُناً، مُدنُ الصَّفيحِ لَيستْ مُدناً، مُدنُ العَشوائياتِ لَيستْ مُدناً، مُدنُ سُكَّانِ المَقابرِ لَيستْ مُدناً، مُدنُ الكُفرِ والكَبْتِ والقَهْرِ والسُّجونِ لَيستْ مُدناً، مُدنُ نَاطحاتِ السَّحابِ التي اسْتنسَخَتْ لَاس فِيجاس في جَزيرةِ مُحمدٍ -صلَّى اللهُ عليه وسَلَّمَ- لَيستْ مُدناً، (أَفَمَنْ أَسَّسَ

بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَى مِنَ اللهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ).. (لَا يَزَالُ بُنْيَانُهُمُ الَّذِي بَنَوْا رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ)، حتى يَنهارَ بيدِك أو بأَيديهم أو بأَيدي أَسيادِهم حينَ ينتَهي دَوْرُهم وتَدورُ عليهم رَحى المَكرِ التي أَداروها عليك.. وعمَّا قَليلٍ لَيُصْبِحُنَّ نَادِمينَ!!

اضْرِبْ ما اسْتطعتَ فإنَّك أَملُ مَن لا أَملَ له، وَخَلِّ عنكَ أَراجيفَ المُرجِفينَ أَصحابِ (لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ)؛ فما قَتَلَ جالوتَ سِوى حَجرٍ في يَدِ صَبِيٍّ، وما نِسبةُ الحَجَرِ إلى سِلاحِ جَالوتَ وجَيشِه إلَّا كَنِسبةِ سِلاحِكَ إلى سِلاحِ أَعدائِكَ وجُيوشِهم.. والحَاجةُ أُمُّ الاِختراعِ، ولن يَحدُثَ اخْتراعٌ إلَّا إذا تَراكَمَتْ خِبراتُك في القَتلِ والقِتالِ، كما لن يَنتصِرَ الإِسلامُ إلَّا إذا مَارَسْنَا على أَعدائِه صَادقِينَ بَعضَ ما يَتَّهِمُونَه به كَاذبِينَ!!

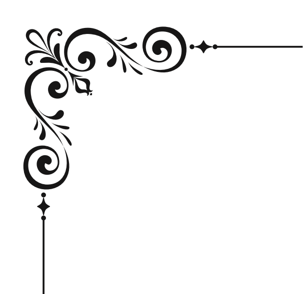
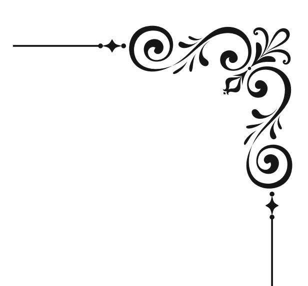
أَيُّها الأَشعثُ الأَغبرُ.. لا تَيأَسْ، فقد بِعتَ واللهُ اشْتَرى..

حَسْبُكَ أَنَّكَ لن تَموتَ وفي بُندقيتِك رَصاصةٌ..

نُقطةٌ.. ومِن أَولِ الثَّأرِ!!

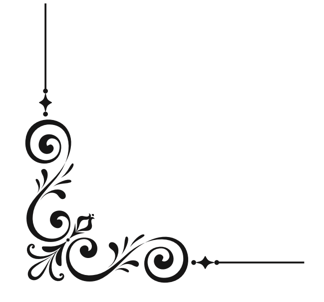
٢٦ / ذو القعدة / ١٤٣٨هـ

١٩ / ٨ / ٢٠١٧م

(١٤)

السُّنَّةُ والشِّيعةُ.. وَهْمُ النَّصرِ وخَديعةُ الهَزيمةِ




الفَريقُ الذي يَلعبُ مُنفرداً لن يَنهزمَ أَبداً.. ولن يَنتصرَ أَيضاً!!

إذا أَردتَ اخْتبارَ حَدِّ سَيفِك فَجَالِدْ به ذَا سَيفٍ، كُلُّ السُّيوفِ قَواطعُ إنْ ضَربتَ بها الهَواءِ!!

يَستطيعُ الحَمقَى والأَغبياءُ والمُثقَّفونَ -ولا فَرقَ بينَ الثَّلاثةِ عِندي- أن يَتفلسفُوا حَولَ نَجاحِ المَشروعِ الشِّيعيِّ في مُقابِلِ المَشروعِ السُّنِّيِّ، بَيْدَ أَنَّهم في سَعيِهم الحَثيثِ للتَّفلسُفِ -وبضَغطٍ من طَلباتِ مَراكِزِ الجَاسوسيةِ التي يُسمُّونها مَراكِزَ أَبحاثٍ- يَنسوْن أو يَتناسَوْن أَنَّ السُّنَّةَ لا يَملكُون مَشروعاً أَصلاً، لسَببٍ بَسيطٍ هو: أنه لَيسَ هُناكَ سُنَّةٌ أَساساً!!

العَدَمُ لا مَشروعَ له..

لن تَحصُلَ من وَهمِ الوُجودِ إلَّا على وُجودِ الوَهمِ!!

في عَالَمِ السِّياسةِ -وبَعيداً عن فَذلَكاتِ صِبيانِ كُلِّياتِ الاقتصادِ والعُلومِ السِّياسيةِ- لا وُجودَ لكَ ما لم تكنْ لكَ دَولةٌ.. حَبَّاتُ المِسبَحةِ لا تُسَمَّى مِسبَحةً إلَّا إذا انْتظمَتْ في خَيطٍ، وجَواهرُ العِقدِ لا تُصبحُ عَقداً إلَّا إذا نُظِمتْ في سِلكٍ.. وُجودُ الأَجزاءِ لا يَعني وُجودَ الكُتلةِ؛ بل يَعني غِيابَ الخَيطِ النَّاظمِ!!

كان اليَهودُ مَوجودِينَ مُنذُ السَّبيِ البَابليِّ وحتى الطَّردِ الأُوربيِّ، بَيْدَ أَنَّ

الفُرصةَ لم تَسنَح (للأَجزاءِ اليَهوديةِ) أن تَتحوَّلَ إلى (كُتلةٍ إسرائيليةٍ) إلَّا حِينَ أَطلَّتِ القَوميةُ العَربيةُ برَأسِها العَفِنِ؛ لتَتفتَّتَ (الكُتلةُ الإِسلاميةُ) إلى (أَجزاءٍ عَربيةٍ)!!

الرَّايةُ: هي ذلك الخيَطُ الذي يَنظِمُ حَبَّاتِ المِسبَحةِ لتَصيرَ مِسبَحةً، ويَجمَعُ جَواهِرِ العِقدِ ليَصيرَ عِقداً.. ما لم تَكنْ لك رَايةٌ، فوُجودُك افْتراضِيٌّ!!

ولأنهم يَعلمُون أن الوُجودَ الافْتراضيَّ -إذا كان مُتَّكِئاً على تَاريخٍ مُوغِلٍ في الوَاقعيةِ- يُمكِنُ أن يَتحوَّلَ إلى وُجودٍ حَقيقيٍّ؛ فقد سَارعُوا إلى تَحويلِ الوُجودِ الافْتراضيِّ إلى وُجودٍ مُتوهَّمٍ؛ ليَظلَّ وَهْمُ الوُجودِ مُسيطراً!!

أَبْقَوْا على السَّلطنةِ العُثمانيةِ رَجلاً مَريضاً لا يَموتُ فيها ولا يَحيَا حتى اخْترعُوا هذه (الأَكشاكَ) وسَمَّوْها دُوَلاً، وهذه (الحَرابيشَ) وسَمَّوْهَا حُدوداً، وهَؤلاءِ (الغَرقَدَ) وَسَمَّوْهُم حُكَّاماً!!

اخْتراعُ الأَعداءِ أَولُ دَرجَاتِ النَّصرِ.. اخْترِعْ عَدُواً وستَنتَصرُ!!

(العَدوُّ المُختَرَعُ) ستُحددُ له ثَلاثةَ أَشياءَ: مِساحةَ الحركةِ، وآلياتِ المُقاومةِ، وعَواملَ الانْكسارِ.. هو جِهازُ (مُفَيْرَسٌ) صَنعْتَه بيَدَيْك، واسْتخدمْتَه في حَاجتِك، ثم تَركْتَه ليُدمِّرَ نَفْسَه بنَفْسِه بضَغطةِ زِرٍّ.. ستَنتصرُ على عَدوٍّ مُختَرَعٍ، وسيُصفِّقُ الحَمقَى والأَغبياءُ والمُثقَّفونَ!!

في وُجودِ (العَدوِّ الغَبيِّ) لَستَ في حَاجةٍ إلى اخْتراعِ آخَرَ!!

سَتَشحنُ العَالمَ ضِدَّه، وتَدَّعي المَظلومية أَمامَه، وتُلطِّخُ رَايتَه التي هَلْهَلَهَا بيَدَيْه، وتَلجُ أَسوارَه المُتداعيةَ مِن ثغراتِها التي فَتَحَها بمِعولِه، سَتظلُّ مُظهِراً ضَعفَكَ أَمامَه وأنتَ تُعِدُّ العُدَّةَ له، ويَظلُّ مَشغولاً عن إِعدادِ العُدَّة لانْخِداعِه بضَعفِكَ المُدَّعَى.. وحِينَ يَتحركُ لرَدِّ عَاديةِ دِعَاياتك؛ سيَتحركُ ضَعيفاً..

الآنَ فَقطْ تَستطيعُ أن تَضرِبَ.. ومَرةً أُخرَى؛ سيُصفِّقُ الحَمقَى والأَغبياءُ والمُثقَّفونَ!!

(العَدوُّ المُزيَّفُ) أَهمُّ أَعدائِك.. هو خَليطٌ من العَدوِّ الغَبيِّ والعَدوِّ والمُختَرَع؛ تَستطيعُ اسْتخدامَه كجِهازِك الذي فَبَرْسَتَه بيَديْك، كما تَستطيعُ شَحنَ العَالَمِ ضِدَّه وادِّعاءَ المَظلوميةِ أَمامَه.. هو يَعرِفُ أنه لَيسَ كما يَبدُو، بَيْدَ أنه يُريدُ أن يَظلَّ كما يبدُو.. لقد أَعجبَتْه العَباءَةُ السُنيَّةُ أو القَوميةُ أو الوَطنيَّةُ التي أَلْبَسَه إيَّاها مُختَرِعُه الأَولُ وحَققَ بها إِنجازاتِه المُهمةَ في خَنْقِ السُّنةِ ومَحوِ القَوميةِ وبيعِ الوَطنِ!!

وُجودُه مُرتبطٌ ببَقاءِ زَيفه، وبَقاءُ زَيفِه مُرتبطٌ بوُجودِه؛ تَماماً كـ(خَيالِ المَآتةِ)؛ يَطرِدُ الطُّيورَ عن الحَقلِ وهو هَلاهِيلُ على خَشبٍ!!

خَيالُ المَآتةِ.. مَشرُوعُه الوَحيدُ أن يَظَلَّ خَيالَ مَآتةٍ!!

هذا عَدوٌّ مِثاليٌّ لتَحقيقِ حُلمِك وإِظهارِ عَظمَتِك.. ومَرَّةً ثَالثةً: سيُصفِّقُ الحَمقَى والأَغبياءُ والمُثقَّفونَ.

الشِّيعةُ يَلعبُون مُنفرِدينَ، ويُجرُونَ خَيلَهم في مِضمَارٍ لا خَيلَ فيه!!

وَإِذَا مَا خَلَا الْجَبَانُ بِأَرْضٍ ** طَلَبَ الطَّعْنَ وَحْدَهُ وَالنِّزَالَا

لَيسَ ثَمَّةَ سُنةٌ هُنا.. هُنا آلُ سُعود، وأَبناءُ زَايد.. هُنا قوميُّون كَسَبةٌ، ووطنيُّون خَونةٌ، وعَسكريُّون مُرتزِقةٌ، وإِسلاموُقْراطيُّون حَمْقَى.. البَغلُ الهَجينُ لَيَسَ حِصَاناً، والسَّرابُ لَيسَ مَاءً، وحِبَالُ السَّحرةِ وعِصِيُّهم لَيستْ حَيَّاتٍ تَسعى، وإِنْ أَوْجَسَ في نَفسِه خِيفةً مُوسى!!

أَسَدُ الرُّخَامِ وَإِنْ حَكَى فِي شَكْلِهِ ** شَكْلَ الْغَضَنْفَرِ لَيْسَ بِالفَرَّاسِ

كيف يَصِحُّ في الأَذهانِ أن يُكَرَّسَ سَعدُ الحَرِيريُّ وَجهاً سُنيَّاً أَمامَ حَسَن نَصْر اللهِ، ويُجعَلَ تيارُ المُستقبلِ وَاجهةً سُنِّيةً أَمامَ حِزبِ اللهِ؟!

إن الذين يُحسِنون تَلميعَ الصَّفيحِ وتَصنيعَ التَّيَّاراتِ واخْتراعَ الأَوهامِ، أَبادُوا (فَتحَ الإِسلامِ) في أُسبوعَينِ، وحكَمُوا على (أَحمدَ الأَسيرِ) بالإِعدامِ!!

أين يُذهَبُ بكم؟!

هل يَعنِي هذا أنَّ عَبدَ النَّاصرِ، والسَّاداتِ، ومُباركًا، والقَذافيَّ، وبنَ عَليٍّ، والسِّيسِي.. إلى آخرِ هذه العَاهاتِ.. كانوا سُنَّةً!! هل هَؤلاءِ سُنَّةٌ؟! هل هذا ما تُروِّجُون له؟!

لم يَكُنِ الشَّاهُ شِيعياً عَقائدياً، بل قَومياً فَارسياً، ولم يَكُنْ عَبدُ النَّاصرِ سُنِّياً عَقائدياً، بل قَومياً عُروبياً (أو هكذا يَقولُون)، فإذا حَزَبَتِ الحَمْقَى والمُثقفِينَ المُقارنةُ، فلْيُقارِنوا بينَ هذين الطَّاغُوتَينِ ذَوَي المَنظومةِ الفِكريةِ المُتماثلةِ نَوعاً

ما.. أمَّا أن يُقارِنوا بينَ السَّاداتِ والخُمَيْنِي، أو بَينَ مُباركٍ والخُمَيْنِي، أو بينَ فَهدٍ والخُمَيْنِي أو بينَ زَايدٍ والخُمَيْنِي، فـ

هَذَا كَلَامٌ لَهُ خَبِيءُ ** مَعْنَاهُ لَيسَتْ لَنَا عُقُولُ!!

إنها نَفْسُ الأُكذوبةِ التَّاريخيةِ التي جَعلَتْ من يَزيدَ بنِ مُعاويةَ وَاجهةً سُنيَّةً، وصَيَّرَتِ الحُسينَ بنَ عليٍّ وَاجهةً شِيعيةً.. وما كان الحُسينُ -رِضوانُ اللهِ عليه- شِيعياً، ولا كان يَزيدُ -قبَّحَه اللهُ- سُنياً، وما وُجِدَ آنذاك سُنَّةٌ وشِيعةٌ بالمعنى العَقديِّ المُتعارَفِ عليه الآنَ، بَيْدَ أنَّ تَتابُعَ الأَكاذيبِ يُعمِي العُيونَ ويَخدَعُ العُقولَ ويُبلْبِلُ الأَلسنةَ.. ولا أَعرِفُ -واللهِ- كيف يَكونُ يَزيدُ سُنياً -حَسَبَ هذا الزَّعمِ- وهو الذي أَدارَ بعدَ كَربلاءَ مجزرَةَ الحَرَّةِ التي اسْتباحَ فيها مَدينةَ رَسولِ اللهِ -صَلَّى اللهُ عليه وسَلَّمَ-.. فإذا كان هذا (السُّنِّي المَزعومُ) قد قَتَلَ شِيعةً في كَربلاءَ، فَمَن هَؤلاءِ الذين اسْتباحَ دِماءَهم وأَموالَهم وأَعراضَهم في أَولِ مَدينةٍ سُنِّيةٍ في التَّاريخِ؟!

اجْعلِ اللَّاشيءَ شَيئاً واغْرِسْه في العُقولِ الخَاليةِ مِن أيِّ شَيءٍ!!

أَيَنَ هُم السُّنَّةُ؟!

هل غَرقَدُ جَزيرةِ مُحمدٍ -صَلَّى اللهُ عليه وسَلَّمَ- سُنّةٌ؟!

لم يَكُنْ عَبدُ العَزيزِ بنُ عَبدِ الرَّحمنِ أَكثَرَ مِن اخْتراقٍ انْجليزيٍّ للحَركةِ الوَهَّابيَّةِ الأُولى، أَدارَها مُعتمِداً على سَلامَةِ نِيَّةِ أَفرادِها حِيناً، وعلى إرثِ جَدِّه مُحَمَّدِ بنِ سُعودٍ حِيناً آخَرَ.. ولم يَكُنْ لِجَدِّه مِن عَملٍ في حَياةِ الإِمامِ

مُحَمَّد بنِ عَبدِ الوَهَّابِ سِوى أن «يُعَدِّدَ أَياماً ويَقبِضَ راتباً»، وكان الأَمرُ والنَّهيُ فيها لِابنِ عَبدِ الوهَّابِ، فلمَّا دالَتِ الدَّولةُ الأُولى والثَّانيةُ، أَطَلَّ زَمنُ المَسخِ، فانبَعَثَ أَشقاها عَبدُ العَزيزِ بنُ عَبدِ الرَّحمنِ الذي وَجَدَ فيه الإِنجليزُ ضَالَّتَهم في اختراقِ جَزيرةِ مُحَمَّد -صَلَّى اللهُ عليه وسَلَّمَ-، وإِتمامِ تَمزيقِ رَايةِ الخِلافةِ المُهَلْهَلَةِ، والمُوافقةِ على جَعلِ جُزءٍ من بِلادِ الشَّامِ وطناً قَومياً لليَهودِ، والقَضاءِ على أَيِّ مُناصِرٍ للدَّولةِ العُثمانيةِ من أَمثالِ ابنِ رَشيدٍ، وتَمييعِ قَضيةِ الخِلافةِ التي أَشعَلَ إِسقاطُها جَمرةَ الغضبِ في نُفوسِ المُسلمين.. وكان أنْ فَاضَلَ الإِنجليزُ بَينَه وبَينَ الشَّريفِ حُسينٍ (ذلك الأَحمقِ الذي عَاشَ أَوهامَ الخِلافةِ، فطَلَبَها نَسَباً لا دِيناً بالعِمالةِ للإِنجليزِ أَنفُسِهم، ولم يَكُنْ لِيَفهَمَ أَنَّ غَرضَ الإِنجليزِ مَحصورٌ في إِسقاطِ ما يَطلُبُ)، فأَدالُوا المَعركةَ عليه لعَبدِ العَزيزِ، وجَعلُوا عَبدَ العَزيزِ وأَبناءَه نَواطيرَ على أَصلِ العَربِ ومَنبعِ الإِسلامِ وآبَارِ النَّفطِ، فلم يَكُنْ له من هَمٍّ سِوى القَبائلِ العَربيةِ التي شَرَّدَ بها مَن خَلْفَها، ووَضعَ السَّيفَ فيها بهَمجيَّةٍ بَالغةٍ وغَدرٍ مُنقطِعِ النَّظيرِ، ثم الْتفتَ إلى بَقايَا الحركةِ الوَهَّابيةِ الأُولى (إِخوانِ مَن أَطاعَ اللهَ) فأَبادَهم بِسلاحِ الإِنجليزِ، ليَخلُصَ له مُلْكُ الجَزيرةِ ويَختَرِعَ مُؤسسةً وَهابيةً (مُفَبرَكةً) يَستخدمُها وأَبناؤُه كُلَّما حَزَبَهم النِّفاقُ والكَذِبُ.

إنَّ أَبشَعَ ما حَدَثَ للمُسلمينَ في القَرنِ العِشرينَ هو إِشغالُهم باحتِلالِ القُدسِ عن احتِلالِ مَكةَ!!

تَصدَّرَ عَبدُ العَزيزِ وأَبناؤُه الحَالَةَ السُّنيةَ المُختَرَعَةَ، فارتَدَوْا وَجهَ أَبي بَكرٍ

على قَلبِ أَبي لَهبٍ، وكانوا للإِسلامِيِّين مَلاذاً آمِناً مَنزوعَ الدَّسمِ مُسيطَراً عليه مُفَرَّغاً مِن مَضمونه، (تَماماً كما تَفعَلُ قَطرُ الآنَ).. ثم لم يَكُنْ هَمُّهم إلَّا في اختراقِ الحَركاتِ الإِسلاميةِ التي يَظُنُّون أنَّ أَوَّليَّاتِها قد تُنْبِئُ بظُهورِ دَولةٍ سُنِّيةٍ في أُخرَيَاتِها، حتى يَظلَّ وَهمُ الدَّولةِ السُّنيةِ مَحصوراً فيهم، فلا يُنازِعُهم بالدَّولةِ الحَقيقيَّةِ أَحدٌ، فينَكشِفُ عُوارُهم وتَظهَرُ عَمَالَتُهم؛ فأَفسدُوا الجِهادَ الأَفغانيَّ، ودَعمُوا عَسكرَ الجَزائرِ في العَشريةِ السَّوداءِ، وضَربُوا الحركَةَ الإِسلاميةَ في السُّودانِ، واستَنبَتُوا الفَصائلَ المَفحوصةَ في الشَّامِ، وصَنَعُوا انْقلابَ مِصرَ، وأَدخلُوا الحُوثِيَّ صَنعاءَ، وأَمَدُّوا الشِّيعةَ في العِراقِ بالمَالِ والسِّلاحِ لضَربِ المُجاهدِين السُّنَّةَ، حتى وَصَلَ وَباؤُهم إلى الإِسلامِيِّينَ في مَاليزيَا فأَمَدُّوا أَعداءَهم بمِئاتِ المَلايينِ!!

سُنَّةٌ يَقتُلون سُنَّةً ويُصِرُّون على كَونِهم سُنَّةً!!

يَزيدُ.. يَستبيحُ المَدينةَ ثُم يُصِرُّ الحَمقَى والأَغبياءُ والمُثقَّفونَ على إِلصاقِه بالسُّنَّةِ!!

أَمَّا بَقيَّةُ أَنظمةِ السُّنَّةِ المُختَرَعةِ فإِنَّ أَحداً لا يَحتاجُ إلى كَثيرِ كَلامٍ حَولَ مَخازِيهم في تَجفيفِ مَنابِعِ السُّنَّةِ وتَحريفِ عَقيدتِهم وتَغريبِ مُجتمعاتِهم.. بِدايةً من أَنظمةِ المَغربِ العَربِيّ، وانْتِهاءً بنِظامِ الإِماراتِ الذي فَاقَ كُلَّ حُدودِ الخِيانةِ والكُفرِ، مُروراً بنِظامِ مِصرَ الذي تَوَلَّى كِبْرَ التَّغريبِ في مَطلعِ القَرنِ العِشرينَ.

لَيسَ ثَمَّةَ سُنَّةٌ هُنا..

هُنا حُكَّامٌ مُرتَدُّونَ، ورَافضةٌ صَفَوِيُّونَ، ونَصارَى صَليبِيُّونَ، ويَهودُ صُهيونِيُّونَ!!

هَؤلاءِ أَعداؤُنا.. وهذا تَرتيبُهم حَسَبَ السِّياقِ الذي نَعيشُه الآنَ!!

سيَقولُ لكَ المُثقَّفونَ من الأَذنابِ: إنَّ السُّنَّةَ مَوجودُون بوُجودِ هذه الجَماعاتِ السُّنِّيةِ المُختلفةِ والمُتَخالفةِ؛ كالإِخوانِ المُسلمِينَ، والجِهاديِّينَ بأَنواعِهم، والسَّلفيةِ بأَنواعِها.. ثم يُقارِنون بَينَ فَشلِ هذه الجَماعاتِ المُؤَقَّتِ وبَينَ نَجاحِ جَماعاتِ الشِّيعةِ المُؤقَّتِ.. وما عَلِمَ هَؤلاءِ -أو عَلِموا واسْتَهْبلوا- أَنَّ هذا لا يُقارَنُ بذاك؛ فجَماعاتُ السُّنةِ -على اختلافِ مَناهِجِها ومُنطلقَاتِها ودَرجةِ قُربِها وبُعدِها من صَحيحِ العَقيدةِ- لا يُحارِبُها أَحدٌ كما تُحارِبُها أَنظمةُ السُّنَّةِ المُختَرَعَةُ.. إنَّها في العَراءِ تَماماً لا تكادُ تَجدُ نَصيراً قَوياً بذَاتِ القَدْرِ الذي تَجِدُه جَماعاتُ الشِّيعةِ من إِيرانَ؛ بل إنَّها تُستخدَمُ أَحياناً من قِبَلِ الأَنظمةِ المُختَرَعَةِ لضَربِ بَعضِها بعضاً، أو لضَربِ عَدُوٍّ آخَرَ لا يُمكِنُ ضَربُه إلا بمُقاتِلينَ عَقائديِّينَ، ثم بَعدَ انتهاءِ الدَّورِ الذي استُجْلِبُوا من أَجلِه يَعودُون إلى المَكانِ الطَّبيعيِّ الذي حَدَّدَه لهم النِّظامُ العَالميُّ: القَبرِ أو المُعتقَلِ.

ولو تَجاوَزْنا عن غِيابِ الشَّرطِ المِحوريِّ للوُجودِ الوَاقعيِّ (شَرطِ الدَّولةِ)؛ فإنَّ هذه الجَماعاتِ أَصابَتْها لَوْثَاتٌ كَثيرةٌ أَقْعدَتْها عن أن تَكُونَ خَيطاً نَاظِماً لحبَّاتِ المِسْبحَةِ السُّنيةِ، وسِلْكاً جَامِعاً لجَواهِرِ العِقدِ المُسلِمةِ، وأَهمُّ هذه

اللَّوْثاتِ لَوثاتٌ ثَلاثٌ: التَّدجينُ الإِرجائيُّ في السَّلفيةِ العِلميةِ، والتَّكفيرُ التَّسلسُليُّ في جَماعاتِ الجِهادِ، والعَلمانيةُ المُتأسْلِمةُ في الإِخوانِ المُسلمينَ.

أمَّا التَّدجينُ الإِرجائيُّ في السَّلفيةِ العِلميَّةِ فقد كَفَّها عن الفِعلِ في وَاقعِ النَّاسِ لِيُقْعِدَها عن الفَاعليَّةِ في حَياتِهم.. وحِينَ سُمِحَ لبَعضِهم بالظُّهورِ في الفَضائيَّاتِ تَحَوَّلُوا إلى ما يُمكِنُ أن نُسمِّيه (سَلفيةً شَعبيةً) أَطَّرَهَا الطَّواغيتُ في إِطارٍ لا تَخرُجُ عنه، ليَصِلَ الأَمرُ إلى: دَعْ ما لقَيصرَ لقَيصرَ وما للهِ للهِ، فصَارَ هَؤلاءِ الشُّيوخُ نُسخةً أُخرَى من الشُّيوخِ الرَّسميِّينَ، ومَثَّلُوا مُشكلةً مُضافةً إلى مُشكلةٍ قَديمةٍ كان المَظنونُ أنَّهم جَاؤُوا لحَلِّها!!

وأَمَّا التَّكفيرُ التَّسلسُليُّ في بَعضِ تيَّاراتِ الجِهادِ فقد حَجَبَ التَّيارَ عن النَّاسِ وحَجَبَ النَّاسَ عنه، فلم يَستطِعِ التَّيارُ -غَالباً- أن يُدرِكَ أنَّ النَّاسَ حَديثُو عَهدٍ بجَاهليَّةٍ، وأنَّهم تَرَبَّوْا في ظِلِّ الهَيمنةِ الكُفريَّةِ والفِكريةِ للنِّظامِ العَالميِّ الذي زَحزَحَ وطَمَسَ مَفهومَ العُبوديةِ القَائمَ على أَساسِ التَّوحيدِ الخَالصِ للهِ مَالِكاً ومُشَرِّعاً وحَاكِماً.. وكان الأَوْلَى أن يَترَفَّقوا بالنَّاسِ دُونَ تَمييعٍ، ويَتغاضَوْا عن الخِلافياتِ دُونَ إِرجاءٍ.

وأَمَّا العَلمانيةُ المُتأسلمةُ في جَماعةِ الإِخوانِ المُسلمينَ فقد بَاعدَتْ بَيْنَها وبَيْنَ الأَصلِ الأَوَّلِ الذي قَامتْ عليه، حتى اخْتَفَى ذلك الأَصلُ وَسْطَ رُكامٍ من الحَواشِي التي تَحَوَّلَتْ -مَعَ تَتابُعِ الأَزمنةِ وتَوالِي النَّكساتِ وتَغيُّرِ المُؤثِّرِينَ- إلى أُصولٍ تَكادُ تكونُ مُنْبَتَّةَ الصِّلةِ بالأَصلِ الأَوَّلِ.. ولأَنَّ الجَماعةَ

كَانتْ أَكثرَ حَركيةً بينَ النَّاسِ والأنظمةِ سَلْباً وإيجاباً؛ فقد تَمَّ الخلَطُ بَينَ الثَّوابتِ والمَرحليَّاتِ حتى صَارتِ المَرحليَاتُ ثَوابتَ يُنطلَقُ منها ويُؤَسَّسُ عليها، فلم يَجِدِ النَّاسُ كَبيرَ فَرقٍ بينَهَا وبَينَ الأَنظمةِ التي رَفضُوها لبُعدِها عن تلك الثَّوابتِ.. فكَأنَّ الجَماعةَ -في سَعيِها للتَّقرُّبِ من النَّاسِ والأَنظمةِ- ابْتعدَتْ عن الأَصلِ الذي أَحبَّها النَّاسُ لأَجلِه، فخَسِرَت النَّاسَ ولم تَكسِبِ الأَنظمةَ!!

زِدْ على هذا، اشْتعالَ العَداوةِ والبَغضاءِ بَينَ هذه الجَماعاتِ والبَأسِ الشَّديدِ بَينَهم حتى لم تَكَدْ تَسلَمُ فَترةٌ تَاريخيةٌ مُنذُ نَشأتِها مِن رَمْيِ بَعضِهم بَعضاً بالرِّدَّةِ، والخَارجيةِ، والتَّفسيقِ، والتَّبديعِ، ومُمالأَةِ الطَّواغيتِ.

وكان أنِ اقْترَبَتْ طَبيعةُ هذه الجَماعاتِ من طَبيعةِ أَنظمةِ السُّنَّةِ المُختَرَعَةِ، فتَحوَّلَتْ أَحياناً إلى جَماعاتٍ وَظيفيةٍ تُستدعَى (مُفيرَسةً) حِينَ الحَاجةِ، ويُمَهِّدُ فيها (للسَّامريِّ) تَمهيداً مَصحوباً بالدَّمِ، فتُخلَى له السَّاحةُ شَيئاً فشَيئاً (بالزَّنَّانَةِ والزِّنزانَةِ) التي تَختارُ القَادةَ العَقائديِّينَ، لتَمحُوَ وُجودَهم وتُبقِي رَمزيتَهم كقَميصِ عُثمانَ يَرفَعُهُ السَّامريُّ في وُجوهِ المُعترضِينَ على انْحرافِه، مَعَ (تَحابيشَ) تَبريريَّةٍ عن تَغَيُّرِ الزَّمانِ وحِصارِ المَكانِ وضَغطِ الوَاقعِ؛ يَلوكُها صِبيانُ السَّامريِّ الذين يَظُنونَ أَنَّ قَبضةً مِن أَثرِ الرَّسولِ هي كُلُّ مِيراثِ الرَّسولِ!!

حتى إذا كَلَّتِ الأَيدي من المُصاولةِ، وتَعِبَتِ الأَرواحُ مِن المُطاولةِ،

عُصِرُوا على طَاولةِ المُفاوضاتِ كما تُعصَرُ اللَّيمونةُ، ثم تُرِكُوا لمَصيرِهم بَعدَ تَلويثِ وُجوهِهم بأَيدِيهم، كي لا يَجدُوا -حِينَ ضَربِهم- مَن يَبكِي عليهم!!

كيف لا تَجرِي سُيولُ الشِّيعةِ وقد جَرَتْ في مَجارٍ لا سُدودَ فيها؟!

والشِّيعةُ كاليَهودِ: يُحسِنُون اختِراعَ الأَعداءِ، وادِّعاءَ المَظلوميةِ، والتَّمَدُّدَ في الخَواصِرِ الرَّخوةِ، واللَّعِبَ على المُتناقضاتِ.. وَمَا عَلَوْا وتَمَكَّنُوا بَعضَ التَّمكينِ لفَائضِ قُوَّةٍ أو ذَكاءِ عَقلٍ؛ بل لخَلاءِ السَّاحةِ وسُقوطِ الرَّايةِ وانْفراطِ العِقدِ.. وهَا هُم يَجمَعُهم اللهُ لَفيفاً كما جاءَ باليَهودِ لَفيفاً لتَحقيقِ وَعدِه وإِنفاذِ وَعيدِه!!

سيَقولُ لك المُثقَّفون من الأَذنابِ: إنَّ الخِلافَ بَينَ السُّنَّةِ والشِّيعةِ خِلافٌ سِياسيٌّ لا دَخلَ للدِّينِ فيه.. وأنا لا أَعرِفُ -واللهِ- كيف يُمكِنُ لخِلافٍ سِياسيٍّ أن يَستمِرَّ أَكثرَ من أَلفِ سَنةٍ.. هذا عَتَهٌ لا يَقولُ به دَارِسُ تاريخٍ أو فَاهِمُ سِياسةٍ!!

لم يَكنِ الخِلافُ بَينَنا وبَينَ الشِّيعةِ سِياسياً أَبداً، ولا في أيِّ مَرحلةٍ من مَراحلِ التَّاريخِ؛ لسَببٍ بَسيطٍ هو أنه لم يَكنْ هُناكَ شِيعةٌ ولا سُنةٌ بالمَعنى العَقديِّ في ابْتداءِ الأَمرِ؛ بل إنَّ الشِّيعةَ الحَالِيِّينَ لا يَمُتُّون بِصِلةٍ إلى الشِّيعةِ الأَوائلِ.

هل تُريدُون إِقناعِي أنَّ عَمارَ بنَ يَاسرٍ -رِضوانُ اللهِ عليه- كان شِيعياً يَلعنُ -في سُجودِه- صَنَمَيْ قُريشٍ أَبَا بكرٍ وعُمرَ، ويُؤمِنُ بعَقيدةِ البَدَاءِ، والإِمامةِ،

والأَوصياءِ الاِثْنَيْ عَشَرَ، وتَحريفِ كِتَابِ ربِّ الأربابِ؟! هل كان عَمَّارٌ يُؤمنُ بذلك؟!

لقد كُنَّا نَحنُ الشِّيعةَ.. تيَّارُ الأُمَّةِ العَامُّ هو الذي تَشيَّعَ لعَلِيٍّ -رِضوانُ اللهِ عليه- ضِدَّ مُعاويةَ -غَفرَ اللهُ له-.. غَالبُنا تَشيَّعَ لعَلِيٍّ فسُمِّينا شِيعةَ عَلِيٍّ، وبَعضُنا تَشيَّعَ لمُعاويةَ فسُمُّوا شِيعةَ مُعاويةَ.. المُصطلحُ -ابْتِداءً- لُغَوِيٌّ مَحضٌ لا يَحمِلُ أَيَّةَ إِيحاءاتٍ عَقديةٍ أو مُنطلقاتٍ فِكريةٍ.. كُلُّ مَن نَاصَرَ شَخصاً فقد تَشيَّعَ له؛ تَماماً كتَشيُّعِ بَعضِنا لاِبنِ الزُّبيرِ في زَمَنِه، وتَشيُّعِ بَعضِنا لبَنِي أُمَيَّةَ في زَمنِهِم، وتَشيُّعِ بَعضِنا لبَنِي العَباسِ في زَمنِهِم.. هو اخْتيارٌ سِياسِيٌّ اتِّكَأَ على تَوقُّعِ الحَقِّ حِيناً، ومُوازناتِ القُوةِ حِيناً، والأَهواءِ والرَّغباتِ والرَّهباتِ أَحياناً.. هل تَرَوْن الآنَ أَحداً يَقولُ: أنا زُبَيْرِيٌّ أو أُمَوِيٌّ أو عَباسِيٌّ قَاصداً مَنهجاً فِكرياً أو مَذهباً دِينياً كما يَقولُ الشِّيعِيُّ: أنا شِيعِيٌّ!!

الشِّيعةُ الأَوائلُ هم عُمومُ الأُمَّةِ الذين رَأَوُا الحَقَّ مَعَ عليٍّ والحَسَنِ والحُسينِ، فوَقَفُوا مَعَهم ضِدَّ مُعاويةَ -غَفَرَ اللهُ له- ثم ضِدَّ يَزيدَ -قَبَّحَه اللهُ-.. حتى تَشابكَتِ الأُمورُ وتَتابَعتِ الفِتنُ وحَكَمَ السَّيفُ وتَدحرَجتْ كُرَةُ الثَّلجِ صَغيرةً، فما وَصلَت القَاعَ حتى سَدَّتْ مَنافذَ الرُّؤيةِ، وأَطبقَتْ إِطباقَ السَّماءِ على الأَرضِ.

وكما يَرحَلُ كُلُّ فَذٍّ من أَفذاذِ التَّاريخِ بأَتباعِه؛ رَحَلَ عَلِيٌّ ومُعاويةُ وابنُ الزُّبيرِ.. وما كان أَتباعُ عَلِيٍّ -رِضوانُ اللهِ عليه- يَرَوْنَ في عَلِيٍّ وأَبنائِه وأَحفادِه

ما يَرَى هَؤلاءِ الذين اغتَصبوا مُسَمَّى (الشّيعةِ) وادَّعَوْه لأَنفُسِهم ثم حَمَّلُوه من العَقائدِ والأَفكارِ والمَناهِجِ ما صَيَّرَه دِيناً مُستقِلاً لم يَعرِفه عَلِيٌّ وأَبناؤه وأَتباعُه، ولا جَاءَ به مُحمدٌ -صَلَّى اللهُ عليه وسَلَّمَ-.

المُختارُ الثَّقفيُّ كان بِدايةَ الكَارثةِ.. هذا ما تَستريحُ إليه النَّفسُ رَغْمَ اخْتلافِ المُؤرّخينَ حَولَ بِداياتِ نَشأةِ هذا الدّينِ الجَديدِ!!

كان كَذَّاباً أَفَّاكاً مُهرطِقاً مُراوِغاً أَظهرَ التَّشيُّعَ وأَبطَنَ الكِهانةِ.. بَدأَ نَاصبياً يَكرَهُ علياً وأَبناءَه وآلَ بَيتِه، ثم تَحوَّلَ إلى مُناصَرةِ الحَسنِ ضِدَّ مُعاويةَ، ثم أَرادَ الغَدرَ بالحَسنِ وتَسليمَه لمُعاويةَ طَلباً لحُطامِ الدُّنيَا، ثم صَارَ زُبَيْرِياً بَعدَ اسْتشهادِ الحُسينِ فأَقرَّه ابنُ الزُّبيرِ على الكُوفةِ فاجْتهَدَ في قَتْلِ قَتَلَةِ الحُسينِ، ثم أَظهَرَ خَبيئةَ نَفْسِه حِينَ أَحَسَّ بالقُوةِ فانْقلبَ على ابنِ الزُّبيرِ واسْتَتَبَّ له الأَمرُ سَنةً أو دُونَها حتى قَتَلَه مُصعَبُ بنُ الزُّبيرِ بَعدَ مَعركةٍ دَارتْ بَينَهما.

ادَّعَى أَنَّ الوَحيَ يَتنَزَّلُ عليه وأنه يُجالِسُ جِبريلَ ومِيكائيلَ.. وعلى يَدِه -رَغمَ اخْتلافِ الرّواياتِ- تَأَسَّستْ فِرقةُ الكَيسانيّةِ، أَوَّلُ فِرقةٍ (شِيعيةٍ دِينيةٍ) حَملَتْ من العَقائدِ والأَسرارِ والآراءِ الفَلسفيةِ ما يُمكِنُ أَن يَكونَ بِدايةً لظُهورِ البَاطنيةِ الغُنُوصيَّةِ في الإِسلامِ، فقد قَالَتْ بالبَدَاءِ، والتَّناسُخِ، وأَنَّ لكُلّ شَيءٍ ظَاهراً وبَاطناً، وأَنَّ حِكَمَ العَالَمِ وأَسرَارَه جُمِعَتْ في عَليّ، وأَنَّ الإِمامةَ ثَابتةٌ له ثم للحَسنِ ثم للحُسينِ ثم لمُحمدِ بنِ الحَنفيةِ؛ فرُوحُ اللهِ حَلَّتْ في النَّبيّ، ورُوحُ النَّبيّ حَلَّتْ في عَليّ، ورُوحُ عَليٍّ حَلَّتْ في الحَسنِ، ورُوحُ

الحَسنِ حَلَّتْ في الحُسينِ، ورُوحُ الحُسينِ حَلَّتْ في مُحمدِ بنِ الحَنفيةِ ورُوحُ مُحمدِ بنِ الحَنفيةِ حَلَّتْ في وَلدِه هَاشمٍ.. وأن مُحمدَ بنَ الحَنفيةِ لم يَمُتْ وإنَّما ذَهبَ إلى جبالِ رَضْوَى عِندَه عَسلٌ ومَاءٌ، وسيَعودُ ليَملأَ الأَرضَ عَدلاً كما مُلِئتْ جَوراً!!

هنا ظَهرَ التَّشيُّعُ العَقَديُّ المَعروفُ الآنَ، وافْترقَ النَّاس دِيناً لا سِياسةً، إذ لا يُمكِنُ أن يَقولَ عَاقلٌ أنَّ هذه الهَلاوِسَ هي دِينُ مُحمدٍ -صَلَّى اللهُ عليه وسَلَّمَ- الذي آمَنَ به عَليٌّ وأَبناؤُه وعَامَّةُ المُسلمينَ.. فلمَّا ظَهرَ من دَعَا إلى هذه الأَباطيلِ وآمَنَ بها، صَارَ الإِيمانُ بها دِيناً جَديداً غَيرَ دِينِ عُمومِ الأُمَّةِ، فافْترَقَ النَّاسُ إلى مُسلمِينَ وكُفارٍ، لا إلى حِزبِ عَليٍّ وحِزبِ مُعاويةَ.

جَاءَ الخُمَيْنيُّ كما جَاءَ غَيرُه.. اختُرِعَ دِينياً كما اخْتُرِعَ عَبدُ النَّاصرِ قَومياً.. أيُّ تَأريخٍ لنَجاحِ الثَّورةِ الإِيرانيةِ يُغفِلُ رِضَا النِّظامِ العَالميِّ عنها لَيسَ أَكثرَ من تَمجيدٍ فَارغٍ نَاتجٍ عن تَضخُّمِ ذَاتٍ أو جَلْدِ ذَاتٍ.. لو أَرادَ النِّظامُ العَالميُّ إِسقاطَ ثَورةِ إِيرانَ الشِّيعيةِ لَأَسْقطَها كما أَسقطَ ثَوراتِ العَربِ السُّنِّيةَ.. سيَقولُ لك المُثقَّفُون من الأَذنابِ: لم تَكُنِ الثَّوراتُ العَربيةُ سُنيَّةً، ولم تكنْ ثَورةُ إِيرانَ في بِداياتِها شِيعيَّةً.. وهَؤلاءِ يَنظُرُون تَحتَ أَقدامِهم في مُواجهةِ نِظامٍ عَالميٍّ يَضعُ خُططاً خَمسينيَّةً ومِئويَّةً يَعرِفُ مِن خِلالِها ما الذي يُمكِنُ أن يَلتهِمَه عُودُ الكَبريتِ الذي أَشعَلَه البُوعَزيزي!!

عَادَ الخُمَيْنيُّ إلى إِيرانَ من فَرنسَا.. قَالُوا وَقتَها: خَرَجَ المَهديُّ من سِردابِه..

لم يَكُنِ السّردابُ في سَامَرَّاءَ هذه المَرَّةَ؛ بل في (نوفل لوشاتو) قُربَ بَاريسَ.. ورَغمَ تَناقُضِ التَّصريحاتِ من الدُّولِ الكُبرَى -وهي شِنْشِنَةٌ نَعرِفُها مِن أَخزَمَ- إلَّا أنَّ الخُمَيْنِيَّ حَصلَ على الحِمايةِ الكَاملةِ من فَرنسَا وبريطانيَا والاتّحادِ السُّوفيتِيّ.. بل وأمريكَا.. يَبدُو أنَّ الجَميعَ كان قد اتَّفقَ على الشَّاهِ.. يَستطرِفُ كِيسنجرُ في كِتابِه الخَبيثِ (النّظامُ العَالميُّ) قَائلاً: «مِن المُفارَقاتِ أنَّ صُعودَ آيَاتِ اللهِ إلى السُّلطةِ تَمَّ في مَراحلِه الأُولَى عبرَ قِيامِ أمريكا بفَكّ ارتباطِها مَعَ النّظامِ القَائمِ من مُنطلَقِ الاعتقادِ الخَاطئِ بأنَّ مِن شَأنِ التَّغييرِ الوَشيكِ أن يُعجِّلَ بمَجيءِ الدّيمقراطيةِ وتَعزيزِ الرَّوابطِ الأَمريكيةِ الإيرانيةِ».. (اعْتقادٌ خَاطئٌ) رَأى في نِظامِ الآياتِ تَعجيلاً بمَجيءِ الدّيمقراطيةِ وتَعزيزاً للرَّوابطِ الأَمريكيةِ الإيرانيةِ.. ما أَخبَثَ اسْتطرافَ كِيسنجرَ وأَقبحَه!!

كان الخُمَيْنِيُّ مُختاراً ثَقفياً آخَرَ شَقَّ الدّيانةَ الشّيعيةَ بوِلايةِ الفَقيهِ كما شَقَّ المُختارُ الثَّقفيُّ الإِسلامَ بأَضاليلِ التَّشيُّعِ.. كان (مَجنوناً خَطِراً على حَدّ قَولِ مُوسَى الصَّدرِ الزَّعيمِ الشّيعِيّ الذي قُتلَ في لِيبْيَا في ظُروفٍ غَامضةٍ، ورَجَّحَتْ بَعضُ الرِّواياتِ ضُلوعَ الخُمَيْنِيّ ذَاته في قَتلِه)، ولو تَجَوَّزنَا في اسْتخدامِ أَضاليلِ الشّيعةِ عن التَّناسُخِ ما أَبْعدْنا النُّجعةَ إنْ ظَنَنَّا أنَّ الخُمَيْنِيَّ حَلَّتْ في رُوحِه أَرواحُ كَثيرٍ من القَتلةِ والسَّفَّاحِينَ والمُخادِعِينَ الشّيعةِ؛ مِن المُختارِ الثَّقفيّ إلى إِسماعيلَ الصَّفويّ، مُروراً بالبُوَيْهِيّ، والقَرمَطِيّ، والحَسنِ الصَّبَّاحِ، والمُطهّرِ اليَمنِيّ، والمُعِزّ الفَاطميّ، وعَلِيّ بنِ الفَضلِ، والمَنصورِ بنِ حَوْشَبٍ، وعَبدِ اللهِ بنِ حَمزةَ... إلى آخرِ سِلسلةِ القَتَلةِ والمُجرمِين في تَاريخِ التَّشيُّعِ.. ويَكفي

دَليلاً على خِسَّةِ الخُمَيْنِيّ، غَدره بالمَرجِعَين الشّيعيَّينِ الكَبيرَينِ (الشّيرازيّ وشَريعَتَمْدَارِيّ)، وكانا قد أَنْقذَاه من الإعدامِ أَيَّامَ الشَّاهِ حِينَ رَفعَاه -دُونَ اسْتحقاقٍ- إلى رُتبةِ الاجتهادِ والمَرجعيةِ التي لم يَكُنْ قد بَلَغَها بَعدُ، لأَنَّ القَانونَ الشَّاهِنْشاهِي كان يَمنَعُ الحُكمَ على المَراجع بالإِعدامِ، فرَفَعَاه ليُسقِطَا حُكْمَ الإِعدامِ عنه.. ثم جَازَاهما بَعدَ وُصولِه للحُكمِ جَزَاءَ سِنِمَّارٍ!!

كان فَضلُ النّظامِ العَالميّ على الخُمَيْنِيّ عَظيماً.. فقد اخْتَرعُوه اخْتراعاً كما اخْترعُوا غَيرَه اخْتراعاً، لِعِلمِهم أَنَّ زَمنَ القَومياتِ والوَطنياتِ في بِلادِ الإِسلامِ آيِلٌ للسُّقوطِ، وأَنَّ العَقائدَ هي المُحَرِّكُ الأَقوَى للمُسلمِين مَهما تَلاعَبَتْ بِهم أَهواءُ القَوميةِ والوَطنيةِ والقَبائليةِ، وأَنَّ عَودةَ السُّنَّةِ إلى صَحيحِ الدِّينِ لن تَستغرِقَ وَقتاً طَويلاً.. فكان لا بُدَّ من اسْتغلالِ وُجودِ العَدوِّ الدَّاخليِّ الذي لا يَعرِفُ عَامةُ المُسلمِين أنه عَدوٌّ، رَغمَ تَاريخِه المُوغِلِ في الخِيانةِ والكُفرِ!!

وكان فَضلُ الخُمَيْنِيّ على الشِّيعةِ عَظيماً كفَضلِ هِرْتِزلَ على اليَهودِ.. فقد اسْتَنْقَذَهم من التَّشرذُمِ كما اسْتَنْقَذَ هِرْتِزِلُ اليَهودَ من الشَّتاتِ، وكان لهم خَيطاً نَاظماً وسِلكاً جَامعاً، فأَقامَ الدَّولةَ لأَتباعِه بحَبلٍ من اللهِ وحَبلٍ من النَّاسِ، في الوَقتِ الذي حَرِصَ النِّظامُ العَالميُّ فيه أَن يَظَلَّ المُسلمُون الحَقيقيُّون بلا دَولةٍ، فعَمِلَ على إِسقاطِ كُلِّ دَولةٍ يُظَنُّ فيها أنها يُمكِنُ أن تكونَ الرَّايةَ الجَامعةَ للمُسلمِين حتى لو اقْتَرَفَتْ بَعضَ الأَخطاءِ البَشريةِ أو الخَطايَا العَقديةِ التي لا يَتفِقُ مَعَها عُمومُ المُسلمِين، من دَولةِ ابنِ عَبدِ الوَهابِ الأُولى في جَزيرةِ مُحمدٍ -صَلَّى اللهُ عليه وسَلَّمَ-، إلى الدَّولةِ الإِسلاميةِ الحَديثةِ

في العِراقِ والشَّامِ، مُروراً بدَولةِ الخطَّابيِّ في المَغربِ، والمَهديِّ في السُّودانِ، وطَالبانَ في أَفغانستانَ.

وكما تَمدَّدَ اليَهودِ في خَواصِرِ المُسلمين الرِّخوة (وكُلُّ خَواصِرِنا في القَرنِ العِشرِين رِخوةٌ)؛ تَمَدَّدَ الشِّيعةُ أَيضاً.. ومن يَقرأُ عن أَساليبِ تَمدُّدِ الشِّيعةِ في الشَّامِ تَحديداً يُذهَلُ من تَطابُقِ أَساليبِهم مَعَ أَساليبِ اليَهودِ في شِراءِ الذِّممِ والأَراضِي، والتَّسرُّبِ إلى دَوائِرِ صُنعِ القَرارِ، وإِنشاءِ المَراكِزِ والمَدارسِ والمُستشفياتِ والحُسَيْنيَّاتِ، واسْتخدامِ مَشايخِ السُّوءِ الرَّسميِّين في تَلميعِ صُورتِهم، واخْتراقِ التيَّاراتِ الإِسلاميةِ بدَعوَى التَّقريبِ، واسْتغلالِ الوَهجِ الأَولِ للثَّورةِ الإِيرانيةِ في رَسمِ صُورةٍ كَاريزْميَّةٍ للثَّورةِ وقِياداتِها، ثم بَذْرِ بُذورِ الحَركاتِ الشِّيعيةِ المُسلَّحةِ التي خَدعَتِ النَّاسَ بوَهمِ المُقاومةِ، أو اسْتنباتِ حَركاتٍ عَقائديةٍ من حَركاتٍ شِيعيةٍ سَابقةٍ غَلبَتْ عليها الوَطنيةُ، كاسْتنباتِ (حِزبِ اللهِ) العَقائديِّ من (حَركةِ أَمل) التي قِيلَ إنها وَطنيةٌ.. وكِلتاهُما كانتا بَلاءً على الإِسلامِ والمُسلمين.

لقد كانَ تَمدُّدُ الشِّيعةِ أَشدَّ خَطراً من تَمدُّدِ اليَهودِ، ففي ظِلِّ خَفاءِ أَمرِهم على النَّاسِ واعْتقادِ عَامَّةِ المُسلمِين أن التَّشيُّعَ مَذهبٌ ولَيسَ عَقيدةً؛ اسْتخدمُوا آلَ البَيتِ وَاجهةً يَتسرَّبُون بها إلى قُلوبِ المُسلمِين وعُقولِهم، ورَفعُوا الشِّعاراتِ الإِسلاميَّةَ والسِّياسةَ البَرَّاقةَ عن جِهادِ الشَّيطانِ الأَكبرِ وجَيشِ القُدسِ الذي حَاربَ في كُلِّ مَكانٍ عَدَا القُدسِ، وعَمِلُوا على تَصديرِ التَّشيُّعِ تَحتَ شِعارِ تَصديرِ الثَّورةِ، ورَكَّزُوا على وَهمِ التَّقريبِ بَينَ السُّنةِ

والشّيعةِ (ذلك الوَهمُ الذي سَقطَ فيه كِبارُ علماءِ السُّنَّةِ في هذا العَصرِ، ثم نَدِمَ بَعضُهم ولَاتَ ساعةَ مَندمٍ)، واسْتخدموا أَسماءَ مُفكِّرِي الفُرسِ وشُعرائِهم ومُثقَّفِيهم للتَّسرُّبِ إلى عُقولِ أدعياءِ الثَّقافةِ من شَبابِنا (وما كَانتِ المُشكلةُ يَوماً في فِكرِ شَريعتِي؛ بل في كُفرِ الخُمَيْنِيِّ)، واسْتغلُّوا خِياناتِ لُصوصِ هذه الأَكشاكِ العَربيةِ في تَلميعِ صُورةِ إِيرانَ الشّيعيةِ وإِلصاقِ هذه الخِياناتِ بالسُّنَّةِ في الوَقتِ الذي يَعلَمُ فيه الجَميعُ أَنَّ هَؤلاءِ اللُّصوصَ لَيسُوا سُنَّةً وليسوا مُسلمِين، وأَنَّ هذه الدُّولَ المُختَرَعَةَ لَيستْ من السُّنَّةِ في شَيءٍ، وأَنَّ خِياناتِ إِيرانَ وحِزبِ اللهِ وسَفْكَهما لدِماءِ المُسلمِين هي خِياناتٌ شِيعيةٌ في الأَساسِ؛ لأَنَّ العَقيدةَ التي تَرفعُها إِيرانُ وحِزبُ اللهِ الآنَ عَقيدةٌ شِيعيةٌ (رَغمَ عَدمِ إِغفالِنا للبُعدِ القَوميِّ الفَارسيِّ)؛ بَينَما العَقيدةُ التي تَرفعُها هذه الأَكشاكُ العَربيةُ عَلمانيةٌ دِكتاتوريةٌ لَيسَ فيها من السُّنَّةِ إِلَّا المُسمَّى الخَادعُ!!

ضَحِكٌ كالبُكَا.. ذلك الضَّحِكُ الذي يَضحَكُه العَاقلُ حِينَ يَكتشفُ النَّاسُ أَنَّ (دُولَ الطَّوقِ) كَانتْ طَوقاً علينا لا على إِسرائيلَ، وأَنَّ جَبهةَ الصُّمودِ والتَّصدِّي كَانتْ صُموداً في تَلَقِّي ضَرباتِ إِسرائيلَ وصَدّاً لأَيِّ رَصاصةٍ منَّا على إِسرائيلَ، وأَنَّ سَيدَ المُقاومةِ الجَعْجَاعَ لم يَكنْ أَكثرَ مِن قَرْمَطِيٍّ آخَرَ قَتلَ من المُسلمِين في خَمسِ سَنواتٍ أَضعافَ ما قَتلَ بيغِنُ ودَايانُ وشَارونُ وشَاميرُ ورَابينُ وبِيريزُ ونِتنياهُو وبَاراكُ في سِتِّينَ سَنةً!!

لم تَكُنِ القُدسُ في يَومٍ من الأَيامِ هَمَّاً من هُمومِ إِيرانَ.. اللَّهمَّ إِلَّا على الصَّعيدِ الإِعلاميِّ والدِّعائيِّ.. كَانتْ لَحناً يَفتتحُ به حَسن نَصرُ اللهِ وَصَلاتِه

الكَربلائيةَ أَمامَ الجَماهيرِ قَبلَ أن يَذبَحَ أَطفالَ سُوريَّا بخَنجرِ ابنِ مُلجِمٍ، وكُوفيةً مُهترئةً يرتَديها خَامنئِي في لِقاءاتِه الرَّسميةِ بَينَما جُنودُه يَقطعُون رِقابَ المُسلمِين في العِراقِ بسَيفِ شِمْرِ بنِ ذِي الجَوْشَنِ، وكَاباً عَسكرياً يَعتَمِرُه قَاسِمُ سُلَيْماني وهو يَستَبِيحُ حَلَبَ بجَيشِ عُبيدِ اللهِ بنِ زِيادٍ!!

عَارٌ على مَن يَتحدَّثون باسمِ (شَرفِ الأُمةِ) ويَجعلُون القُدسَ بَوْصَلَتَهم أن يَتحوَّلُوا إلى أَحذيةٍ غَليظةٍ لإِيرانَ تَخوضُ بها مُستنقعاتِ الدَّمِ وتِلالَ الجُثَثِ.. عارٌ عليهم أن يُصبِحُوا أَدواتِ مَكياجٍ تُزَيِّنُ وَجهَ إِيرانَ القَبيحَ.. عَارٌ عليهم أن يَرفعُوا صُورَ هَؤلاءِ القَتلةِ في انطِلاقَتِهم الثَّلاثِين لأَنَّ إِيرانَ رَمَتْ إليهم حِفنةَ دُولاراتٍ، أو حَقيبةَ دُولاراتٍ، أو حَاويةَ دُولاراتٍ.. ما تَكسِبُه إِيرانُ منكم -في الوَقتِ الذي تَقتلُ فيه المُسلمِين- أَضعافُ ما تَكسبُونه منها.. ولا واللهِ ما كَسَبْتم سِوى الخِزيِ حِينَ تَحوَّلَ بَعضُ قَادتِكم من (ثُوَّارِ أَنفاقٍ) إلى (تُجَّارِ أَنفاقٍ)!!

أَوَكُلَّما حُوصِرَ مُقاتلٌ سَلَّمَ؟! أَوَكُلَّما ضُيِّقَ على مُجاهِدٍ سَقطَ؟! ارْفَعُوا صُورَ هِرْتزِلَ وشَاميرَ ونِتنياهُو إِذنْ.. فواللهِ إنَّ هَؤلاءِ لا يَختلفُون عن أُولئِك في شَيءٍ، بل إنَّ أُولئِك أَشدُّ خَطراً من هَؤلاءِ!!

عَذرْناكم حِينَ تَناوَلْتم من المَيتةِ اضْطِراراً لبُلوغِ الغَايةِ، أمَا وقد صَارَتِ المَيتةُ هي الغَايةَ فلا.. عَذرْناكم حِينَ انْحنَيْتم قَليلاً للعَاصفةِ، أما وقد سَجدْتم لها سُجوداً فلا.. عَذرْناكم حِينَ تَعلَّلْتم بالحِصارِ والمُقاطعةِ والتَّضييقِ، وكُنّا أَشدَّ

على مُحاصِرِيكم منكم، ما مَدحْناهم يَوماً، ولا رَفعْنا صُورَهم يَوماً، ولا آمَنَّا بهم يَوماً، وحِينَ وَجَدْنا فُرصةً للثَّورةِ عليهم ثُرْنا.. قَدَّمنَا ما نَستطيعُ، وبَعضُنا قَدَّمَ فَوقَ ما يَستطيعُ.. لم تَكونُوا وَحدَكم أَبداً.. كُنْتم قَطرةَ الشَّرفِ التي تَسْرِي في عُروقِنا، وكُنَّا نَستمدُّ القُوَّةَ من صُمودِ اليَاسينِ والرَّنْتِيسيِّ ورَيَّانَ وأَضرابِهم.. فلمَّا جَدَّ الجِدُّ بنا وحُوصِرْنا أَشَدَّ من حِصارِكم، وقُتِلْنا أَبشعَ من قَتْلِكم، وشُرِّدْنا أَكثرَ من تَشريدِكم؛ مَجَّدْتم قَتَلَتَنَا، ومَدحْتُم مُنتهِكِي أَعراضِنا، وزَيَّنْتم وُجوهَ مُغتصِبِي أَرضِنا!!

الآنَ اكْتشفْتم أنَّ السِّياسةَ فَنُّ المُمكِنِ؟! الآن اكْتشفْتم أن أَهونَ الشَّرَّينِ خَيرٌ؟! «ما عَدَا مِمَّا بَدَا»؟!! لا واللهِ ما لَعِبْتم سِياسةً أَبداً، بل لُعِبَ بكم حِينَ ارْتضيتُم دُخولَ صُندوقِ النِّظامِ العَالميِّ، وحُشِرْتم في الزَّاويةِ شَيئاً فشَيئاً، فلا أنتم احْتفظْتم بوَجهِكم الذي أَحبَّكم النَّاسُ من أَجلِه، ولا القِناعِ الذي تَقَنَّعْتُموه خَدَعَ نَاصِبَ الفَخِّ وصَاحبَ الصُّندوقِ..

كُلُّنَا يَا صِاحِبِي يَبْدُو لَهُ ** أَنَّهُ أَذْكَى خِداعَاً وَهْوَ يُخْدَعُ

وقد كُنْتم تَختارُون قَديماً خَيرَ الخيرَينِ وأَهدَى الطَّريقَينِ؛ فلمَّا طَالَ عليكم الأَمدُ في الحُكمِ، اسْتَطَبْتم دَعَتَه، واسْتَحلَيْتم عَسيلَتَه، وتَقَلَّبْتم في نَعمائِه، فصِرْتم تَختارُون في كُلِّ مُنعطفٍ ضَاغطٍ أَوْقعْتم أَنفُسَكم فيه- شَرَّ الشَّرَّينِ وأَضَلَّ الطَّريقَينِ خَشيةَ زَوالِ النِّعمةِ، وإنها واللهِ لزَائلةٌ.. ولَيْتَكم جَعَلْتم هذه النِّعمةَ مَشاعاً لأَهلِنا في غَزَّةَ ولم تَحْتَجِنُوها دُونَهم.. إذنْ واللهِ لرَضِينا بِرِضَا

إِخوانِنا ونَعِمْنا بنَعْمَائِهم وسَعِدْنا لسَعادَتِهم.

هُناكَ طَريقٌ ثَالثٌ.. دَائماً هُناكَ طَريقٌ ثَالثٌ.. لن يَحصُرَكَ عَدُوُّكَ بَينَ طَرِيقَينِ إلَّا إذا حَصَرْتَ نَفْسَك بَيَنهما أو رَأَى مِنك اسْتعدَاداً لحَصْرِ نَفْسِك.. وقد سِرْتُم في الطَّريقِ الثَّالثِ أَيامَ اليَاسينِ وعَيَّاشٍ، ولو عُدْتُم له وتَرَكْتُم مَساكنَ الذين ظَلَمُوا أَنفُسَهم ومُخَصَّصاتِهم ونَعمائِهم، ما سَقَطْتم أَمامَ أَنفُسِكم وأَمامَ النَّاسِ.. ولـكنْ هَيهاتَ هَيهاتَ.. لَانَتِ الجُلودُ وكَلَّتِ الأَيدي واسْتَخْذَتِ النُّفوسُ.. وعَسَى اللهُ أن يُبقِيَ سُكَّانَ أَنفاقِكم على عَهدِ عَيَّاشٍ بَعدَ أن بَدَّلَ بَعضُ سُكَّانِ أَبراجِكم عَهدَ اليَاسينِ!!

أَيُّها المُسلمُون..

أَنتُم لم تُهزمُوا بَعدُ.. لأَنَّكم لم تُوجَدوا بَعدُ..

أَولُ الوُجودِ الدَّولةُ، ولا دَولةَ لنا.. فلا يَخدَعَنَّكم المُرجِفُون بالهَزيمةِ، ولا يُيَئِسنَّكم المُثَبِّطون عن العَملِ.. ما أَصابَكم اليَومَ أَصابَ غَيرَكم بالأَمسِ، وما انْتصرُوا اليَومَ إلَّا لِعمَلِهم بالأَمسِ، ولن تَنتَصِروا غَداً إلَّا إذا عَمِلتُم اليَومَ.

الشِّيعةُ لم يَنتَصِروا عليكم.. اليَهودُ لم يَنتَصِروا عليكم.. النَّصارَى لم يَنتَصِروا عَليكم.. لقد انْتصرَ هَؤلاءِ على خَيالِ المَآتةِ.. انْتصَروا على عَدوٍّ مُختَرَعٍ ومُزيَّفٍ وغَبِيٍّ.. انتصَروا على صَنائِعهم التي صَنعُوها ليَنتَصِروا عليها.. انْتصَروا على عَبيدِهم الذين لم يُطلِقوا طَلقةً على أَسيادِهم من أَجلِكم، بل أَطلَقُوا عليكم من أَجلِ أَسيادِهم.. إنَّ ما تَفعلُونه اليَومَ -حتى دُونَ وُجودِ الخيَطِ النَّاظمِ-

لعَظيمٍ عَظيمٍ.. إنَّها إِرهاصاتُ الدَّولةِ، فلا يَعُوقَنَّكم الشَّتاتُ عن التَّجمُّعِ.. إنَّها تَجارِبُ مُتراكمةٌ، فلا تَصُدَّنَّكم الكَبوةُ عن العَودةِ.. إنَّها أَثمانُ النَّجاحِ، فلا تُقْعِدنَّكم العَثْرةُ عن النَّهضةِ!!

بِضعةُ آلافٍ من المُجاهِدينَ الحَقيقيِّينَ مَرَّغُوا وَجهَ إِيرانَ ومَنْ وَراءَ إِيرانَ في التُّرابِ، وما سَاعَدَ إِيرانَ في النَّصرِ المَوهومِ عليهم إلَّا أَنظمةُ السُّنَّةِ المُختَرعةِ ومِنْ وَرائِها العَالَمُ كُلُّه!!

إنَّ الذين فَتحُوا المَوصِلَ بالدَّمِ وخَرجُوا منها بالدَّمِ قَمِينُون أن يَعودُوا إليها بالدَّمِ، بَيْدَ أنَّ اتِّكاءَ فَتاةٍ على فَتًى أَمامَ جِداريةٍ في حَلَبَ مكتوبٌ عليها (رَاجْعِين يا هَوَى) لن يُعيدَ مَفْحَصَ قَطَاةٍ مِن حَلبَ!!

الدَّولةَ الدَّولةَ.. لا وُجودَ لنا ما لم يكنْ لنا دَولةٌ.. ليَكُنْ هَمُّنا فيها وحُلمُنا بها وعَمَلُنا لها.. الذين خَرجُوا من التِّيهِ لم يَدخُلُوا الأَرضَ المُقدَّسةَ إلَّا بيُوشعَ بنِ نُونٍ.. والذين طَالَ عليهم الأَمدُ في الذُّلِّ لم يَهزِمُوا العَماليقَ إلَّا بطَالوتَ مَلِكًا.. والذي قَتلَ جَالوتَ آتَاه اللهُ المُلكَ والحِكمةَ.. سَيفٌ وكِتابٌ: هذا حِمْلُ يُوشعَ.. مُلكٌ وحِكمةٌ: هذا عَطاءُ دَاوُدَ.. بَسطةٌ في العِلمِ والجِسمِ: هذه فَضيلةُ طَالوتَ!!

لا تَيأَسُوا.. لقد أَنهكتموهم وأَنهكُوكم، وعِندَهم ما يَخسرون وليسَ عِندَكم ما تَخافُون خَسارَتَه.. كُشِفَتِ الأَسرارُ وسَقطَتِ الأَستارُ وتَداعَتِ الأَسوارُ.. لم يَعُدْ عِندَ القَومِ ما يَتجمَّلون به، وانْسلَخْتم أنتم من أَوهامِ نُفوسِكم

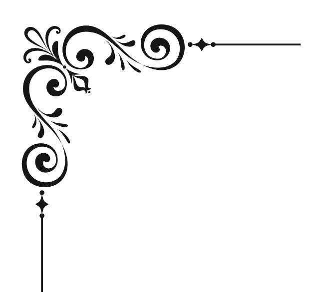
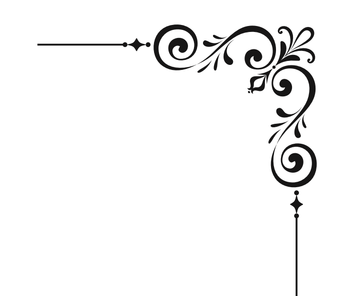
فرَأيْتم الحَقيقةَ.. أيامُكم مُقبِلةٌ وأَيامُهم مُدبِرةٌ.. ومَن ظَنَّ أنَّ هذا الظَّلامَ سيَطُولُ أَمدُه فقد أَساءَ فَهْمَ الوَاقعِ وجَهِلَ سُنَنَ اللهِ وعَمِيَ عن فِقهِ التَّاريخِ!!

أنتم واللهِ على مَرمَى حَجرٍ من الدَّولةِ.. لقد اقْترَبَ مَوعِدُها وحَانَتْ سَاعتُها وأَظَلَّكم زَمنُها.. دُونَها أَهوالٌ علينا وعليهم؛ نَدفعُ بها ثَمنَ اسْتِخذَائِنا المَاضي، ويَدفعُونَ بها ثَمنَ جَرائِمِهم المَاضيةِ والحَاضرةِ.. احْرِصُوا فَقطْ على أن تَكونَ دَولةً لا إِرجاءَ فيها ولا غُلُوَّ.. لا دَعوةَ فيها بلا سَيفٍ ولا سَيفَ فيها بلا دَعوةٍ.. لا نِفاقَ فيها للنَّاسِ بدَعوى الحَاضنةِ الشَّعبيةِ ولا اسْتِطالةَ فيها عليهم بدَعوى الجِهادِ.. لا تَنازُلَ فيها عن أُصولِ العَقيدةِ مِن أَجلِ وَهمِ التَّوافُقِ ولا تَمزيقَ فيها لشَمْلِ المُسلمِين بدَعوى النَّقاءِ العَقَديِّ.. لا إِقصاءَ فيها لصَاحبِ تَفكيرٍ ولا مَنصبَ فيها لمَجنونِ تكفيرٍ.. لا قَتلَ فيها بالظِّنَّةِ ولا عَفوَ فيها عن مُجرمٍ بالمِنَّةِ.. جُنودُها حُدَثاءُ الأَسنانِ عُقلاءُ الأَحلامِ أَشِدَّاءُ على الكُفارِ رُحَماءُ بينَهم.. إِمامُهم أَمَامَهُم، وعُلماؤُهم حُكماؤُهم، وسَادَتُهُم خُدَّامُهُم.. لا يُحَجِّرون وَاسعاً ولا يُمَيِّعُون مَانِعَاً.. يَقتُلون من اسْتَحَقَّ القَتلَ من أَهلِ الأَوثانِ ويَعفُون ما وَسِعَهم العَفوُ عن المُخطِئين مِن أَهلِ الإِسلامِ!!

إذا فَهِمتُم ما سَبَقَ.. فأنتم على الطَّريقِ.. تَستطيعُون أن تَبدَؤُوا الآنَ وأنتم الأَعْلَوْن، واللهُ مَعكم ولن يَتِرَكُم أَعمالَكم!!

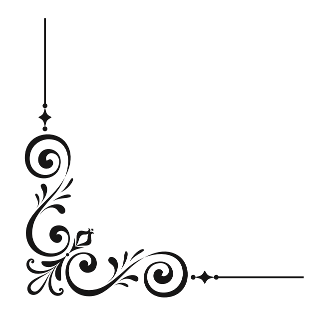
٢٣ / ربيع الآخر / ١٤٣٩هـ

١١ / ١ / ٢٠١٨م

(١٥)

ثَرَثَراتُ الجِهاتِ المُنْفَكَّةِ




إنْ كان العِلمُ وَحْدَهُ مَناطاً لدُخولِ الجَنَةِ فَبَشّرْ عجائزَ أَهلِكَ بالنَّارِ!!

حَرَّمَ الإسلامُ الحَريرَ على الرِّجالِ.. إذا توضَّأْتَ وصَليْتَ في ثَوبِ حَريرٍ؛ صَحَّتْ صَلاتُكَ وأَثِمتَ بارْتداءِ الحَريرِ.

أَباحَ الإسلامُ الصُّوفَ والكَتَّانَ للرِّجالِ والنِّساءِ.. إذا صَليْتَ في ثَوبِ صُوفٍ -بغَيرِ وُضوءٍ- لَمْ تَصِحَّ صَلاتُك ولو لَبِستَ صُوفَ الأَرضِ وكَتَّانَهَا.. صُوفُ الأَرضِ -وإنْ كان حَلالاً- لا يُجزئُ عن الوُضوءِ، وحَريرُ الأرضِ -وإنْ كان حَراماً- لا يَنقُضُ الوُضوءَ.. صلاتُك بالوُضوءِ لكَ، وإِثمُكَ بالحَريرِ عليك.. هذا -وغَيرُه- ما يُسَمّيه الفُقهاءُ: (انْفكاكَ الجِهةِ).

تَقولُ لأَحدِهم: فُلانٌ أَسمرُ اللَّونِ طَويلٌ..

يَردُّ عليك: لا؛ بل هو ثَرثارٌ مِهذارٌ!!

هذا -وغَيرُه- ما يُسمّيه العُقلاءُ: (فَقْعَ المَرارةِ)!!

ما الرَّابطُ هنا؟! الجِهةُ مُنفكةٌ!!

أَقُولُ لَهُ بَكْرًا فَيَسْمَعُ خَالِدًا ** وَيَكْتُبُهُ زَيْدًا وَيقْرَؤُهُ عَمْرَا

(تَحريرُ مَحَلِّ النِّزاعِ) و(انْفكاكُ الجِهةِ) قَاعدتانِ أُصوليَّتانِ عَظيمتانِ لا يَحتاجُ المُثقفُون هذه الأَيامَ إلى أَكثرَ منهما في نِقاشاتِهم التي قد تَطولُ حتى لا تَكادُ تَنتهِي!!

إذا حَرَّرتَ مَحَلَ النِّزاعِ فكَكتَ الجِهةَ، وإذا فكَكتَ الجِهةَ حَرَّرتَ مَحلَّ النِّزاعِ!!

لَاحقاً، ستكتشفُ أنَّ النِّقاشَ الذي قد يَستغرقُ خَمسَ سَاعاتٍ -مَعَ وَصلاتِ السَّبِّ والشَّتمِ-، سينَتهِي في خَمسِ دَقائقَ مَعَ غَايةِ التَّقديرِ والاِحترامِ!!

قَرأتُ مَرةً أنَّ إمبراطورَ الصِّينِ سَألَ الحَكيمَ كُونْفوشيُوسَ عن الطَّريقةِ المُثلَى لحَثِّ شَعبِه على العَملِ والإنتاجِ، فأَجابَه كُونْفوشيُوس: اصْنعْ لهم مُعجَماً.. إذا عَرفُوا دَلالةَ الأَلفاظِ ومَعانيها، وَصلُوا إلى المَعنَى المُرادَ في أَقصرِ وَقتٍ، ثم انْصرفُوا إلى العَملِ والإنتاجِ.. يَبدُو أنَّ الشَّعبَ الصِّينيَّ كان شَعباً مَكْلَمَانِيَّاً بطَبعِه!!

أَفلاطونُ في حِواراتِه كان يُشدِّدُ -قَبلَ بَدءِ الحِوارِ- على الاتفاقِ على مَعانِي الأَلفاظِ ودَلالاتِها.. كان الحِوارُ يَنتهِي في البَحثِ عن مَعانِي الأَلفاظِ، وكان هذا -في الأَغلبِ- هو الهَدفَ الأَساسَ لأَفلاطونَ!!

عِلمُ أُصولِ الفِقهِ -بقَواعِده المُقرَّرةِ- عِلمٌ إسلاميٌّ عَظيمُ الخَطرِ، لا أَظنُّ أنَّ أُمةً من الأُممِ امْتلكَتْ مِثْلَهُ بتَأصيلاتِه التي اجْتهدَ الفُقهاءُ في تَأصيلِها، بَيْدَ أنَّ كَثيراً من شَبابِنا المُثقَّفِ -في عَصرِ التَّراجُعِ هذا- لا يُطرِبُهم زَامرُ الحَيِّ، ولا يُقنعُهم رَائدُ الأَهلِ، ولا يَبْهَرُهم إلَّا من يَقولُ: قَالَ دِي سُوسِيرِ، وتشُومِسْكِي، وأَفلاطونُ، وكُونْفشيُوسُ (كما فَعلْتُ أنا أَعلَاه)، فإذا سَمِعُوا:

قَالَ الشَّافعيُّ، والجُوَيْنِيُّ وابنُ تَيميَّةَ، لَوَّوْا رُؤوسَهم ورَأيتَهم يَصُدُّون وهم مُستكبِرون!!

يَقولُ لك عِلمُ أُصولِ الفِقهِ: كَفَى (هَرتَلَةً)، هذه الأَلفاظُ وُضِعتْ لهذه المَعاني، وهذه المَعانِي تُعَبِّرُ عنها هذه الأَلفاظُ، إن اتَّفقْنا في المُنطلَقِ سنَصلُ إلى النَّتيجةِ متفِقِين أَو مُختلِفِين، وإن اخْتلفْنا في المُنطلَقِ لن نَصلَ إلى نَتيجةٍ أَبداً!!

- كان (رَحِمَه اللهُ) مُلحداً عَبقرياً!!

- ماذا؟!

- كان (رَحِمَه اللهُ) مُلحداً عَبقرياً!!

سَمِعْتُك.. ولكنَّ جُملةَ (رَحِمَه اللهُ) هذه، ما مَوقعُها من الإِعرابِ؟! ما الذي جاءَ بها هنا؟!

المُسلمُون -ابْتداءً- لَيسُوا مُغرَمِين ولا مَشغولِين بإِدخالِ النَّاسِ النَّارَ، بل العَكسُ هو الصَّحيحُ.. بَيْدَ أنَّ لكُلِّ شَيءٍ حُدوداً وقَواعدَ، إن خَرجَ منها أو أُخرِجَ عنها لم يَعُدْ هو هو.

اللَّبنُ سَائلٌ، وكذلك الحِبرُ، اتِّفاقُ الحِبرِ واللَّبنِ في السُّيولةِ لا يَجعلُهما شَيئاً وَاحداً.. إن قَطَّرتَ قَطراتِ حِبرٍ في كُوبِ لَبَنٍ، ستَخسرُ اللَّبنَ ولن تَكسِبَ الحِبرَ!!

الحُدودُ فَواصلُ تَفصلُ الأَشياءَ عن بَعضِها لتَتمايَزَ عن بَعضِها، والحِفاظُ على الحُدودِ والقَواعدِ حِفاظٌ على جَوهرِ الأَفكارِ ومَاهيَّةِ المُعتقَداتِ، ولَيَس

جُموداً يَسْتنبتُه التَّعصُّبُ، أو تَعصُّباً يُؤدّي إلى الجُمودِ.. ما لا أَصلَ له لا يُعوَّلُ عليه، وَرَدُّ الأَشياءِ إلى أُصولِها يَحفَظُها من أن تكونَ كالحِرباءِ يَتلوَّنُ بما عليه يَطَأُ، ويَتغيَّرُ بما فيه يُكَنُّ.. إذا عُبثَ في الأَصلِ سَقَطَ بفُروعِه!!

الشُّيوعيةُ غَيرُ الرَّأسماليةِ، والتَّلقيحُ بَينَهما يُسقِطُهما مَعاً، أو يُنتِجُ منهما شَيئاً آخَرَ فيه من هذه وتلك، لَكنَّه لَيسَ هذه ولا تلك!!

وقد ابتُلِيَ الإِسلامُ ببعضِ أَهلِه من مُعتنِقِي دِينِ الإِنسانيةِ، لا يَكادُ يَظهرُ حُمقُهم إلَّا حِينَ يَتعلَّقُ الأَمرُ ببُغضِ الكُفرِ وأَهلِه، فتَراهُم يُسارعُون فينا يَقولُون: (نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ)، أو تَراهُم -لطُولِ تَقلُّبِهم في مُستنقَعِ عُقَدِ النَّقصِ الذي خَلَّفَتْه الانكساراتُ النَّفسيةُ أَمامَ الآخَرِ المُتغلِّبِ- يَتطلَّعُون إلى الظُّهورِ بمَظهرِ التَّحضُّرِ والمُعاصرةِ، أو مَظهرِ المُفكِّرِين المُتحرِّرِين، غَيرَ عَابِئِين بانْتِهاكِ الحُدودِ وإِسقاطِ القَواعدِ، في الوَقتِ الذي يُذيقُهم فيه أَهلُ الحَضارةِ الإِنسانيةِ المَزعومةِ الوَيلاتِ في دِينِهم وأَنفُسِهم وأَعراضِهم وأَموالِهم وأَوطانِهم!!

لن تَجدَ نَصرانياً عَاقلاً مُؤمناً بمُعتقدِه يُجاملُ مُسلماً أو يَهودياً، فيَتطوَّعُ -رَغبةً أو رَهبةً- بإِدخالِه مَلكوتَ السَّمواتِ، (ولو فَعلَ لَكانَ كَاذباً)، ولن تَجدَ يَهودياً يَفعلُ ذلك مَعَ مُسلمٍ أو نَصرانيٍّ.. اليَهوديُّ تَحديداً تَشعرُ أنه لو اسْتطاعَ إِدخالَ مَجرَّةِ دَربِ التَّبَّانةِ النَّارَ لَفعلَ!!

أَمَّا الإِسلامُ المَظلومُ بأَهلِه فقد صَارَ حَقلاً للتَّجارِبِ، كُلَّما نَبتَ مَنهجٌ

في مُستنقعٍ، ورُزقَ استطالةً وعلُواً بحَبلٍ من اللهِ وحَبلٍ من النَّاسِ؛ سَارعَ الإِسلامبراليُّون إلى تَرقيعِه بالإِسلامِ أو تَرقيعِ الإِسلامِ به.

شَتَّانَ بَينَ مَن يَجعلُ الإِسلامَ مِيزاناً يَزِنُ به الأَشياءَ ويَرُدُّها إليه، وبَينَ من يَجعلُ الإِسلامَ ثَوباً مُرقَّعاً لا تكادُ تَجدُ فيه رُقعةً تُشبهُ أُخرَى؛ فهذه رُقعةٌ اشْتراكيةٌ، وتلك رَأسماليةٌ، وأُخرَى لِيبراليةٌ، ورَابعةٌ دِيمقراطيةٌ، وخَامسةٌ وَطنيةٌ، وسَادسةٌ قَوميةٌ.. وما شِئتَ بعدَها من رِقاعٍ لا هَدفَ لأَصحابِها سِوَى إِخفاءِ الثَّوبِ ذَاتِه؛ حتى إذا اخْتفَى الثَّوبُ تَحتَ الرِّقاعِ تَمَّتِ الغَايةُ وحُقق الهَدفُ، وكأنَّ المَطلوبَ أن يَتحوَّلَ الإِسلامُ إلى شَيءٍ هُلاميٍّ لا شَكلَ له ولا طَعمَ ولا رَائحةَ؛ يَقبلُ كُلَّ شَيءٍ؛ لِيَصيرَ في النِّهايةِ لا شَيءَ!!

هُناك خَالقٌ مَالكٌ مُدبِّرٌ لهذا الكَونِ، سَمَّى نَفسَه بأَسماءٍ حُسنَى، ووَصفَ ذَاتَه بصِفات عُلا، خَلقَ الكَونَ وخَلقَ مَعَه جَنةً للمُؤمنِين به، ونَاراً للكَافرِين به.. هكذا أَرادَ هذا الخَالقُ المَالكُ المُدبِّرُ العَظيمُ، فإذا بَلَغَتْ رِقةُ نَفسكَ حَدَّاً تَرَى فيه أنَّ اسمَ (الرَّحمنِ) يُسقِطُ اسْمَ (الجبَارِ)، أو أنَّ اسْمَ (الرَّحيمِ) يُسقطُ اسْمَ (المُنتقِمِ)، أو أنَّ اسْمَ (الغَفارِ) يُسقِطُ اسْمَ (القَهارِ)؛ فقد -واللهِ- ارتَقيتَ مُرتقىً صَعباً وأَوردتَ نَفسكَ المَهالكَ حِينَ تَحامَقتَ فأَثبتَّ ما تَظنُّه خَيراً ومَحوتَ ما تَظنُّه شَراً، أو تَسافَهتَ فأَقْرَرْتَ له جَلَّ وعَلَا ما تَظنُّه لَائقاً ورَفضْتَ عليه جَلَّ وعَلَا ما تَظنُّه غَيرَ لَائقٍ مِمَّا أَثْبَتَه هو جَلَّ وعَلَا لذَاتِه، وما أَنتَ بالمَاحِي ولا المُثبتِ، فكَأنَّك ادَّعيتَ لنَفسك -دُونَ أن تَدرِيَ- رَحمةً فَوقَ رَحمتِه، ورَأفةً فَوقَ رَأفتِه، وغُفراناً فَوقَ غُفرانِه، وما

أَظنُّكَ تفهمُ أنَّ هذا قد يُؤدِّي إلى ذاك، ولَكنَّكَ أَعملْتَ عَقلَكَ في سِدرةٍ لا إِعمالَ لعَقلٍ فيها، والعَقلُ -بَعيداً عن اللهِ- كالفِيلِ في مَتجرِ خَزَفٍ، كَيفَما تَحرَّكَ أَفسدَ!!

ما كُنتُ أَظنُّ أنَّه سيأتي عَليَّ يَومٌ أَقولُ لك فيه: اللَّيلُ ليلٌ، والنَّهارُ نَهارٌ، والمَرأةُ امْرأةٌ، والرَّجلُ رَجلٌ!!

جَنةٌ خَلقَها اللهُ للمُؤمنِين به، ورَجلٌ مُلحِدٌ لا يُؤمنُ باللهِ ولا بجَنَتِه، أَوَكَبُرتْ في نَفسِكَ نَفسُكَ حتى وَصلْتَ إلى حَدِّ إِجبارِ اللهِ على أن يُدخِلَ جَنتَه مَن لا يُؤمنُ به ولا بجَنَتِه؟! آللهُ يُجبَرُ يا هذا؟! ما هذا السَّفهُ والمُيوعةُ والرَّطرَطةُ؟! ما هذا الكُفرُ والضَّلالُ والزَّندقةُ؟! سُبحانَ اللهِ! أَوصَلْنا إلى هذا الدَّركِ؟! كيف صَارَ (العِلمُ مَعَ الكُفرِ) مَناطاً لدُخولِ الجَنَةِ؟! أوَلَا تَعلَمُ أنَّ أَولَ مَن تُسَعَّرُ بهم النَّارُ ثَلاثةٌ: عَالمٌ تَعَلَّمَ ليُقالَ: عَالِمٌ، ومُجاهدٌ جَاهَدَ ليُقالَ: جَريءٌ، ومُنْفقٌ مَالَه أَنفَقَ ليُقالَ: جَوَادٌ كَريمٌ!!

إنْ كانَ العِلمُ دِيناً أَنبياؤُه العُلماءُ، أو رَباً خَلقَ جَنةً ونَاراً، فلْيُدخِلْ مَن شَاءَ في جَنتِه وَلْيُلقِ مَن شَاءَ في نَارِه، وما كان ذلك ولن يكونَ.. الجَنةُ التي نَعرفُ لن يَدخُلَها إلَّا مَنْ آمَنَ بخَالِقها الذي نَعبُدُ. العِلمُ مَعَ الكُفرِ لَيسَ مَناطاً لدُخولِ الجَنَةِ، تِلميذٌ في القِسمِ الأَدبيِّ حَصَلَ على الدَّرجةِ النِّهائيةِ في الثَّانويةِ العَامةِ، أَيَقولُ عَاقلٌ: لا بُدَّ من إِلحاقِه بكُليةِ الطِّبِّ لأنَّه حَصلَ على الدَّرجةِ النِّهائيةِ؟! حَصلَ على الدَّرجةِ النِّهائيةِ في ماذا يا ابنَ أَخِي؟! الجِهةُ

مُنفكَّةٌ يَا بُني!! لكُلِّ شَيءٍ شَيءٌ يا سَيِّدِي، وخَلْطُ الأَوراقِ هكذا ضَلالٌ في الذَّاتِ وإِضلالٌ للغَيرِ.. وقد كان فيمن كان قَبْلَنا مَن هُم أَشدُّ مِنَّا قُوةً وعِلماً وآثاراً في الأَرضِ؛ (فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِندَهُم مِّنَ الْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ، فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحْدَهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ، فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا، سُنَّتَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ، وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ).

ثم هَبْ -وهذا غَيرُ صَحيحٍ- أَنَّنا أُمةٌ مُتخلفةٌ جَرَتْ عليها سُنةُ اللهِ في الاستبدالِ، أَوكانَ لِزاماً علينا أنْ نَخرسَ فلا نُبيِّنَ للنَّاسِ الحَقَّ الذي نُؤمنُ به؛ لأَنَّنا أُمةٌ مُتخلفةٌ؟!!

إنْ كان أَبُوكَ الفَلَّاحُ الأُمِّيُّ قد يَسَّرَ اللهُ له بكَدِّه وعَرَقِه أن يُدخِلَك جَامعةً تَتعلَّمُ فيها قَليلاً من العِلمِ مَعَ كَثيرٍ من السَّفسطةِ؛ أَوكانَ لِزاماً عليه أن يَخرَسَ؛ فلا يُحذِّرَك -بخبرتِه الحَياتيةِ السَّابقةِ- مِن شُؤمِ أَخلاقِك السَّيئةِ مَعَ النَّاسِ؛ لأَنَّك صِرتَ أَعلَمَ منه بِفَكِّ الخَطِ ومَضغِ الكَلامِ؟!

أَتَفَهَّمُ حِرصكَ على الاِحتفاءِ بالعِلمِ إن كان عِلماً، وبالعُلماءِ إنْ كَانُوا عُلماءَ، كما أَتَفَهَّمُ حِرصَكَ على الاِستفادةِ من مُناصَرةِ هَؤلاءِ العُلماءِ لقَضايانا الإِسلاميةِ أو العَربيةِ إنْ كَانُوا فِعلاً مُناصِرين لنا.. وعلى الرَّغمِ من أَنَّني لا أَجدُ نَصيراً كالسَّيفِ بَعدَ التَّوكُّلِ على اللهِ وحُسنِ الإِعدادِ؛ إلَّا أَنَّني أَجدُ من العَقلِ والحِكمةِ أن نَستغلَّ مُناصرتَهم هذه اسْتغلالاً حَسَناً؛ فنَرفعَ من

شَأنِهم بها، ونُفيدَ من خَيرِ عِلمِهم، ولا نَجْبَهَهُم بإِلحادِهم أو كُفرِهم إن كان السِّياقُ مُطلَقَ المُناصرةِ أو مُطلَقَ الإِفادةِ من العِلمِ، فما كان السَّلفُ الصَّالحُ يَقولُون -كُلَّ حِينٍ- حِينَ كَانُوا ينقلُون عن عُلماءِ الكُفارِ مَثلاً: قَالَ الكَافرُ أَرسطُو لَعَنَه اللهُ!! ما كَانُوا يَفعلُون هذا.. وإنَّ المُسارعةَ إلى التَّذكيرِ بالكُفرِ أو الإِلحادِ دُونَ ضَرورةٍ؛ تَصرُّفٌ فيه شَيءٌ من مُراهقةٍ فِكريةٍ لا تُستَحَبُّ في غَيرِ سِياقِها، بيْدَ أنَّ المُبالغةَ في الامتنانِ والشُّكرِ أَدَّتْ -عِندَ المُغرضِينَ والجَهلةِ- إلى حَدِّ إدخالِ المُلحدِ الجَنَةَ؛ فصَارُوا كالأَحمقِ الذي أَنقذَ الطَّبيبُ زَوجتَه من المَوتِ، فبَالغَ في شُكرِه حتى وَهَبَها له!! وما كَانتِ الزَّوجةُ مَتاعاً يُوهَبُ ولا الجَنَةُ مَشاعاً يُقَسَّمُ، وصَاحبُ الجَنَةِ الذي خَلَقَها وَضَعَ لدُخولِها شُروطاً، فمن حَقَّقَها كان قَميناً أن تُدرِكَه رَحمتُه، ومن أَسقطَها كان حَرِيّاً أن يَمَسَّهُ عَذابُه، والأَمرُ له أَولاً وآخِراً «لا يُسأَلُ عمَّا يَفعلُ وهم يُسأَلُون».

ثُم أَخبِرْني باللهِ عليك، كَيفَ صَارَ عدمُ إِيذاءِ البَشريةِ مَعَ الكُفرِ مَناطاً لدُخولِ الجَنَةِ؟!

أَوَلا تعلمُ أنَّ هذا الذي لم يُؤذِ البَشريةَ آذى رَبَّ البَشريةِ حِينَ كَفَرَ بهِ مُنكِراً وُجودَه بالكُليةِ، أو جَاعلاً له صَاحبةً ووَلداً، أو جَاعِلَه هو ذَاتَه ثَلاثةَ أَقانِيمَ!!

أَوَتَرضَى -وللهِ المَثَلُ الأَعلى- أن يُؤذِيَ أَحدٌ أَبَاكَ أو أُمَّكَ أو بَعضَ أَهلِك ثم لا تَكتفِي بالسُّكوتِ عنه؛ بل تَتَّخذُه خِدناً وصَاحباً وحَبيباً؟!

لِمَ تَجعلُ اللهَ أَهونَ النَّاظِرِينَ إليك؟!

التَّوحيدُ الذي تَستهينُ به قَامَت عليه السَّمواتُ والأَرضُ، هو حَقُّ اللهِ الذي لا يَغفرُ لمُنتَهِكه أَبداً، فكيف تُطاوِعُك نَفسُكَ أن تَتساهلَ مَعَ من يَنتهكُ جَنابَ حَقِّ اللهِ الأَعظمِ، وقد أَخبَرَ اللهُ عن نَفسه أنه لا يَغفرُ أن يُشركَ به ويَغفرُ ما دُونَ ذلك لمن يَشاءُ، كما أَخبرَ أَيضاً أَنَّ مَن يُشرِكُ باللهِ (فَقَدْ حَرَّمَ اللهُ عَلَيهِ الجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ).. هذا لمن أَشركَ به، فكَيفَ بمن أَنكرَ وُجودَه بالكُليةِ؟!

أأنتَ أَرحمُ مِنَ اللهِ؟! هل أَضلَّكَ عَقلُكَ فرأَيتَ مِنْ كَمالِ تَنزيهِ اللهِ أنْ تُثبتَ له (غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ)، وتَنفِيَ عنه (شَدِيدِ الْعِقَابِ)، وكِلاهُما أَثبتَهما اللهُ الذي لا يُمحَى ما أَثبَتَ ولا يُثبَتُ ما محَا.

يَقيني أَنَّك لا تُدرَكُ فَداحةُ الجُرمِ الذي تَرتكِبُه في حَقِّ اللهِ، لأَنَّك رُبَّمَا لا تُدرَكُ عِظَمُ قَدرِ التَّوحيدِ عِندَ اللهِ!!

نَفْعُ البَشريَّةِ مَعَ الكُفرِ لَيسَ مَناطاً لدُخولِ الجَنَةِ.. هذا غَيرُ ذاك يا بُنيَّ.. الجِهةُ مُنفكَّةٌ!!

المَسيخُ الدَّجَّالُ سيَنفعُ البَشريةَ بإِحياءِ المَوتَى وشِفاءِ المَرضَى وإِخراجِ الكُنوزِ والإِتيانِ بالعَجائبِ، فَهَلُمَّ إِذنْ فَلْنُدخلْه الجَنَةَ!!

لقد نَهى اللهُ نبيَّهُ عن مُجرَّدِ الاستغفارِ للمُشركين ولو كَانُوا أُولِي قُربَى، فكَيفَ بالمُلحِدينَ؟! (مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَن يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ

كَانُوا أُولِي قُرْبَىٰ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ، وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ، إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ﴾.

إنَّ المُسلمِين لا يَحكُمُون (لمُسلمٍ مُعيَّنٍ) بجَنَةٍ ولا بنَارٍ، ولكنَّهم يَحكُمُون للكَافرِ والمُشركِ والمُلحدِ بالنَّارِ إنْ مَاتَ على ما عَاشَ عليه، فإذا بلَغَ بك الاستظرافُ حَدَّ أنْ تَقولَ لي: ألا يُمكِنُ أن يَكونَ هذا الكَافرُ قد آمَنَ باللهِ ومَلائكتِه وكُتبِه ورُسلِه ويومِه الآخرِ وقَدَرِه خَيرِه وشَرّه قَبْلَ أن يموت بدَقيقةٍ؟! إنْ قُلتَ لي هذا فاسْمحْ لي أن أُخبرَك أنَّ الحذاءَ لا يُلبَسُ في الرَّأسِ بل في القَدمِ، وإنِّي ليَحزُنُني أن أَراكَ حَافياً!! إنما يُحكَمُ على النَّاسِ بالظَّاهرِ يا ابْنَ أَخِي، أمَّا البَاطنُ فعِلمُه عِندَ اللهِ، وما هذا الإرجاءُ الذي تَتقلَّبُ في مُستنقَعِه إلَّا مَظهراً من مَظاهرِ فَسادِ العَقيدةِ، اسْتَنْبتَه الجَهلُ بالعَقيدةِ أَولاً، وضَغطُ الوَاقعِ ثَانياً، والهَزيمةُ النَّفسيةُ ثَالثاً، وإِعمالُ عَقلِكَ فيما لا إِعمالَ للعَقلِ فيه رَابعاً، وإنِّي أُعيذُك باللهِ من الخَامسةِ التي هي الكُفرُ المَحْضُ!!

لقد كان إبليسُ عَبداً صَالحاً ولم يكنْ مُلحداً أو كَافراً أو مُشركاً، بَيْدَ أنَّه عَصَى الأَمرَ حِينَ أَعملَ عَقلَه فيه، فظَنَّ ظَناً فَاسداً أنَّ النَّارَ أَفضلُ من الطِّينِ، ثم بَنَى على هذا الظَّنِّ الفَاسدِ ظَناً آخرَ أَشدَّ فَساداً، فرأَى أنَّ المَخلوقَ من المَادةِ الفَاضلةِ أَفضلُ مِن المَخلوقِ من المَادةِ المَفضولةِ، فحَكَمَ لنَفْسِه بالأَفضليةِ على آدَمَ، ثم امْتنَعَ عن السُّجودِ، لأنَّه رَأَى أنَّ الفَاضلَ لا يُمكِنُ أنْ يَسجُدَ لمَفضولٍ (وهكذا يَفعلُ العَقلُ غَالباً بَعيداً عن اللهِ)، فاسْتحقَّ ما

اسْتحقَّ بعِصيانِه الأمْرَ لا بكُفرِه أو شِركِه ولا إِلحادِه.. وكيف يُنكِرُ وُجودَ الخالِقِ أو يَكفُرُ به مَن وَقفَ بينَ يَدَيْه واعتَرفَ بخَلْقِه له قائلاً: (خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ)، ثم أَقسَمَ بعِزَّتِه جَلَّ وعَلا على إغواءِ بَنِي آدَمَ: (قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ)؟!

أَوَيُعذَرُ إِبليسُ باجْتهادِه؟!

لِمَ لا تعذِرُ إِبليسَ باجْتهادِه كما تُريدُ أن تَعذِرَ المُلحِدين والمُشرِكِين والكَافِرين باجْتهادِهم إنْ بلغَتْهم الرِّسالةُ ولم يَقتنعُوا بها، أو بلَغَتْهم مُشوَّهةً فلم يَبحثُوا عن أَصلِها الصَّحيحِ؟!

إنَّه الأَمرُ يا ابنَ أَخِي.. إِبليسُ لم يُبْلَسْ إلَّا بسَببِ عِصيانِه الأَمرَ، فكَيفَ بإِنكارِ وُجودِ صَاحبِ الأَمرِ أو الكُفرِ به أو إِشراكِ غَيرِه معَه؟!

لقد جَعَلَ اللهُ دَهرَ النَّاسِ يَومَين: يومٌ أَوَّلٌ (وهو الدُّنيَا)، ويَومٌ ثَانٍ (وهو الآخِرةُ).. ووَضَعَ لكُلِّ يومٍ مَقاييسَه وأَحكامَه وقَواعِدَه وسُنَنَه، ثم أَطلقَ سُبحانَه وتَعالَى حُريةَ الاختيارِ لخلَقِه في اليَومِ الأَولِ، وقَيَّدَ اليَومَ الآخَرَ بإِرادتِه ومَشيئتِه المُطلقةِ، فجَعلَه يومَ جَزاءٍ لهم على اخْتيارِهم في اليَومِ الأَولِ، ثم لم يَترُكْ خَلْقَه دُونَ أَدلةٍ تُرشِدُ ومَناراتٍ تُنيرُ، فأَرسلَ الرُّسلَ بالتَّوحيدِ ونَبَّأَ الأَنبياءَ بالشَّرائعِ، وأَنزلَ معَهم الكِتابَ والمِيزانَ ليَقومَ النَّاسُ بالقِسطِ ويَحكُمُوا بالعَدلِ، ثم جَعلَ الشَّيطانَ والنَّفْسَ والهَوَى فِتنةً لهم واخْتباراً، إذ لا يَتمُّ الجَزاءُ في اليَومِ الآخِرِ إلَّا بالامتحانِ في اليَومِ الأَوَّلِ،

ولهذا رُكِّبَ الإنسانُ من قَبضةٍ من طِينِ الأَرضِ ونَفحةٍ من رُوحِ السَّماءِ، فأيُّ التَّركيبَين غَلبَ على الإنسانِ في الدُّنيا لاقَى جَزاءَه في الآخِرةِ.. وأَنتَ -مَعَ الاختبارِ والامتحانِ- أُعطِيتَ حُريةَ الاختيارِ، فإنِ اخْتَرْتَ ما اخْتارَ إبليسُ صِرتَ من حِزبِه وشِيعتِه، وإنِ اخْتَرْتَ الانصياعَ لأَمرِ اللهِ، صِرتَ أَعلَى من المَلائكةِ قَدْراً حِينَ تغلَّبْتَ على قَبضةِ الأَرضِ التي لم يُبْتَلُوا بها.

إنَّنا نَتحاكَمُ في الدُّنيَا بالقَواعدِ والأُصولِ والأُسُسِ التي أَنزَلَها اللهُ تَعالَى، فإنْ لم نَفعلِ الْتبَسَ عِندَنا الحِلُّ بالحُرمةِ، والكُفرُ بالإِيمانِ، وطَبيعةُ اليَومِ الأَوَّلِ بطَبيعةِ اليَومِ الثَّاني.. واليَومُ الثَّانِي للهِ وَحدَه مُطلَقُ المَشيئةِ والإِرادةِ فيه، لا يُقالُ له فيه: لِماذا ولا كَيفَ!!

انْتبِهْ جَيداً.. أَنتَ تَعيشُ في اليَومِ الأَولِ وأَمامَك يَومٌ ثَانٍ، فإذا خَدَعَتْكَ ضَلالاتُ عَقلِك واسْتَزَلَّتْكَ أَوهامُ نَفْسِك، فَرُحْتَ تُرتِّبُ اليَومَ الأَولَ على ما تُحبُّ وتَهْوَى، صِرتَ كالتِّلميذِ الذي اسْتَصْعبَ أَسئلةَ الامتحانِ فأَرادَ أن يَختارَ أَسئلتَه بنَفْسِه، وأنَّى له هذا؟!

إِعادةُ تَرتيبِ اليَومِ الأَولِ على ما تُحبُّ، مُراهَقةٌ عَقليةٌ نَتجَتْ عن جَهلِك بطَبيعتِه التي جَعلَها اللهُ للابتلاءِ والاختبارِ، فكَأَنَّك تُريدُ أن تَحصُلَ على جَنةِ الآخِرةِ في اخْتبارِ الدُّنيَا، ولا يَكونُ الجَزاءُ وَقتَ الاختبارِ، بل بَعْدَه!!

وكَم سَمِعتُك تَقولُ: (آهِ لو لم يَأكُلْ آدَمُ مِن الشَّجرةِ!!)، فقد أَكلَ آدَمُ من الشَّجرةِ، وانْتَهى الأَمرُ، ونَزَلْنا من الجَنةِ إلى الأَرضِ، ولو لم يَأْكُلْ

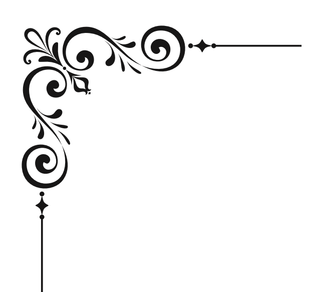
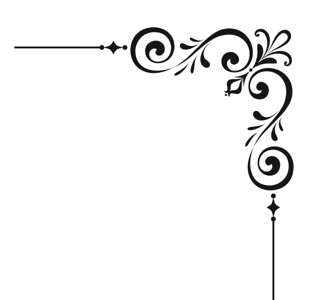
مَا كان يَومٌ أَوَّلُ ولا يَومٌ ثَانٍ، فانْظرْ لنفَسك واحْذرْ أن تَفعلَ فِعلَ أَبيكَ فتأكُلَ من شَجرةِ الدُّنيَا، فتكونَ لائماً ملوماً، وتنزلَ من الأَرضِ إلى النَّارِ، فيكونَ نُزولُكَ أَنكى من نُزولِ أَبيكَ الذي تَابَ اللهُ عليه، ولَيسَ بَعدَ النَّارِ دارُ اخْتبارٍ، إنَّما هي نَارٌ أَبداً أو جَنةٌ أَبداً.

إنْ دَخَلْتَ إلى عِلمِ اليَومِ الأَولِ من غَيرِ هذا البَابِ، خَسرتَ اليَومَين مَعاً، وذلك هو الخُسرانُ المُبينُ!!

اقْرأْ وتَعَلَّمْ.. ولكنْ: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ، خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ، اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ، الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ، عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾.

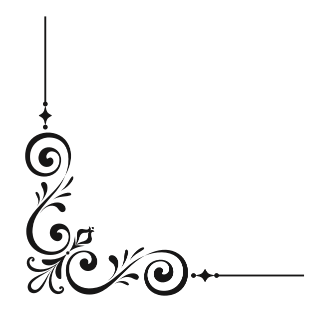
١٢ / رجب / ١٤٣٩هـ

٢٩ / ٣ / ٢٠١٨م

(١٦)

(كَيفَ نَقرأُ) لا (مَاذَا نَقرأُ)




عُلومُ اللُّغةِ لَيستْ أَكثرَ مِن (عُلومِ) لُغةٍ، قد تَمنحُكَ المَعرفةَ بقَواعدِهَا، ولـكنَّها لا تَمنحُكَ -غَالباً- الذَّوقَ والتَّذُّوقَ قِراءةً وكِتابةً!!

فِقهُ اللُّغةِ، والصَّرفُ، والنَّحوُ، والبَلاغةُ، والعَروضُ، والإِملاءُ، لَيستْ -غَالباً- أَكثرَ مِن خُلاصاتٍ مُقنَّنةٍ وقَوانينَ مُستخلَصةٍ مِن كَلامِ العَربِ وطَرائِقِهمْ في التَّعبيرِ، وما نَشأَتْ هَذهِ العُلومُ إِلَّا بَعدَ انْحرافِ اللِّسانِ واعتِلالِ الذَّائقةِ بدُخولِ أَحبابِنا الأَعاجمِ في الإِسلامِ واختِلاطِ العَرَبِ بِهِمْ.

اكْتِفاؤُكَ بدَرسِ الخُلاصاتِ وتَعلُّمِ القَوانينِ لن يُعطِيكَ أَكثرَ مِن خُلاصاتٍ وقَوانينَ.. سيَحفَظُكَ مِن الخَطأِ واللَّحنِ غَالباً، ورُبَّما يُعطيكَ حَدّاً أَدنَى مِن الذَّوقِ والتَّذُّوقِ (وَأَشُكُّ في ذَلكَ مَعَ طَرائقِ الدَّرسِ اللُّغويةِ الحَالِيَّةِ)!!

مَعَ القَواعدِ والخُلاصاتِ سَتظَلُّ تَقرأُ (حَولَ) اللُّغةِ ولَيسَ (في) اللُّغةِ.. فَرقٌ كَبيرٌ بَينَ القِراءةِ عَن الحُبِّ والوُقوعِ في الحُبِّ!!

حِينَ تَقرأُ (عن) الحُبِّ ستَشعُرُ بشَيءٍ مِن الشَّجنِ الجَميلِ، أَمَّا حِينَ تَقعُ (في) الحُبِّ فلن تَشعُرَ بِشيءٍ أَبداً.. إِنَّما هي لَفحةُ هَجِيرٍ أو نَفحَةُ نَسيمٍ، ثُمَّ سَلامُ اللهِ على رُوحِكَ أَبدَ الدَّهرِ!!!

اللُّغةُ كالحُبِّ، إِنْ ظَلَلتَ تَقرأُ عَن قَواعدِها ظَلَلتَ كالوَاقِفِ على شَاطِئِ بَحرٍ مِن نُورٍ يَنظُرُ إلى السَّابِحينَ في نَعمائِه كما يَنظُرُ القَارئُ عن الحُبِّ إلى

المُحِبِّينَ المُتَقَلِّبِينَ في نَعماءِ عَذَابَاتِهِ وعَذاباتِ نَعمائِه.. هُو خَلِيٌّ شَجِيٌّ، يَرى ما يَتَمَنَّى مِن نَعيمٍ، ولا يَكادُ يُدرِكُ نَعيمَ ما تَمَنَّى.. وحَسْبُكَ بهذا أَلَماً وحَسرةً!!

قَعْ في الحُبِّ لِتَنعمَ بعَذاباتِه..

وقَعْ في اللُّغةِ لِتَتعذَّبَ بنَعيمِها!!

وقد مَضَى عَلَيَّ زمنٌ يُكثِرُ الأَصدقاءُ فِيهِ مِن سُؤالي عن: ماذا نَقرأُ لِنُدركَ اللُّغةَ، فأُجِيبُهم: بل قُولُوا: كَيفَ نَقرأُ لِنقعَ في اللُّغةِ!!

السُّؤالُ عن الكَيفِ أَوْلَى، لأَنَّ (كَيفَ) تَخطيطٌ لِـ (مَاذا).. والوُقوعُ في اللُّغةِ أَصوبُ، لأَنَّ اللُّغةَ لا يُحِيطُ بِها -كَما قِيلَ- إِلَّا مَلَكٌ مُقرَّبٌ أو نَبِيٌّ مُرسَلٌ!!

حَسْبُكَ أَنْ تَقعَ ثُمَّ احتَمِلِ النَّعيمَ إِنِ اسْتَطعتَ!!

عَلَّمَنِي أَشياخِي، وها أنا أَنقُلُ لكَ ما تَعلَّمتُه.. قَالُوا:

أَوَّلاً:

ابْدَأْ قِراءتَكَ بجُزءٍ مِن القُرآنِ الكَريمِ.. وكُلَّما زِدْتَ فِيهِ زَادتِ البَركةُ في وَقتِك.. ولا تَظُنَّنَّ أَنَّ اكْتفاءَكَ بنِصفِ جُزءٍ مَثلاً قد يَمنحكَ بَعضَ وَقتٍ لِتُدركَ فِيهِ شَيئاً آخَرَ تَحرِصُ عليه.. كَلَّا.. فما تَظُنُّهُ نُقصانَ زَمنٍ في جُزءٍ، سيُعَوِّضُه اللهُ لكَ بَركةَ وَقتٍ، وكَمالَ فَهمٍ، وتَمامَ عِلمٍ.

ثَانياً:

اقْرأْ شَيئاً مِن حَديثِ رَسولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَليهِ وَسَلَّمَ، (ثَلاثَةَ أَحاديثَ) بِحَدٍّ أَدنَى، ولا تَزِدْ على (الخَمسةِ)، ثُمَّ اقْرأْ شَرحَها ومَعانِيَها وفِقْهَها وأَحكامَها وما يُستفادُ منها.. ولا بَأسَ أنْ تَبدأَ بكِتابِ (رِياضِ الصَّالِحينَ)، والخِيارُ لك في المُدوَّناتِ الكُبرَى كالبُخاريِّ ومُسلمٍ وغَيرِهمَا مِن كُتبِ الصِّحاحِ.

ثَالثاً:

اقْرَأْ ما تَيسَّرَ مِن شِعرِ العَربِ لِتَعرِفَ طَرائِقَهمْ في المَنظومِ وتَفَنُّنهم فيه، وتَطَّلِـعَ على مَعانِيهِم الَّتي تَجعَلُ الحَليمَ حيرانَ.. وأَمامَكَ دَواوينُ لا تَكادُ تُحصَى لِشُعراءِ العَربيَّةِ.. وإذا أَردْتَ نَصيحتي فابْدَأْ بالمُدوَّناتِ الكُبرَى الَّتي جَمَعَتْ شِعرَ عَددٍ من الشُّعراءِ، ولا تَبدأْ بدِيوانِ شَاعرٍ بعَينِه إلَّا إنْ أَحببْتَ ذلك، فإنَّ قِراءَتَك لهَذهِ المَجاميعِ ستُعطِيكَ تَصوُّراً عَاماً عن الشَّاعرِ قَبلَ أنْ تَلجَ بيَتَه وتَنزِلَ سَاحتَه.. كما ستُوَلِّدُ في ذِهنِك ورُوحِك وعَقلِك حِسَّ المُقارَنةِ بَينَ الشُّعراءِ ومَعرفةِ طَرائِقِهم في التَّعبيرِ حتَّى لَيَكادُ الشَّاعرُ يَتجَسَّدُ أَمامَك شَخصاً مِن لَحمٍ ودَمٍ في حُروفٍ وكَلماتٍ.. ولَيتَكَ تبدَأُ بمُختاراتِ الأُدباءِ والشُّعراءِ؛ فإنَّ هَؤلاءِ يَعرِفونَ مَداخلَ الكَلامِ ومَخارجَه، وهم كالصَّيارفةِ يُحسنونَ مَعرفةَ الصَّحيحِ مِن الزَّائفِ؛ فاختِياراتُهم -غَالباً- أَكثرُ فَائدةً لك مِن أن تُلقِيَ بنَفسِك في لُجَجِ شَاعرٍ بعَينِه قد لا تَعرِفُ مَواطِنَ قُوَّته ومَواطنَ ضَعفِه.. وهَاكَ بَعضَ المُدوَّناتِ والمُختاراتِ: (المُفَضَّلِيَّاتُ)، (الأَصْمَعِيَّاتُ)،

(جَمهرةُ أَشعارِ العَربِ)، (دِيوانُ الهُذَلِيّينَ)، (الحَماسةُ)، (الحَماسةُ البَصرِيَّةُ)، (مُختاراتُ ابنِ الشَّجَرِيِّ).. وما شِئْتَ بَعدَها من مختارات اختَارَها أُدباءُ وشُعراءُ قُدماءُ، أو اختَارَهَا أُدباءُ وشُعراءُ مُحْدَثُونَ لشُعراءَ قُدماءَ، مِثلُ: مُختاراتِ البَاروديِّ، أو الحَماسةِ الصُّغرى لِعبدِ اللهِ الطَّيِّبِ.. ثُمَّ ما شِئتَ بَعدَها مِن دَواوينِ شعراءِ الجَاهليَّةِ، وصَدرِ الإِسلامِ والدَّولةِ الأُمويَّةِ، ثُمَّ الدَّولةِ العَبَّاسيَّةِ.. هَكَذَا على التَّتابُعِ.. ولا تَجعلْ لِلشُّعراءِ المُحْدَثِينَ حَظَّاً مِن قِراءتِك في ابْتداءِ أَمرِكَ.. فإنِ اسْتحكَمَ القديمُ الأصيلُ في رُوحِك فأَلْقِ بِنَفْسِكَ حَيثُ شِئْتَ.

رَابعاً:

اقْرأْ شَيئاً مِن خُطَبِ العَربِ ورَسائِلِهم، ومُناظَرَاتِهِم في أَسواقِهِم وحُروبِهِم ومَجامِعِهِم، ووَصاياَهُم لأَبنائِهم وإِخوانِهِم؛ لِتَعرفَ كَيفَ كَانُوا يَتأَنَّقُونَ في نَثرِهِم كما كَانُوا يتأَنَّقُون في شِعرِهم؛ فإِنَّ نَثرَ العَرَبِ لا يَقِلُّ عن شِعرِها جَمالاً وأَلَقاً وحِكمةً.. وقد جَمَعَ الأُستاذُ أَحمد زَكِي صَفوَتْ، شَيئاً كَثيراً مِن خُطَبِ العَربِ ومُناظراتِهِم ووَصَاياهُم ومُفاخَرَاتِهم في كِتابِه (جَمهَرَةُ خُطبِ العَربِ في عُصورِ العَربيَّةِ الزَّاهرةِ)، وجَعَلَه في ثَلاثة أَجزاءٍ.. كما جَمَعَ رَسَائِلَهُم في كِتابِه (جَمهرَةُ رَسائِلِ العَرَبِ في عُصورِ العَربيَّةِ الزَّاهرةِ)، وجَعلَه في أَربعةِ أَجزاءٍ.. وفِيهِما كِفايةٌ في هذا البَابِ إنْ شَاءَ اللهُ.

خَامساً:

اخْتَرْ كِتاباً مِن كُتبِ المُدوَّناتِ الجَامعةِ في الأَدبِ واللُّغةِ واقْرأْ ما تَيَسَّرَ

لَكَ مِنها، ولا تَقفِزْ مِن كِتابٍ إلى كِتابٍ؛ فإنَّك إنْ قَفزْتَ ضَيَّعتَ الأَوَّلَ ولم تُدرِكِ الثَّانيَ، أمَّا الثَّالثُ فَستَكُفُّ به عَن القِراءةِ لِشُعورِكَ بالتّيهِ بَينَ الكُتُبِ الثَّلاثةِ.. فَالْتزِمْ كِتاباً وَاحداً في خَرِيطَتِكَ هَذه، فإنْ أَنهيْتَهُ فابْدأْ بالثَّاني.. وهَكذَا دَوالَيْكَ، ومن هَذهِ الكُتُبِ: البَيانُ والتَّبيُّنُ لِلجَاحِظِ، أَدبُ الكَاتِبِ لِابنِ قُتَيْبَةَ، الأَمَالِيُّ لأَبِي عَلِيّ القَالِيّ، الأَمالِيُّ للشَّريفِ المُرتَضى، العقدُ الفَريدُ لِابنِ عَبْدِ رَبِّهِ، الكَاملُ لِلمبَرّدِ، زَهرُ الآدَابِ لِلحُصْرِيّ... وكَثيرٌ غَيرُها يَكادُ يَستَعصِي على الحَصرِ.. ولَيسَ الغَرضُ هُنا الحَصرَ، بلِ الإِشارةُ.. وإِلّا فإنَّ كُلَّ فَنٍّ مِن فُنونِ العَربيةِ فِيهِ مِن الكُتُبِ ما يَستعصِي على الحَصرِ.. والغَرضُ اسْتِنبَاتُ الذَّائقةِ بَعدَ مَواتٍ أو غَرْسُها إنْ لم تَكُنْ..

ثُمَّ احْذَرْ كُلَّ الحَذَرِ -حِينَ تَقرأُ هَذهِ المُدوَّناتِ- مِنْ أنْ تَظُنَّ أنَّ كُلَّ ما فيها صَحيحٌ مُسلَّمٌ بصِحَّتِه؛ فهي -في غَالِبِها- لَيسَتْ كُتبَ أَسانيدَ ولا رِواياتٍ مَسانيدَ يَتَوَخَّى فيها صَاحبُها الصَّوابَ والصِّحَّةَ؛ بلِ اللُّغةَ والأَدبَ والحِكَمَ والأَخبارَ والمَواعظَ والمُتعةَ.. وهذا ضَربٌ دَخَلَهُ كَثيرٌ مِن الانتِحالِ والكَذبِ والتَّوسُّعِ في الرِّوايةِ على عَادةِ القُصَّاصِ في المَساجدِ والمُنتدياتِ والمَقاهِي.. فلا تَطِيرَنَّ بما تَقرَأُ فيها كُلَّ مَطارٍ، فتَستدلَّ بوَاقعةٍ مِن وَقائِعِهَا أو خَبرٍ مِن أَخبارِها على صِحَّةِ رَأيٍ أو بُطلانِه، إلَّا إِنْ ثَبتَتْ في غَيرِهَا مِن كُتُبِ الرِّوايةِ المُسنَدةِ.. وَاعلَمْ أنَّ غَرضكَ اللغةُ وتَذوُّقُها، فإنْ حَصَلَ الغَرضُ بالصَّحيحِ المُسنَدِ فهو خَيرٌ وبَركةٌ، وإنِ اختَلَطَ بَعضُ الصَّحيحِ ببَعضِ الزَّائفِ أَدركْتَ غَرضَك وحَفِظْتَ عَقلَكَ مِن الزَّيفِ.. وفي بَعضِ هَذهِ الكُتبِ ما يُنافي

الدِّينَ والخُلُقُ ومَا تَعَارفَ عَلَيهِ النَّاسُ مِن حَياءٍ وتَذمُّمٍ وتَأثُّمٍ.. والنَّاسُ مَذاهبُ شَتَّى، والبَشَرُ على ما هُم مُذ كَانُوا.. فِيهم الصَّالحُ التَّقِّيُّ والفَاسدُ الغَويُّ، فتَخَيَّرْ لِنَفْسِكَ ما يُصلِحُها وجَنّبها ما يُفسِدُها.. ثُمَّ لا بَأسَ عليكَ أنْ تَقرأَ الكِتَابَ الَّذِي تُحقّقُ به غَرضَكَ ولو كَانَ فِيهِ (بَعضُ) سُوءٍ إنْ رَأيتَ فِي نَفسِكَ حَصانةً وتَحصِيناً، ولا توغِلْ في ذَلكَ فتَصيرَ كطَالبِ سُوءٍ يُعلِّلُ نَفْسَه بتَحقيقِ الغَرضِ، فإنَّ السُّوءَ حُلوٌ طَعمهُ مُرَّةٌ عَاقِبَتُه!!

ثُمَّ أمَّا بَعدُ..

فلا يَهُولَنَّكَ ما تَرَى، ولا تَقُولَنَّ لِنَفْسِكَ كَيفَ أَقرأُ كُلَّ هذا، ومِن أَيْنَ آتِي بالوَقتِ لِكُلِّ هذا، فواللهِ إنَّ هذا لن يَأخُذَ مِن وَقتِكَ أَكثَرَ مِن سَاعتَينِ، ورُبَّما أَقَلَّ!!

إنَّ جُزءاً وَاحِداً مِن القُرآنِ الكَرِيمِ، وثَلاثةَ أَحاديثَ نَبويةٍ شَرِيفةٍ، ومَقطُوعةً أو مَقطُوعتَينِ مِن شِعرِ العَربِ، وخُطبةً أو خُطبتَينِ مِن خُطَبِهم ورَسَائِلِهِم، وصَفحةً أو صَفحتَينِ مِن كُتُبِ المُدوَّناتِ الأَدبيَّةِ واللُّغويَّةِ.. كُلُّ ذلك لن يَأخُذَ مِن وَقتِكَ أَكثَرَ مِن سَاعةٍ أو تَزيدُ قليلاً.. أَلَا تَستطيعُ أنْ تَحفظَ ذَائقتَكَ بساعةٍ مِن الزَّمنِ تُضَيّعُ أَضعافَهَا فِيما لا يُفيدُ!!

ولا تَسْتَبْطِئَنَّ الثَّمَرَةَ، فإنِّي أَعرِفُ إخواناً لنا بَدَؤُوا بهذه الطَّرِيقةِ مُنذُ عَامٍ فأَتمُّوا بهذه السَّاعةِ: البَيانَ والتَّبيُّنَ، والكَامِلَ، والحَمَاسَةَ، وخُطَبَ العَرَبِ بأَجزائِهِ الثَّلاثةِ.. وهم لا يُنفِقونَ مِن وَقتِهِم أَكثرَ مِن سَاعةٍ، وبَعضُهم له

كِتابٌ يُسَمّيهِ (كِتابَ السَّريرِ) يَختارُه مِمَّا خَفَّ على النَّفْسِ والرُّوحِ كقَصَصِ العَرَبِ أو الأَغانيّ للأَصفهانيِّ؛ يَضعُه في غُرفةِ نَومِه بجَانِبِ سَريرِه، فإذا دَخَلَ غُرفَتَهُ فَتحَ الكِتابَ نِصفَ سَاعةٍ أو تَزيدُ حتَّى يَقَعَ الكِتَابُ على وَجهِهِ مِن النَّومِ.. وبهذه الطَّريقةِ أَنهى كِتَابَ الأَغانيّ في عَامٍ تَقريباً.. وبَعضُهم يَعيشُ بهذه الطَّريقةِ مُنذُ عِشرينَ عَاماً لا يَكادُ يُسقِطُها حَضَراً وسَفَراً.

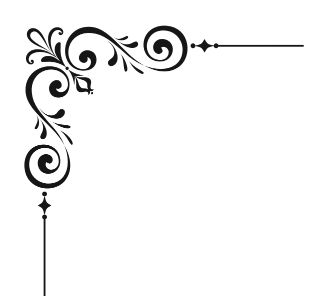
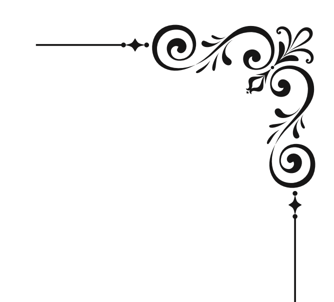
ثُمَّ إِنَّني بَعدَ ذلك كُلِّهِ لا أَكادُ أَعرِفُ طَريقةً تَسْتَنْبِتُ الذَّوْقَ والتَّذَوُّقَ قِراءةً وكِتابةً مِثْلَ هَذهِ الطَّريقةِ.. وعَبثاً واللهِ تَطَلُّبُ كُتُبِ النَّحوِ والصَّرفِ إنْ كان هَدفُكَ الذَّوقَ والتَّذَوُّقَ.. بل إنَّ هَذهِ الطَّريقةَ ستُعطيكَ -شَيئاً فشَيئاً- قَواعدَ النَّحوِ والصَّرفِ وفِقهَ اللُّغةِ والبَلاغةِ، وما شِئتَ مِن قَواعدِ كَلامِ العَربِ وقَوانينِه المُستخلَصَةِ.. ولا يَعنِي هذا إهمالَ كُتُبِ النَّحوِ والصَّرفِ وأَمثالِها مِن كُتُبِ القَواعدِ والقَوانينِ، بَيْدَ أَنَّ المَقصدَ أَنَّ غايةَ هذا غَيرُ غَايةِ ذَاكَ، ولا تَتِمُّ غَايةُ هذا إلَّا بالحِرصِ على المُداومةِ على ذَاكَ.

وأنتَ -بَعدَ هذا كُلِّهِ- قَمِينٌ أَنْ تَقَعَ في اللُّغة فتَنهَضَ بها حِينَ تُوقِعُ بِكَ (ونِعمَتِ الوَقيعَةُ).. تَماماً كَما تَقَعُ في الحُبِّ فتَرِقُّ به حِينَ يَقسُو عليكَ؛ (وَما أَلَذَّهَا مِن قَسوةٍ)!!

نَفَعَكَ اللهُ ونَفَعَ بِكَ.

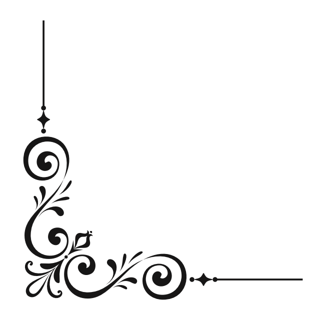
١٩ / رجب / ١٤٣٩هـ

٥ / ٤/ ٢٠١٨م

(١٧)

حَمَاسُ الَّتي كَانتْ




لا رَاحةَ كاليأسِ، ولا أَلمَ كالحَقيقةِ!!

حَماسُ لم تَعُدْ حَركةً إسلاميةً.. هذه هي الحَقيقةُ، إنْ صَدَّقتَهَا واقتنَعْتَ بها أَرحتَ مَيْؤُوساً واسْترحْتَ يَائساً، وإِنْ لم تُصَدِّقْها وعَانَدتَ الأَحداثَ والوَقائعَ؛ فلا تَلومَنَّ -عِندَ اكْتشافِ الفَجيعةِ- إِلَّا نَفسَك!!

ستَظلُّ تُحَمِّلُ حَماسُ ما لم تَعُدْ حَماسُ تُحَمِّلُ به نَفْسَها، فتَأتيكَ النَّتائجُ على الأَرضِ خِلافَ المُقدِّماتِ في عَقلِك، فإذا ضَربَتكَ صَاعقةُ الدَّهشةِ بنَتيجةٍ مُغايِرةٍ لمُقدمتِك؛ لجَأتَ إلى التَّبريرِ بمُقدمةٍ جَديدةٍ تُؤمِّلُ بها نَتيجةً مُختلفةً.. وهكذا دَوَالَيْكَ حتى تَصيرَ كحِمارِ الرَّحَى؛ يَسيرُ والمَكانُ الذي ارْتحلَ إليه هو الذي ارْتحلَ منه!!

هذا يَكفِي يا صَديقِي.. آنَ لكَ أن تَعودَ إلى الوَاقعِ..

مَا مَضَى فَاتَ وَالْمُؤَمَّلُ غَيْبٌ ** وَلَكَ السَّاعَةُ الَّتِي أَنْتَ فِيهَا!!

حَسْبُك وحَسبِي أنَّا عِشْنا زَمناً رَغداً بأَوهامِنا وأَحلامِنا وأَمانِينا..

مُنَىً إِنْ تَكُنْ حَقَّاً تَكُنْ أَعْذَبَ الْمُنَى * وَإِلَّا فَقَدْ عِشْنَا بِهَا زَمَنَاً رَغْدَا

انْخلعْ من أَوهامِك، وأَزِلِ الغَمامةَ عن عَينَيْك، وكُفَّ عَنِ التَّبريرِ..

المَوسِمُ الْوَهْمِيُّ لِأَغْبَى الْمُنَى ** يُعْطِي قُبَيْلَ الْحَرْثِ وَهْمَ الثِّمَارْ

حَماسُ لم تَعُدْ حَركةً إسلاميةً، ولن تكونَ حَركةً قوميةً، ولن تَستطيعَ أن تَكونَ حَركةً وَطنيةً!!

كَانتْ حَماسُ فِكرةً، ولا بُدَّ للفِكرةِ من جَماعةٍ تَحملُها.. صَارتْ حَماسُ جَماعةً، ولا بُدَّ للجَماعةِ مِن تنظيمٍ يَحمِي الفِكرةَ.. صَارتِ الجَماعةُ تَنظيماً، ولا بُدَّ للتَّنظيمِ من قَادةٍ عَقائديّينَ يُضحُّون من أَجلِ الفِكرةِ.. جَاءَ السَّامريُّ، فجَعلَ التَّنظيمَ أَصلاً والفِكرةَ سِلعةً والجَماعةَ تُجَّاراً، ثم حَصَرَ الفِكرةَ في الجَماعةِ وحَصَرَ الجَماعةَ في التَّنظيمِ، فصَارَ التَّنظيمُ حَجَرَ الرَّحَى ومَركزَ الدَّائرةِ، واستُخدِمَتِ الفِكرةُ والجَماعةُ في الحِفاظِ على التَّنظيمِ.. هكذا تَسقُطُ الأَفكارُ والجَماعاتُ والتَّنظيماتُ!!

حِينَ يَنحصرُ هَدفُ التَّنظيمِ في الحِفاظِ على التَّنظيمِ، تَسقطُ الفِكرةُ والجَماعةُ والتَّنظيمُ.. يَرحَلُ العَقائديُّون بالفِكرةِ، ويَبقَى التُّجارُ بالتَّنظيمِ!!

السَّامريُّ لا يُطلِقُ رَصاصةَ الرَّحمةِ على الحِصانِ ليُسقِطَه أَمامَكَ مَرةً وَاحدةً، هذا لَيسَ من عَملِ السَّامريّ، السَّامريُّ يُجِمُّ الحِصانَ طَويلاً ليُحوِّلَه مِن حِصانِ مَعركةٍ إلى حِصانِ جَرٍّ، فلا يَصلُحُ بَعدَها للنِّزالِ في المَعاركِ ولا الصَّهيلِ في البَرِّيَّةِ، وحَسْبُه أن يَجُرَّ عَربةَ السَّيِّدِ بما يَضعُ فيها السَّيِّدُ حتى يَحينَ وَقتُ إطلاقِ النَّارِ عليه!!

لقد تَمَّتْ عَمليةُ (فَيْرَسةِ) الجِهازِ بنَجاحٍ في الوَقتِ الذي كُنتَ تعملُ عليه!!

يَعتمدُ السَّامريُّ على التَّاريخِ المَجيدِ للقَادةِ العَقائديّين مَعَ شَيءٍ من وَهْمِ الفِكرةِ يَسحَرُ به أَعينَ النَّاسِ ويَسْترهِبهُم.. يَرفعُ قَميصَ عُثمانَ ليَحصُلَ على رَأسِ عَليّ!! وكُلَّما بَدَا له رَأسٌ جَديدٌ، جَدَّدَ مَا رَثَّ من القَميصِ، حتى يَهترِئَ القَميصُ وتَفنَى الرُّؤوسُ!!

الِانتكاساتُ بَشِعةٌ، وأَبشَعُ الِانتكاساتِ انْتكاساتُ العَقائديّين!!

العَقائديُّ إذا انْتكسَ كالفَلَّاحِ الأَحمقِ إذا تَحَضَّرَ، يَجلبُ لنَفسِه وأَهلِه المَصائبَ!!

في طَريقِه لِارتداءِ العَبَاءَةِ الأُخرى، يَخلعُ العَقائديُّ المُنتكسُ ثِيابَه قِطعةً قِطعةً، ويَرتدِي مَكانَ كُلِّ قطعة مُرَقَّعَةً يَظنُّ فيها السَّترَ، فتَدلُّ المُرَقَّعَةُ على مَكانِ العُريِ في جَسدِه، فكَأنَّه كَاسيةٌ عَاريةٌ تَكشِفُ ما تُخفِي حِينَ تَلبسُ ما لا يَستُر!!

ولَيسَ أَشدُّ على العَقائديِّ المُنتكِسِ من أَعدائِه الذين انْتكسَ بهم ولهم، فكُلَّما رَأوْا مُرَقَّعَاتِه التي رَقَّعهَا ليُرضِيَهم، تَذكَّرُوا دُروعَه التي ارتَدَاها ليَردَعَهُم، فكَأنَّ كُلَّ مُرَقَّعَةٍ عليه، تُشيرُ إلى مَوضعِ قَتلٍ فيه.. ولا تَسألْ عن السِّهامِ حِينئذٍ!!

أنا لا أَلومُ حَماسَ، المَوتَى لا يُلامُون!!

هي حُرَّةٌ فيما تَنتهِجُ وتَتَنكَّبُ، حُرَّةٌ فيما تَدَّعِي وتَنفِي، حُرَّةٌ فيما تَرتدِي وتَخلَعُ، بَيْدَ أنَّ اسْتمرارَ مُمارسةِ الخِداعِ على (القَواعدِ من الإِسلاميّين!!)

سيَجعلُ الإِسلاميّين أَشدَّ أَعداءِ حَماسَ في الوَقتِ الذي تكونُ فيه حَماسُ في أَشدِّ الحَاجةِ إليهم!!

طَعمُ الخَديعةِ مُرٌّ، وحِبالُ الكَذبِ قَصيرةٌ، والزَّمنُ زَمنُ مجازرَ، وأَزمنةُ المَجازرِ كَاشفةٌ، والنَّاسُ لم يعودُوا -كما كَانُوا- يَمسحُون لِحَاهم بأَيدِيهم ثم يَتَّخذُون لإِخوانِهم سَبعِين عُذراً في الوَقتِ الذي يُصرُّ إِخوانُهم فيه على الوُقوعِ في الحُفرةِ مَرةً بَعدَ مَرةٍ.. وَيكأَنَّنا خُلِقْنا لالْتماسِ الأَعذارِ وخُلِقْتم للوُقوعِ في الحُفَرِ!!

تُصِرُّ حَماسُ على الظُّهورِ بمَظهَرِ العَقائديِّ المُحافِظ على مَبادئِه، وهذا مِن حَقِّها، فهي لم تَكسبْ مِن شَيءٍ مِثْلَما كَسَبَتْ من الظُّهورِ بهذا المَظهرِ صِدقاً أو كَذِباً، بَيْدَ أَنَّ لكُلِّ حَقٍ حَقيقةً، ولكُلِّ دَعوَى دَليلٌ، وقد تَتابَعَتْ الوَقائعُ على مُخالفةِ المَخْبَرِ للمَظهرِ، ومُبَاينةِ الأَدلةِ للدَّعاوَى.. ولا رَمادَ دُونَ نَارٍ، ولا أَثرَ دُونَ مَسيرٍ.

المَسجدُ دَارُ عِبادةٍ، والمَرقَصُ دَارُ خنَا.. تَسميةُ المَرقَصِ (مَرقَصَ الحَاجِّ مُحمدٍ) لن يُحوِّلَه إلى مَسجدٍ، وإِحسانُ الظَّنِّ بك لا يَعنِي غَضَّ الطَّرْفَ عن إِقامتِك الدَّائمةِ في المَرقصِ، لأَنه مَنسوبٌ للحَاجِّ مُحمدٍ!!

هذه (الفَهلوةُ) المَقيتةُ يَجبُ أن تَنتهِيَ.. لقد هَرِمْنا ونَحنُ نَلتمسُ لكم الأَعذارَ والمُبرِّراتِ!!

مَصلحتُكم مَعَ إِيرانَ؟!! لا بَأسَ.. إِيرانُ تَقتلُ إِخوانَنا وإِخوانَكم السُّوريِّين

والعِراقيِّين، فلْتَكُنْ مَصلحةُ السُّوريِّين والعِراقيِّين مَعَ إِسرائيلَ!! ولْيَرفَعِ السُّوريُّون والعِراقيُّون صُورَ نِتنياهُو كما تَرفعُون صُورَ سُليمانِي!!

إذا خَرَجْتم من مُربَّعِ الفِكرةِ الإِسلاميةِ إلى مُربَّعِ المَصلحةِ فلن يَستطيعَ أَحدٌ لَوْمَ أَنظمةِ الخِيانةِ والرِّدَّةِ العَربيةِ على حِصارِكم؛ لأنَّ مَصلحةَ هذه الأَنظمةِ مَعَ إِسرائيلَ، فإن عُدتُم إلى الفِكرةِ الإِسلاميةِ فأَينَ الإِسلامُ فيما تَفعلُون؟!

التَّنازُلُ -في المَرحليَّاتِ- حَالةٌ طَارئةٌ يَفرِضُها الوَاقعُ بَعدَ مُدافعةٍ، وتَتقبَّلُها العُقولُ بَعدَ تَمحيصٍ.. إذا لم تَستطعْ فَرضَ ما تَنازَلتَ مِنْ أَجلِهِ بالقُوةِ فلن تَحصُلَ من التَّنازُلِ إلَّا على مَعَرَّةِ التَّنازلِ، وإذا تَحَوَّلَتِ الحَالةُ الطَّارئةُ إلى حَالةٍ دَائمةٍ جَمَعْتَ حُقْرةً وسُوءاً، فكَأَنَّهم إنَّما جَاؤُوا بك لتَلعبَ دَوْرَ المُقاوِمِ ظَاهراً والمُتنازِلِ بَاطناً!!

التَّضييقُ والحِصارُ لَازَمَاك مُنذُ ظُهورِك، ولا زِلْتَ تَتنازلُ ولا زَالَ الحِصارُ قَائماً، فعَلامَ تُعطِي الدَّنيَّةَ دُونَ أَخذِ العَطِيَّةِ؟!

الذي هَدَّدَ بتكسيرِ رُؤُوسِ النَّاسِ مِن أَجلِ وَهْمِ المُصالحةِ كَسَّرَتِ المُصالحةُ المَوهومةُ رَأسَه ولا يَزالُ الحِصارُ مُستمراً!!

والذي تَلا بُنودَ وَثيقةِ المَبادئِ الجَديدةِ مُعترفاً ضِمناً بحُدودِ الـ٦٧ أَخرجَ نِتيناهو له لِسانَه!!

والذي أَردْتُم منه اسْتلامَ غَزَّةَ بمَشاكلِها، وَضعَ سَاقاً على سَاقٍ واشْترَطَ

نَزعَ سِلاحِ المُقاومةِ.. ولا تَزالُ غَزةُ تغرَقُ في مَشاكِلِها!!

والخَائنُ الذي شَدَّدَ حِصارَكم وقتَلَنا وشرَّدَنا وأَسقطَ (الرَّئيسَ والجَماعةَ) لا تَزالُ وُفودُكم تَحُجُّ إليه، فتَختفِي عِندَه ثلاثةَ أَسابيعَ، ثم تَعودُ لا نَعرِفُ فيمَ ذَهبَتْ وبِمَ عَادَتْ!!

يَبدُو أَنَّكم اسْتحلَيْتم اللُّعبةَ واسْتطبْتُم الحِصارَ، فما كَسَبَ أَحدٌ من هذا الحِصارِ الملعونِ مِثلَما كَسبْتم، فعلى مِشْجَبِه تُعَلَّقُ كُلُّ تنازُلاتِكم، وبه يُردُّ كُلُّ انْتقادٍ لأَفعالِكم.. ظَلَلْتم تأْكلُون الميَتةَ اضْطِراراً لبُلوغِ الغَايةِ، حتى صَارَ أَكلُ الميتةِ هو الغَايةَ، وسَيْلُ التَّبريراتِ هَادرٌ، وكَتائبُ (الأَلْتراساتِ) جَاهزةٌ!!

الخَاسرُ الوَحيدُ في كُلِّ هذا هُم أَهلُ غَزةَ الذين نَاصَرُوكم ووَقفُوا معَكم حِينَ رَأَوْا مِنكم الخيرَ في بِداياتِكم.. كَرِهُوا (فتحَ) حِينَ تَرَهَّلَتْ بالمُطاولةِ، وبَهَتَتْ (القَضيةَ) عِندَها بالسِّياسةِ، وتَحوَّلَ أَمنُها الوِقائيُّ إلى أَداةِ قَمعٍ وإِرهابٍ لهم ولكم.. فلمَّا كان عَامُ الحَسمِ، نَاصَرُوكم وتَحمَّلُوا معَكم حِينَ رَأَوْكم تَحمِلُونَ -في بِداياتِكم صَادقِينَ- هَمَّ القَضيةِ، وتَعفُّون عن المَالِ الحَرامِ والدَّمِ الحَرامِ.. رَضُوا بالجُوعِ معَكم على الشِّبعِ معَ (فتحَ)، والفَقرِ معَكم على الغِنَى معَ (فتحَ)، والخوفِ معَكم على الأَمنِ معَ (فتحَ)، والحِصارِ معَكم على الحُريةِ معَ (فتحَ).. وكان أن تَطاوَلَ عليكم الأَمدُ كما تَطاوَلَ على (فتحَ)، فارْتكبْتُم كَثيراً ممَّا ارْتكبَتْه (فتحُ)، وتَعلَّلْتُم بكَثيرٍ من أَعاليلِها البَاطلةِ، وظَهرَ فيكم دَحلانِيُّون وعَبَّاسيُّون وعُرَيقاتيُّون، وصَارَ (الأَمنُ الدَّاخليُّ) عِندَكم

كـ(الأَمنِ الوِقائِيّ) عِندَهم، وصِرتُم تَعتقلُون المجُاهدِينَ وتَقتلُونهم وتُسلِّمُونهم لأَعدائِهم بدَعوَى الإِرهابِ والخَارجيةِ كما كانَتْ تَفعلُ بكم (فَتحُ) مُنذُ سَنواتٍ، وخُصّصَتْ لكم المُخَصَّصاتُ دُونَ أَهلِ غَزةَ، وأَصبحَت التَّنازلاتُ أَصلاً والمُقاومةُ فَرعاً، فعَلامَ يحتملكُم أَهلُ غَزةَ وقد تحَوَّلْتم إلى (فَتَحَ) أُخرَى بخَوفِها دُونَ أَمنِها، وجُوعِها دُونَ شِبَعِها، وفَقرِها دُونَ غِنَاها، وحِصارِكم دُونَ حُريتِها!!

إنَّ دِعاياتِكم المُوجَّهةَ للخَارجِ عن الصُّمودِ والمُقاومةِ في الدَّاخلِ لم تُفلحْ في مَنعِ تَسَرُّبِ كَثيرٍ من أَصواتِ أَهلِ غَزةَ المَظلومِين بكم ومَعَكم، وما خَفِي من الأَصواتِ خَوفاً أَعظمُ ممَّا ظَهرَ مجُازفةً!!

مِنْ حَقِّكم أن تحُافظُوا على التَّنظيمِ، ولكن -إنْ كُنتمُ تَذكُرُون- فإنَّ هذا التَّنظيمَ وتلك الجَماعةَ كُوِّنَا في الأَصلِ للمُحافظةِ على المَبادئِ التي تَنازلْتم عن جُلِّهَا، والدِّفاعِ عن النَّاسِ الذين تَستخدمُون دِماءَهم الآنَ للمُحافظةِ على التَّنظيمِ!!

أَيَّةُ مُظاهراتٍ هذه التي تنْتهِجُها حَركةٌ أُسِّسَتْ على المُقاومةِ؟!! ما هذا؟! ذَكَّرْتمُوني بالقَذَّافيِّ ومُظاهراتِه!!

هَؤلاءِ الذين يَسقُطُون كُلَّ جُمعةٍ لا يَسقطُون من أَجلِ القَضيةِ، بل من أَجلِ تَنظيمِكم، وهُمْ -تَقبَّلَهم اللهُ- إنْ كانَتْ نِيَّتُهم القَضيةَ، فإنَّ نِيَّتَكم أنتم المَصلحةُ، حتى لو أَخرجْتم أَولادَكم ونِساءَكم مَعَهم!!

أَوَبَعْدَ (رَابعةَ) تُجدِي المُظاهراتُ؟!! ما هذا العَبثُ بأَرواحِ النَّاسِ؟! أَيُّ عَالَمٍ هذا الذي سيَتعاطَفُ معَكم، وإنْ تعاطَفَ فماذا سيَفعلُ؟!

إنْ كُنتُم تُريدُون إِبقاءَ القَضيةِ سَاخنةً بالدِّماءِ فلا بَأسَ، ولكنْ مِن الحُمقِ أن تُسفَكَ الدِماءُ مجَّاناً، مِن السَّفهِ الذي يَصلُ إلى حَدِّ الخِيانةِ أن تُقدِّموا الشَّبابَ والنِّساءَ للعَدوِّ ليَجعلَ أَجسادَهم مُنخَلاً بالرَّصاصِ!!

مَنْ غاندي، ومَن لُوثر، ومَن مَانديلَّا؟! مَعاتيهُ أنتم؟! الآنَ غاندي، ومَانديلَّا، ولُوثر؟! عَلامَ كُلُّ هذه الدِماءِ في كُلِّ تلك السَّنواتِ إذنْ؟! هل تَظنُّون أنَّكم حِينَ تُعلِّقُون صُورَ هَؤلاءِ وَراءَكم سيَقتنعُ العَالَمُ بِسلْمِيَّتِكم لرَمْزِيَّتِهم المُدَّعاةِ في السِّلميةِ واللاعُنفِ؟! أَيَّةُ سِلميةٍ الآنَ؟!

مسحوا لِحاهم ثُمَّ قالُوا: سَالِمُوا! ** بِئْسَ السَّلَامُ وبِئْسَ مَسَّاحُو اللِّحَى

إنْ كُنتُم تُسيِّرُون الأُمورَ في غَزةَ بهذه العَقليةِ فإنَّ بَقاءَكم في غَزةَ حتى الآنَ من المُعجزاتِ، ورُبَّما من المُلغِزاتِ التي قد تَشطَحُ الظُّنونُ فيها وبها، والصَّمتُ في بَعضِ الأَحايينِ أَنْطقُ!!

قد فَعلَها إِخوانُنا وإِخوانُكم مِن قَبْلُ حِينَ رَفعُوا لَافتاتِ الدِّيمقراطيةِ على مَنصَّةِ رَابعةَ، فما أَغنَتْ عنهم ولا عنَّا يومَ المَجزرةِ شَيئاً.. العَالَمُ لا يَهتمُّ.. أَنتم أَكثرُ من يَعرفُ هذا.. فَعلامَ كُلُّ هذه الدِماءِ؟!

تَذكَّرُوا أنَّ الحِصارَ عليكم أَنتُم ولَيسَ على أَهلِ غَزةَ..

أَهلُ غَزةَ مُحَاصَرون بسَببِكم ولَسْتُم مُحاصَرِين بسَببِهم.. لا تَنسَوْا أَنَّهم المُتفضِّلون عليكم بالصَّبرِ مَعَكم، فلا تُهدِرُوا دِماءَهم في الحِفاظِ على مَكاسِبِكم بَعدَما اسْتخدَمْتم حُسْنَ ظَنِّهم بكم في الحُصولِ على تلك المَكاسبِ، وقد كانوا -وغيرُهم- يَبذُلُون أَرواحَهم مِن أَجلِ المَبادئِ التي يَعلمُون تَمسُّكَكم بها، فعَلامَ يَبذُلُونها الآنَ وقد تَساقَطَتْ مَبادئُكم مَبْدأً مَبْدأً!!

فِعلٌ، وفَاعِلٌ، ومَفعولٌ، وزَمانُ فِعْلٍ، ومَكانُ فِعْلٍ..

إنْ كان الفِعلُ خَطأً في ذَاتِه فالخِلافُ حَولَ ذَاتِه مَعدومٌ، وإنْ كان صَواباً في ذَاتِه نَظرْنا إلى الفَاعلِ والمَفعولِ وزَمانِ الفِعلِ ومَكانِه، لنَعرِفَ هل الفِعلُ مَحضُ صَوابٍ أو مَحضُ خَطأٍ، أو هو ضِغْثٌ مِن هذا وضِغْثٌ من ذاك، فنُحدِّدَ دَرجاتِ الخَطأِ ودَرجاتِ الصَّوابِ فيه.

قد يَكونُ الفِعلُ في ذَاتِه صواباً، ولكنَّ صُدورَه مِن ذلك الفَاعلِ على ذلك المَفعولِ في ذلك الزَّمانِ في ذلك المَكانِ، يَجعلُه خَطأً مَحضاً، أو مَحَلَّ دَهشةٍ واسْتنكارٍ.

وقد يَكونُ الفِعلُ في ذَاتِه خَطأً، ولكنَّ صُدورَه من ذلك الفاعلِ على ذلك المَفعولِ في ذلك الزَّمانِ في ذلك المَكانِ، يَجعَلُه صَواباً مَحضاً، أو مَحَلَّ تَبريرٍ واسْتحسانٍ!!

الفِعلُ الذي يُقبَلُ من فَاعلٍ قد لا يُقبلُ من فَاعلٍ آخَرَ..

والفِعلُ الذي يُقبَلُ مِن فَاعلٍ على مَفعولٍ قد لا يُقبَلُ من فَاعلٍ على مَفعولٍ آخَرَ..

والفِعلُ الذي يُقبَلُ من فَاعلٍ على مَفعولٍ، قد لا يُقبَلُ مِن فَاعلٍ على مَفعولٍ في زَمنٍ بعَينِه..

والفِعلُ الذي يُقبَلُ من فَاعلٍ على مَفعولٍ في زَمنٍ بعَينِه، قد لا يُقبَلُ من فَاعلٍ على مَفعولٍ في مَكانٍ بعَينِه!!

ما سَبَقَ مَعلومٌ من الحَيَاةِ بالضَّرورةِ لا يَكادُ يَحتاجُ إلى تَوضيحٍ، بَيْدَ أَنَّنا في زَمنٍ احْتاجَتْ فيه الوَاضحاتُ إلى تَوضيحٍ، وقَديماً قِيلَ: تَوضيحُ الوَاضحاتِ مِن أَشْكلِ المُشكلاتِ!!

السِّلميَّةُ صَوابٌ في ذَاتِها، وكذلك الجِهادُ.. إذا رَأيتَ (البَرادعيَّ) في شَوارعِ سَيِّدةِ المَدائنِ (المَوصلِ) يُقاتِلُ مَعَ المُجاهدِينَ، ستُصابُ بذَاتِ الدَّهشةِ والاستنكارِ اللَّذيْنِ سَتُصابُ بهما إذا رَأيتَ (الظَّواهريَّ) فَوقَ (مَنصَّةِ رَابعةَ) يَتظاهرُ مَعَ المُتظاهِرينَ!!

هذان الفِعلان لا يَصدُران من هذين الفَاعلَيْن أَمامَ هذين المَفعولَين في هذين الزَّمانَين وهذين المَكانَين.. وقِسْ على هَذين الفَاعلَين أَمثلةً أُخرى للفِعلِ والمَفعولِ والزَّمانِ والمَكانِ.

لكُلِّ شَيءٍ شَيءٌ، ولكُلِّ فُولَةٍ كَيَّالٌ، ولكُلِّ وَقتٍ أَذانٌ..

وإنَّ مِن الفِعلِ أَحياناً أَلَّا تفعَلَ؛ فإنكَ إنْ أَعطيْتَ المَريضَ دَواءً لَيسَ له قَتَلْتَه أو زِدتَه مَرضاً!!

هل هذه المُظاهراتُ التي صِرنا نَخافُ يَومَ الجُمعةِ بسَبَبِ الدِّماءِ التي تُسفَكُ فيها هي الفِعلُ الذي يُمكِنُ أن يُفعلَ مِنكم الآنَ؟!

أنا مَعَكم في أنَّ الحَربَ الآنَ لن تكونَ في صَالِحِنا أبداً.. لا أُطالِبُكم بالحَربِ، ولن أُزايدَ عليكم بها، ولكنَّ هذه الدِّماءَ التي تُسفَكُ، مِنْ أَجلِ ماذا تُسفَكُ؟! أَليسَتْ هذه حَرباً؟!

أَيُّ ذِراعٍ تُريدون لَيَّها بدِماءِ النَّاسِ؟! أَيُّ مُفاوَضاتٍ تُريدُون كَسْبَها بدِماءِ النَّاسِ؟! أَيُّ أَنظمةٍ تُريدُون إِحراجَها بدِماءِ النَّاسِ؟! وهل بَقِيَتِ الآنَ أَنظمةٌ تَشعُرُ بالحَرجِ مِن شَيءٍ؟! ماذا فَعلَ هَنِيَّةُ والسِّتَّةُ الذين رَافقُوه في مِصرَ؟! ما الذي يُطبَخُ بالضَّبطِ؟!

إنْ كان ثَمَّةَ شَيءٌ يُطبَخُ بدِماءِ النَّاسِ فتلك مُصيبةٌ، وإنْ كَانتْ دِماءُ النَّاسِ تُسفَكُ لا مِن أَجلِ شَيءٍ فالمُصيبةُ أَعظمُ!! ما الذي حَدثَ لكم فصِرْتُم تَستبدِلُون بصُورِ عَيَّاشٍ ويَاسينَ والرَّنتيسِيِّ صُورَ مَانديلَّا ولُوثَرَ وغَاندي؟!

إِنْ كُنَّا قد وَصلْنا إلى هذا الدَّرْكِ فإنَّ تَفجيرَ الوَضعِ كُلِّه أَجدى لنا ولكم مِن التَّقلُّبِ في هذا المُستنقَعِ.. وما كُلُّ هُروبٍ إلى الأَمَامِ سَيِّئٌ، وما كُلُّ

طَاولةٍ مَقلوبةٍ شَرٌّ.. عَركةٌ في خَمَّارةٍ أَشرفُ من حَياةٍ فيها، ومن السِّياسةِ إِسقاطُ السِّياسةِ إنْ ضَاقَتِ السِّياسةُ!!

لقد دَخلْتُم أو استُدرِجْتم إلى لُعبةٍ تَعلمُون -قَبْلَ غَيرِكم- أنَّ النِّظامَ العَالميَّ لا يَسمَحُ لأَمثالِكم فيها بالجَمعِ بَينَ السِّلاحِ والسِّياسةِ، وما غَضَّ الطَّرفَ عن ذلك حِيناً من الدَّهرِ إلَّا ليَجُرَّكم إلى المُطاولةِ الضَّاغطةِ، فتَسقُطُون جُملةً بضَغطِه، أو تَسقُطُون شَيئاً فشَيئاً بتَخلِّيكم -تَحتَ ضَغطِه- عن مَبادِئِكم مَبْدأً مَبْدأً.. ويَبدُو أنَّكم اخْتَرْتُم السُّقوطَ الثَّانيَ، وإنَّه واللهِ لشَرٌّ مِن الأَولِ!!

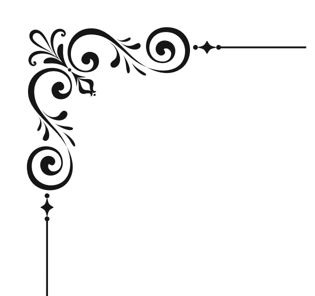
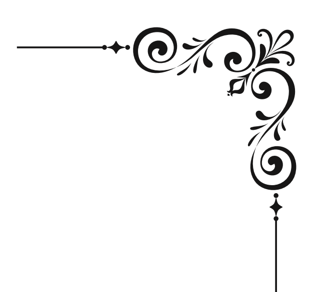
لن تَحصُلُوا على شَيءٍ.. الطَّريقُ الذي دَخلْتُموه الآنَ لن يُوصِلكم إلى شَيءٍ.. وما نَتحسَّرُ واللهِ على قَادتِكم الحَاليِّينَ بقَدرِ حَسْرَتِنا على شَبابِكم المُرابطِين في الأَنفاقِ مِن ﴿الَّذِينَ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا﴾.. لقد صَيَّرتُمُوهم سِهاماً بلا نِصالٍ، وبَنادقَ بلا ذَخيرةٍ، وإنَّهم واللهِ لَقَمِينُون أنْ يَفتحَ اللهُ بهم ولهم إنْ قَادَهم (عَيَّاشٌ) آخَرُ، أو اخْتارَ اللهُ لهم جَبهاتٍ أُخرى لم يُغَيِّرْ قَادتُها أو يُبَدِّلوا!!

لَسْنا مُتَّكِئِين على أَرائِكِنا، ولا نُنَظِّرُ عليكم من أَبراجٍ عَاجيةٍ، لقد طَالَ البَلاءُ الجَميعَ، وعَمَّتِ المَجازرُ البِلادَ، فكُفُّوا عن التَّعلُّقِ بالأَوهامِ، ونَقُّوا صُفوفَكم من السَّامريِّ وشِيعتِه، وعُودُوا -ولا أَظُنُّكم تَستطيعُون- مِنْ حَيثُ بَدأْتم، فإنَّه زَمنُ الفُسْطاطَينِ، مَن قُتِلَ فيه دُونَ دِينِه فقد انْتَصَرَ وإن قُتِلَ، ومن عَاشَ فيه بلا دِينٍ فقد مَاتَ وإن عَاشَ، ويُوشِكُ مَنْ ظَلَّ مُذبذباً لا

إلى هَؤلاءِ ولا إلى هَؤلاءِ أن تَدْهَسَهُ المُفاصلةُ؛ فيَتَمَنَّى (الخَوارجَ!!) فلا يَمُنُّ اللهُ عليه بهم حتى يَكونَ خَارجياً في نَفْسِه ولنَفسِه.. وكُلُّ الطُّرُقِ تُؤدِّي إلى الأَشعثِ الأَغبرِ!!

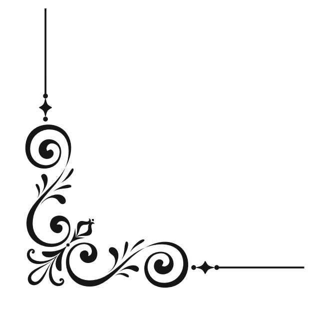
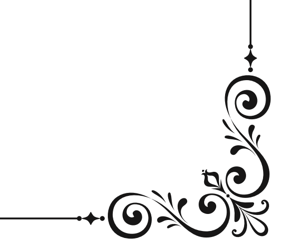
٠٣ / شعبان / ١٤٣٩هـ

١٩/ ٤ / ٢٠١٨م

(١٨)

الدِّيمقراطيَّةُ.. تِلكَ الزَّفَّةُ الكَاذِبَةُ

الذي بَعثُوه بِوَرِقِهم إلى المَدينةِ لِيَنظُرَ أَيُّهَا أَزكَى طَعاماً، اكْتشفَ الفَاجعةَ!!

والذي قَالَ لهما: (يُوسُفُ أَعرِضْ عَنْ هَذَا وَاسْتَغْفِرِي لِذَنْبِكِ) اكْتشفَ -وهو العَزيزُ- أنَّ زَوجتَه لَيستْ عَزيزةً!!

والذين دَلَّتهُم على مَوتِهِ دَابةُ الأَرضِ تَأْكلُ مِنسَأَتَه، عَرفُوا حَقيقَتَهم بَعدَما لبِثُوا في العَذابِ المُهينِ!!

أَبشعُ ما يُمكِنُ أن يَحدثَ لكَ أن تَطولَ مُدّةُ وَهْمِك، وأَبشعُ الوَهمِ الوَهمُ المُقدَّسُ، طُولُه عَنَاء، وقِصَرُه ضَنَى، وأَنتَ بَينَ العَنَا والضَّنَى كالسَّائرِ في أَرضِ شَوكٍ مُوحِلةٍ، إنِ اتَّقَى الشَّوكَ لم يَسْلَمْ من الطِّينِ، وإنِ اتَّقَى الطِّينَ لم يَسْلَمْ من الشَّوكِ.

الوَهمُ مَتاهةُ الشَّيطانِ، دَرَكَاتٌ بَعضُها فَوقَ بَعضٍ، في كُلِّ دَرَكَةٍ عَالَمٌ من الرَّغبةِ والرَّهبةِ، تُسلِمُكَ الدَّرَكةُ لأُختِها، تَرَى خَيراً فيه بَعضُ الشَّرِّ، ثُم تَرَى شَراً فيه بَعضُ الخَيرِ، ثُم شَراً مَحضاً لا خَيرَ فيه، يَسْتزِلُّك له الشَّيطانُ بِبَعضِ ما كَسَبتْ يَدَاك، فإنْ دَلَفتَ بَوابتَه فلن تَلبثَ أن تَصِلَ قَعْرَه!!

لا وُجودَ للإسلامِ في الدِّيمقراطيةِ، ولا وُجودَ للدِّيمقراطيةِ في الإِسلامِ.. مَنْ قَالَ لكم غَيرَ هذا فلا تُصدِّقُوه، إنْ كان عَالِماً فهو كَاذبٌ، وإن كان جَاهلاً فَحَسْبُكم جَهلُه!!

الدِّيمقراطيةُ -عِندَ التَّحقيقِ- كُفرٌ مَحضٌ لا فَرقَ بَينَها وبَينَ السُّجودِ لِلَّاتِ والعُزَّى وهُبَلَ إِلَّا كالفرقِ بينَ الإلحادِ والعَلْمَنةِ، كِلاهُما يُسلِّمُ للآخرِ.

الإلحادُ يَنفِي المُوجِدَ عن الوُجودِ، والعَلمانيةُ تُقصِي المُوجِدَ عن حُكمِ المَوجودِ، والدِّيمقراطيةُ تَرْهَنُ إرادةَ المُوجِدِ بإرادةِ المَوجودِ.. وَمَنْ أَثبتَ اللهَ وأَقصَى حُكمَه، كانَ كَمَن نَفَى اللهَ وأَنكرَ وُجودَه، فإنَّ رَبَّاً لا يَحكمُ ولا يَتصرَّفُ هو والعَدمُ سَواءٌ.. ومَن رَهَنَ إرادةَ اللهِ بإرادةِ خَلْقِه سَلَبَهُ أُلوهيَّتَه وأَضفَى على خَلْقِهِ ما سَلَبَهُ منه، فصَارَ اللهُ- بذلك- خِياراً ضِمنَ خِياراتٍ، لا أَمرُه أمرٌ ولا نَهْيُهُ نَهْيٌ، وللنَّاسِ (الخِيَرَةُ مِنْ أَمرِهِمْ)، إنْ قَبِلُوا حُكمَه فَعَلُوه، وإنْ رَفَضُوا حُكمَه عَطَّلُوه.. فَأيُّ إلهٍ هذا الذي الإلحادُ يَنفِيه، والعَلمانيةُ تُقصِيه، والدِّيمقراطيةُ تَجعلُه خِياراً لعَبيدِه ومَوالِيه؟!

الدِّيمقراطيةُ بِنتُ العَلمانيةِ، والعَلمانيةُ بِنتُ الإلحادِ، ويُوشِكُ مَنْ خَطبَ هذه أنْ يَتزوجَ تِلك، فيجمعَ بينَ أُختين مِن شَرِّ أبٍ!!

حِينَ تُدعَى إلى المُشاركةِ في التَّصويتِ على مُساواةِ المَرأةِ بالرَّجلِ في المِيراثِ، أو التَّصويتِ على ما يزعُمونها حُقوقاً لِلُّوطِيِّين، فهذه صُورةٌ دِيمقراطيةٌ خَالصةٌ لا إشكالَ فيها.. إنْ ذَهبتَ فشَاركتَ -رَفْضاً أو قَبُولاً-، فقد كَفرْتَ بالإِسلامِ وآمَنتَ بالدِّيمقراطيةِ، وإن رَفضتَ المَبدأَ من أَساسه -لِعلمِكَ أنَّ هذا مَعلومٌ من الدِّينِ بالضَّرورةِ لا يَجوزُ مُجردُ المُشاركةِ في الاستفتاءِ عليه-، فقد كَفرْتَ بالدِّيمقراطيةِ وآمَنْتَ بالإِسلامِ..

لَيسَ هُناك صُورةٌ أَظهرَ سَواداً ولا بَياضاً مِن هذه الصُّورةِ، ومَهما حَاولَ الإِسلاموقراطيُّون تَلوينَ مِساحاتِ الكُفرِ السَّوداءِ في هذه الصُّورةِ بأَلوانِ الإِجراءاتِ والآلِيَّاتِ الخَضراءِ؛ فلن يَستطيعُوا طَمْسَ مَعالِمِ الكُفرِ الأَسودِ فيها.

إذا رَأيتَ إِسلامُقراطياً يُصِرُّ على سَحْبِ أَوهامِ نَفْسه عن الإِسلامِ إلى الدِّيمقراطيةِ، أو سَحْبِهَا عن الدِّيمقراطيةِ إلى الإِسلامِ؛ فَاعلَمْ أنَّ هذا الطَّيِّبَ أُتِيَ من أَمرَين لا ثَالثَ لهما: ضَغطِ الوَاقعِ، وقُصورِ قُدراتِه العَقليةِ..

ضَغطُ الواقعِ يَدفعُ للتّرقيعِ، وقُصورُ القُدراتِ العَقليةِ يَمنعُ مِن إِدراكِ أَصلِ المَسألةِ، وكِلا الأَمرَين يَصِحُّ أن يَكونَ نَتيجةً وسَبباً لا يُدرَى -أَحياناً- أَيُّهما السَّببُ وأَيُّهما النَّتيجةُ.. تَماماً كالجَدَليةِ المُربِكَةِ عن أَوَّليةِ البَيضةِ أو الدَّجاجةِ!!

في مُحَاوَلَتِه لِجَعْلِ الدِّيمقراطيةِ شُورَى والشُّورَى دِيمقراطيةً؛ يَغْفَلُ هذا الطَّيبُ أو يَتغافلُ عن اختِلافِ المَركَزِ في المَنهجَين؛ فالمَركَزُ في الشُّورَى هو اللهُ، أمَّا في الدِّيمقراطيةِ فهو الشَّعبُ -وليتَه كَانَ- وَبِحَسَبِ المَركَزِ تَكونُ الأَطرافُ، وبِحَسَبِ المُنطلقاتِ تَكونُ النَّتائجُ!!

أَخبثُ ما في الدِّيمقراطيةِ أَنَّ خَبَثَها شَديدُ الخَفاءِ شَديدُ الوُضوحِ؛ (كالنَّظَّارةِ)؛ -لِطُولِ مُلازَمتِها وَجهَك- تُصبحُ كأَنَّها عُضوٌ فيه؛ فتَبحثُ عنها -أَحياناً- وهي فَوقَ أَنفِك!!

تَسحَرُكَ الدِّيمقراطيةُ بآليَّاتِها وإجراءاتِها وانْتخاباتِها وصَناديقِها وحُرِّيتِها ومُساواتِها، فتَظُنُّ أنَّ تِلك الأَشياءَ هي الدِّيمقراطيةُ، فإذا سَمِعت مَن يَصِفُها بالكُفرِ، انْتفَضْتَ كالمَلدوغِ مُستنكِراً أن تكونَ الحُريةُ والمُساواةُ والاِختيارُ والاِسْتفتاءُ وحُكمُ الشَّعبِ لنَفسِه كُفراً؟!

ولَيسَ غَالبُ هذا كُفراً، ولكنَّهم سَحَرُوا عَينَيْك بِرَوضةٍ غَنَّاءَ نَبَتَت في مُستنقعٍ، وَسَقوكَ مَاءَ المُستنقعِ مُقَطَّراً، فنَسِيتَ أَصلَه الخَبيثَ بِطَعْمِهِ المُستحدَثِ!!

كُفرُ الدِّيمقراطيةِ في فَلسفتِها الأَيدلوجيةِ ولَيسَ في (غَالبِ) إجراءاتِها العَامَّةِ التي يُمكِنُ أن تُوجَدَ فيها وفي سِواها.. وفَلسفتُها تَقولُ لك: الدِّيمقراطيةُ هي: حُكمُ الشَّعبِ للشَّعبِ بما يَختارُه الشَّعبُ، فما أَقرَّه الشَّعبُ وَجبَ إقرارُه حتَّى لو حَرَّمَه اللهُ، وما رَفضَه الشَّعبُ وَجَبَ رَفْضُه حتَّى لو فَرَضَهُ اللهُ، فصَارَ الشَّعبُ بذلك إلهاً يُشرِّعُ لخَلْقٍ لم يَخلُقْهم، وصَارَ اللهُ بذلك -وحَاشَاه جَلَّ وعَلَا- مُجرَّدَ خِيارٍ لخَلْقِه الذين خَلَقَهُم.. واللهُ جَلَّ وعَلَا لم يَقُلْ: «ورَبُّهم شُورَى بينَهم!»، بل قَالَ: (وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ)، ولم يَقُلْ: «وشَاوِرْهم في اللهِ!»، بل قَالَ: (وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ). ولم يَقُلْ: «وما كان لمُؤمنٍ ولا مُؤمنةٍ إذا قَضَى الشَّعبُ ودُستورُه أَمراً أن يكونَ لهم الخيَرَةُ مِن أَمرِهم!»، بل قَالَ: (وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللهُ وَرَسُولُهُ أَمْراً أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ).

لكَ -كإنسانٍ- أن تختارَ أَيَّ دينٍ تُريدُ، (لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ)، فإذا اخْترتَ الإِسلامَ ديناً فلَيسَ لكَ بعدَه -كمُسلمٍ- أن تختارَ غَيرَ شَريعتِه حُكماً ونظَاماً، فإذا زَعمْتَ -وأَنتَ مُسلمٌ تحقَّقتْ فيك الشُّروطُ وانتفتْ عنك الموانعُ- أنَّكَ حُرٌّ في اخْتيارِ شَريعةٍ غَيرِ شَريعةِ الإِسلامِ، فقد صَدقتَ بَعضَ الصّدقِ في كَونك حُراً، وكَذبتَ كُلَّ الكَذِبِ في كَونِك مُسلماً.. كيف تُعطِي لنفسِكَ حُريةَ الخُروجِ عن شَريعةِ الإِسلامِ ثُم تَمنعُ الإِسلامَ من حُريةِ تَسميةِ هذا الخُروجِ كُفراً؟! مَن أنتَ لتَفرضَ على الإِسلامِ أَهواءَكَ ثُم تُجبرُه على أن يُبقِيَك ضِمنَ دَائرتِه؟!

لقد أَوْهموكَ أن الدِّيمقراطيةَ هي إِجراءاتُها وآلِيَّاتُها، فَرُحْتَ تَلُوكُ مُصطَلحاتِها الضَّخمةَ عن الحُريةِ والمُساواةِ وحُكمِ الشَّعبِ لنَفْسِه.. وليَتَهم -حِينَ خَدَعُوك بهذا الكُفرِ المُؤَسْلَمِ- جَعلُوا الشَّعبَ حَاكماً على الحَقيقةِ، أو أَفهمُوكَ مَاهيةَ هذا الشَّعبِ الذي تُقضَى الأُمورُ باسْمِه، وليَسَ له فيها نَاقةٌ ولا جَمَلٌ، إنَّما هي النُّخَبُ العَسكريةُ والاقْتصاديةُ والإِعلاميةُ التي تَتلاعَبُ بعُقولِ الشَّعبِ فتَجعَلُ الحَقَّ بَاطلاً والبَاطلَ حَقاً، ثُم تُوجِّهُ العَامَّةَ والغَوغاءَ وأَنصافَ المُتعلِّمِين إلى اختِيارٍ بعَينِه -يُختارُ لهم- ويَظنُّون أَنَّهم أَحرارٌ في اختِيارِهم!!

الإِنسانُ كَائنٌ عَقائديٌّ لا يُمكِنُ أن يَعيشَ -غَالباً- بغَيرِ دِينٍ حتَّى لو كان دِيناً كَاذباً، ولو فَتَّشْتَ وَراءَ غَالبِ هذه الأَفكارِ التي تَموجُ بالبَشرِ ويَموجُ بها البَشرُ في شَتَّى مَناحِي الحَياةِ، لوَجدتَ دِيناً ما، أو فَلسفةً ما، أو عَقيدةً ما!!

لن تَستطيعَ -وَاقعاً- نَزَعَ أَيَّ مَذهَبٍ من أَصلِه الفَلسفيِّ لِتكتفيَ بآلِيَّاته وإِجراءاتِه، كما لا يُمكِنُ للآليَّاتِ والإِجراءاتِ أن تَخلُوَ تَماماً من انْعكاساتِ الأَصلِ الفَلسفيِّ عليها.. قد تَتفقُ بَعضُ آليَّاتِ الشُّيوعيةِ مَعَ بَعضِ آليَّاتِ الدِّيمقراطيةِ، لكنَّك سَتَلمَسُ بوُضوحٍ بَصماتِ المَنهجَينِ في آليَّاتِ هذه وتلك، بل إنَّ ظُهورَ المَذهبِ بثَوبٍ مُختلفٍ في فَرعٍ غَيرِ أَصلِه الفَلسفيِّ سيُشيرُ بالضَّرورةِ إلى الأَصلِ الفَلسفيِّ، تَماماً كما تُشيرُ الفِكرةُ الحَداثيةُ الأَدبيةُ الحَمقاءُ عن (مَوتِ المُؤلِّفِ) إلى الفِكرةِ الفَلسفيةِ الأَيدلوجيةِ الكَافرةِ عن (موتِ الإِلهِ)؛ هذه مِنْ تلك، وإن تَمَظْهرَتْ في الأَدبِ بغَيرِ مَظهرِها في الفَلسفةِ!!

الآليَّاتُ اجتهادٌ بَشريٌّ خَاضعٌ للزَّمانِ والمَكانِ والظُّروفِ والسِّياقاتِ، ولكنْ مِن المُحالِ عَقلاً وواقعاً أن يَختفيَ الأَصلُ العَقديُّ تَماماً من آليَّاته؛ وإلَّا كان الأَصلُ نَاقصاً غَيرَ مُكتملٍ.. الإِسلامُ دِينٌ قَانونُه الشَّريعةُ (الحُكمُ للهِ، والسِّيادةُ للشَّريعةِ، والسُّلطةُ للأُمَّةِ)؛ وحِينَ يُطَبَّقُ هذا القَانونُ بإِجراءاتِه وآليَّاته الخَاضعةِ للاجْتهادِ البَشريِّ لن يُطبَّقَ إلَّا من خِلالِ اتِّكائه على الأَصلِ العَقَديِّ له، وكُلُّ إِجراءٍ يَتعدَّى الاجتهادُ فيه دَائرةَ أَصلِه لا يُعَوَّلُ عليه؛ لأنَّه يُسقِطُ الأَصلَ أو يُشوِّهُه.. وأَغلبُ الظَّنِّ أنَّ الإِيغالَ في تَتبُّعِ الآليَّاتِ والإِجراءاتِ بغَيرِ تَحرُّزٍ وضَبطٍ شَديدَينِ، سيَصلُ بنا إلى الحَوْمِ حَولَ حِمَى المَبادئِ الكُفريةِ ذَاتِها، ومن حَامَ حَولَ حِمىً يُوشِكُ أن يَرتَعَ فيه، تَماماً كما رَتَعَ قُسْطَنْطِينُ بالنَّصرانيةِ في الوَثنيةِ فأَخرجَ للنَّاسِ دِيناً (وَثَنَصْرانِيَّاً) لَيسَ فيه مِن النَّصرانيةِ سِوَى الأَسماءِ!!

كان العَلمانيُّون واللِّيبراليُّون يُشغِّبُون على الإِسلاميِّين -حِينَ كان الإِسلاميُّون يَكتَسِحون الانتخاباتِ فَوزاً ونَجاحاً- فَيُذَكِّرُونَهم بأَنَّ الدِّيمقراطيةَ لَيستْ صَناديقَ اقتراعٍ فَقَطْ، بل أُصولاً فَلسفيةً خَاصةً وقَواعدَ مَبادئيةً عَامةً لا بُدَّ من التَّوافقِ عليها قَبلَ الوُصولِ لمَرحلةِ الاقتراعِ.. وما رَأيتُ أَحداً منهم بَدَأَ بخُدعةِ الآلياتِ الإِجرائيةِ إلَّا انتهى إلى الفَلسفةِ دُونَ أن يَدريَ، حتَّى صِرتُ أَشُكُّ أَنَّ المُؤمنَ بالآليَّاتِ دُونَ الفَلسفةِ كَائنٌ خُرافيٌّ لا وُجودَ له كالغُولِ والعَنقاءِ والخِلِّ الوَفِيِّ!!

ثُم هَبْ أنَّ الآليَّاتِ مُتوافقةٌ مَعَ الإِسلامِ أو لا يَرفُضُها الإِسلامُ، لماذا نُصِرُّ على اسْتخدامِ المُصطلحِ الغَربِيِّ؟!!

المُصطلحُ هُويَّةٌ.. والهُويَّةُ دِينٌ ولُغةٌ وثَقافةٌ وحَضارةٌ، فكَأنَّ المُصطلحَ مِرآةٌ تَعكسُ الهُويَّةَ بأَجزائِها مَفرودةً في صُوَرٍ، أو إِضبارةٌ تَختزلُ أَجزاءَ الهُويةِ بِكُلِّيَّتِهَا مُكثَّفَةً في حُروفٍ.. مُصطلحاتُ كلِّ قَومٍ هُويتُهم، وبِقَدْرِ اسْتخدامِك مُصطلحاً بعَينِه بِقَدْرِ عُلوِّ هُويةِ هذا المُصطلحِ وأَهلِه في نَفْسِك وسُفُولِ نَفْسِك وهُويَّتِكَ فيها، فإذا اسْتخدمْتَ مُصطلحَ قَومٍ فقد غَلَّبْتَ -دَرَيْتَ أو لم تَدرِ- دِينَهم على دِينِك، ولُغتَهم على لُغتِك، وثَقافتَهم على ثَقافتِك، وحَضارتَهم على حَضارَتِك.. وأَيُّ شَيءٍ يبلُغُه الغالبُ في المغلوبِ أَكثرَ مِن هذا؟!

(الدِّيمقراطيةُ والشُّورَى) مُصطلحانِ مُتضادَّانِ بالكُلِّيَّةِ يَنتميانِ لحَضارتَين

مُختلفتَين بالكُلِّيَةِ، ويَحملانِ في حُروفيْهما حُمولاتٍ وإيحاءاتٍ وظِلالاً تَاريخيةً وعَقديةً وثَقافيةً ولُغويةً وحَضاريةً لا يُمكِنُ -بهذه الحُمولاتِ والإِيحاءاتِ- أن يَمتزِجَا في نَفْسِ إِنسانٍ ورُوحِه وعَقلِه أَبداً!!

المُصطلحُ احتِلالِيٌّ بِطَبْعِه، يَحمِلُ وَجهَ حَضارتِه وفَلسفتِها.. هو شِعَارُهَا ودِثَارُهَا، تَماماً كوَرَقةِ العُملةِ أو أَعلامِ البُلدانِ؛ رُموزٌ مَوحيةٌ مُختزلةٌ في وَرقٍ أو قُماشٍ أو حُروفٍ أو مُخترعاتٍ.. وهو -بحَسَبِ الأَنَا والآخَرِ- أَداةُ احتلالٍ وتَبعيةٍ واسْتلابٍ، ونَقيضُه أَداةُ مُقاومةٍ وأَصالةٍ وتَحَرُّرٍ.. وهنا تَكمُنُ مُراوغةُ المُصطلحِ كما تَكمُنُ خُدعةُ المُصطَلحَيْنِ؛ فالذين سَمَّوُا الاحتلالَ اسْتِعماراً أَرادُوا تَخفيفَ وَقْعِه البَغيضِ على النُّفوسِ، تَماماً كما سَمَّوُا (اللُّوطيَّةَ) (شُذوذاً) ثُم (مِثليَّةً)؛ ليُخفِّفُوا بَشاعةَ انْتكاسِ الفِطرةِ في النُّفوسِ؛ فمُصطلحُ اللُّوطيةُ يُشِيعُ في النَّفسِ إِحساساً جَارفاً بالإِثمِ الدِّينيِّ يَتْبَعُه نُفورٌ مُجتمعيٌّ، ومُصطلحُ الشُّذوذِ يُسقِطُ الإِحساسَ بالإِثمِ الدِّينِيِّ ويُثْبِتُ فقط مَعنى مُخالفةِ المُجتمعِ عُرفاً وتَقاليدَ، أَمَّا مُصطلحُ المِثليَّةِ؛ فهو مُصطلحٌ مُحايدٌ تَماماً يَخلُو من إِيحاءاتِ الإِثمِ الدِّينيِّ والمُخالفةِ المُجتمعيةِ مَعاً؛ بل ويَميلُ إلى دَفعِ النَّاسِ لقَبولِ اللُّوطيِّين وتَقبُّلِهم.. وقِسْ على هذه الأَحابيلِ الخَادعةِ ما يَحدُثُ في مُصطلحاتٍ كَثيرةٍ، مِثلُ: حُقوقِ الإِنسانِ، وتَحريرِ المَرأةِ، والمَشروباتِ الرُّوحيةِ.. وغَيرِها من المُصطلحاتِ التي يُرقِّقُون بها بَشاعةَ ما يَرتكِبُون فيها!!

إنَّ اسْتعلاءَنا بمُصطلحاتِ دِينِنا هو الخُطوةُ الأُولَى لاسْتعادةِ هُويِّتِنا التي تُمثِّلُ الدِّينَ واللُّغةَ والثَّقافةَ والحَضارةَ، ولَيسَ هذا رَفضاً للآخَرِ أو احتِقاراً

له؛ بل هو اكْتفاءٌ ذَاتيٌّ بما نَملِكُ.. وما نَملِكُ عَظيمٌ لو تَدَبَّرْناه.

دُونكَ هذه الإجراءاتِ فأَخبِرْني أَينَ الإسلامُ فيها:

غَضِبَ بَعضُ الإِسلامقراطِيّين لِمُجَرَّدِ الدَّعوةِ إلى مُناقشةِ مُساواةِ المَرأةِ بالرَّجلِ في المِيراثِ، أو الاستفتاءِ على ما يَزعُمُونها حُقوقاً لِلُّوطِيّين، وإنَّه واللهِ لَغَضبٌ حَميدٌ مَحمودٌ يَدلُّ على وُجودِ بَقيةِ عَقلٍ إنْ كان قد ذَهبَ الدِّينُ.. ولكنْ، أَلَيستْ هذه هي الدِّيمقراطيةَ الإِجرائيةَ التي تُريدُ؟! أَلَيستْ هذه هي الآلِيَّاتِ؟! إنَّها مُجَرَّدُ مُناقشةٍ!!

- ولكنَّ شَرعَ اللهِ لا يُناقَشُ!!

- مَنْ تَحدَّثَ الآنَ عن شَرعِ اللهِ؟! نَحنُ نَتحدَّثُ عن الدِّيمقراطيةِ!!

- ولكنَّ الدِّيمقراطيةَ التي أَفهمُها وأُريدُها لا تُخالِفُ شَرعَ اللهِ، هي مَجموعةٌ من الإِجراءاتِ تُنظِّمُ حَياةَ النَّاسِ ضِمنَ الأُطُرِ الدِّينيةِ!!

- لا، هذه لَيستِ الدِّيمقراطيةَ، أنتَ تَتحدَّثُ الآنَ عن الشُّورَى.. الشُّورَى: حُكمُ المُسلِمين للمُسلِمين وغَيرِهم بشَرعِ اللهِ.. الدِّيمقراطيةُ: هي حُكمُ الشَّعبِ للشَّعبِ بما يَختارُه الشَّعبُ، فإذا اخْتارَ الشَّعبُ نِظاماً مُعيناً للحُكمِ فلا رَادَّ لاخْتيارِه، سَواءٌ أَكانَ هذا النِّظامُ مُوافقاً أم مُخالفاً للإِسلامِ.. الشَّعبُ هو البَدءُ والمُنتَهى!!

- ولكنْ، أَينَ اللهُ؟!

- في السَّماءِ!!

- أنا لا أَمزحُ!!

- ولا أنا.. إذا زَادَ عَددُ المُصوِّتينَ على إِعطاءِ اللُّوطيِّ الحَقَّ في اللِّواطِ، فإنَّ الدِّيمقراطيةَ لا تَفرِضُ عليك ذلك حَسْبُ، بل تَفرِضُ عليكَ أَيضاً تَقَبُّلَ لُوطيَّتَه بصَدرٍ رَحبٍ، والكَفَّ عن تَسميتِه لُوطياً!!

- ولكنَّ اللهَ يَقولُ غَيرَ ذلك!!

- نَحنُ نَتكلَّمُ عن إِرادةِ الشَّعبِ ورَغباتِه فَقطْ!!

- ولكنَّ اللهَ...

- نَعمْ، اللهُ مَوجودٌ، ولكنَّه لَيسَ الحَكَمَ هنا، الصُّندوقُ هو الحَكَمُ، ألم تَرضَ بالصُّندوقِ ابْتداءً؟! ألم تَجعلْه مَصدرَ الأَمرِ وقُطبَ رَحَاه؟!

- نَعمْ، جَعلتُه كذلك، ولكنْ فيما لا يُخالِفُ شَرعَ اللهِ!!

- ما هذا العَبثُ؟! قُلتُ لك: هذه لَيستْ دِيمقراطيةً!!

- ولكنَّ الدِّيمقراطيةَ فيها (مَبادِئُ فَوقَ دُستوريةٍ) لا يَجوزُ مُناقشتُها أو المَساسُ بها!!

- هذا صَحيحٌ تَماماً، ولكنْ، حتَّى هذه المَبادئُ لا بُدَّ أن يَتفقَّ عليها الشَّعبُ أَولاً.. مَردُّ عدمِ المَساسِ بهذه المَبادئِ هو الشَّعبُ ولَيسَ اللهَ، فإنْ وَافقَ الشَّعبُ فبِها ونِعمَتْ، وإنْ لم يُوافِقْ فلا يَجوزُ فَرضُ مَبادئَ مُعيَّنةٍ عليه،

لأَنَّ مجموعةً من المُتخلِّفين القَادِمين مِن عَصرِ الجَمَلِ أَرادَتْ ذلك!!

- ولـكنَّ اللّٰهَ والإِسلامَ..

- لا تُكثِرِ الكَلامَ، الشَّعبُ هو البَدءُ والمُنتَهى، هل أَنتَ مُوافقٌ؟!

- لا، لَستُ موافقاً..

- جَميلٌ جِداً، الدِّيمقراطيةُ أَيضاً فيها مُعارضةٌ، أَنشِئْ حِزباً سِياسياً مُعارِضاً ضِمنَ الإِطارِ الدِّيمقراطيِّ، واعْلَمْ أَنَّا سنُناقشُ في بَرلمانِنا كُلَّ شَيءٍ، حتَّى الصَّلاةِ إذا كَانتْ ستُعطِّلُ الإِنتاجَ سَنَمنعُها إنْ رَأتِ الأَغلبيةُ ذلك، ولْتُصَلِّ أَنتَ في بَيتِك حِينَ تَعودُ إليه مَساءً!!

- ولـكنْ، هذا كُفرٌ!!

- رُبَّما.. ولـكنَّها إِجراءاتُ الدِّيمقراطيةِ التي صَدَّعْتَ رُؤوسنَا بالمُطالبةِ بها!!

هذه هي الصُّورةُ على الحَقيقةِ، ومَهما حَاولْنا تَجميلَ قُبْحِهَا أو أَسْلَمَةَ كُفرِهَا فلن نَستطيعَ.. لقد قَالَها رِفعتُ المَحجوبُ قَديماً -كما ذَكَرَ أبو مُصعَبٍ السُّوريُّ عليه مِن اللهِ شَآبِيبُ الرَّحمةِ حَياً ومُنتقلاً- حِينَ رَفَضَ مُمثِّلُو الإِسلاميِّين في مَجلسِ الشَّعبِ التَّصويتَ على قَانونٍ مُخالفٍ للشَّريعةِ، ولَمَّا تَمَّ إِقرارُ القَانونِ لِقلَّةِ أَصواتِهم، أَخبَرُوا المَحجوبَ أَنَّهم يَبْرَؤُون إلى اللهِ من هذا القَانونِ المُخالفِ للشَّريعةِ، فَذَكَّرَهُم بالقَاعدةِ الدُّستوريةِ التي تَقولُ: إنَّ القَانونَ

لا يَأخُذُ شَرعيَّتَه إلَّا مِن طَرحِه للتَّصويتِ قَبولاً ورَفضاً، ورَفضُهم للقَانونِ وَفْقَ مَعاييرِ الدِّيمقراطيةِ هو سَببُ إِقرارِه، فقد أُتيحَتِ الفُرصةُ للاِستفتاءِ عليه تَأيِيداً ومُعارضةً، فصَارُوا بتَصويتِهم بالرَّفضِ مُشارِكِينَ دُستورياً في إِقرارِ قَانونٍ مُحَرَّمٍ دِينياً!!!

يا اللهُ.. إنَّه خَلَّاطُ التَّفاصيلِ الذي ضَرَبُوهم فيه.. إنَّه النِّظامُ العَالميُّ الذي ظَنُّوا -وَاهِمِين- أنَّهم يَستطيعُون خَلْخلةَ أُصولِه مِن دَاخِلِه، فخَلْخلَ هو أُصولَهم وأَسقَطَهَا.. إنَّه رَوضةُ المُستنقعِ التي أَعجبَتْهم خُضرتُها فدَخلُوها فدَوَّخَهم عَفَنُ رَائحتِها، فلمَّا لم يَستطيعُوا الخُروجَ منها اعتَادُوا العَفنَ!!

ظَنُّوه تَدَرُّجاً فكانَ اسْتدِراجاً.. ظَنُوهَا حُديبيةً فكانَتْ أُحُداً!!

وَضَعَ الكُفَّارُ لهم أُصولَ اللُّعبةِ، وحَدَّدُوا لهم مَساراتِ الحركةِ، واسْتدرَجُوهم ببَعضِ المَكاسبِ التَّافهةِ، فصَارُوا يَرَوْنَ قِطعةَ الجُبنِ ولا يُبصِرُون الفَخَّ، وكُلَّما حَاولُوا التَّمَلُّصَ والخَلاصَ، وَضعُوا لهم قِطعةَ جُبنٍ أُخرَى في فَخٍّ آخرَ.. وهكذا دَوالَيْك حتَّى تَحوَّلُوا هم أُنفسُهم إلى فَخٍّ بلا جُبنٍ يُصادُ به غَيرُهم، فكَسَبَ الكُفارُ بهم ثَلاثةَ مَكاسبَ لم يَكونُوا يَحلمُون بها:

اسْتنزَفُوهم عَقَدِيّاً حتَّى تَماهَتْ أُطروحاتُهم مع أُطروحاتِ العَلمانيةِ الكَافرةِ، واسْتخدمُوهم سِياسياً لإِضفاءِ الشَّرعيةِ على الأَنظمةِ الكُفريةِ العَمِيلةِ، وَسَوَّقُوهم دِينياً للتَّشويشِ على القُوَى الإِسلاميةِ الأُخرَى وإِحباطِ حَرَكَتِها واتِّهامِها بالاِختراقِ والعِمالةِ!!

لقد صَارُوا إِسلامُقراطيّين يَعبُدُون الشَّعبَ والصُّندوقَ مِن دُونِ اللهِ ويَتنازَلُون عن كُلِّ ما لا يُمكِنُ التَّنازُلُ عنه مِن أَجلِ الكُفرِ الذي اقْتَنَعُوا أَنَّهم سيَصلُون به إلى الإِيمانِ.. وحِينَ وَصلُوا -وأَعطَاهم الشَّعبُ صَوتَه ورَضِيَ بِعُجَرِهِم وبُجَرِهِم-؛ لم يَكونُوا يَملكُون مِن القُوةِ ما يُحافِظُون به على مَكاسِبِهم التي تَلَبَّسُوا بالكُفرِ من أَجلِها؛ نَخَسِروا عِنبَ الشَّامِ وبَلَحَ اليَمنِ، وظَهرَتِ الدِّيمقراطيةُ على حَقيقتِها، ظَهرَتْ أَنيابُها ومَخالبُها، وأَغلَقَ النِّظامُ العَالميُّ الدِّيمقراطيُّ المجَالَ العَامَّ وفَتَحَ المُعتقلاتِ والقُبورَ، ثُم أَبقَى مَساراتٍ مُحدَّدةً سَلَفاً (لِبَقيَّةِ السَّيفِ) و(سَقَطِ المُعتقلاتِ والقُبورِ)؛ ليَستخدمَهم مِن جَديدٍ -كما اسْتَخدَمَ إِخوانَهم مِن قَبلُ- حتَّى يَنتهِيَ مِن حَفْرِ قُبورٍ جَديدةٍ وبِناءِ مُعتقلاتٍ أُخرَى!!

الكُفرُ الذي تَلَبَّسُوا به لم يُوصِلْهم إلى الإِيمانِ الذي تَوَهَّمُوه، ونَحنُ -وإِنْ عَذَرْنَا الأَوائلَ بالجَهلِ حِينَ خَدعتْهم الدِّيمقراطيةُ بالحُريةِ والمُساواةِ-؛ كيف سنَعذِرُ الأَواخِرَ بِهِ وقد ظَهرَتِ الدِّيمقراطيةُ على حَقيقَتِها بالأَنيابِ والمَخالبِ؟!

إِنْ كان هَؤلاءِ الأَواخرُ أُجْبِروا على هذا فَمَن أَدخلَهم المَنظومةَ ابْتداءً؟! وإِن كانُوا لم يَعرِفُوا الوَاقعَ قَبْلَ الدُّخولِ فها قد عَرَفُوه بَعدَ الدُّخولِ، فهل يَستوي الحِفاظُ على مَكاسبَ مُتوَهَّمةٍ -ستُنتَزَعُ منهم عمَّا قَريبٍ بالأَنيابِ والمَخالبِ- مَعَ شَرعَنةِ الكُفرِ مِن خِلالهم بِوَهْمِ الحُريةِ والمُساواةِ؟! وَيكَأَنَّ الرَّاعيَ لا يَزالُ يُسَمِّنُ الأَغنامَ للذَّبحِ، ووَيكَأَنَّ الأَغنامَ لا تَزالُ تَرتعُ وتَشكرُ الرَّاعيَ!!

الذي قال: «صَدَقَ اللهُ وَكَذَبَ بُورقِيبةُ»، انتقلَ إلى رَحمةِ اللهِ غَيرَ مُبدّلٍ أو مُتخاذلٍ، وجَاءَ بَعدَه قَومٌ لم يكتفُوا بمُناقَشةِ ما لا يُناقَشُ؛ بل صَوَّتُوا -وَهُمُ الأَغلبيةُ- على مُساواةِ المَرأةِ بالرَّجلِ في المِيراثِ، وزَواجِ المُسلمةِ بالكَافرِ، وإِقرارِ قَانونِ تَخفيضاتِ الجَمارِكِ على الخُمورِ.. ثُم رَفعُوا الجَلسةَ لأَداءِ صَلاةِ المَغربِ.. هذا -واللهِ- هو الوَجعُ المُعَتَّقُ!!

يُذَكِّرُنِي (حَمَ) وَالرُّمْحُ شَاجِرٌ ** هَلَّا تَلَا (حَمَ) قَبْلَ التَّقَدُّمِ؟!

عَبَثٌ أَنفَ الهَالكُ شِنودةُ أن يُقَارِفَ مِثلَهُ حِينَ رَفَضَ حُكمَ المَحكمةِ بإِنفاذِ الطَّلاقِ لعِلَّةٍ غَيرِ عِلةِ الزِّنَا، وَضَرَبَ بحُكمِها وبالقَانونِ وبالدَّولةِ عُرضَ الحَائطِ قَائلاً: «لن نُخالِفَ القَانونَ الإِلهيَّ، ولا أَحدَ يَفرِضُ قَوانينَه علينا».. ولا قَارَفَهُ رَئيسُ الوُزراءِ الأَسْبانيُّ حِينَ قال: «الدِّيمقراطيةُ التي تُخالِفُ الدُّستورَ أو تَتجاوَزُه لا نَعترِفُ بها».. ولا قَارَفَهُ أَلكسندرُ دُوبريندتُ أَحدُ أَبرزِ شَخصياتِ حِزبِ الاتِّحادِ المَسيحيِّ الأَلمانيِّ حِينَ قَالَ: «تُراثُنا المَسيحيُّ لَيسَ خَاضعاً للنِّقاشِ، ومن غَيرِ الوَاردِ إِضافةُ يَومِ عُطْلَةٍ إِسلاميةٍ في أَلمانيَا!!».

وفي الوَقتِ الذي تُصَوِّتُ فيه أَنجيلَا مِيركلُ وحِزبُها على قَانونِ اللِّواطِ بـ (لا)؛ يُصَوِّتُ النُّوَّابُ المُسلمُون في البَرلمانِ الأَلمانِيِّ على القَانونِ بـ(نعم)؛ لأَنَّ اللُّوطيّين يُساعدُون المُسلمين في الحُصولِ على مَطالِبِهم.. هكذا إِذنْ.. اعبُدْ رَبَّنَا سَنَةً ونَعبُدُ رَبَّكَ سَنَةً!!

لا زِلتُ أَذْكُرُ كَلامَ بَعضِ إِخوانِنا الطِّيِّبينَ حِينَ كُنتُ أُحذِّرُهم من هذه

الفِخاخِ، فيَقولُون: «إنَّه لا يُتصَوَّرُ في مُجتمعاتِنا التي يَغلبُ عليها الإِسلامُ أن يُوافِقَ المُسلمُون على تَشريعٍ يُصادِمُ صَريحَ القُرآنِ وصَحيحَ السُّنةِ، بل إنَّ هذا مُستحيلٌ أَيضاً من النَّاحيةِ الإِجرائيَّةِ، لأنَّ كُلَّ الدَّساتيرِ الوَضعيةِ في الدُّولِ العَربيةِ -على ما فيها من عِوَجٍ- تَنُصُّ على عَدمِ مُصادمةِ أُصولِ التَّشريعِ الإِسلاميِّ»!!

آهِ يا وَجَعَ المَعرفةِ!!

هَا قد أَقَرَّ الإِسلاميُّون أَنفُسُهم -في المُجتمعاتِ المُسلمةِ وغَيرِ المُسلمةِ- بما يُصادِمُ صَريحَ القُرآنِ وصَحيحَ السُّنَّةِ.. فأَينَ أَساطيرُ الدَّساتيرِ عن خَوابيرِ الدَّياجيرِ؟!

إنَّهم يَخدعُوننا..

الدِّيمقراطيةُ لم تكنْ بالنِّسبةِ لنا نِظامَ حُكمٍ قَطُّ، بل كَانتْ حِصانَ طِروادةَ.. إعادةَ تَموضُعٍ لفُرسانِ مَعبدٍ في حَملةٍ صَليبيةٍ.. رَشْقَةَ نيرانٍ أَخيرةً لتَنظيفِ أَرضِ المَعركةِ.. حَركةً التفافيةً لفَتحِ ثَغرةٍ فِكريةٍ في رُوحِ المُسلمِ وعَقلِه.. وحِينَ لَوَّثُوا العَقلَ وشَوَّهُوا الرُّوحَ، هَانَ على المُسلمِين هَدْمُ حُصونِهم بأَيدِيهم وأَيدِي المُشرِكين، في الوَقتِ الذي يَعودُ فيه المُشرِكُون إلى عَقائِدِهم وهُوِيَّاتِهم.

مَا يُسَمَّى الكنِيستُ الإسرائيليُّ يُقرُّ قَانونَ القَوميةِ الذي يَجعلُ ما يُسمَّى إِسرائيلَ دَولةَ يَهودٍ فَقطْ، ويُسمِّي القُدسَ عَاصمةً لها، ويَمنَعُ اسْتخدامَ تَاريخ

غَيرِ التَّاريخِ العِبريِّ في المُعاملاتِ الرَّسميةِ، ويُحَوِّلُ اللُّغةَ العَربيةَ مِن لُغةٍ رَسميةٍ إلى لُغةٍ ذَاتِ وَضعٍ خَاصٍّ، ويَضعُ الدِّيمقراطيةَ في المَرتبةِ الثَّانيةِ بَعدَ يَهوديةِ الدَّولةِ!!

الدِّيمقراطيةُ أَداةُ حَربٍ ولَيستْ نِظامَ حُكمٍ.. وقد اسْتخدَمُوها في كُلِّ بَلدٍ بما يُوائِمُ سِياقاته للسَّيطرةِ عليه، بل اسْتخدَمُوها هُويةً لهم ضِدَّ الشُّيوعيةِ، ورَوَّجُوها في العَالمِ الإِسلاميِّ ليَكسِبُوا بوَهمِ حُريتِها ومُساواتِها وعَدالتِها عُقولَ المُسلمِين.. وحِينَ فَتَحَتْ للإِسلامِيِّين بَعضَ المجَالِ العَامِّ ووَصلُوا بها إلى الحُكمِ، عَادُوا فأَطبَقُوا عليهم بالانقلاباتِ العَسكريةِ المُباشرةِ، أو بالتَّفاصيلِ الدِّيمقراطيةِ الكُفريةِ التي تَضَعُ المُسلمَ أَمامَ خِيارَينِ: عَقيدَته مَعَ خَسارةِ المَكاسبِ، أو مَكاسِبه مَعَ خَسارةِ العَقيدةِ.. ولَعَمْرِي إِنَّ هذا لأَبشَعُ مِن الانقلاباتِ العَسكريةِ المُباشرةِ!!

حُريةُ التَّعبيرِ لم تَمنَعْهم من البَطشِ بجَارُودِي وغَيرِه حِينَ شَكَّكَ فيما يُسَمُّونه الهُولوكُستَ!!

حُريةُ الاستفتاءِ لم تَمنَعْ أَلمانيَا الدِّيمقراطيةَ مِن رَفضِها السَّماحَ للأَتراكِ المَوجُودِين فيها بإِجراءِ عَملياتِ تَصويتٍ في القُنصلياتِ التُّركيةِ بأَلمانيَا على إِعادةِ العَملِ بعُقوبةِ الإِعدامِ، مُعلِّلةً ذلك بمُخالفته للقَوانينِ الأَلمانيةِ والقِيمِ الأُوربيةِ، رَغمَ أنَّ مُعاهدةَ فِيينَّا ١٩٦١م أَعطَتِ الحَصانةَ للمَقرَّاتِ الدُّبلوماسيةِ والقُنصليةِ!!

احترامُ خِيارِ الشُّعوبِ لم يَمنَعْهم من تَدبيرِ الانقلاباتِ أو دَعمِها في كُلِّ بَلدٍ أَرادُوا السَّيطرةَ عليه وعلى ثَرواتِه: مِن إِيران مُصدقٍ، إلى مِصرِ مُرسي، مُروراً بـ تِشيلي، وغُواتِيمالا، والأَرجنتينِ، وهَايِيتي، وهنْدوراسَ، والبَرازيلِ وفِنزويلا، وتُركِيا!!

زَعْمُ المُساواةِ لم يَدفَعْهم للبُكاءِ على الْآلافِ المُؤلَّفةِ التي يَقتلُونها في مَشارقِ الأَرضِ ومَغارِبِها بأَيديهم أو بأَيدي عُملائِهم، كما بَكَوْا على قَتلَى (شَارلِ إِيبْدو)!!

حُرِّيَّةُ المُعتَقَدِ والمَرأةِ لم تَمنَعْهم من حَظرِ النِّقابِ أو الحِجابِ في بَعضِ دِيمقراطِيَّتِهم أو تَشويهِه والاِنتقاصِ منه في دِيمقراطياتٍ أُخرَى!!

الدِّيمقراطيةُ لَيستْ إجراءات.. إنَّها فَلسفةٌ وعَقيدةٌ ودِينٌ.. عَقيدةٌ رَبُّهَا الأَنَا ونَبِيُّهَا الهَوَى وقِبْلَتُها المَصلحةُ.. وهي بإِطلاقاتِها العَلمانيةِ ستُدمِّرُ البَشريةَ، كما ستُدمِّرُها بتَقييداتِها التَّشريعيةِ؛ فحِينَ يُقصَى اللهُ عن الوُجودِ ليُصبحَ الإِنسانُ رَبَّ نَفْسه لن يَقِفَ أَمامَ إِفسادِه شَيءٌ، وحِينَ يَستأثِرُ الإِنسانُ بحَقِّ التَّشريعِ يُفسدُ نِظامَ الدُّنيَا بأَهوائِه المُتقلِّبةِ ومَصالحِه المُتبايِنةِ؛ فلا يَبقَى مَرجِعٌ يَرجِعُ إليه سِوَى الهَوَى والمَصلحةِ.. وأيُّ نِظامٍ يَقومُ على الهَوَى والمَصلحةِ؟!.. مَن أَنِفَ مِن عُبوديةِ اللهِ اسْتَعْبَدَهُ اللهُ لِكُلِّ شَيءٍ!!

إنِّي لأَعلَمُ أنَّنا -لطُولِ تَقلُّبِنَا في حَمأةِ الدِّيكتاتوريةِ والطُّغيان- نَشتاقُ العَدلَ الذي قَامَتْ عليه السَّمواتُ والأَرضُ؛ وهذا مَطلبٌ فِطريٌّ لا يُنكِرُه

أَحدٌ.. بل إنَّا -كمُسلمِين- مَأمُورُون ببَذلِ الجُهدِ والجِهادِ لتَحقيقِ إعمارِ الأَرضِ بالعَدلِ من خِلالِ تَحقيقِ العُبوديةِ للهِ وَحدَه.. بَيْدَ أنَّنا نُخطِئُ بشِدةٍ حِينَ نَظنُّ أنَّ اسْتخدامَنا لمنهجٍ ثَبَّتَ أَركانَ الطُّغيانِ عِندَنا، سيُحقِّقُ لنا العَدلَ المَنشودَ والكَرامةَ الضَّائعةَ والحُرِّيةَ المَوْءُودةَ.. ولَئِنْ خُدِعْنا مَرةً فلا يَجوزُ أن نُخدَعَ أُخرَى.

المُعَافِرون في الطَّريقِ الخَطأِ قد يُشكَرُ جَهدُهم وجِهَادُهم، وتُقَدَّرُ تَضحياتُهم ونِضالاتُهم، ولكنَّهم -في النِّهايةِ- لَيسُوا أَكثرَ مِن «عَاملةٍ نَاصبةٍ» يَزرعُون البَحرَ ويَغزِلُونَ الهَواءَ ويَبنُون على الرَّملِ.. وحَقيقٌ بمَن وَضَحَتْ له الطَّريقُ ألَّا يُنكِرَ فَضلَ مَن خَلُصَتْ نِيتُه وبَذلَ وُسْعَهُ منهم؛ فلو لم يَكنْ لهم من فَضلٍ سِوَى أنَّهم أَرشَدُونا بخَطئِهم إلى الصَّوابِ؛ لكَفَاهم ذلك فَضلاً!!

نَحنُ كغَيرِنا من الأُمَمِ تَجرِي علينا سُننُ اللهِ كما جَرَتْ عليهم، ولكنَّنا -لضَغطِ الوَاقعِ ومُعايشةِ أَهوالِ التَّفاصيلِ- نَتعجَّلُ النَّصرَ، فنَتَعَلَّقُ بالأَوهامِ ونَضِلُّ عن سَواءِ السَّبيلِ؛ فيَرُدُّنا اللهُ إلى سَبيلِه بالمَصائبِ ويُرَبِّينا بالمِحَنِ حتَّى لا يَبقَى في قُلوبِنا سِوَاه، ولا بينَ أَعيُنِنا سِوَى طَريقِه!!

اجْتهدَ أَوْبَاشُ التُّركِ في اعتِناقِ الطُّورانيةِ، كما اجْتهدَ أَوْشَابُ العَربِ في اعتِناقِ العُروبيةِ.. حَكَمَ العَربُ الدُّنيَا بمُحمد -صَلَّى اللهُ عليه وسَلَّمَ-، وحَكَمَ الأَتراكُ الدُّنيَا بمُحمد -صَلَّى اللهُ عليه وسَلَّمَ-، وحَكَمَ اليهودُ الدُّنيَا بسُليمانَ -صَلَّى اللهُ عليه وسَلَّمَ-!!

تَخَلَّى العَرَبُ عن مُحمدٍ -صَلَّى اللهُ عليه وسَلَّمَ- ليَحصُلُوا على الغَساسِنَةِ، والمَناذرةِ، وجَمعٍ لا يَكادُ يُحصَى مِن آباءِ رِغَالٍ.. وتَخَلَّى الأَتراكُ عن مُحمدٍ -صَلَّى اللهُ عليه وسَلَّمَ- ليَحصُلُوا على الأُوغوزِ، والكرلوكِ، والأُويغورِ، وجَمعٍ لا يَكادُ يُحصَى من يَهودِ الدُّونمةِ.. وتَمَسَّكَ بَقِيَّةُ السَّبيِ البَابليِّ مِن بَنِي إِسرائيلَ بسُليمانَ -عليه السَّلامُ- ليَحصُلُوا على الأَرضِ المُقدسةِ ويَتحَكَّمُوا في الغَساسنةِ والمَناذرةِ والكرلوكِ والأُوغوزِ!!

العَقائدُ تكسبُ دَائماً.. وإِنْ نَخَرَ المُثقَّفون أَولادُ المُثقَّفين!!

لقد كَانتِ الحَقائقُ أَظهرَ مِن أن تَخفَى، بَيْدَ أَنَّ غِطَاءَ الوَهمِ كان أَكثفَ مِن قُدرةِ العَينِ على البَصرِ.. ومَعَ سَرَيانِ تَيَّارِ الوَعيِ في رُوحِكَ ستَتَداعَى أَوهامُكَ شَيئاً فشَيئاً كما بُنِيتَ شَيئاً فشَيئاً، ولن تَشعُرَ بتَداعي بُنيانِ أَوهامك حتَّى يَسَّاقَطَ الحجرُ الأَخيرُ.. وَحْدَهُ الحَجَرُ الأَخيرُ يُحْدِثُ دَوِيّاً، لأَنَّه لا يَسقُطُ على فَراغٍ، بل على أَحجارِ أَوهامِكَ المُتساقطةِ في القَاعِ!!

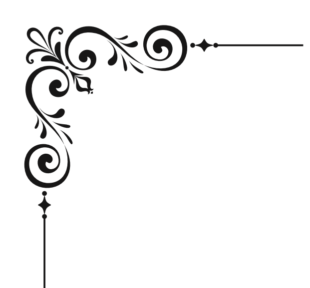
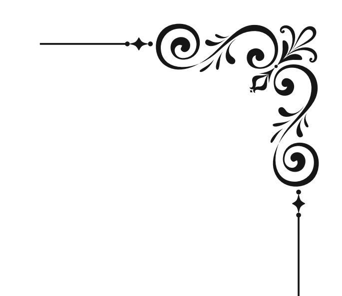
إذا حَدَثَ هذا فَمرحباً بك.. لقد نَجَوتَ من المَنظومةِ، ولا بَأْسَ عليك!!

لا مَعرفةَ دُونَ عَقلٍ، ولا عَقلَ دُونَ تَجرِبةٍ!!

الحِكمَةُ أَثَرُ سِياطِ الدَّهرِ على ظَهرِ إِنسانٍ!!

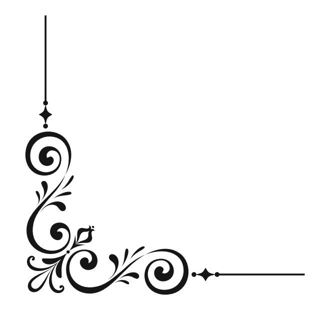
٢٩ / شعبان / ١٤٣٩هـ

١٥ / ٥ / ٢٠١٨م

(١٩)

المُرَقِّعُونَ فِي الأَرْضِ




أَرَادُوا أنْ يُوثِقُوهُ فَعَقَلَهُم، وأنْ يُثْبِتُوهُ فَعَقَرَهُمْ..

ومَا كَفرَ الرَّجلُ بمَبادئِهِ وإنْ كَانَ كَفرَ بالإِسلامِ، ومَا عَرَفُوا هُمْ حَقيقةَ الإِسلامِ وإنْ كانوا ادَّعوْا مَعْرِفَتَه!!

تَذَاكَوْا عليه، فَمَكَرَ بِهِم، ثُم كَانَ عاقبةُ تَذاكِيهِم أنْ (أَتَى اللَّهُ بُنْيَانَهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ)!!

قَالُوا: نُرِيدُها دِيمقراطيةً، فَأَعطَاهُمُوهَا، وحِينَ فَتَحُوا صُندوقَها وَجدُوا كُفراً مَحضاً عِندَهم مِن اللهِ فيه بُرهانٌ، فلمَّا سُقِطَ في أَيدِيهم ورَأَوْا أنَّهم قد ضَلُّوا، تَمَلْمَلُوا سَاعةً على مِثْلِ حَسَكِ السَّعْدانِ وحَزِّ الخَناجِرِ، ثُم نُكِسُوا على رُؤوسِهم بالوَسطيةِ، والحُديبيةِ، وفِقهِ الوَاقعِ، ومَقاصدِ الشَّريعةِ، (وَحَسِبُوا أَلَّا تَكُونَ فِتْنَةٌ فَعَمُوا وَصَمُّوا ثُمَّ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ثُمَّ عَمُوا وَصَمُّوا كَثِيرٌ مِنْهُمْ).

مَا خَرَجَ سِبسِي تُونسَ عن الدِّيمقراطيةِ قِيدَ أُنمُلَةٍ، فلماذا تُكَفِّرونَه وأَنتُم من طَلَبَهَا؟! إنْ كَانَ طَبَّقَ ما لا تَقصِدُون، فقد نَظَّرتُم أَنتُم لِمَا لا تَفقَهُون!!

ظَنَنْتُموها شُورَى؟!

كيف ولَيسَ فيها من الإِسلامِ حَبةُ خَردَلٍ!!

كيف ومَركَزُها العَبدُ لا الرَّبُّ!!

كيف وشَرعُها ما يُريدُ البَشرُ لا ما يُريدُ ربُّ البَشرِ!!

لقد صَدَقَ سِبْسِي تونسَ دِيمقراطياً حِينَ قَالَ: الدُّستورُ هو المَرجعُ والحَاكِمُ والسُّلطةُ العُليَا في سَنِّ القَوانينِ»، وصَدقَ دِيمقراطياً حِينَ قَالَ: «تُونُس دَولةٌ مَدنيةٌ، والقَولُ بمَرجعيَّتِها الدِّينيةِ خَطأٌ، بل خَطأٌ فَاحِشٌ»، وصَدق دِيمقراطياً حِينَ قَالَ: «لَا عَلاقةَ لنا بالدِّينِ ولا بالقُرآنِ ولا بالآياتِ القُرآنيةِ»!!

لقد أَنصَفَكم هذا المَسخُ كما أَنصفَ الدِيمقراطيةَ، بَيْدَ أَنَّكم أَتبَعْتُم أَنفُسَكم هَواهَا وتَمَنَّيْتُم على اللهِ الأَمانيَّ!!

هذه هي الدِّيمقراطيةُ: «حُكمُ الشَّعبِ للشَّعبِ بما يَختارُه الشَّعبُ»، لا مَكانَ للدِّينِ فيها ولا مَركَزيةَ للهِ مَعَها، فإذا حَزَبَكُم التَّذاكِي فقُلْتم: «فِيمَا لا يُخالِفُ شَرعَ اللهِ»، صِرتُم كالتَّاجرِ الكَاذبِ الذي أَرادَ أن يُسَوِّقَ بِضاعَتَه من (الأَسماكِ) في بِلادِ المُسلمينَ، فكَتَبَ عليها: «ذُبِحتْ حَسَبَ الشَّريعةِ الإِسلاميةِ»، فما زَادَ على أنْ دَلَّ النَّاسَ على غِشِّهِ فيما يُذبَح لِكَذِبِهِ فيما لا يُذبَحُ!!

مُشكلتُكم أَنَّكم لا زِلْتُم تُصِرُّون على تَسميةِ الجَوافةِ زَيتوناً والزَّيتونِ جَوافةً!!

في بَعضِ أَقاليمِ جَزيرةِ العربِ كَانَ النَّاسُ قَديماً -لعَدمِ مَعرفتِهم بالزَّيتونِ- يُسَمُّون الجَوافةَ زَيتوناً!!

مَا حَدثَ للشُّورى والدِيمقراطيةِ شَبيهٌ بما حَدَثَ للجَوافةِ والزَّيتونِ!!

الجَوافةُ لم تُصبحْ زَيتوناً على الحَقيقةِ لمُجرَّدِ تَسميتِها زَيتوناً، والدِّيمقراطيةُ لم تُصبحْ شُورَى على الحَقيقةِ لمُجرَّدِ تَسميتِها شُورَى.. لم تكُنِ المُشكلةُ في الجَوافةِ

ولا في الزَّيتونِ، بل كَانتْ في بَعضِ إخوانِنا من أَهلِ الجَزيرةِ، ولم تكنِ المُشكلةُ في الدِّيمقراطيةِ ولا في الشُّورَى، بل كَانتْ في بَعضِ إخوانِنا من أَهلِ الإِسلامِ!!

أَهلُ الجَزيرةِ الآنَ لا يُسَمُّون الجَوافةَ زَيتوناً، لقد رَأَوُا الزَّيتونَ وأَكلُوه، كما رَأَوُا الجَوافةَ وأَكلُوها.. والعُقلاءُ من أَهلِ الإِسلامِ الآنَ لا يُسَمُّون الدِّيمقراطيةَ شُورَى، لقد فَهِمُوا الشُّورَى وعَرَفُوها، كما جَرَّبُوا الدِّيمقراطيةَ فأَكلَتْهم!!

ولكيْ تَعرِفُوا ما الذي يُمكِنُ أن يَفعَلَه ضَربُ المُصطلحاتِ بَعضِها ببَعضٍ؛ تَخيَّلُوا أنَّ المُسلمِين في ذلك الإِقليمِ من جَزيرةِ العَربِ قَرؤُوا قَسَمَ اللهِ جَلَّ وعَلَا في القُرآنِ بالزَّيتونِ، وقَرؤُوا أَمْرَ رَسولِه صَلَّى اللهُ عليه وسَلَّمَ بأَكلِه والادِّهَانِ به؛ فنَشأَتْ -تَبَعاً لذلك- حَالةٌ دِينيةٌ كَاملةٌ عن بَركةِ الزَّيتونِ وزَيْتِه، ثُم أَنشأَتْ هذه الحَالَةُ الدِّينيةُ حالةً اجْتماعيةً كَاملةً، تَبِعَتْهَا بالضَّرورةِ حَالةٌ اقتِصاديةٌ كَاملةٌ؛ فصَارَ النَّاسُ -لاقتِناعِهم دِيناً وعُرفاً ببَركةِ الزَّيتونِ وزَيتِه-؛ يَبيعُونه ويَشترُونه ويَصفُه الأَطباءُ والعَطَّارُون دُهناً للجَسدِ والشَّعرِ، وعِلاجاً لبَعضِ الأَمراضِ والأَدواءِ، حتى إذا جَاءَ رَجلٌ مِن أَهلِ الشَّامِ -أَهلِ الزَّيتونِ-؛ فدَخلَ ذلك الإِقليمَ، وأَخبَرَهم بالحَقيقةِ؛ انْهارَت الحَالاتُ كُلُّها، وإذِ الزَّيتُ الذي كَانَ زَيتاً لَيسَ سِوَى عَصيرِ جَوافةٍ أَفتاهُم شَيخٌ أَفَّاكٌ أو تَاجِرٌ لِصٌّ بأنَّ الزَّيتَ في بَعضِ لُغاتِ العَربِ قد يُطلَقُ على العَصيرِ!!

وإذِ النَّاسُ مُنذُ زَمنٍ يَدهُنون أَجسادَهم وشُعورَهم بعَصيرِ الجَوافةِ ظَناً منهم أنَّه زَيتُ زَيتونٍ.. ذلك الزَّيتُ المُبارَكُ من تِلكَ الشَّجرةِ المُباركةِ!!

مِن الصُّعوبةِ بمَكانٍ أنْ يُصَدِّقَ النَّاسُ بعدَ كُلِّ هذا أَنَّ الجَوافةَ جَوافةٌ والزَّيتونَ زَيتونٌ، خَاصةً وقد شَفَى عَصيرُ الجَوافةِ -بالوَهمِ- كَثيراً من أَمراضِهم التي قِيلَ إنَّ الزَّيتونَ يَشفِيها!!

هذا بَعضُ ما يَفعلُه (المُصطَلَحُ) في عُقولِ النَّاسِ وحَياتِهم، إنَّه يُنشِئُ حَالةً كاملةً من الوَعيِ أو الغَيبوبةِ فلا تَستطيعُ -بعدَ تَجذُّرِهَا في عُقولِ النَّاسِ- تَجليةَ أَمْرِه أو كَشفَ حَقيقتِه إلَّا بِشِقِّ الأَنفُسِ.. وقد غَبَرَ العَلمانيُّون زَمناً يَنسُبُون (العَلمانيَّةَ أو العَالَمانيَّةَ) إلى العِلمِ -جَهلاً أو خُبثاً- وهي في أَصلِها تَعني (اللَّادينيَّ أو الأَرضيَّ)، ثُم ضَلَّتْ أُممٌ من المُسلِمين بذلك وأَضَلَّتْ، ولا يَزالُ بَعضُ أَوباشِ العَلمانيةِ يَخدعُون أَدعياءَ الثَّقافةِ بهذا وأَضرابِه!!

المُصطَلَحُ احتِلاليٌّ بطَبعِه، لا يَتسعُ العَقلُ به إلَّا بِقَدْرِ ما يَضيقُ، ولا يُنيرُ إلَّا بقَدْرِ ما يُظلِمُ، وهو للعَقلِ كالكَلمةِ الجَديدةِ للطِّفلِ، لَيستْ حُروفاً يُرَدِّدُها لِسانُه، بل بُذورٌ يَنبتُ بها عَقلُه، وعَقلُ الطِّفلِ لا يَنمُو بالكَلماتِ والأَلفاظِ، بل بالمَعاني التي تَحمِلُها الكَلماتُ والأَلفاظُ!!

لقد بُحَّتْ أَصواتُنا ونَحنُ نَقولُ لكم: الدِّيمقراطيةُ لَيستِ الشُّورَى، والشُّورَى لَيستِ الدِّيمقراطيةَ، المَركزُ في الكِيانَينِ مُختلفٌ، وبحَسَبِ المَركزِ تكونُ الأَطرافُ!!

بُحَّتْ أَصواتُنا ونَحنُ نَقولُ لكم: سيأتي اليَومُ الذي تُخَيَّرُكم فيه الدِّيمقراطيةُ بَينَ الإسلامِ الخالِصِ أو الكُفرِ المحضِ، فإن اخترتُمُ الإسلامَ خَسِرتم مَكاسِبكم المُدَّعاةَ، وإنِ اختَرتُمُ الدِّيمقراطيةَ كفرتُم كُفراً بَواحاً عِندكم مِن اللهِ فيه بُرهانٌ!!

أَلا زِلتُم تُصِرُّون على أنَّ الدِّيمقراطيةَ هي الانْتخاباتُ أو حُريةُ الاختيارِ أو الصَّناديقِ؟! وَيكأنَّكُم لا تَجهلونَ حَقيقةَ الدِّيمقراطيةِ، بل حَقيقةَ الإسلامِ!!

إنَّ الفَرقَ بَينَ الشُّورَى والدِّيمقراطيةِ لَيسَ فَرقاً هَيِّناً حتَّى يُقالَ: (نَتَجَمَّزُ بالجُمَّيزِ إلى أنْ يأتِينا التِّينُ).. الجُمَّيزُ والتِّينُ -وإنْ كانَا يُشبِهان بعضَهما- مُختلفانِ جِداً طَعماً وفائدةً، وَمَنْ سَاوى بينَ مَنهجَينِ مُنطلقُ أَحدِهما الرَّبُّ ومُنطلَقُ الآخرِ العَبدُ، كَانَ كَمَنْ أَرادَ أنْ يجمَعَ الجَمرَ والثَّلجَ في يَدٍ واحدةٍ، فلا يَنطفِئُ الجَمرُ ولا يَذوبُ الثَّلجُ.. وأنَّى له ذلك!!

هَا أَنتُم الآنَ تُكَفِّرُونَ رَجلاً أَرادَ تَطبيقَ الدِّيمقراطيةَ التي دَعوتُمْ إليها وقَاتلْتُم في سَبيلِها!!

وإنَّ مِن أَعجبِ العَجبِ أنَّكم تُكَفِّرون (الفَاعلَ) ولا تُكَفِّرونَ (الفِعْلَ).. والأَصلُ حُكماً أن يُنظَرَ إلى الفعلِ أوَّلاً، فإنْ كَانَ الفِعلُ كُفراً، نُظِرَ إلى فَاعلِه ثَانياً، ثُم لا يَكفُرُ فَاعِلُه إلَّا بَعْدَ تَحقُّقِ الشُّروطِ وانْتفاءِ المَوانعِ، أمَّا أَنتُم فتُكَفِّرُون الفَاعلَ وتُؤَسْلِمون الفِعلَ، ولَيتَ شِعرِي، إنْ أَسلمْتُم الفِعلَ وكَفَّرتُم الفَاعلَ فَبِأيِّ شَيءٍ كَفَرَ الفَاعلُ؟!

أُرِي عَيْنَيَّ مَا لَمْ تَرْأَيَاهُ ** كِلانَا عَالِمٌ بِالتُّرَّهَاتِ

مِئَةُ عَامٍ من الكَذبِ وأَنتُم تَنظّرونَ للدّيمقراطيةِ وتُقَرّبُونَها من الشُّورَى حتَّى صَارتْ -في أَذهانِكم وأَذهانِ النَّاسِ- هي الشُّورَى والشُّورَى هي؛ يَدفَعُكم في ذلك -صَادِقِين- ما نُعانيه في بِلادِنا مِن القَهرِ والكَبْتِ والظُّلْمِ، وما نَرَاه في بِلادِ الدّيمقراطيةِ مِن (وَهْمِ) الحُريةِ والمُساواةِ والرَّفَاه.. والغَريبُ أنَّه كُلَّما زَادَ تَعلُّقُكم بالدّيمقراطيةِ والمُناداةِ بها، أَوْعَزَ أَهلُ الدّيمقراطيةِ إلى حُكَّامِكم أنْ يُذيقُوكم مَزيداً من القَهرِ والكَبْتِ، وأنْ يَصُبُّوا فوقَ رُؤوسِكم حُمَمَ الدّيكتاتوريةِ، حتَّى صَارَتِ الدّيمقراطيةُ في عُرْفِكُم وعُرفِ النَّاسِ طَوقَ نَجاةٍ وجَنةً موعودةً ومَدينةً فَاضلةً.. لقد سَاهمْتُم -غَافِلين- في (تعطيشِ) السُّوقِ لاسْتِقبالِ البِضاعةِ!!

وحِينَ أَطَلَّتِ البِضاعةُ برَأسِها رَأيتُم سُمّاً في دَسَمٍ إنْ تَناوَلْتُموه هلَكْتُم شِبَعاً، وإنْ تَرَكْتُموه هَلَكْتُم جُوعاً، فقُلتُم لأَصحابِ البِضاعةِ: نُريدُ دَسَماً خَالصاً لا سُمَّ فيه كالَّذي عِندَنا، فقالوا: (وَمَنْ أَنتُم حتَّى يكونَ لكم عِندُ؟!)، ثُم أَذاقُوكم -بِحُكَّامِكُم- الوَيلاتِ وصَبُّوا فَوقَ رُؤوسِكم المآسيَ!!

وإذِ الأَمرُ لا حُريةَ فيه ولا عَدالةَ ولا مُساواةَ، وإذ هو مُطلقُ القُوةِ والقَهرِ والغَلَبَةِ!!

لقد قَالَ لكم أَصحابُ البِضاعةِ: هذه دِيمقراطيَّتنا، ونَحنُ أَدرَى بها، وسنَفرِضُها، فما الذي تَملكُون أَنتُم مِن أَسبابِ القُوةِ لتَفرِضُوا دِيمقراطيَّتَكم

المَزعومةَ التي لا تُخالِفُ شَرعَ اللهِ!!

يا أَصحابَ سُؤالِ (البَديلِ).. هذا هو البَديلُ الذي تَسأَلُون عنه.. البَديلُ: هو امْتِلاكُ القُوَّةِ، والخُروجُ من الصُّندوقِ، وتَحطيمُ قُيُودِ النِّظامِ العَالَميِّ..

عَبثاً تَبحَثُون عن كَيفيةِ اختِيارِ الحَاكِمِ في الوَقتِ الذي يَجِبُ أن تَبحَثُوا فيه عن كَيفيةِ قَتْلِه!!

أَيُّ اختِيارٍ هذا الذي تَشْغَبُونَ بِهِ على من يَدُلُّكُم على الطَّريقِ؟! أَيُّ اختِيارِ هذا الذي لا تَملِكُون القُوةَ لفَرضِه أو الحِفاظِ عليه؟! قد اختَرتُم فكان ماذا؟!

مَاتَ (المُختَارُ) في سِجنِه، وهَرَبَ المُختارُون إلى المَنافِي!!

ما هذه الرَّفاهيةُ العَقليةُ المَقيتةُ؟! أَوَ كُلَّما نَبَّهَكُم أَحدٌ إلى الفَخِّ، قُلتُم: أَينَ البَديلُ!! بَديلٌ عن ماذا؟! عن المُستنقعِ الذي تَتخبَّطُون فيه؟! أَيُّ بَديلٍ هذا الذي تَسأَلُون عنه وأَنتُم لم تَعيشُوا أَصلاً؟! اخرُجُوا من المُستنقعِ أَولاً، ثُم اسْأَلُوا عن البَديلِ، فرُبَّما كَانَ البَديلُ في مُجرَّدِ الخُروجِ من المُستنقَعِ!!

البَديلُ في مَعرفةِ وَاجبِ الوَقتِ والعَملِ على تَحقيقِه.. مَعرفةُ وَاجبِ الوَقتِ هو وَاجبُ الوَقتِ!! البَديلُ في ذَاتِ الشَّوكةِ التي تَوَدُّون غَيرَها.. البَديلُ في ذَاتِ الشَّوكةِ ولو فَشلَتْ أَلفُ مَوجةٍ من مَوجاتِها.. لَيسَ فَشلاً ما عَلَّمَكَ أَسبابَه، ومَا فَشلَ مَنِ ادَّارَكَ أَسبابَ فَشَلِه.. النَّصرُ مَجموعةُ مُحاولاتٍ فَاشلةٍ، والفَتحُ مَجموعةُ انتِصاراتٍ نَاقصةٍ!!

لا تَتعجَّلُوا قَفزاً إلى الدَّرجةِ الأَخيرةِ قَبْلَ أن تَضعُوا أَقدامَكم على الدَّرجةِ الأُولَى!!

ستَحصُلون على (كُلِّ) أَدواتِ الفِعلِ حِينَ تَبدؤُون في السَّعيِ إلى امْتِلاكِ (بَعضِ) أَدواتِ الفِعلِ!!

أَتظنُّون أنَّ الغَربَ وَصَلَ إلى ما وَصَلَ إليه بالصَّناديقِ والانتِخاباتِ والمِثاليةِ الفَارغةِ.. واللهِ ما وَصَلَ هَؤلاءِ إلى ما وَصلُوا إليه إلَّا بعدَ عُقودٍ من المَجازرِ تلَتْها عقودٌ من المَجازرِ تَجدَّدَتْ بعُقودٍ مِن المَجازرِ.. وَهْمُ الغَلَبَةِ دُونَ قُوةٍ كوَهْمِ الرَّاحةِ دُونَ تَعبٍ، وأَيُّ رَاحةٍ بلا تَعبٍ؟!

ومُكَلِّفُ الْأَيَّامِ ضِدَّ طِباَعِهَا ** مُتَطَلِّبٌ فِي الْمَاءِ جَذْوَةَ نَارِ

إنَّ وَهْمَ التَّوافُقِ مَعَ العَلمانيِّين الكُفَّارِ سيُوصِلُكم إلى الكُفرِ ولن يُوصِلَهم إلى الإِسلامِ، وَهُمْ لَيسُوا أَكثرَ مِن (حِصانِ طِروادةَ) في بِلادِ المُسلِمين؛ لا يَعرِفُون ممَّا تَعرِفُون مَعروفاً، ولا يُنكِرون ممَّا تُنكِرُون مُنكَراً، والعَربُ منهم خَاصةً أَشَدُّ أَنواعِ المَرضَى النَّفسِيِّين دِكتاتوريةً وطُغياناً؛ لَيسَ لكم عِندَهم سِوَى القَهرِ والجبْرِ، ولَيسَ للأَجنبيِّ عِندَهم سِوَى الوَلاءِ والتَّبعيةِ.. وكم سَمِعْنَا وقَرَأنَا لهم قَدِيماً -حِينَ نَجَحَ الإِسلاميُّون في مِصرَ بالانتِخاباتِ- مَقالاتٍ وأَحاديثَ عن أنَّ النَّجاحَ في الانتِخاباتِ لا يَعني تَغييرَ هُويةِ الشُّعوبِ بالقُوةِ، أو صَبْغَ البِلادِ بصِبغةٍ دِينيةٍ.. وهَاهُم الآن يُصفِّقُون للدِّكتاتوريةِ الدِّيمقراطيةِ الكُفريةِ التي تُرِيدُ أَن تُغيِّرَ هُويةَ الشَّعبِ المُسلِمِ في تُونسَ وتَفرِضَ عليه

الكُفرَ المحَض!!

إذا كَانتِ الدِّيكتاتوريةُ بَحراً فالعَلمانيُّون أَسْمَاكُه، إن خَرَجُوا منه مَاتُوا!!

وهم -في العُمومِ- لا يُنَاقَشُون إلَّا حِرصاً على المُسلمِ الذي يَقرأُ لهم أن يَضِلَّ بضَلالِهم، وإلَّا فإنَّهم -غَالباً- كَائناتٌ هَشَّةٌ ثَقافياً ومَعرفياً لا تَستطيعُ أن تَسيرَ مَعَهم في نِقاشٍ مُتَّسِقٍ بَعضُه مَعَ بَعضِه، أو تُوَصِّلَ مَعَهم لأَصلٍ لا يُسقِطُونه أو يُخالِفُونه حِينَ يَعوزُهم العِلمُ وتَخونُهم المَعرفةُ.. وهُم لم تَعْلُ رَاياتُهم في بِلادِ الإِسلامِ إلَّا في ظَلِّ (البِيادةِ) العَسكريةِ المُستَظِلَّةِ بالدَّبَّابةِ الغَربيةِ!!

ما يُريدُه العَلمانيُّون العَربُ في بِلادِ الإِسلامِ هو عَينُ ما فَعَلَه العَلمانيُّون الأُوربيُّون قَديماً في بِلادِ النَّصرانيةِ، ولَيستْ دَعواتِ التَّجديدِ التي يَنهَقُ بها أَصحابُها الآنَ سِوَى مُحاولاتٍ بَاطنيةٍ لسَلْخِ الإِسلامِ عن القُرآنِ كما سَلَخَ الغَربيُّون النَّصرانيةَ عن الإِنجيلِ؛ ليَصِيرَ المُسلمُون مُسلمِين بلا قُرآنٍ كما صَارَ النَّصارى نَصارَى بلا إِنجيلٍ، ثُم يجمَعون -بَعدَ ذلك- مجموعةً من (الأَخلاقِ الإِسلاميةِ!!) ليَجعَلُوها مِعياراً إِسلامياً يَتعايشُون به بَعيداً عن (مَركزيةِ اللهِ) وإِعلاءً لـ(مَركزيةِ الإِنسانِ)!!

لقد كَانَ التَّصوُّرُ النَّصرانيُّ الأَولُ تَصوُّراً أَصيلاً عن مَركزيةِ اللهِ في الوُجودِ قَبْلَ تَحريفِ النَّصرانيةِ، وجَعْلُ ما يُسمُّونه (الأَخلاقَ المَسيحيةَ) نِظاماً مِعيارياً عَالمياً، لم يَنشَأْ مُصاحِباً للأَصلِ النَّصرانيِّ الأَولِ الذي هو

التَّوحيدُ الذي جاءَ به عِيسَى -عليه السَّلامُ- كما جاءَ به الأَنبياءُ جميعاً -عليهم السَّلامُ-، بل نَشأَ بعدَ التَّحريفِ الذي تعرَّضتْ له النَّصرانيةُ على يَدِ الكَنيسةِ، ثُم على يَدِ العَلمانيِّين الأُوربيِّين -أو ما سُمُّوا بالإِصلاحِيِّين- الذين أَرادُوا الانْعِتاقَ مِن نِيرِ الكَنيسةِ التي ادَّعَتِ الحَديثَ باسْمِ اللهِ.. فكَأنَّ الأَمرَ عندَهم تَدَرَّجَ من أَصلٍ رَبَّانِيٍّ، إلى تَحريفٍ بُولُسِيٍّ، إلى سَيطرةٍ كَنَسيَّةٍ مُتَّكِئةٍ على هذا التَّحريفِ، إلى خُروجٍ عن سَيطرةِ الكَنيسةِ، إلى شَيءٍ من عَراءٍ عَلمانيٍّ مُستظلٍّ بِطَرفٍ من مِظَلَّةٍ دِينيةٍ، إلى اختراعِ فِكرةِ (مِعياريةِ الأَخلاقِ المَسيحيةِ)؛ ليَتعايشُوا بها بَعيداً عن مَرجعِيتِها التي ارتَبَطَتْ بجَبَرُوتِ الكَنيسةِ لا رَحمةِ المسيحِ.

هذا -بدُونِ تَفاصيلَ- مُلخَّصُ ما حَدَثَ عِندَهم.. ولو نَظَرْنا إلى الصُّورةِ هكذا لوَجدْناها تَتقَلَّبُ في مُستنقعِ (مَركزيةِ الإنسانِ) دُونَ أن نَدرِيَ؛ لأنَّ المِعياريةَ الأَخلاقيةَ لَيستْ ثَابتةً ثَباتَ الأَصلِ التَّوحيديِّ؛ فهي تَختلفُ باختِلافِ الزَّمانِ والمَكانِ؛ فما كَانَ أَخلاقاً اليومَ رُبَّما لا يَكونُ كذلك غَداً، وما هو أَخلاقٌ هُنا رُبَّما لا يكونُ أَخلاقاً هُناكَ.. ولن أَضرِبَ أَمثلةً على ذلك؛ فَحَسْبُنا أن نَرَى ونَسمعَ تَشريعَ ما يُسَمُّونه زَواجَ الرَّجُلِ بالرَّجُلِ والمَرأةِ بالمَرأةِ في الكَنيسةِ نَفْسِها!!

هذا بالضَّبطِ ما يُرادُ عَمَلُه في الإِسلامِ؛ أن تَحُلَّ مَركزيةُ الإِنسانَ مَحَلَّ مَركزيةِ اللهِ؛ فَيُشَرِّعَ لنَفْسِه اليَومَ ما يُحَرِّمُه عليها غَداً، ويُحرِّمَ عليها غَداً ما شَرَّعَه لنَفْسِه أَمسِ.. أو لا يُحرِّمُ ويُحَلِّلُ مُطلقاً وإِنَّما هي الرَّغباتُ والأَهواءُ.

إنَّ النَّصرانيةَ لَيستْ أَخلاقَها حَسْبُ، والإسلامُ لَيسَ أَخلاقَه حَسْبُ.. الأَخلاقُ لا تَصلُحُ مِعياراً للتَّعايُشِ، لأَنَّها -بدُونِ المُشرِّعِ العَظيمِ سُبحانَه- تَفقِدُ شَرطَ الثَّباتِ الذي هو أَهمُّ شَرطٍ في المِعيارِ، إذ كَيفَ يَتحاكَمُ النَّاسُ إلى مِعيارٍ غَيرِ ثَابتٍ؟!

لقد أَرادُوا أن يَنْعَتِقوا من نِيرِ الكَنيسةِ بتَجريدِ الأَخلاقِ المَسيحيةِ عن المَسيحيةِ، ليَسهُلَ عليهم بَعدَ ذلك إِنقاذُ الدَّولةِ مِن جَبرُوتِ الكَنيسةِ، فما الذي يُلجِئُنا نَحنُ إلى هذا والإِسلامُ -في هذه الجُزئيةِ تَحديداً- أَراحَنا من عَنائِها، فَجَاءَ جَاهزاً بلا سُلطةٍ دِينيةٍ كسُلطةِ الكَنيسةِ، وبلا كَهَنوتٍ أو رَهبانيةٍ أو رِجالِ دِينٍ.. ومَهما حَاوَلَ العَلمانيُّون العَربُ أن يَتَّهِمُوا الإِسلامَ بِسُلطةٍ كَسُلطةِ الكَنيسةِ فلن يُفلحُوا في إِثباتِ ذلك (نَظرياً) من خِلالِ القُرآنِ والسُّنةِ، و(وَاقعياً) من خِلالِ تَاريخِ المُسلمِينَ.. لقد كَانتِ السُّلطةُ -في تَاريخِ المُسلِمين عُموماً- للشَّرعِ من خِلالِ الفُقهاءِ لا للفُقهاءِ من خِلالِ الشَّرعِ.. وحتى لو حَدثَ ذلك تَاريخياً في بَعضِ الأَحيانِ فما كَانَ أَسهلَ أن يُرفَضَ أو يُعدَّلَ بَعدَ موتِ أَصحابِه أو بَعدَ خَلْخلةِ قَبْضَتِهم على نِظامِ الحُكمِ.. والغَريبُ أَنَّ هذه الحَالَةَ حَدثَتْ عِندَنا مَعَ المُعتزلةِ الذين يُرَوَّجُ لهم تَاريخياً أَنَّهم أَكثرُ عَقلاً وانفتاحاً وأَرِيحيَّةً مِن أَهلِ الحَديثِ، وَمَا سُلطةُ المُعتزلةِ بالمَأمونِ ومَنْ بَعْدَه إِلَّا حالةً كَهَنُوتيةً شَاذَّةً في تَاريخِ المُسلِمِين، انْقَضَتْ بخَيرِها وشَرِّها، وضَادَّتَها حَركةٌ أُخرَى أَيامَ المُتوكِّلِ فيها مِن الكَهنُوتِ رَدُّ فِعلٍ لا يَخفَى، ثُم اسْتقَرَّ الأَمرُ بعدَ ذلك -غَالباً- على ما دَرَجَ عليه النَّاسُ..

المُشكلةُ في تَاريخِنا لم تكُنْ في تَغَوُّلِ الفُقهاءِ على ما يُسَمُّونَها السُّلطةَ المَدنيةَ، بل في تَغَوُّلِ ما يُسَمُّونَها السُّلطةَ المَدنيةَ على الفُقهاءِ!!

لا يَخدَعَنَّكم العَلمانيُّون عن دِينِكم وعُقولِكم، فإنَّ البَشَريةَ لم تَعرِفْ نِظاماً قَامَ على مُطلَقِ العَدالةِ كالنِّظامِ الإِسلاميِّ.. وهذا النِّظامُ -بشُمولِه وتكامُلِه ورَبَّانيتِه- إمَّا أن تَأخذُوه كُلَّه أو تتركُوه كُلَّه، فإذا رَقَّعْتُم أُصولَه بأُصولِ غَيرِه فلن تَحصُلُوا عليه ولا على غَيرِه!!

ستَجِدُون في نِظامِكم الإِسلاميِّ كُلَّ ما تُريدونَ وزِيادةً.. واتْرُكُوا عنكم أَهلَ اللَّجَاجَةِ والسَّفسطةِ الذين يَزعُمُون -جَاهِلين- أنَّ الإِسلامَ لَيسَ فيه نِظامُ حُكمٍ، فهؤلاءِ لا يَعرِفُون مَعنَى كَلمةِ (نِظامٍ) ولا مَعنَى كَلمةِ (حُكمٍ) إلَّا إذا كَانَ نظاماً غَربياً أو حُكماً أَجنبياً بتَقسيماته وتَفصيلاته، ولو أَتعبُوا أَنفُسَهم قَليلاً لوَجَدُوا في مُدوَّناتِ المُسلِمين الكُبرَى -قَديماً وحَديثاً- أَصلَ كُلِّ خَيرٍ مَوجودٍ عِندَ غَيرِهم، مُرتبِطاً باللهِ والشَّريعةِ لا بالبَشرِ والأَهواءِ!!

ستَجِدُون كَيفيةَ اختِيارِ الحَاكِمِ وكَيفيةَ عَزلِه.. ستَجِدُون كَيفيةَ اختِيارِ الحُكومةِ وكَيفيةَ عَزلِها.. ستَجِدُون مَاهيةَ السُّلطاتِ وأَنواعَها وطَرائقَ الفَصلِ بَينَها.. ستَجِدُون استِقلالَ التَّشريعِ والقَضاءِ والقُضاةِ.. ستَجِدُون الانتخابَ وشُروطَه، والنَّاخبِينَ وشُروطَهُم، والمُنتَخَبِين وشُروطَهم، والأَغلبيةَ اللَّازمةَ للانتخابِ، والتَّمييزَ بَينَ الخلافةِ الصَّحيحةِ والخلافةِ النَّاقصةِ، وعَملَ الحُكومةِ وصَلاحِيَّاتِها، وحُدودَ الحَاكِمِ وصَلاحيَّاتِه، وأَنواعَ الوَزاراتِ المُختلفةِ وأَسماءَها

وتَقسيماتِها وصَلاحِيَّاتِها، والمَبادئَ التي تُحَدِّدُ سُلطةَ الحُكومةِ، والرَّقابةَ على أَعمالِ الحُكومةِ، ونِطاقَ وِلايةِ الحُكومةِ، ووِلايةَ الاضْطِرارِ، ووِلايةَ التَّغلُّبِ، والضَّروراتِ التي تَفرِضُ وُجودَ الحُكومةِ النَّاقصةِ والمُتغلِّبةِ وتُنهِي الحُكومةَ الكَامِلةَ المُنتَخَبةَ.. ستَجِدُون حُقوقاً وواجباتٍ لغَيرِ المُسلِمِين في بِلادِ الإِسلامِ -ذِمِّيِّينَ أو مُعاهَدِينَ- لم يَحلُمُوا بها في بِلادِهم آنَذَاك.. ستَجِدُون ما يُشْبِهُ مَجالِسَ الشُّورَى والشَّعبِ والنُّخَبِ والأَعيانِ والعُرفَاءِ، بتَفاصيلَ مُذهِلةٍ وأَحياناً مُمِلَّةٍ.. ستَجِدُون وُجوداً للدَّولةِ في كُلِّ شَأنٍ مِن شُؤونِ حَياةِ النَّاسِ حتى تكادَ تَظُنُّ أنَّ الدَّولةَ أُمُّهُمْ وأَبُوهُمْ، كما ستَجِدُون استِقلالاً غَريباً للنَّاسِ بأَعمالِهِم ومَعاشِهِم وأَوقافِهِم وتِجاراتِهِم -وأَحياناً كَثيرةً بأَفكارِهِم-، حتى تَكادَ تَظُنُّ أنَّ الدَّولةَ لَيستْ سِوَى (مُدِيرٍ تَنفيذيٍّ) يُشرِفُ على سَيرِ العَمَلِ بأُصولِه المُقرَّرةِ، ثُم يَترُكُ الحُريةَ للجَميعِ في عَمَلِ ما يُريدُون، فإذا تَغَيَّرتِ الحُكومةُ أو سَقطَتْ لم تَكَدْ تَتغيَّرُ حَياةُ النَّاسِ أو تَتأثَّرُ.. ولا أَظُنُّني سأَكونُ مُغالياً إنْ قُلتُ: إنَّ نَظريةَ (الجَماعاتِ الوَسيطةِ) في الأُمَمِ والشُّعوبِ لم تُنَفَّذْ في ظِلِّ حُكمٍ أو نِظامٍ كما نُفِّذَتْ -تِلقائياً وبدُونِ تَخطيطٍ- في ظِلِّ الحُكمِ الإِسلاميِّ ونِظامِه!!

ستَجِدُون هذا وأَمثالَه وأَضرابَه بتَفاصيلَ مُدهشة واجْتهادات مُختلفة حَسَبَ الزَّمانِ والمَكانِ، حتى يَكادَ يَظنُّ القَارئُ أنَّ المُسلِمِين لم يَترُكُوا شَيئاً لغَيرِهم، وهم -رَغمَ كُلِّ هذا- لا يَترَفَّعُون عن الإِفادةِ من غَيرِهم بالحِكمةِ التي هي ضَالَّةُ المُؤمنِ!!

بل ستَجدُون -على سَبيلِ المِثالِ- اقتراحاً مُدهِشاً في العَصرِ الحَديثِ للشَّيخِ رَشيد رِضَا -رَحِمَه اللهُ- رُبَّما يُذَكِّرُنا ببعضِ نَظريةِ أَفلاطونَ القَديمةِ عن حُكمِ الفَلاسفةِ، هذا الاقتراحُ يُطالِبُ فيه بإِنشاءِ مَدرسةٍ عَاليةٍ لتَخريجِ المُرشَّحينَ للإِمامةِ العُظمَى يُنتَخَبُ مِن خِرِّيجِيهَا رِجالُ دِيوانِ الخِلافةِ الخَاصِّ، وأَهلُ القَضاءِ والإِفتاءِ ووَاضِعو القَوانينِ العَامَّةِ ونُظُمِ الدَّعوةِ إلى الإِسلامِ والدِّفاعِ عنه وإِزالةِ البِدَعِ والخُرافاتِ اللَّاصقةِ بأَهلِه.. ولا يَكتَفِي الشَّيخُ -رَحِمه اللهُ- بذلك بل يُحدِّدُ العُلومَ التي يَجِبُ تَدريسُها في المَدرسةِ، مِثلُ: أُصولِ القَوانينِ الدَّوليةِ وعِلمِ المِلَلِ والنِّحَلِ، وخُلاصةِ تَاريخِ الأُمَمِ، وسُنَنِ الاجتِماعِ، ونُظُمِ الهَيئاتِ الدِّينيةِ -كالفَاتيكانِ والبَطارِكَةِ والأَساقِفَةِ وجَمعيَّاتِهم الدِّينيةِ وأَعمالِها-، ثُم يَقولُ: «فمَتَى يُخَرِّجُ من هذه المَدرسةِ في الزَّمنِ المُعَيَّنِ أَفرَادٌ مُستَجمِعُون لشَرائطِ الخِلافةِ، ومِن أَهمِّها العِلمُ الاستِقلاليُّ الاجتِهاديُّ والعَدالةُ؛ تَزولُ ضَرورةُ جَعلِ الخَليفةِ جَاهلاً أَو فَاسقًا»!!

ثُم ويَا لَلغرابةِ؛ حِينَ ثَارَ -في زَمَنِه- النِّقاشُ حَولَ مَكانِ عَاصمةِ الخِلافةِ؛ اقتَرَحَ أن تَكونَ مَدينةُ (المَوصِلِ) هي عَاصمةَ الخِلافةِ؛ لأَنَّها -بمَوقعِها الجُغرافِيِّ- حَلقةُ وَصلٍ بَينَ المُسلِمينَ عَرباً وتُركاً وكُرداً!!

فإِنْ قُلتُم إنَّ أُصولَ الحُكمِ في الإِسلامِ لم تُطَبَّقْ في تَاريخِ المُسلِمينَ كَاملةً إِلَّا في عَهدِ الخِلافةِ الأُولَى، فقد صَدَقْتُم واللهِ؛ فخُذُوا أَنتُم هذه الأُصولَ وأَعيدُوا لنا بها عَظمةَ الخِلافةِ الأُولَى، ولا يُيَئِّسَنَّكُم مِن العَودةِ إليها والاهتِداءِ بهَدْيِها قِلةُ تَطبيقِها حِيناً، أو انعِدامُ تَطبيقِها أَحياناً، أو خُروجُ الخِلافةِ من الرُّشدِ إلى

الجَبْرِ، فإنَّ أَفعالَ البَشرِ التي تَنتُجُ عن الأَهواءِ والرَّغباتِ لَيستْ حُجَّةً على اللهِ وشَرعِه.. واللهُ الذي تكفَّلَ بحِفظِ أَصلِ الإِسلامِ من التَّحريفِ لم يتكفَّلْ بحِفظِ أَفعالِ المُسلمِين من الانحِرافِ، وإلَّا صارَتِ الأَرضُ جَنةً، والدُّنيا آخرةً، والنَّاسُ مَلائكةً، ومَا على هذا أَقامَ اللهُ الدُّنيَا، وها هي الدِّيمقراطياتُ الغَربيةُ المُختلفةُ لا نَكادُ نَجدُ فيها دِيمقراطيةً تُشبِهُ أُخرَى، بل لا نَكادُ نَجدُ أَصلاً ثَابتاً فيها لم يُعبَثْ به أو يُلتفَّ حَولَه، حتى عَلَتْ أَصواتُ كَثيرٍ مِن مُفكِّرِيهم مُنذُ زَمنٍ للبَحثِ عن نِظامٍ أَكثرَ رُشداً من هذه الدِّيمقراطيةِ التي أَثبتَتِ التَّجارِبُ والوَقائعُ أَنَّها نِظامٌ غَيرُ رَشيدٍ، وأَنَّ أُصولَها -وإنْ سَدَّتْ بَعضَ الثَّغراتِ- تَسيرُ بالنَّاسِ إلى المَجهولِ، ولا غَرابَةَ -بعدَ (تَرامبَ) وأَمثالِه أنْ نُصَدِّقَ أَفلاطونَ حِينَ سَمَّاها (حُكمَ الغَوغاءِ)!!

أُصولُ كُلِّ خَيرٍ مَوجودةٌ في النِّظامِ الإِسلاميِّ، ولكنَّكم صِرتُم:

كَالعِيْسِ فِي الْبَيْدَاءِ يَقْتُلُهَا الظَّمَا ** وَالْمَاءُ فَوْقَ ظُهُورِهَا مَحْمُولُ

ونَحنُ -وإنْ تَحامَقْتُم مَرةً فأَنكَرْتم أن يَكونَ في الإِسلامِ نِظامُ حُكمٍ يَصلُحُ بَديلاً للمُستنقعِ الدِّيمقراطيِّ الذي تَعيشُون فيه- لا نُسَلِّمُ لكم بهذا ولا ببَعضِه، بَيْدَ أنَّ بينَ أَيدِيكم الآنَ بَديلًا إِسلاميًّا كَاملًا مُتكاملًا في الأَحوالِ الشَّخصيةِ بأَقسامِها، فهل تَملِكُون القُوةَ يا أَصحابَ البَديلِ لفَرضِ هذا البَديلِ؟!

إنَّ تَذاكِيَكُم على مَنْ وَصَلَ احتِلَالُهم إلى غُرَفِ نَومِكم نُقصانُ عَقلٍ

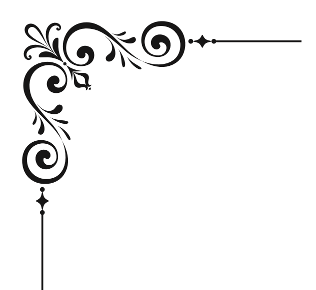
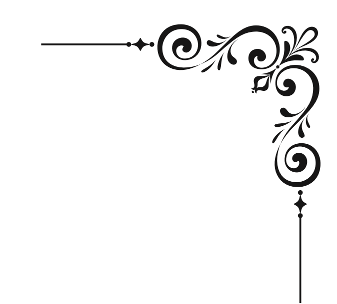
أَنتجَ تَرقيعاً لوَاقعٍ مُرٍّ لا تُريدُون أن تُتعِبُوا أَنفُسَكم في فَهْمِه ثُم في العَملِ على تَغييرِه!!

وتَجَوُّزاً، لكم أن تَتحامَقُوا ثَلاثَ مَرَّاتٍ، في الرَّابعةِ سنَكونُ نَحنُ الحَمَقى إن لم نُخبرْكم بتَحامُقِكُم، حتى لو كُنَّا مُتّكِئينَ على أَرائِكِنا.. الاتِّكاءُ على الأَرائكِ أَهونُ مِن خِيانةِ اللهِ ورَسولِه.. اتَّكِئُوا مَعَنا ولا تَخونُوا حتى يَأتيَ قَومٌ لا يَتحامَقُون ولا يَخونُون ولا يتّكِئُون!!

يَا هَؤلاءِ، كَفَى عَبَثَاً.. في الزُّجاجةِ عَصيرُ جَوافةٍ لا زَيتُ زَيتونٍ، فَاشرَبُوا على بَصِيرةٍ أو دَعُوا!!

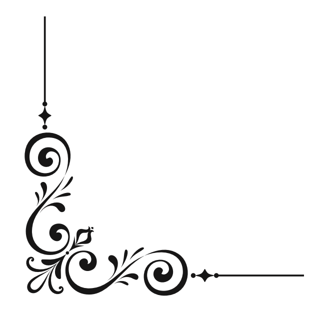
١٦ / ربيع الآخر / ١٤٤٠هـ

٥ / ١٢ / ٢٠١٨م

(٢٠)

كَلمةٌ في المَواريثِ




تَظَلُّ الشُّبَهَةُ التَّافهةُ تَدورُ على أَلسنةِ التَّافِهِينَ لا يُلقِي لها العُقلاءُ بَالاً حتى يَلتقِطَها عَاقلٌ اختَلَّ في عَقلِهِ مَحَلُّ النِّزاعِ، وتَداخلَتْ أَمامَ عَينيْه جِهاتُ النَّظرِ، فيَعرِضُها على النَّاسِ مُغلَّفَةً ببَعضِ عَقلِه، فَاتِحاً فيها بَابَ الإِمكانِ بـ(رُبَّمَا ولَعَلَّ)، بَعدَ أن كان مُغلَقاً بـ(هَيهَاتَ وَشَتَّانَ)، ثُم يُكثِرُ الحَزَّ ولا يُصيبُ المِفْصَلَ، فتَكونُ الفِتنةُ ببَعضِ عَقلِهِ أَشدَّ على النَّاسِ من الفِتنةِ بالشُّبهةِ ذَاتِها!!

وقد رَأيتُ بَعضَ الفُضلاءِ يَتفاعَلُون -دُونَ نَكيرٍ كَاملٍ أو قَبولٍ كَاملٍ- مَعَ شُبهةٍ قَديمةٍ كُنتُ أَسمَعُها من أَوشابِ العَلمانيِّين واليَساريِّين في مَقاهِي المَكلَمَةِ في وَسطِ البَلدِ، حِينَ كانوا يُردِّدُون -لَابِسِين قِناعَ الاجتِهادِ والفَذلكةِ- أنَّ المَواريثَ مِن المُعاملاتِ وليَستْ من العِباداتِ، وكُلُّ ما هو في الشَّريعةِ من المُعاملاتِ يَدورُ مَعَ العِلةِ والمَصلحةِ حَيثُ دَارَا، فإذا سَقَطَت العِلةُ وتَحقَّقَت المَصلحةُ، فإنَّ من الوَاجبِ -أو المُستحَبِّ شَرعاً- أن يَتغيرَ الحُكمُ بسُقوطِ العِلةِ وتَحَقُّقِ المَصلحةِ، فيَأخذُ الذَّكرُ أَكثرَ من الأُنثى حِيناً، وتَأخذُ الأُنثَى أَكثرَ من الذَّكرِ حِيناً، حَسَبَ المَصلحةِ والسِّياقِ غَيرَ عَابِئِينَ بالنَّصِّ القَطعِيِّ الدَّلالةِ والثُّبوتِ!!

ونَسِيَ هَؤلاءِ أو تَناسَوْا أنَّ الزَّواجَ أَيضاً من المُعاملاتِ ولَيسَ من العِباداتِ، فهل إذا سَقَطَتِ العِلةُ وتَحقَّقتِ المَصلحةُ يَجوزُ لك أن تَتزوَّجَ

أُمِّكَ، أو بِنتِكَ، أو أُختِكَ، أو خَالتِكَ، أو عَمَّتِكَ، أو ابْنةَ أَخيكَ أو ابْنةَ أُختِكَ أو حَماتِكَ؟!

(العِباداتُ) و(المُعاملاتُ) تَقسيمانِ فِقهِيَّانِ -وهُناكَ غَيرُهما حَولَهما- قَسَّمَهُمَا الفُقهاءُ لتَيسيرِ العِلمِ لا لتَهوينِ الشَّأنِ، والأَصلُ في العِباداتِ المَنعُ إلَّا بنَصٍّ شَرعيٍّ؛ لِئَلَّا يُشَرِّعَ النَّاسُ في الدِّينِ ما لم يُشَرِّعْهُ اللهُ، كما أنَّ الأَصلَ في المُعاملاتِ الإِباحةَ إلَّا بنَصٍّ شَرعيٍّ؛ فلا يُمنَعُ في المُعاملاتِ شَيءٌ إلَّا بنَصٍّ صَريحِ الدَّلالةِ صَحيحِ الثُّبوتِ، فإذا جَاءَ النَّصُّ الصَّريحُ الصَّحيحُ فما عليكَ إلَّا أن تَقولَ: سَمِعْنا وأَطَعْنا.. فإذا تَفَذْلَكْتَ في بَابِ المُعاملاتِ، فلا تَتَفَذْلَكْ فيما جَاءَ فيه نَصٌّ صَريحُ الدَّلالةِ صَحيحُ الثُّبوتِ، فإنْ أَبيتَ إلَّا الغَباءَ والحُمقَ، فأَعطَيْتَ الذَّكَرَ ما لم يَفرِضْه اللهُ، وأَعطَيْتَ الأُنثَى ما لم يَفرِضْه اللهُ؛ فَتَزَوَّجْ أُمَّكَ إنْ حَزَبَتْكَ المَصلحةُ وسَقَطَتِ العِلَّةُ.. أَعَلَّكَ اللهُ وأَراحَنَا مِنكَ.

إنَّ الإِسلامَ لا يَنظرُ في الإِرثِ إلى الذُّكورةِ والأُنوثةِ فقط، بل يَنظُرُ إلى دَرجةِ القَرابةِ ومَوقعِ الجِيلِ الوَارثِ.. الابنُ يَرِثُ أَكثرَ مِن الأَبِ وهُما ذَكَرَانِ، والبِنتُ تَرِثُ أَكثرَ مِن الأَبِ وهي أُنثَى وهو ذَكَرٌ.. بل إنَّ المَرأةَ في الإِسلامِ تَرِثُ مِثلَ الرَّجلِ، أو أَكثرَ مِن الرَّجلِ، أو تَرِثُ ولا يَرِثُ الرَّجلُ في أَكثرَ مِن ثَلاثينَ حَالةً تَقريباً، وتَرِثُ نِصفَ الرَّجلِ في أَربعِ حَالاتٍ.. ولأنَّ هَؤلاءِ الأَوشابَ يُريدُون إِسقاطَ النَّصِّ ولَيسَ مَصلحةَ المَرأةِ؛ فقد وَقفُوا عِندَ الحَالاتِ الأَربعِ ولم يُجاوِزُوها.. ولو كان لهم عَقلٌ يُفكِّرُون به

لوَجَدُوا كِفَّةَ المَرأةِ رَاجحةً -في الوَاقعِ الإِسلاميِّ الصَّحيحِ- حتى في الحَالاتِ الأَربعِ، فإذا غَيَّرُوا الوَاقعَ بإِبعادِ الدِّينِ عن المُجتمعِ؛ فـ(هَٰذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ).. والإِسلامُ يُغَيِّرُ المُجتمعاتِ ولا تُغَيِّرُ أُصولَه المُجتَمعاتُ.

إلَّا أنَّ العَلمانيِّين في بِلادِنا يَسْعَوْن لجَعلِ الوَاقعِ مُهيمِناً على الإِسلامِ لا أنْ يُهيْمِنَ الإِسلامُ على الوَاقعِ؛ فيَتلاعَبُون به كيف شَاؤُوا -حَسَبَ الوَاقعِ المُتغيِّرِ- تَمهيداً لإِسقاطِه بالكُلِّيَّةِ، وحَصْرِه في المَسجدِ إن سَمَحُوا ببَقاءِ المَسجدِ.. وَهُمْ في مَوضوعِ المَواريثِ هذا نَوعانِ تَعودُ كُلُّ أَنواعِهم إليهما: فنَوعٌ يُصَرِّحُ بتَرحيبِه ومُوافقتِه على ما يُسَمُّونه مُساواةَ المَرأةِ بالرَّجلِ في الميراثِ، بلا مُواربةٍ ولا لجَلَجةٍ.. وهذا النَّوعُ يَجبُ على المُسلِمين أن يُصرِّحُوا بكُفرِه بلا مُواربةٍ أو لجَلَجةٍ.

ونوعٌ آخَرُ لا يَستطيعُ التَّصريحَ بالمُوافقةِ؛ بل يَستهبلُ ويتغابَى ويَتمايَعُ ويَلُفُّ ويَدورُ فيَقولُ: «لو وَجدتُ أَنِّي أَخذْتُ أَكثرَ من أُختي فسأُعطيها من حَقِّي حتى نَتساوَى معاً؛ لأنَّ المُساواةَ عَدلٌ يُحبُّه اللهُ ويَرضاه، والمُحاباةُ ظُلمٌ يُبغِضُه اللهُ ويأبَاه، ولو أَرادَتْ زِيادةً سأُعطيها عن طِيبِ خَاطرٍ».. وهذا كَلامٌ لا أَجِدُ له مُصطَلَحاً يُعبِّرُ عنه سِوَى مُصطلحِ (الكُفرِ المُخَنَّثِ)، وصَاحبُ هذا الكُفرِ المُخَنَّثِ حَقُّه أنْ (يُطَبْطَبَ) على كَتفِه ويُفَهَّمَ بهُدوءٍ أنَّ (العَبَطَ) الذي يَتَفَوَّهُ به لَيسَ مَناطاً لشَيءٍ يَعقِلُه النَّاسُ، وأنَّ الظُّلمَ الذي يَقعُ على المَرأةِ في المُجتمعاتِ المُسلمةِ مَرَدُّه إلى بُعدِ هذه المُجتمعاتِ عن الإِسلامِ لا قُربِها منه، وأنَّ الإِسلامَ يُحِبُّ أُختَه أَكثرَ ممَّا يُحبُّها هو حِينَ أَوجبَ عليه أن

يَكفلَها طَائعاً أو مَكرهاً، وإلَّا كان مُسلِماً آثِماً أو رَجلاً بلا رُجولةٍ!!

إنَّ الحَربَ لَيسَتْ على المَواريثِ، أو على ما يُسَمُّونها مُدوَّنةَ الأَحوالِ الشَّخصيةِ، بل هي حَربٌ على النِّظامِ الإسلاميِّ الذي يَحمِلُ هذه المُدوَّنةَ، وقد بَدأَتْ تلك الحَربُ مُنذُ زَمنٍ بَعيدٍ حِينَ زُحزِحَ الحُكمُ بشَرعِ اللهِ، فلم يَكَدِ النَّاسُ يَشعُرون بإِسقاطِ الشَّرعِ في نِظامِ الحُكمِ، حتى وَصلَ الأَمرُ إلى أَخصِّ خُصوصِيَّاتهم من زَواجٍ وطَلاقٍ ومَواريثَ.

وما يَحدُثُ الآن لَيسَ سِوَى نَتائجَ لمُقدماتٍ فَرَضَتْها (نَظريةُ التَّدرُّجِ) التي ظَنَّ الطَّيِّبون أنَّهم سيَخدَعُون بها الكُفَّارَ ليَجُرُّوهم إلى حِمَى الإِسلامِ؛ فخَدَعَهم الكُفَّارُ وجَرُّوهم إلى عَتباتِ الكُفرِ، وما مَلَكَ الطَّيِّبُون أَدواتِ القُوَّةِ ليَنجَحُوا، وما عَدِمَ الكُفَّارُ أَسبابَ القُوةِ ليَفشَلُوا، ولكنَّه الوَهْمُ والغَيبوبةُ!!

إنَّ أَصحابَ النِّظامِ الغَربِيِّ القَائمِ على الدِّيمقراطيةِ لا تَهُمُّهم مَصلحةُ المَرأةِ أو رَفَاهُها، فنِظامُهم الحَاليُّ مِن أَشدِّ الأَنظمةِ بَشاعةً في إِهانةِ المَرأةِ وهَضمِ حُقوقِها.. وإنَّما يَهُمُّهم فَقطْ فَرضُ نِظامِهم وإِعلاءُ كَلمتِهم.. وهو أَمرٌ طَبيعيٌّ جِداً، فلَيسَ هُناكَ نِظامٌ في الدُّنيَا لا يَسعَى أَصحابُه لفَرضِه.. واتْركُوا عنكم وَهْمَ الحُريةِ وتَقبُّلِ الآخَرِ والتَّنوُّعِ الثَّقافِيِّ.. هذا حَديثُ خُرافةٍ تَخدَعُ به الذِّئابُ الغَنمَ قُبَيْلَ افتِراسِها!!

والنِّظامُ الغَربيُّ -رَغمَ ادِّعاءاتِ أَصحابِه وعَبيدِهم العَلمانيِّين عِندَنا- لا

يُمكِنُ أن يُقارَنَ بحَالٍ من الأَحوالِ بالنِّظامِ الإِسلاميِّ، فلم تَعرِفِ البَشريةُ نِظاماً قَامَ على مُطلَقِ العَدالةِ كالنِّظامِ الإِسلاميِّ، وهذا النِّظامُ بشُمولِه وتَكامُلِه ورَبانيَّته إمَّا أن تَأخذَه كُلَّه أو تَتركَه كُلَّه، فإذا رَقَّعْتَ أُصولَه بأُصولِ غَيرِه فلن تَحصُلَ عليه ولا على غَيرِه!!

والعَدالةُ في النِّظامِ الإِسلاميِّ -فيما يَخُصُّ المَواريثَ- لا تَعنِي أن يَحصُلَ كُلُّ أَحد على مِثلِ ما يَحصلُ عليه الآخَرُ، بل تَعنِي أن يَحصلَ كُلُّ أَحدٍ على ما يَستحِقُّه حَسَبَ مَناطاتٍ ثَلاثةٍ: (الطَّبيعةُ) و(المَوقعُ) و(دَرجةُ القَرابةِ أو رُتبتُها).. ومِن كَمالِ عَدالةِ الإِسلامِ في هذه المَناطاتِ أنَّ (الطَّبيعةَ) تُهيمِنُ على (المَوقعِ) ولا يُهيمنُ المَوقعُ على (دَرَجَةِ القَرابةِ)؛ فالنِّظامُ الإِسلاميُّ نَظَرَ إلى طَبيعتَي الذَّكرِ والأُنثَى اللَّتينِ خَلَقَهما اللهُ بهما فوَجدَهما مُتبايِنَتَينِ تَبايُنَ ائْتِلافٍ لا تبايُنَ اختلافٍ، فَحَدَّدَ لكُلٍّ منهما (مَوقِعَه) الذي يُناسِبُ طَبيعتَه، فكَانَ مَوقعُ الأُنثَى دَائِماً مَوقعَ المَكفولةِ المَحفولةِ، بِنتاً وأُختاً وزَوجةً وأُمَّاً، ثُم أَعلَى مَنزلَتَها وأَكرَمَها عن العَملِ والكَدِّ والسَّعيِ، ثُم زَادَ في إِكرامِها فَجَعَلَ لها ذِمَّةً مَاليةً خَاصَّةً لا يَجوزُ للذَّكَرِ أَباً وأَخاً وزوجاً وابناً أن يَغصِبَها إِيَّاها أو يَمنَعَها من مُمارَسَتِها، ثُم زَادَ في حِفظِها فأَعفَاها مِن مُطلَقِ الإِنفاقِ على أَهلِها وذَوِيها، وجَعَلَ لها -بحَسَبِ حَالاتِها- مَهراً ونَفقةً وكَفالةً، ثُم خَفَّفَ عنها -تعبُّدياً- فأَسقطَ عنها أَبداً وُجوبَ حُضورِ الجُمَعِ والجَماعاتِ والجِهادِ، كما أَسقَطَ عنها أَحياناً الصَّومَ والصَّلاةَ مَعَ عَدمِ إِلزامِها بقَضاءِ ما فَاتَها من الصَّلاةِ.. ولم يَقتصِرِ الأَمرُ على هذا، بل جَعلَ بَيتَ مَالِ

المُسلمِين أَشبهَ بحِسابٍ بَنكِيّ لها، فإنْ لم يُوجدْ لها عَائلٌ يعُولُها ويَصرِفُ عليها ويَكِدُّ لها -مُجبراً لا مُخيَّراً-، فبَيتُ مَالِ المُسلِمِين هو العَائلُ لها مُنذُ وِلادتِها وحتى وَفاتِها في كُلّ شَأنٍ من شُؤونِ حَياتِها.. وكُلُّ هذا لَيسَ من قَبِيلِ تَشرِيفِها أو تَفضيلِها على الذَّكَرِ -وإنْ كان فيه تَشرِيفٌ لا يَخفَى- بل هو مِن قَبِيلِ نَظَرِ النّظامِ الإِسلاميّ إلى (مَوقِعِها) الذي حَدَّدَتْه (طَبيعتُها)، والذي هو مَعكوسُ (مَوقعِ) الرَّجلِ الذي حَدَّدَتْه (طَبيعتُه) حِينَ طَالبَتْه بالعَملِ والإِنفاقِ والسَّعيِ والجُمَعِ والجَماعاتِ والجِهادِ.. فَموقعُ الرّجلِ في النّظامِ الإِسلاميّ هو مَوقعُ المُعطِي مَادياً لا الآخِذِ، ومَوقعُ المَرأةِ في النّظامِ الإِسلاميِّ هو مَوقعُ الآخِذِ مَادياً لا المُعطِي، فلا تَفضيلَ لمُطلَقِ الذُّكورةِ، ولا تَفضيلَ لمُطلَقِ الأُنوثةِ، إنَّما هو (المَوقعُ والطَّبيعةُ).. والمَوقعُ والطَّبيعةُ لا يَتساوَيان أَبداً، فهذا ذَكَرٌ وهذه أُنثَى، وبَينَهما مِن فُروقِ الطَّبيعةِ ما لا يَخفَى، وهذه الفُروقُ هي التي أَدَّتْ إلى عَدمِ التَّساوِي في (المَوقعِ)، فهذا مَوقعُه التَّكليفُ بالعَملِ والإِنفاقِ، وهذه مَوقعُها أن تَكونَ مَكفولةً مَحفولةً مُصانةً عن العَملِ والإِنفاقِ، مَعَ ذِمّةٍ مَاليةٍ خَالصةٍ.. فلا يُمكِنُ أنْ يَتساوَيَا في المَوقعِ والطَّبيعةِ، وإنَّما التَّساوي يَكونُ في دَرجةِ القَرابةِ أو رُتبةِ العلاقةِ، فهذا ابنُ المُتوفَّى وهذه ابْنتُه، تَساويَا في رُتبةِ البُنوَّةِ ودَرجتِها، فلمَّا تَساوَيَا في الرُّتبةِ والدَّرجةِ نُظِرَ إلى المَوقعِ النَّاتجِ عن الطَّبيعةِ، فأُعطِيَ الذَّكَرُ الذي هو (كَافلٌ حَافِلٌ) فَضْلاً يُعوِّضُ به هذه الكَفالةَ للأُنثَى التي هي (مَكفولةٌ مَحفولةٌ)، وأُعطِيَتِ الأُنثَى التي هي (مَكفولةٌ مَحفولةٌ) كِفايةً تَحفَظُها إنْ قَصَّرَ (الكَافلُ

الحَافلُ).. فالطَّبيعةُ هنا هَيْمَنَتْ على المَوقعِ، ولم يُهيمِنِ المَوقعُ على الدَّرجةِ، ولو هَيْمَنَ المَوقعُ على الدَّرجةِ لأُعطِيَتِ الأُنثَى -دَائماً وأَبداً- زِيادةً على الرَّجلِ، وهذا ظُلمٌ بَيِّنٌ للرَّجلِ وإِخلالٌ وَاضحٌ بالطَّبيعةِ؛ لأنَّ مَوقعَ المَرأةِ في النِّظامِ الإِسلاميِّ زَائدٌ على الرَّجلِ بإِعفائِها من تلك التَّكاليفِ المَاديةِ والدِّينيةِ وتَحميلِها كُلِّها للرَّجلِ؛ ولذلك نَجدُ النِّظامَ الإِسلاميَّ يُعطِي المَرأةَ أَحياناً أَكثرَ من الرَّجلِ لعُلُوِّ مَوقعِ المَرأةِ ابتِداءً ثُم لعُلُوِّها عنه بدَرجةِ القَرابةِ أو رُتبتِها، ويُعطِي الرَّجلَ أَحياناً أَكثرَ من المَرأةِ -وإنْ تَساوَيَا في الدَّرجةِ- لعُلُوِّ مَوقعِها المَكفولِ عن مَوقعِه الكَافلِ.. فلا ذُكورةَ ولا أُنوثةَ هنا، وإِنَّما هي (الطَّبيعةُ والمَوقعُ والدَّرجةُ)، فكيف يُقالُ بعدَ كُلِّ هذا: إنَّ الإِسلامَ ظَلَمَ المَرأَةَ؟! أُنثى مَكفولةٌ مَحفولةٌ لا عَملَ عليها إِنْ كَرِهَتْه، ولا مَنْعَ منه -بشُروطِهِ- إنْ أَرادَته، لا نَفقةَ منها على غَيرِها وإِنِ امْتلكَتِ المَلايينَ، ولا تَقصيرَ من عَائلِها في النَّفقةِ عليها وإِنْ أَعجزَتْه المَلاليمُ، مَعَ ذِمَّةٍ مَاليةٍ خَالصةٍ لا نَقْصَ فيها ولا انْتِقاصَ منها.. كيف تكونُ مَنْ هذه حالُها مَظلومةً؟! وأَين ومتى حَدَثَ هذا في حَضارةٍ مِن الحَضاراتِ أو دِينٍ من الأَديانِ، وبأَيِّ حُجةٍ تَافهةٍ تُزاحِمُ الأُختُ أَخاها -بَعدَ كُلِّ هذا- فيما فَرضَه اللهُ له حَسَبَ مَوقِعه مِمَّا سيُنفِقُه كُلَّه أو جُلَّه على امْرأةٍ مِثلِها في الوَقتِ الذي ستَحتفظُ هي فيه بنَصيبِها من أَبيها كَاملاً مُكمَّلاً، فإِنْ ضَرَبَتْها ضَرباتُ الزَّمنِ ومَالتْ عليها الأَيامُ عَادَتْ إلى أَخيها أو ابْنِها فوَجبَ عليه شَرعاً أن يُنفقَ عليها من نَصيبِه ذاكَ الذي يُنفقُ منه على زَوجتِه وأَولادِه.. فكَأَنَّها حَصلَتِ انْتِهاءً على ما

ظَنَّته مُساواةً ابْتِداءً، ونَقَصَ هو عنها انتِهاءً عمَّا ظَنَّته زِيادةً ابْتِداءً.. ولا نَقصَ في الحَقيقةِ ولا زِيادةَ، إنَّما هو شَرعُ اللهِ الذي حَدَّدَ (المَوقعَ) انْطِلاقاً من (الطَّبيعةِ)!!

ثُم هل الدُّنيا كُلُّها (ابنٌ وابنةٌ فقط)؟! فأين الأَخُ والأُختُ وأَبناؤُهما، والعَمُّ والعَمَّةُ وأَبناؤُهما، والأَشقَّاءُ وغيرُ الأَشقَّاءُ، والشَّقيقاتُ وغَيرُ الشَّقيقاتِ، والخَالُ والخَالةُ وأَبناؤُهما، والزَّوجُ والزَّوجةُ، والجَدُّ والجَدَّةُ والأَحفادُ.. وغَيرُ ذلك ممَّا جَمَعَه الإِسلامُ تَحتَ مُصطلحاتِ: (العَصَبةِ، وبَنُو العَلَّاتِ، وبَنُو الأَخيافِ)، أَليسَ في هَؤلاءِ كُلِّهم ذَكرٌ وأُنثَى كالابنِ والبِنتِ؟! أَليسَ لهم في المُتوفَّى حُقوقٌ كما كان عليهم في حَياتِه تِجَاهَه وَاجباتٌ؟!

هل سَتُوَرِّثُون الابنَ والابنةَ فَقَطْ؟! هل سنَظلِمُ المَرأَةَ مُطلقاً فنأَخُذُ من حَقِّها ونُعطِيه للرَّجلِ في الحَالاتِ التي أَعطَاها الإِسلامُ فيها أَكثرَ من الرَّجلِ، ليَتساوَيَا في المِيراثِ كما يَظنُّ هَؤلاءِ الكُفَّارُ؟! وهل تَقبَلُ امْرأةٌ بهذا؟!

أَعطُونا مِعياراً غَيرَ (الطَّبيعةِ والمَوقعِ ودَرجةِ القَرابةِ) نَتحاكَمُ إليه في القِسمةِ، لأَنَّنا لو تَحاكَمْنا إلى مُطلَقِ المُساواةِ بَينَ الذُّكورةِ والأُنوثةِ فلن يُظلَمَ الرَّجلُ فَقَطْ، بل ستُظلَمُ المَرأةُ أَيضاً ظُلماً أَشدَّ مِن ظُلمِ الرَّجلِ!!

الإِسلامُ لا يَنظُرُ إلى تَفاهاتِ ووَساخاتِ عُقولِ العَلمانيِّين.. الإِسلامُ

نِظامٌ دَقيقٌ قَامَ على مَعرفتِه بطَبيعةِ الدُّنيا وتَشابُكِ العِلاقاتِ فيها بينَ النَّاسِ نَسَباً وعَصَباً ورَحِماً ومُوالاةً!!

في الإِسلامِ مَنْ يَرثُ (فَرضاً)، ومَن يَرِثُ (عَصَبةً)، ومَنْ يرِثُ (رَحِماً).

في الإِسلامِ ذَكَرٌ يُحجَبُ عن الميراثِ بِذَكَرٍ، وذَكَرٌ يُحجَبُ عن المِيراثِ بأُنثَى، وأُنثَى تُحجَبُ بذَكَرٍ، وأُنثَى تُحجَبُ بأُنثَى!!

في الإِسلامِ مَعانٍ للمِيراثِ لا تَخرُجُ عن النَّسبِ والوَلاءِ والنِّكاحِ، وأَسبابٌ تَمنَعُ المِيراثَ حتى بينَ الابنِ وأَبيه، مِثلُ: الرِّقِّ، والرِّدَّةِ، والقَتلِ، واختِلافِ الدِّينَينِ، والإِشكالِ في المَوتِ، وما يُؤدِّي إثباتُه إلى نَفيِه!!

في الإِسلامِ حَالاتٌ مُتداخلةٌ -كتَداخُلِ الحَيَاةِ وتَشابُكِها- لِكُلِّ أَبٍ وابْنٍ وبِنتٍ وأُختٍ وأُمٍّ وخَالٍ وخَالةٍ وعَمٍّ وعَمَّةٍ وجَدٍّ وجَدَّةٍ وأَحفادٍ!!

هل عَرفَ العَلمانيُّون التَّفاصيلَ الدَّقيقةَ التي وَضَعَها الإِسلامُ حَلاً لإِشكالاتِ المَواريثِ التي يَنشأُ عنها الظُّلمُ والقَطيعةُ بينَ ذَوِي الأَرحامِ نِساءً ورِجالاً؟!

هل دَرَسُوا المُدَوَّنةَ الفِقهيةَ الخَاصةَ بهذا العِلمِ المُتفرِّدِ إسلامياً ثُم وَجدُوا غَيرَها أَصلحَ منها.. أمْ هو التَّقليدُ والتَّبعيةُ وعَداءُ الإِسلامِ ونِظامِه؟!

هل سَمِعُوا عن العَصَبَةِ، والحَجْبِ، والعَوْلِ، والرَّدِّ، والتَّأْصيلِ، والتَّصحيحِ، والانكسارِ، والرَّواجِعِ، والمَصَحِّ والجَامعةِ، والمُماثلةِ، والمُداخَلةِ، والمُوافقةِ

والمُبايِنةِ، والمَوقوفِ، والصَّمَّاءِ، والإِدلاءِ، والكَلالَةِ، والمُناسَخةِ، والتَّخارُجِ، والمُلَقَّبَاتِ، والأَصلِ العَادلِ، والأَصلِ العَائلِ، والأَصلِ النَّاقصِ، ومِيراثِ المُرتَدِّ، ومِيراثِ المُلَاعَنَةِ، ومِيراثِ الخُنثَى، ومِيراثِ المَفقودِ والحَمْلِ، وأَحكامِ التَّوريثِ بالعُمرَى والرُّقْبَى، وأَبوابِ الحَجْرِ والإِفلاسِ، والوَقفِ، وإِحياءِ المَواتِ، والحِمَى؟!

هل سَمِعُوا عن هذا أو بَعضِه مِمَّا لا يَزالُ يَحدُثُ بينَ النَّاسِ فلا يَجِدُون حَلاً لإِشكالاتِه أَعظمَ مِن حُلولِ النِّظامِ الإِسلاميِّ لها!!

وَيْكَأَنَّ أَساطينَ الاقتصادِ الغَربيِّ لم يَفهَمُوا طَبيعةَ فَلسفةِ المَالِ في الإِسلامِ كما فَهِمَها ذلك الأَعرابيُّ الأُمِّيُّ حِينَ سَأَلَه سَائلٌ: لِمَن الإِبلُ يا أَعرابيُّ؟! فقال: هي للهِ في يَدِي!!

إِي وَاللهِ.. المالُ للهِ في أَيدِينا، يُورِثُه مَنْ شَاءَ كَيفَ شَاءَ مَتَى شَاءَ، وحَاشَا للهِ جَلَّ وعَلَا أَنْ يَكونَ ظَالماً لأَحدٍ مِن خَلقِه!!

هذا هو النِّظامُ الإِسلاميُّ، وهذا هو دِينُ اللهِ الذي فَضَّلْتُم عليه النِّظامَ الغَربيَّ الدِّيمقراطيَّ، فإِنْ تَعارَضَ هذا الجَمالُ والجَلالُ مَعَ النِّظامِ الغَربيِّ الذي تَعيشُون في مُستنقَعِه، فهل الحِكمَةُ أن نُسقِطَ هذا الجَمالَ والجَلالَ لنَظَلَّ في المُستنقعِ، أم الحِكمَةُ أن نَخرُجَ من المُستنقعِ ونَعملَ على تَحقيقِ هذا الجَمالِ والجَلالِ؟!!

حَفِظَ النِّظامُ الإِسلاميُّ المَرأةَ من الضَّنْكِ والمَشقَّةِ، وأَخرَجَها النِّظامُ الغَربيُّ إلى الضَّنْكِ والمَشقَّةِ، ثُم امتَهَنَها في شَريفِ الأَعمالِ وخَسيسِها، فظَنَنْتُم أنَّها ساوَتِ الرَّجلَ في الطَّبيعةِ والمَوقعِ حِينَ ساوَتْه في العَملِ والمَشقَّةِ، فأَرَدْتُم أن تُسقِطُوا شَرعَ اللهِ الذي حَفِظَها بالطَّبيعةِ والمَوقعِ مِن الضَّنْكِ والمَشقَّةِ، حِينَ لم تَستطِيعُوا إِسقاطَ النِّظامِ الغَربِيِّ الذي أَهانَها بحَطِّها عن طَبيعَتِها ومَوقعِها فجَرجَرَها إلى الضَّنْكِ والمَشقَّةِ.. أَيُّ عُقولٍ هذه؟!

الأَصلُ أن تُعيدُوا الأَصلَ.. الأَصلُ أن تَسْعَوْا لإِحلالِ النِّظامِ الإِسلاميِّ المُتَّسقِ مَعَ الفِطرةِ والطَّبيعةِ لا أن تُرَقِّعُوا هذا بذاك فتُسقِطُوا هذا ثُم لا تُدركُوا ذاك!!

إِنَّ كُلَّ الاختِلالاتِ النَّفسيةِ والاجتِماعيةِ والسِّياسيةِ والاقتِصاديةِ في حَياتِكم الآنَ لَيسَتْ نَاتجةً عن تَطبيقِ الإِسلامِ، بل نَاتجةً عن عَدمِ تَطبيقِه.. مَا ذَنْبُ الإِسلامِ فيما يَحدُثُ لكم وقد أَبعدْتُموه عن حَياتِكم ورَضِيتُم -اضطِراراً أو استِخذاءً أو اقتِناعاً- بغَيرِه؟!

اشرَبُوا إِذَنْ وتَضَلَّعُوا..

اشرَبُوا حُريةً أَخَسَّ مِن الرِّقِّ، وعَدالةً أَخَسَّ مِن الجَوْرِ، ومُساواةً أَخسَّ من العُنصريةِ!!

لا تُحمِّلوا الإِسلامَ ذَنْبَ تَرقيعِكم فإِنَّ الإِسلامَ يَعلُو ولا يُعلَى عليه..

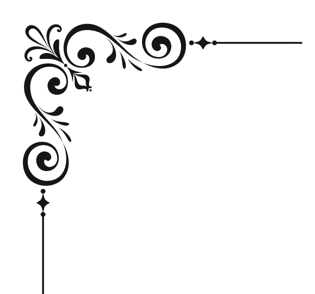
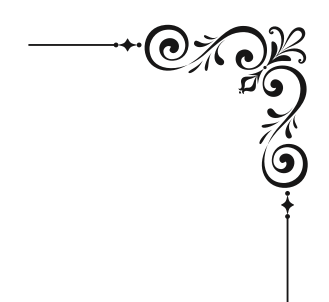
الإِسلامُ لا يَقبَلُ التَّرقيعَ ولا التَّلفيقَ ولا الشَّراكةَ.. خُذُوه جُملةً أو دَعُوه جُملةً فإنه عَزيزٌ لا يَعِزُّ بوادِيه سِواه!!

فإنْ قُلتُم إنَّ النِّظامَ الإسلاميَّ في المَواريثِ (لم) يُطَبَّقْ من قَبلُ و(لا) يُطَبَّقُ الآنَ، فقد كَذَبْتُم وَصَدَقْتُم.. كَذَبْتُم في ادِّعاءِ عَدَمِ تَطبيقِه، فقد طُبِّقَ في زَمنِ عِزِّ الإسلامُ بحَذافِيرِه حِيناً وبانتِقاصٍ منه أَحياناً حَسَبَ دَرجةِ قُربِ النَّاسِ وبُعْدِهِم عن اللهِ.. وَصَدقْتُم في أنَّه لا يُطَبَّقُ الآنَ، لا لأنَّه لا يَصلُحُ للتَّطبيقِ، بل لأنَّكم لم تُرِيدُوا تَطبيقَه، أو لم تَسْعَوْا إلى تَطبيقِه، أو لم تَحرِصُوا على امْتِلاكِ القُوَّةِ لفَرضِ تَطبيقِه.. ثُم أَرَدْتُم مُسايرةَ النِّظامِ العَالميِّ -اضطِراراً أو استِخذاءً أو اقتِناعاً- فرَقَّعتُم بَعضَ ما مَزَّقتُم من الإِسلامِ بوَساخاتِ عُقولِ الكُفَّارِ، ثُم ازدادَتِ المُسايرةُ بازدِيادِ الضَّغطِ، فَمَزَّقتُم ورَقَّعتُم، ثُم مَزَّقتُم ورَقَّعتُم.. ثُم لمَّا لم يَبقَ في الثَّوبِ ما يُرَقَّعُ، قُلتُم: حُدَيبيةً، ومَرحلةً مَكيةً وفِقهَ وَاقعٍ!!

نُرَقِّعُ دُنْيَانَا بِتَمْزِيقِ دِينِنَا ** فَلَا دِينُنَا يَبْقَى وَلَا مَا نُرَقِّعُ

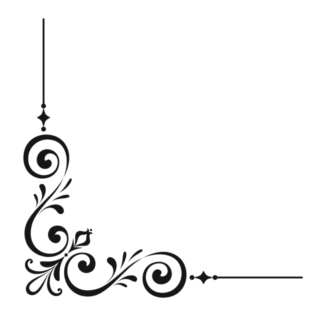
١ / ربيع الآخر / ١٤٤٠هـ

١٠ / ١٢ / ٢٠١٨م

(٢١)

الجَزيرةُ وجَوَارِيهَا




لا تَنظرُوا إلى الفِلمِ ومُحتوَاه، بل انْظرُوا إلى الفِلمِ وصَانعِيه..

لا يَخْدَعَنَّكُمُ الصَّانعُ عن مَرضِ نَفْسه بمَرضِ نَماذِجِه!!

فِلم: (في سَبع سِنِين) لا يُعبِّرُ عن أَزمةِ نَماذجِهِ بقَدْرِ ما يُعبِّرُ عن أَزمةِ صَانِعِيه!!

لَيسَ السُّؤالُ: لماذا يُلحِدُ الشَّبابُ، لأنَّ الكَثرةَ الكَاثرةَ من الشَّبابِ لا تُلحِدُ رَغمَ تَيسُّرِ دَواعِي الإِلحادِ، وهذه الظَّواهرُ التي تَتقافَزُ أَمامَكم الآنَ لَيستْ سِوَى هَوامشَ مُنحرفةٍ حَولَ مَتنٍ مُعتدلٍ وُجدَ مِثلُها في كُلِّ زَمانٍ ومَكانٍ ومِلةٍ ودِينٍ.. وتَسليطُ الضَّوءِ على الهَوامشِ المُنحرفةِ لا يَدُلُّ على تَسَلُّطِ الهَامشِ المُنحرِفِ على المَتنِ المُعتدلِ، بل يَدُلُّ على تَسلُّطِ ذلك الهَامشِ على نَفسيَّتِك المَريضةِ، أو وُقوعِ نَفسيَّتِك المَريضةِ في مُستنقعِ ذلك الهَامشِ!!

ولَيسَ السُّؤالُ: لماذا يُجاهِدُ الشَّبابُ، لأنَّ الإِجابةَ ببَساطةٍ شَديدةٍ هي: الجِهادُ كالصَّلاةِ والصِّيامِ والحَجِّ والزَّكاةِ فَريضةٌ إِسلاميةٌ، بل فِطرةٌ إِنسانيةٌ غَابتْ أو غُيِّبَتْ رِدحاً مِن الزَّمنِ، ثُم استَيقَظَ أَهلُها السَّادةُ العُظماءُ، ليَعبُدوا اللهَ -مِن خِلالِها- قَتلاً وقِتالاً، كما عَبدُوه -في الصَّلاةِ- سُجوداً ورُكوعاً، فإِنْ كان مِن غَيرِ المَعقولِ أن يَسأَلَ أَحمقُ: لماذا يُصلِّي الشَّبابُ، فإنَّه مِن غَيرِ المَعقولِ أَيضاً أن يَسأَلَ تَافهٌ: لماذا يُجاهِدُ الشَّبابُ!!

ولَيسَ السُّؤالُ لماذا يَلجأُ الشَّبابُ (للعَملِ المُسلَّحِ)، لأنَّ الإجابةَ ببَساطةٍ

هي: الإِسلامُ لَيسَ فيه (عَملٌ مُسَلَّحٌ).. الإِسلامُ فيه (جِهادٌ) فَقَطْ، فإذا أَردتَ أن تتعامَلَ مَعَ الإِسلامِ فعَليكَ أن تتعاملَ مَعَه بأَلفاظِه ومُصطلحاتِه، أمَّا إذا كُنتَ من الذين تَحَرَّشَ بهم الغَربُ فِكرياً، ثُم اغتَصَبَهم ثقافياً، فلا بَأسَ أن تَستمتعَ بهذا التَّحرُّشِ وذلك الاغتِصابُ بَعيداً عن الإِسلامِ!!

السُّؤالُ الحَقيقيُّ هو: ماذا حَدَثَ لكَ أنتَ لتَصيرَ تَافهاً وعَبيطاً إلى هذه الدَّرجةِ العَاديةِ الخَاليةِ مِن أَيِّ تَجديدٍ في التَّفاهةِ، أو أَيِّ ابتِكارٍ في العَبطِ؟!

هذا هو السُّؤالُ، ومِن هنا نَبدأُ!!

عَشرةُ أَيَّامٍ -أو تَزيدُ- وقَناةُ الجَزيرةِ القَطريةِ تَبثُّ دِعايةً عن فِلمٍ وَثائقيٍّ يُناقشُ قَضايَا تَفنَى في مُناقشتِها الأَعمارُ، على طَريقةِ أَفلامِ المُقاولاتِ الثَّمانينيَّةِ: (مُتعةٌ، إثارةٌ، تَشويقٌ)، لنَسمعَ ونُبصرَ -مِن خِلالِ الدِّعايةِ- فَتاةً لا نَدرِي عن حَالِها شَيئاً تَقولُ: (أَنا كَافرةٌ)، وفَتىً لا نَدرِي عن حَالِه شَيئاً يَقولُ: (مَفيش إِله.. أَنا مُلحِد)، وشَاباً يَضعُ سَاقاً على سَاقٍ ويَتقمصُ الهَيئةَ العَبيطةَ المُضحِكةَ لمُثقَّفِي وَسطِ البَلدِ مُتحدثاً عن (اللَّاأَدرِيَّةِ).. وآخَرَ مُلثَّماً يَحتضنُ سِلاحَه ويَتحدَّثُ عن سُقوطِ السِّلميةِ وحَتميةِ ما أَسمَوْه (العَملَ المُسَلَّحَ).. ذلك المُسمَّى الذي يَحلُو للكُفَّارِ (الكُيوتِ) مُدَّعِي الحِيادِ إِطلاقُه على الجِهادِ لإِسقاطِ مُصطلَحِه من قَاموسِ المُسلِمين وعُقولِهم ونَفسيَّاتِهم، بخِلافِ الكُفَّارِ الذين يُسمُّونه عُنفاً وإِرهاباً!!

عَشرةُ أَيامٍ وأنا أُشاهِدُ الدِّعايةَ فأَعجَبُ مِن كَمِّ الوَساخةِ والتَّفاهةِ والعَبطِ

والحُمقِ والغَباءِ والخبُثِ وقِدَمِ الأُسلوبِ.. لقد تَذكَّرتُ تِلكَ الصُّورَ الدِّعائية القَديمةَ والرَّخيصةَ حِينَ كَانتْ شَركاتُ صِناعةِ السَّياراتِ تجَلبُ فَتاةً شِبه عَاريةٍ صَارخةَ الزِّينةِ لتتَّكِئَ على حَافةِ السَّيارةِ بوَضعيةٍ جِنسيةٍ مُثيرةٍ ثُم تُصَوِّرهَا لتَجعَلَها دِعايةً للسَّيارةِ!!

كَانتْ قَناةُ الجزَيرةِ -في تلك الدِّعايةِ اليَوميةِ- تَقومُ بذَاتِ العَملِ الذي كَانتْ تَقومُ به تلك الشَّركاتُ: استِغلالُ الغَرائزِ لتَرويجِ السِّلعةِ، ورَفعُ نِسبةِ المُشاهدةِ، وزِيادةُ حَالةِ التَّرقُّبِ!!

أُسلوبٌ دِعائيٌّ رَائعٌ ومُريعٌ ورَخيصٌ، أُسلوبٌ دِعائيٌّ شَديدُ النَّجاحِ شَديدُ الوَساخةِ، تمَاماً كأُسلوبِ القَوَّادِ الذي يُدلِّلُ على عَاهرتِه بالتَّلويحِ بمَلابسِها الدَّاخليةِ!!

المُختلِفُ هذه المَرَّةَ هو أنَّ الجزيرةَ لم تَكُنْ تمتَهِنُ جَسدَ امْرأةٍ، بل كَانتْ تمتهِنُ رُوحَ المُقدَّسِ المَغروسِ في أَرواحِ المُسلمِين: أَنا مُلحدٌ.. أَنا كَافرةٌ.. مَفيش إِله!!

تخَيَّلِ ابنَكَ أو ابنَتَكَ أو أَخَاكَ أو أُختَكَ وهم يُشاهِدُون هذه الدِّعايةَ بهذا الأُسلوبِ، ما الذي سيَرتكِزُ في نَفسيَّاتِهم على مَدارِ عَشرةِ أَيامٍ؟!

أيُّ استِهانةٍ باللهِ جَلَّ وعَلَا ستَنغرِسُ في نُفوسِهم، وأَيُّ استِسهالٍ لكَلمةِ الكُفرِ سيكونُ على أَلسنَتِهم، وأَيُّ شُعورٍ بهَوانِ الدِّينِ سيهيمِنُ على أَرواحِهم؟!

فِعْلُ الكَلمةِ السَّيئةِ كفِعلِ الصُّورةِ السَّيئةِ كفِعلِ الطَّلقةِ القَاتلةِ!!

عُقولُ أَبناءِ المُسلِمِين وأَرواحُهُم لَيستْ حُقولَ تَجارِبَ لِلجَزيرةِ وجَوارِيها مِن مَنصاتٍ إِعلاميةٍ طَفَحَ بِها الأَثِيرُ وسَيطَرَ عليها المُغتَصبُون فِكرياً، لِيَستخدِمُوا فيها مجموعاتٍ من (الإِكسِ إِسلامِيِّين) المَأزُومِينَ المَهزُومِينَ المَهوُسِين بالشُّهرةِ والنَّجاحِ الإِعلاميّ، وعَملِ أَفلامِ (تَكسِرُ الدُّنيَا) و(تَعَلِّي التِّرينْد) على حِسابِ سَلامةِ المُجتمعاتِ المُسلمةِ -أو ما تَبَقَّى منها- دِينياً وثَقافياً!!

هل تَعرِفُون كَيفَ أَتخيَّلُ قَناةَ الجَزيرةِ وجَوارِيها:

في كُلِّ مَسْلَخٍ بَشَريٍّ من مَسَالِخ ما يُسَمَّى أَمنَ الدَّولةِ في الأَكشاكِ العَربيةِ المُحتلةِ، هُناكَ ضَابطٌ رَقيقٌ نَاعمٌ يَلبسُ لكَ وَجهَ أَبي بَكرٍ على قَلبِ أَبي لَهبٍ، فيَتظاهَرُ بإِنقاذِك مِن بَراثنِ زَميلِه الضَّابطِ المُتوحِّشِ الذي سَهِرَ عليك لَيلةً كَاملةً في تَعذِيبٍ وَحشِيٍّ مُتواصلٍ، (فيُطَبْطِبُ) عليك بحُنُوٍّ زَائدٍ مُفتعَلٍ ويَأخُذُك إلى مكتبِه ليُقدِّمَ لك بَعضَ المَراهمِ والأَدويةِ والأَطعمةِ شَاتماً زَميلَه المُتوحِّشَ الذي لا يُقدِّرُ الإِنسانَ ولا الإِنسانيةَ.. هذا الضَّابطُ الرَّحيمُ هو نَفْسُه الذي يَتبادَلُ الأَدوارَ مَعَ زَميلِه المُتوحِّشِ فيَأخُذُ دَورَه في تَعذيبِ مُعتقَلٍ آخَرَ، ليَأخُذَ الضَّابطُ المُتوحِّشُ دَورَه الرَّحيمَ مَعَ ذلك المُعتقَلِ.. وكِلاهُما مُتوحِّشٌ: أَحدُهما يَتوحَّشُ عَليكَ جَسدياً بالتَّعذيبِ، والآخَرُ يَتوحَّشُ عليكَ نَفسياً بالاِحتِواءِ!!

هذا الضَّابطُ الذي يرتَدِي لك قِناعَ الرَّحمةِ هو تَحديداً مَنْ يَجبُ أن

تَحذَرَه.. إنَّه الأَبشعُ في تلك المَسالخِ.. وقَناةُ الجزيرةِ هي -بالضَّبطِ- هذا الضَّابطُ!!

هي خَنجرُ ابْنِ العَمِّ في ظَهرِك وابتِسامتُه في وَجهِك.. هي حِصانُ طِروادةَ، وطَعنةُ بروتوسَ، ودَلالةُ أَبي رِغالٍ!!

الخَنجرُ لا يكونُ- دَائماً- في يَدِ مَن يُهَدِّدُ بِه؛ بل رُبَّمَا يكونُ -أَحياناً- في يَدِ مَن يُنَدِّدُ بِه!!

إنَّ دَورَ قَناةِ الجَزيرةِ في (استِلطَاخ) العَقلِ العَربيِّ والإِسلاميِّ، ثُم استِدراجِهما إلى (إِسلامِ السُّوقِ)، أو الإِسلامِ الأَمريكانيِّ، أو إِسلامِ مُؤسسةِ (رَاندَ) يَحتاجُ إلى مُجلداتٍ ذَواتِ عَددٍ من الدِّراسةِ العَميقةِ والبَحثِ الدَّقيقِ.. وهذا الدَّورُ لا يَقِلُّ -إنْ لم يَزِدْ- عن الدَّورِ الإِماراتيِّ السُّعوديِّ الحَاليِّ؛ بل وعن الدَّورِ المِصريِّ على مَدَى نِصفِ قَرنٍ من التَّغريبِ وتَجفيفِ المَنابعِ.. لقد كَانتِ الجَزيرةُ قَفزةً نَوعيةً عَميقةَ الأَثرِ شَديدةَ الضَّررِ مُختلفةَ الأَدواتِ في استِلابِ وتَأطيرِ وتَسطيحِ الوَعيِ العَربيِّ والإِسلاميِّ!!

قَناةُ الجَزيرةِ أَشبهُ بعَمليةِ التَّطعيمِ التي تَقومُ على أَخذِ عَيِّنةٍ ضَعيفةٍ من المَرضِ ذَاتِه المُرادِ من الجَسدِ مُقاومتُه، ثُم حَقنِ الجَسدِ به ليُنتجَ خَلايَا مَناعيةً مُضادَّةً بالقَدْرِ الذي يَكفِي لمُحاربةِ أَيِّ عَدوَى مُستقبليةٍ بالمَرضِ ذَاتِه!!

إسلامٌ زَائفٌ سيُقاوِمُ عمَّا قَليلٍ الإِسلامَ الحَقيقيَّ.. وَعيٌ زَائفٌ سيَطغَى عمَّا قَليلٍ على الوَعيِ الحَقيقيِّ.. قَضايَا كُبرَى تُعالَجُ بطَريقةٍ سَطحيةٍ لتَحجيمِ أَثرِها في الوَعيِ الزَّائفِ.. قَضايَا جَانبيةٌ تَافهةٌ تُعالَجُ بطَريقةٍ احتِرافيةٍ عَميقةٍ لإِشغالِ الوَعيِ الزَّائفِ عن القَضايَا الكُبرَى وذَرِّ رَمادِ (الاِحتِرافيةِ) في العُيونِ المَسحورةِ!!

لَيسَ للثَّوراتِ المُضادَّةِ صُورةٌ وَاحدةٌ تَتمَثَّلُ في الاِنقِلاباتِ والقَمْعِ والسُّجونِ.. ما فَعَلَتْه قَطرُ بجَزيرتِها، ثُم ما فَعَلَتْه الجَزيرةُ بجَوارِيها، أَبشَعُ بكَثيرٍ من القَمعِ والإِرهابِ والسُّجونِ!!

الاِحتِواءُ أَبشَعُ أَدواتِ الثَّوراتِ المُضادةِ، وأَبشَعُ الاِحتِواءِ الاِحتِواءُ الإِعلاميُّ الذي يَسحَرُ أَعيُنَ النَّاسِ ويَسْترهِبُهم ويُزيِّفُ وَعيَهم!!

نَجحَتِ الجَزيرةُ نَجاحاً آنِيَّاً كَبيراً في إِعادةِ تَدويرِ وتَخليقِ (مُخلَّفاتِ الثَّوراتِ) فِكرياً وبَشرياً.. كان تَركيزُها الأَكبرُ على البَشرِ، لَيسَ لأَهمِّيتِهم عِندَها، بل لمَركَزيَّتِهم في عَمليةِ إِعادةِ تَدويرِ الأَفكارِ القَديمةِ لتَخليقِ أَفكارٍ جَديدةٍ لا تَمُتُّ إلى ما كَانوا عليه بِصلَةٍ.. تَرحيلٌ نَفسيٌّ هَادئٌ ومُتدرِّجٌ مِنْ مُربَّعٍ إلى مُربَّعٍ.. إِحلالٌ وتَجديدٌ بَطيءُ الحركَةِ أَكيدُ المَفعولِ!!

نَموذجُ (الإِعلامْجِيِّ الإِسلاميِّ) كان النَّموذجَ المُحبَّبَ لها، لَيسَ لتَمكُّنِه في فَنِّه، فهو لم يَكُنْ يَملكُ غَالباً مِن أُصولِ الإِعلامِ الحَداثِيِّ كَثيرَ شَيءٍ، بَيْدَ أَنَّها رَأتْ -لأَسبابٍ عَديدةٍ- أنه سيكونُ نَافعاً في عَمليةِ تَدويرِ المُخلَّفاتِ الفِكريةِ،

وتَثبيتِ صُورتِها الخَادعةِ القَائمةِ على أَوهامِ الحِيَادِ، والمَوضوعيةِ، وعَرضِ الحَقائقِ، والاحترافيةِ، ومُناصرةِ ثوراتِ الشُّعوبِ، والرَّأيِ والرَّأيِ الآخَرِ، في عُقولِ العَامَّةِ والغَوْغاءِ.. ولا بَأسَ أن نَذكُرَ هنا أنَّ العَامَّةَ والغَوْغاءَ هَؤلاءِ يُمكِنُ أن يكونُوا مِنْ حَمَلَةِ المَاجستيرِ والدُّكتوراهِ، ومن عُلماءِ الدِّين كِبارِ السِّنِّ محدودِي الفَهمِ!!

مِن الظُّلمِ للجَزيرةِ أنْ نَتَّهِمَها بكَاملِ عَمليةِ تَخليقِ (الإعلامجِيِّ الإِسلاميِّ).. لقد جاءَها هذا الإعلامجِيُّ مُثْخَناً بالجِراحاتِ النَّفسيةِ والاجتماعيةِ والفكريةِ، مُترَحِّلاً -شَيئاً فشَيئاً- من مُربَّعٍ إلى مُربَّعٍ، مُسقِطاً (صُورةَ الأَبِ)، مَريضاً بـ(التَّوحُّدِ بالمُعتَدِي)، سَطحيَّ الثَّقافةِ والتَّأصيلِ، مُنبهِراً بالآخَرِ، لا يَكادُ يُطلَبُ منه تَعديلُ أَفكارِه ومُصطلحاتِه، لِامتلاكِه حَاسَّةَ شَمٍّ ذِئبيَّةٍ تُؤهِّلُه لمَعرفةِ اتِّجاهِ الرِّيحِ دَاخلَ المَنظومةِ الجَديدةِ.. جاءَها جَاهزاً كما يُهَيَّأُ المَريضُ للعَمليةِ الجِراحيةِ.. مِقَصٌّ هنا ومِشرَطٌ هُناكَ ويَنتهِي كُلُّ شَيءٍ بنَجاحٍ، ليَدخُلَ الإعلامجِيُّ الجَديدُ والإِسلاميُّ السَّابقُ إلى عَالَمِ الإِعلامِ المَحكومِ بمَنطقِ السُّوقِ.

ولأنَّ النَّفْسَ الإِنسانيةَ لَيسَ من طَبيعتِها -عَادةً- أنْ تَنقلِبَ فَجأةً من النَّقيضِ إلى النَّقيضِ، سيَظَلُّ في نَفْسِ هذا الإعلامجِيِّ ورُوحِه شَيءٌ من (قِيمةٍ إِسلاميةٍ سَابقةٍ) تُطِلُّ برَأسِها حِيناً وتَختفِي حِيناً.. وهُنا يَأتِي دَورُ الإِعلامِ الأَمريكانِيِّ القَائمِ على مَنطقِ السُّوقِ في قَناةِ الجَزيرةِ.. إنَّه لا يَرفضُ هذه القِيمةَ ولا يَقمَعُها، بل هو لم يَختَرْ هذا النَّموذجَ (الإِكسَ إِسلاميَّ)

إلَّا لهذا.. هذه (القِيمةُ) لا بُدَّ أن تَحوَّلَ إلى (شَيءٍ) تمهيداً لتَحويلِها إلى (سِلعةٍ).. (تَشْيِيءُ القِيَمِ لتَسليعِها) هو العُنوانُ الأَكبرُ للحَداثةِ وما بَعدَ الحَداثةِ في تَعامُلِهما مَعَ القِيَمِ.. وكُلَّما كانَتِ القِيمةُ أَشدَّ عُمقاً وتجَذُّراً في النُّفوسِ، فستَكونُ -حِينَ تَحوَّلُ إلى سِلعةٍ- أَكثرَ رَواجاً وانتِشاراً في السُّوقِ!!

وكَعَصائرِ الفَواكهِ المُصنَّعةِ، سيَصنعُ هذا الإِعلاميُّ مُنتَجاته الإِعلاميةَ: (سُكَّراً لتَحليةِ الطَّعمِ، ومَاءً للسُّيولةِ، ومَوادَّ حَافظةً، ورَائحَةَ الفَراولةِ أو التُّوتِ أو التُّفاحِ) دُونَ فَراولةٍ أو تُوتٍ أو تُفَّاحٍ... رَائحَةَ القِيمةِ دُونَ قِيمةٍ!!

أَمَّا المَوادُّ الحَافظةُ في السُّوقِ فستَكونُ خَليطاً من التَّفاهةِ والسَّطحيةِ والانتِقائيةِ وادِّعاءِ العُمقِ، مَعَ الدِّعايةِ الوَاسعةِ القَائمَةِ على ما يُناسِبُ طَبيعةَ المُنتَجِ دِينياً وثَقافياً واجتماعياً، ولا بَأسَ باستِخدامِ الغَرائزِ أو الاستِهانةِ بالمُقدَّسِ لرَفعِ حَالةِ التَّرقُّبِ.. ثُم إِضافةِ ثَمنِ الدِّعايةِ إلى سِعرِ المُنتجِ!!

لا تَنسَ أَيضاً أنَّ هذا الإِعلاميَّ إِنسانٌ في النِّهايةِ محَكومٌ بالأَهواءِ والرَّغباتِ والسَّعيِ إلى تحَقيقِ الذَّاتِ وحُبِّ الإِنجازِ.. وهويَعمَلُ ضِمنَ مَنظومةٍ عَلمانيةٍ مُتكاملةِ المُنطلقاتِ والخَصائصِ، حَدِّيةِ الالتزاماتِ والشُّروطِ، تُؤثِّرُ عليه نَفسياً واجتماعياً وتَدفَعُه إلى الإِبداعِ في (التَّشْيِيءِ والتَّسليعِ)، ليكونَ الأَفضلَ والأَشهرَ والأَكثرَ رَواجاً.. لا مُؤامرةَ في الأَمرِ غالباً، قد تَكونُ المُؤامرةُ في الدُّخولِ إلى المَنظومةِ ابتداءً، أمَّا بَعدَ ذلك فإنَّ آليَّاتِ المَنظومةِ -مُسبقةِ الصُّنعِ- ستَتكفَّلُ بعَملِها تِلقائياً!!

والآنَ.. كَيفَ وَصلَ هذا الشَّابُّ الإِسلاميُّ إلى هذا المُستنقَعِ؟! وما الذي حَدثَ لنَفسيَّتِه في رِحلتِه الطَّويلةِ من تِيهٍ لِتِيهٍ؟!

إذا جَازَ لنا أن نَستأنسَ بنَظرياتِ التَّحليلِ النَّفسيِّ، فإنَّ أَغلبَ الظَّنِّ -وقد أَكُونُ مُخطِئاً- أنَّه تَعَرَّضَ لحالةٍ وأُصيبَ بتشوُّهٍ.. أمَّا الحَالَةُ فهي (سُقوطُ صُورةِ الأَبِ)، وأمَّا التَّشَوُّهُ فهو (التَّوحُّدُ بالمُعتَدِي):

حَالةُ سُقوطِ (صُورةِ الأَبِ) في التَّحليلِ النَّفسيِّ أَصلٌ مِحوريٌّ تَدورُ حَولَه آليَّاتُ هذا التَّحليلِ، والمُثلَّثُ الشَّهيرُ (ابْنٌ، أُمٌّ، أَبٌ) هو الأَساسُ -بحَسَبِ التَّحليلِ النَّفسيِّ- في بناءِ نَفسيةِ الإِنسانِ، وفيه ومنه وعنه وبه تتأسَّسُ وتَنطلقُ طَرائقُ تَعامُلِ الإِنسانِ مَعَ الحيَاةِ والأَشياءِ بعدَ ذلك!!

أَوَّلُ شَيءٍ يَنبغِي أن يُنظَرَ إلى الإِنسانِ من خِلالِه -في التَّحليلِ النَّفسيِّ- هو أنه جاءَ إلى الحيَاةِ مُحتاجاً وإِشباعُ كُلِّ احتِياجاتِه في يَدِ غَيرِه.. (يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللهِ وَاللهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ).. (وَاللهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا).. يُهيِّئُ اللهُ جَلَّ وعَلَا الأُمَّ لإِشباعِ احتِياجاتِ الطِّفلِ لتَكونَ كالأَرضِ للإِنسانِ؛ منها وفيها مَصدرُ عَيشِه الذي يُسقِطُ به فَقرَه، ومَدرسةُ تَعَلُّمِه التي يَمحُو بها جَهْلَه!!

ولأنَّه مُحتاجٌ إلى إِشباعِ حَاجاتِه الأَوَّلِيَّةِ، ففِطريٌّ جداً أن يُشبِعَها من خلالِ المَصدرِ الذي جَاءَ منه، وطَريقةُ إِشباعِ احتياجاتِه الأَوَّلِيَّةِ من خِلالِ أُمِّه هي التي ستُشكِّلُ بعدَ ذلك أَنماطَ شَخصيتِه.

يَضعُ (جُون بُولبي) من خِلالِ (نَظريةِ التَّعلُّقِ) ثَلاثةَ أَنواعٍ للتَّعلُّقِ: (آمِنٌ، ومُتجنّبٌ، وقَلِقٌ)، الآمِنُ: يَقومُ -غَالباً- على وُجودِ الأُمّ عِندَ الحَاجةِ لإِتمامِ حَالةِ الإِشباعِ، فإذا تَمَّ إِشباعُه اسْتقَرَّ في وَعيِه أنَّ مَصدرَ أَمانِه مَوجودٌ حِينَ الحَاجةِ.. والمُتَجَنّبُ: يَقومُ -غَالباً- على نُدرةِ تَلبيَتِها لاحتِياجِه، فهو يَحتاجُ فيَجِدُ، ثُم يَحتاجُ فلا يَجِدُ، ثُم يَحتاجُ فلا يَجِدُ، ومَعَ تَكرارِ عَدمِ الإِشباعِ لِعَدمِ الوُجودِ يَنشأُ الإِحباطُ الذي يَدفَعُه إلى التَّجنُّبِ والكَفّ عن الاِحتِياجِ لشُعورِه بانعِدامِ الجَدَوى.. أمَّا القَلِقُ: فيَقومُ غَالباً على الوُجودِ المُتقطِّعِ، وهذا النَّوعُ يُنتجُ تَعلُّقاً شَديداً من الطِّفلِ بأُمّه حَالَ وُجودِها خَوفاً من خَسارَتِها مَرَّةً أُخرَى!!

هذا مُلخصٌ شَديدُ الاختِصارِ -ورُبَّما شَديدُ الإِجحافِ- لأَنواعِ العِلاقاتِ الأَوَّليَّةِ بالأُمّ حَسَبَ ما يَرَى (جُون بولبي).

حِينَ يَظهَرُ الأَبُ في سَنةِ الطِّفلِ الثَّالثةِ أو الرَّابعةِ -باعتِبارِه مُمثّلاً للقَانونِ والثَّقافةِ والقِيَمِ-، يكونُ دُخولُهُ عَاملاً سَلبياً حِرمانياً في نَظرِ الطِّفلِ، لأنَّه حَرَمَه لَذّتَه أو أَجَّلَها..

يَرَى (فُرويد) أنَّ عِلاقةَ الطِّفلِ بأُمّه وعِلاقةَ الأُمّ بطِفلِها هي عِلاقةُ لَذَّةٍ في الأَساسِ، أو عِلاقةُ إِشباعِ احتِياجاتٍ مُتبادَلةٍ.. وبَعيداً عمَّا دَارَ حَولَ هذه النَّظريةِ من تَفاهاتِ ما سُمّيَ بـ(العُقدةِ الأُوديبيةِ الجِنسيةِ) فإنَّنا نَستطيعُ أن نَتلمَّسَ في بَعضِ جَوانِبِها تَفسيراتٍ مُهمةً لبَعضِ تَصرُّفاتِ الإِنسانِ.

هذا الأَبُ الذي تَرتبطُ صُورتُه عِندَ الطِّفلِ -بحَسَبِ فُرويدَ- بالحِرمانِ من عَالَمِ اللَّذَّةِ للدُّخولِ إلى عَالَمِ الوَاقعِ؛ هو الذي (يَظُنُّ فُرويدُ) أنَّ الطِّفلَ عَرَفَ قِيمتَه من خِلالِ اهتِمامِ الأُمِّ وإِعجابِها به، ثُم هو أَيضاً الذي تَظُنُّ (آنَا فُرويد) -بَعدَ ذلكَ- أنَّه يُمثِّلُ عِندَ الطِّفلِ صُورةَ المُعتَدِي الذي لا يَستطيعُ مُواجهةَ اعتِدائِه فيَتلبَّسُه مُتوحِّداً به مُقلِّداً له في كَلامِه وزِيِّه ومِشيتِه وسَائرِ تَصرُّفاتِه؛ ليَكونَ هذا التَّوحُّدُ أَوَّلَ تَوحُّدٍ بالمُعتَدِي!!

أَعرِفُ أنَّ هذه النَّظريةَ المُتخيَّلةَ -والتي رَفَضَ ثُلَّةٌ من عُلماءِ الغَربِ أنفُسِهم الكَثيرَ من تَفاصيلِها- لا تَكادُ تَمُتُّ إلى حَضارتِنا الإِسلاميةِ بصِلةٍ، بَيدَ أَنَّا نَستأنِسُ ببَعضِ أَجزائِها العَامَّةِ في تَحليلِ ظَاهرةِ الشَّابِّ الإِسلاميِّ المُعادِ تَدويرُه وتَرحيلِه إلى تلك الحَضارةِ التي أَنتجَتْ هذه النَّظريةَ!!

علينا الآنَ أن نُفرِّقَ بَينَ الأَبِ الفِعليِّ، وبَينَ ما يُسمِّيه (جَاك لَاكَان): الأَبَ الرَّمزيَّ الذي يُمثِّلُ المَكانةَ الأَبويةَ المُستقِرةَ، والتي يُمكِنُ أن نُعبِّرَ عنها بأَلفاظٍ مُختلفةٍ، مِثلُ: الشَّيخِ والمُريدِ، القَائدِ والأَتباعِ، المُديرِ والمُوظَّفِينَ، الحَاكِمِ والشَّعبِ، الرَّاعِي والرَّعِيَّةِ.. بل إنَّنا نَستطيعُ أيضاً -وبتَبجيلٍ شَديدٍ- أن نَعتبِرَ سَيِّدَ البَشرِ رَسولَ اللهِ -صَلَّى اللهُ عليه وسَلَّمَ- أَباً مَعنوياً لهذه الأُمَّةِ كُلِّها: (النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ)؛ فكَأَنَّ الأُمَّةَ كُلَّها أُسرةٌ وَاحدةٌ لها أَبٌ وأَجدادٌ، ابْتِداءً مِن آدَمَ (الجَدِّ الأَعلَى)، ومُروراً بإِبراهيمَ (الجَدِّ الأَوْسطِ)، وانتِهاءً -دُونَ نِهايةٍ- بسَيِّدِ الأَوَّلِينَ والآخِرِينَ مُحمَّدٍ (الأَبِ المُباشِرِ الخَاتَمِ) -عليه وعلى أَنبياءِ اللهِ ورُسُلِه الصَّلاةُ والسَّلامُ-.

فِي العِقدَينِ المَاضِيينِ كَثُرتْ صُورُ المَكانةِ الأَبويَّةِ التي يُمكِنُنا أن نَختارَ منها ثَلاثَ صُورٍ هي الأَكثرُ رَواجاً وشُيوعاً: صُورةُ الأَبِ السُّلْطَوِيّ الشِّرِّيرِ مُمَثَّلاً في الحَاكِمِ الطَّاغيةِ، وصُورةُ الأَبِ التَّنظيميّ البَديلِ مُمَثَّلاً في هَرَمِ الجَماعاتِ المُختلفةِ؛ إسلاميةً وغَيرَ إسلاميةٍ، وصُورةُ الأَبِ المِثاليّ الشَّعبيّ الحُرِّ مُمَثَّلاً في الدُّعاةِ الجُدُدِ أو المُفكِّرين أو الكُتَّابِ أو ما يَكبُرُ في نُفوسِ الأَبناءِ عِلمياً ودِينياً وثَقافياً دُونَ سُلطةٍ أو تَنظيمٍ.

حِينَ انْفجَرَتْ ثَوراتُ العَربِ في الأَكشاكِ العَربيةِ دَخَلَ الشَّبابُ -أو أُدخِلُوا- في حَالةٍ من نَشوةِ المُراهقةِ الجَامحةِ؛ فـ(العِيَال كِبْرت)، والآمَالُ تَفتَّحتْ، والقُيودُ تَحطَّمَتْ، والمُستقبلُ الوَاعدُ يَفتحُ ذِراعَيْه لِاستِقبالِ مُشْعِلِي الثَّورةِ وآبَاءِ عُذْرَتِها!!

السُّيولةُ في كُلِّ شَيءٍ كَانتْ عُنوانَ المَرحلةِ.. تَراوَحَتْ عِلاقةُ الشَّبابِ بصُورةِ الأَبِ بَينَ الاحترامِ السَّابقِ مَصحُوباً بشَيءٍ من المُعارضةِ الهَادئةِ، وبَينَ المُعارضةِ الصَّاخبةِ مَصحوبةً بشَيءٍ من الرَّفضِ، إلى أن اسْتَقرَّتِ العِلاقةُ على الرَّفضِ الكَاملِ والانعِتاقِ من الصُّورةِ الأَبويةِ التي رَأى الأَبناءُ أنَّها لم تكُنْ على مُستوَى الحَدَثِ..

وحِينَ وَقعَتْ طَامَّةُ الانقِلاباتِ والثَّوراتِ المُضادَّةِ زُلْزِلَتِ النُّفوسُ بعَودةِ الأَبِ السُّلطويّ الطَّاغيةِ ليُثبّتَ أَقدامَه بعُنفٍ أَقسَى وبَطشٍ أَشدَّ!!

اكتَشَفَ الشَّبابُ أنَّ الصُّورَ الأَبَوِيَّةَ الأُخرَى -رَغمَ رَفضِ الشَّبابِ لها والاِنعِتاقِ منها- لم تَكُنْ صُوراً مُبصِرةً، رَحيمةً، مُستوعِبةً للوَاقعِ، قَادرةً على الفَهمِ، مُعلِيةً لمَصلحةِ الأُمَّةِ والوَطنِ؛ بل كَانَتْ صُوراً زَائفةً، مُنافقةً، ضَئِيلةَ القَدْرِ والقُدرةِ، محَدودةَ الفَهمِ، أو مَعدومتَه، لا تَملكُ مَشروعاً وَاقعياً ولا مَنهجاً حَقيقياً، وإِنَّما هو الوَهْمُ والتَّوهُّمُ!!

حَدثَتِ الكَارثةُ، وشَعَرَ الاِبنُ باليُتْمِ حِينَ لم يَجِدْ أَباً يَستحقُّ صُورةَ الأَبِ، في الوَقتِ الذي لم يَستطِعْ هو -لعَدمِ اكتِمالِ نُضجِه- أن يكونَ أَباً!!

هذه الحَالةُ التي قد يَستهينُ بكَارثِيَّتِها بَعضُ المُتعجِّلين؛ يُمكِنُ بِبَساطة -بحَسَبِ (جَاكْ لَاكَان) أن تُصيبَ الإِنسانَ بالفِصامِ الذُّهانِيِّ الذي يُوقِـعُ صَاحبَه في الهَلاوسِ السَّمعيةِ والبَصريةِ، والتَّشوُّشِ الفِكريِّ، والإِنهاكِ الدَّائمِ، والشُّعورِ بالاِضطهادِ، والتَّعايُشِ مَعَ الأَوهامِ والمُعتَقَداتِ الخَاطئةِ أو غَيرِ المَوجودةِ وَاقِعياً!!

أَسقَطَ البَعضُ الصُّورةَ الأَبوِيَّةَ على مُستوَى السِّياسةِ، كما أَسقَطَها البَعضُ على مُستوَى الدِّينِ، كما أَسقَطَها البَعضُ على المُستوَيَينِ.. وحَاولَ البَعضُ الاِجتِهادَ لنَفْسه حَسَبَ حَالته وظَرفِه، حتى كَثُرَتِ المُحاولاتُ التِّلقائيةُ لحَلِّ إِشكاليةِ سُقوطِ الدَّورِ الأَبويِّ في نُفوسِ الشَّبابِ واتَّسَعَتْ مِساحَتُها، وتَداخلَتْ آليَّاتُها دُونَ أن تَبزُغَ فيها ومنها (صُورةُ الأَبِ المَنشودةِ)، ودَخلَتِ الأُمَّةُ مَرَّةً أُخرَى في حَالةِ سُيولةٍ فَراغيةٍ إلى الحَدِّ الذي وَصَلَ الشَّبابُ فيه

-مَدفُوعِينَ بالمَرارةِ من السُّقوطِ السَّابقِ لصُورةِ الأَبِ- إلى إسقاطِ أيَّةِ صُورٍ جَديدةٍ قد تُذَكِّرُهم بالمَرارةِ السَّابقةِ.. حتى لو كَانَتِ الصُّورةُ الجَديدةُ تمتلكُ أُسُساً أَوَّليَّةً لما يَنبغِي أن تكونَ عليه الصُّورةُ الحَقيقيةُ!!

وحِينَ لم يَبقَ على السَّاحةِ سِوى الأَبِ السُّلطويِّ الطَّاغيةِ المَسنودِ بآبَاءِ النِّظامِ العَالميِّ القَادرِينَ على التَّعامُلِ مَعَ الكَارثةِ، لَيسَ لأَنَّهم الأَقْدَرُ على حَلِّها، بل لأَنَّهم الأَدْرَى بكَيفيةِ استِخدامِهم لنا.. حِينَ حَدَثَ هذا، حَدَثَتْ عَمليةُ التَّرحيلِ أو الإحلالِ والتَّجديدِ أو إِعادةِ التَّدويرِ للنَّموذجِ الإِعلاميِّ سَالفِ الذِّكْرِ، والذي عَادَ -شَاعِراً أو غَيرَ شَاعرٍ- إلى أَحضانِ الأَبِ السُّلطويِّ، مُصاباً بتَشوُّهِ (التَّوحُّدِ بالمُعتَدِي)!!

و(التَّوحُّدُ بالمُعتَدِي) آليَّةٌ نَفسيةٌ (لا شُعوريةٌ) نَستطيعُ أن نُقَرِّبَهَا -ابتِداءً- مِنْ نَظريتَيْ (وَلعِ المَغلوبِ بتَقليدِ الغَالبِ)، و(مُتلازمةِ ستُكهُولْم).

المَعروفُ أنَّ التَّوحُّدَ عَادةً يكونُ بالمَحبوبِ الذي تَهفُو إليه الأَرواحُ وتَطمئنُّ به القُلوبُ وتَرتاحُ إليه النُّفوسُ، كتَوحُّدِ المُتَمثِّلِ بالمِثالِ أَياً كان، كالمُريدِ بشَيخِه، والعَاشقِ بمَعشوقِه.. إلَّا أنَّ (آنَا فُرويد) اكتَشفَتْ -وهي تَتحدَّثُ عمَّا يُسمَّى (مِيكانِزمات الدِّفاعِ اللَّاشُعوريَّةِ)- نوعاً آخَرَ من أَنواعِ التَّوحُّدِ، هو التَّوحُّدُ بالمُعتَدِي الذي تَعَوَّدَ المُصابُ به على اعتِدائه فاستَعذَبَه حتى لم يَعُدْ يَشعرُ بالرَّغبةِ في الخَلاصِ منه، بل صَارَ وُجودُه تَحتَ كَنفِه بَاعثاً على الشُّعورِ بالأَمانِ والحِمايةِ والاكتِفاءِ، تَماماً كتَوحُّدِ الخَادمِ بالمَخدومِ،

أو (خُولِي العِزبةِ) بالبَاشَا صَاحِبِ العِزبةِ.. ورَغمَ كَراهيةِ المُعتدَى عليه للمُعتدِي، إلَّا أنَّ التَّحررُّ منه سيُوقِعُه في مَأزقٍ شَرطِ الحُريةِ الأَكبرِ، وهو المَسؤوليةُ عن الذَّاتِ والتَّصرُّفاتِ في الوَقتِ الذي لم يَتدرَّبْ فيه على هذه المَسؤوليةِ أو يَعرِفْها.. هو شَيءٌ أَشبهُ بالخُروجِ إلى العَراءِ دُونَ مِظَلَّةٍ، أو الدُّخولِ إلى مَأسَدَةٍ بغَيرِ سِلاحٍ.. فإذا حَدَثَ وسَقَطَ المُعتَدِي ودُفِعَ المُعتَدَى عليه إلى الحُريةِ دَفعاً فلن يَجِدَ أَمامَه آليَّاتٍ للتَّعامُلِ مَعَ الآخَرينَ إلَّا آليَّاتِ المُعتَدِي ذَاتَها، فكَأنَّه بذلك يُبقِي المُعتَدِي دَاخِلَ نَفْسِه ويَتوحَّدُ به ليَستَجلِبَ -مِنْ بَقائِه فيه ومَعَه- السَّندَ والحِمايةَ والأَمانَ الذي كان يَنعَمُ بهم في ظِلِّه رَغمَ اعتدائِه، ويَتلبَّسُ بشُعورِ السِّيادةِ والسُّلطةِ والقُوةِ التي ظَنَّ أنَّه تَمَلَّكَها حِينَ توحَّدَ -لا شُعورياً- بالمُعتَدِي السَّابقِ الذي تَجسَّدتْ فيه السُّلطةُ والقُوةُ والسِّيادةُ.. تَماماً كالطِّفلِ الذي أَخرجَه أَبُوه من عَالَمِ اللَّذَّةِ إلى عَالَمِ الوَاقعِ، ثُم أَبصَرَه مُهيمِناً بَالِـغَ القُوَّةِ لا قُدرةَ له على دَفعِه والحُلُولِ مَحَلَّه.. فَتَلَبَّسَه!!

الشُّعورُ بالنَّقصِ عِندَ هذا المُتوحِّدِ -وإنْ لم يَظهَرْ بوُضوحٍ- سيَكونُ هو القَاسِمَ المُشتركُ الأَكبرُ في غَالبِ تَعامُلاتِه مَعَ الآخَرين مِن جِهةٍ، وفي استِجلابِ كُلِّ آليَّات الاعتِداءِ التي مُورِسَتْ عليه مِن قِبَلِ المُعتَدِي ليُمارِسَها على غَيرِه مِن جِهةٍ أُخرَى.

حِينَ ظَنَّ المُتوحِّدُون بالمُعتَدِي من (الإِكسِ إِسلامِيِّين) أنَّهم انعَتَقُوا -بالثَّورةِ- مِن سَيطرةِ الإِعلامِ اليَساريِّ العَلمانيِّ الذي كان يَدُكُّهم صَباحَ

مَساءٍ، لم يَجِدُوا غيرَ آلِيَّاتِ هذا الإعلامِ ليَتعامَلُوا به مَعَ الإِسلامِ ذَاتِه الذي اعتَبَرُوه (آخَرَ) يَجِبُ أن يُقاوَمَ، أو (صَورةَ أَبٍ) يَجِبُ أن تَسقُطَ!!

هُم لم يَرَوْا من ذلك الإعلامِ -في تَناوُلِه للإِسلامِ والمُسلِمِين- إِلَّا الجَهَلَ والوَضاعةَ والانتِقائِيَّةَ والسَّطحِيَّةَ والحَقارةَ والهَبلَ؛ مُغَلَّفاً بطَبقةٍ من التَّنَفُّخِ الثَّقافِيِّ المُصطَنَعِ، وادِّعاءِ العُمقِ والحِيادِ، وحُبِّ الظُّهورِ بمَظهرِ السَّاعِي للحُريةِ المُحارِبِ للتَّخلُّفِ النَّاجِي من أَمراضِ المُجتمعِ وأَفكارِه البَاليةِ؛ فطَبَّقُوا كُلَّ ذلك على غَيرِهم حَذْوَ النَّعلِ بالنَّعلِ والوَساخةِ بالوَساخةِ!!

الذي أَوجَعَه مُسلسلُ (العَائلةِ) أو فِلمُ (الإِرهابِيِّ) وأَمثالُهما لم يَجِدْ -حِينَ انْعَتَقَ من المُعتَدِي- آلِيَّاتٍ للتَّعامُلِ مَعَ ما تَوَهَّمَه (صُورةَ أَبٍ) سِوَى آلِيَّاتِ المُعتَدِي التي مُورِسَتْ عليه في مُسلسلِ العَائلةِ وفِلمِ الإِرهابِيِّ:

تَضخيمُ الأَخطاءِ.. التَّركيزُ على الأَمثلةِ السَّلبيةِ وانعِدامُ الأَمثلةِ الإِيجابيةِ.. استِجلابُ الهَامشِ وجَعلُه مَركزاً.. التَّعاطُفُ مَعَ الانحِرافِ والمُنحرِفِين.. وَضعُ الانحِرافِ والمُنحرِفِين في صُورةٍ جَميلةٍ بَرَّاقةٍ مُحبَّبةٍ تَدفَعُ إلى التَّقليدِ، أو صُورةٍ مِسكينةٍ مَظلومةٍ تَستجلبُ العَطفَ والتَّعاطُفَ.. جَعلُ الجِهادِ -الذي هو فَريضةٌ إِسلاميةٌ وفِطرةٌ إِنسانيةٌ- إِرهاباً أو عُنفاً أو عَملاً مُسلَّحاً لا يُلجَأُ إليه إِلَّا رَدَّاً لفعلٍ؛ ثُم إِظهارِ أَصحابِ رَدِّ الفِعلِ هَؤلاءِ في صُورةٍ بَائسةٍ مُتردِّدةٍ تَتمَنَّى الرُّجوعَ إلى الحَياةِ الطَّبيعيةِ المَحصورةِ في مُمارسةِ الحُبِّ وسَماعِ الأَغانِيِّ.. بالإِضافةِ إلى بَقيةِ الاتِّهاماتِ اليَساريةِ العَلمانيةِ العَبيطةِ عن

نُشوءِ المُتطرِّفين في الأَحياءِ الشَّعبيةِ الفَقيرةِ وخَلفيَّاتِهم الاجتماعيةِ المُتدَنِّيةِ، وشُعورِهم بالكَبْتِ الجِنسيِّ الدَّائِمِ، أو السُّعارِ الجِنسيِّ الدَّائِمِ، وحَصْرِهم دَوْرَ المَرأةِ في خَانةِ تَفريغِ هذا الكَبْتِ فَقطْ.. كُلُّ هذه كَانتْ آلِيَّاتِ مُعتَدٍ اسْتَخدَمَها مُتوحِّدٌ!!

تَستطيعُ الآنَ -وبسُهولةٍ شَديدةٍ- أن تَلمسَ في إِعلامِ المُعارضةِ -إِسلاميٍّ وغَيرِ إِسلاميٍّ- حَالاتٍ وآلِيَّاتٍ ومُنطلَقاتٍ شَديدةَ الشَّبَهِ بـ (أَحمَد مُوسى، وعَمرِو أَديب، وعَزمِي مُجاهِد، ولَميس الحَدِيدي ومَحمُود سَعد.. بل؛ ويُسرِي فُودَة، ومُنى الشَّاذلِي، ورِيم مَاجِد) في مُستوًى أَعلَى.. أمَّا تَوفيق عكاشَة؛ فأنا -عن نَفْسِي- أَعرِفُ شَخصَين -على الأَقلِّ- لا أَراهما إلَّا ويَتمَثَّلُ أَمامِي مَشهَدُ (تَزغِيط البَطِّ)!!

صُنَّاعُ فِلمِ (في سَبْعِ سِنِين) المُتوحِّدُون بالمُعتَدِي استَجلَبُوا آلِيةً عَلمانيةً يَساريةً مُوغِلةً في القِدَمِ والتَّفاهةِ والسَّطحيةِ حِينَ عَرضُوا مَشاهدَ تَمثيليةً للفَتاةِ التي أَلحَدَتْ وخَلعَتْ الحِجابَ بسَببِ شُعورِها بالتَّناقُضِ بَينَ حَديثِها عن الحُريةِ وارتِداءِ الحِجابِ؛ ليَنغرِسَ في نَفسيةِ المُشاهِدِ أنَّ الحِجابَ مَظهرٌ من مَظاهرِ العُبوديةِ لا بُدَّ من خَلعِه لتَتحَرَّرَ الفَتاةُ على (كُورنيشِ النِّيلِ) بشَعرِها الحَريرِ (عَ الخدُودِ يِهَفْهَفْ ويِرجَعْ يِطِيرْ).. لقد (هُرِسَ) هذا العَبطُ مِئاتِ المَرَّاتِ في الكِتاباتِ والأَفلامِ والمُسلسلاتِ اليَساريةِ العَلمانيةِ، بَيْدَ أنِّي لم أَعرِفْ حتى الآنَ سَببَ إلحادِها، هل هو الشُّعورُ بالتَّناقضِ بَينَ الحُريةِ والحِجابِ، أم هو الرَّغبةُ في السَّيرِ على كُورنيشِ النِّيلِ والهَواءُ يُداعِبُ شَعرَها!!

الفَتاةُ الأُخرَى التي صُوِّرَتْ كُلُّ مَشاهدِها -بصُحبةِ المُحَاوِرِ المُتوحِّدِ بالمُعتدِي- في غُرفةِ النَّومِ وهي تحتضِنُ (الوِسادةَ الخَالِيةَ)، خَلَعَتْ نِقابَها ثُمَّ أَلحدَتْ، لأنَّ زَوجَها كان يَضرِبُها.. هذا سَببٌ آخَرُ مُهِمٌّ جِداً للإلحادِ اجتَهَدَ في اختراعِه المُتوحِّدُون فأَتَوْا بما لم يَخطُرْ في بَالِ المُعتَدِي ذَاتِه، بل بما لم يَخطُرْ في بَالِ الدَّهرِيِّين الأَوائلِ!!

التَّصويرُ في غُرَفِ النَّوم أَساساً، وإِخراجُ هذه الفَتاةِ بهذه الطَّريقةِ، وإِظهارُها زَائغةَ العَينَين مُضطرِبةَ النَّفْسِ والرُّوحِ والجَسدِ لا تَعرفُ ما تَقولُ ولا ما تَفعلُ، حَالةٌ تَستجلِبُ التَّعاطفَ والشَّفقةَ في الوَقتِ الذي يَستحقُّ فيه مَرضَى التَّوحُّدِ صُنَّاعُ الفِلمِ المُحاكمةَ والعِقابَ على استِغلالِ هذه الفَتاةِ المَريضةِ لإِظهارِها والتَّشهيرِ بها بهذه الطَّريقةِ!!

أَضِفْ إلى هذا قَائمةً أُخرَى من آليَّاتِ العَبطِ اليَساريةِ مُتمثِّلةً في المُوسيقَى التَّصويريةِ الحَزينةِ حِيناً والرَّقيقةِ أَحياناً بحَسَبِ المَوقفِ، ثُم الحَميميةِ الدَّافئةِ التي تَصِلُ إلى حَدِّ (النَّحنحةِ والمُحنِ) بينَ المُحاوِرِ -المُتوحِّدِ بالمُعتَدِي- ونَماذِجِه المُلحدةِ رِجالاً ونِساءً، ثُم تَتَبُّعِ الكَاميرَا للفَتاةِ المُلحدةِ حِينَ خَلَعَتْ حِجابَها في غُرفَتِها المُظلمةِ الكَئيبةِ لتَنطلقَ إلى شَمسِ الحُريةِ ونُورِ الشَّارعِ، بشَعرِها الذي يَتطايَرُ في الهَواءِ، مَصحوبةً بالمُوسيقَى التي تُوحِي بتَحقُّقِ الحُلمِ والانعِتاقِ من القَيدِ.. (إذا كان هذا حِياداً وعُمقاً فأَخبِرُوني ما هو الانحِيازُ والسَّطحيةُ)!!

يَتغيرُ كُلُّ هذا فَجْأةً حِينَ يَصلُ المُحاورُ المُتوحّدُ إلى الجُزءِ الخَاصّ بسَادةِ الدُّنيَا وتِيجانِ الرُّؤوسِ (المُجاهِدين)، ليُجسّدَهم -في هَيئةِ المُتردّدِ النَّادمِ الذي يَتمنَّى العَودةَ لِما يُسمّيه الحَياةَ الطَّبيعيةَ، أو في هَيئةِ (رَدّ الفِعلِ فَقَطْ) دُونَ امتِلاكِ مَشروعٍ أو إيمانٍ بفَريضةٍ، ثُم تَنقلبُ الرِقّةُ قَسوةً، والقُربُ بعداً، والهَمسُ صَخباً، والنَّحنحةَ جِدالاً ورَفضاً، حتى يَصِلَ المُحاوِرُ مَريضُ التَّوحُّدِ إلى ذِروةِ العَبطِ اليَساريِّ في التَّعامُلِ مَعَ هَؤلاءِ العُظماءِ حِينَ يَسألُهم -مُلمّحاً إلى الكَبْتِ العَاطفيّ والحِرمانِ من مُتَعِ الحَياةِ- عن أَغانِيّهم التي كَانُوا يُحبُّونها قَديماً، أو قِصصِ الحُبِّ التي عَاشُوها سَابقاً أو يَعيشُونها الآنَ.. (هَبَلٌ لا أَستطيعُ فَهْمَ نَفسيةِ صَاحبِه رَغمَ مُحاولاتِي المُتكرِّرةِ لفَهمِها)!!

هذا المُتوحّدُ المَريضُ لا يَستطيعُ أن يُبرِّرَ مَثَلاً حَالةَ المُجاهِدِ الأَمريكيِّ أو الأُوربِّيّ المُسلمِ، أو غَيرِ العَربِيّ عُموماً ممَّن لم يَتعرَّضْ للظُّلمِ ولا القَهرِ ولا المَجازِرِ في بِلادِه، وتَرَكَ حَياةَ الرَّغدِ والرَّفاهيةِ والمُتَعِ الحِسّيةِ والمَعنويةِ ليَلتَحقَ بإِخوانه المُجاهِدِين.. لا يَستطيعُ أن يُبرِّرَ ذلك؛ لأنَّه لم يَتعلَّمْه في (الكِيلاسِ) الذي أَنشأَه له البَاشا اليَساريُّ صَاحبُ العِزبةِ ليُمارِسَ عليه فيه اعتِداءَه!!

على هذا المِنوالِ تَدفَعُ الجَزيرةُ القَطريةُ جَوارِيها للعَملِ، أو تَجتهدُ الجَوارِي من ذَواتِ أُنفُسِهنَّ لمَعرفتِهِنَّ بالخَطِّ العَامّ لسَيّدِهِنَّ..

في إطارِ المُناكفةِ المُشتعلةِ بَينَ الضَّرَّتينِ الأَمريكيَّتَينِ (قَطرَ والسُّعوديةِ) قَامَتْ إِحدى جَواري الجَزيرةِ مِن شَهرٍ تَقريباً بإِذاعةِ تَقريرٍ إِعلاميٍّ استَخدَمَتْ

فيه أَعبَطَ تُهمة يَسارِيةٍ علمانيةٍ يُتَّهَمُ بها المُجاهِدُون منذُ زَمنٍ بعيدٍ، وهي كَوْنُهم (صِناعةً غَربيةً أَمريكيةً)، تلك التُّهمةُ التي أَنْتَنَتْ رائحتُها من شِدَّةِ قِدَمِها.. وعلى طَريقةِ (رَمَتْنِي بدائِها وانْسَلَّتْ) -ولا أُريدُ ذِكْرَ المَثَلِ العَامِّيّ المُعبِّرِ عن هذا المَثَلِ الفَصيحِ-، أَرادَتْ قَطرُ اتِّهامَ السُّعوديةِ بتصنيعِ الإرهابِ المُمَثَّلِ في الشَّيخِ الجَلِيلِ المُجاهِدِ: أُسامةَ بنِ لَادِن -رَحِمَه اللهُ-، ثُم استِخدامِ الشَّيخِ وأَمثالِه من قِبلِ أَمريكَا لمُحارَبةِ الاتِّحادِ السُّوفيتِيِّ السَّابقِ؛ ليَظهَرَ الشَّيخُ -رَحِمَه اللهُ- وكَأنَّه لم يُجاهِدِ الرُّوسَ إلَّا انطلاقاً مِن كَوْنه صَنيعةَ المُخابراتِ السُّعوديةِ وسِلاحاً من أَسلحةِ أَمريكَا.. مَعَ (تَحبِيشاتٍ) أُخرَى استَقَاها صُنَّاعُ التَّقريرِ المُتوحِّدُون بالمُعتَدِي مِن دِراسةٍ قَديمةٍ للهَالكِ (هَيكَلٍ) استَقَاها بدَوْرِه ممَّا يُمكِنُ أن نُسَمِّيَه نَظريةَ (ضَربِ العَدُوِّ بالعَدُوِّ) التي عَمِلَ عليها مُستشارُ الأَمنِ القَوميِّ الأَمريكيِّ الأَسبقُ (برِيجِنسكِي).

الغَريبُ أنَّه في الوَقتِ الذي كَانَتْ رَسائلُ الشَّيخِ الجَلِيلِ أُسامةَ بنِ لَادِن لا تُذاعُ ولا تُبثُّ إلَّا على قَناةِ الجَزِيرةِ ذَاتِها، كان الجَميعُ يَعلَمُ أنَّ دَوْرَ قَطرَ في المُسلسلِ الأَمريكِيِّ المُستمرِّ مُنذُ ما يُقارِبُ العَقدَينِ من الزَّمنِ هو دَورُ احتِواءِ الإِسلامِيِّين عُموماً والجِهادِيِّين خُصوصاً مِن القَاعدةِ، لطَالبانَ، لبَعضِ فَصائلِ العَارِ التي صَنَّعَتْها قَطرُ بأَمْرِ أَمريكَا في الشَّامِ المَنكوبِ بالصَّنائعِ؛ (تَماماً كدَوْرِ الرَّحمةِ الذي يُمثِّلُه ذلك الضَّابطُ المُتوحِّشُ نَفسياً في تلك المَسالخِ البَشريةِ).. ورُبَّما يَأتِي اليَومُ الذي يَنكشِفُ فيه الدَّورُ الحَقيقيُّ لقَطرَ في إِفسادِ الثَّورةِ والجِهادِ الشَّاميِّ على السَّواءِ.. وهو دَورٌ لا يُسلَّطُ عليه الضَّوءُ

في الجزيرةِ بالطَّبع، وإن كَانَتْ بَعضُ خُيوطِه ظَهرَتْ في تَصريحاتِ وَزيرِ الخَارجيةِ القَطريِّ الأَسبقِ في القَنواتِ الأَمريكيةِ، حِينَ كانَ يَدفَعُ عن بِلادِه تُهمةَ التَّحيُّزِ للإرهابِيِّين؛ فيُصَرِّحُ بأنَّ التَّنسيقَ مَعَ الفَصائلِ وطَالبانَ والقَاعدةِ تَمَّ (بطلبٍ/ أمرٍ) مُباشرٍ من أَمريكا، تماماً كما تَفاخَرَ وَزيرُ الخَارجيةِ القَطريُّ الحَاليُّ -دَافعاً عن بِلادِه ذاتَ التُّهمةِ- بِستَّةِ آلافِ طَلعةٍ جَويةٍ قَطريةٍ في ثَلاثِ سَنواتٍ ضِمنَ التَّحالُفِ الكَافرِ لقَتلِ المُسلِمِين في العِراقِ والشَّامِ.. ذلك التَّحالُفُ الذي خَلَّفَ قَصْفُهُ الذي شَاركَتْ فيه قَطرُ إزهاقَ أَرواحِ أَكثَرَ مِن ثَلاثِين أَلفِ مُسلمٍ مَدنيٍّ لا تَزالُ بَعضُ جثَامِينِهم الطَّاهرةِ تَحتَ أَنقاضِ سَيِّدَةِ المَدائنِ المَوْصِلِ!!

صَنائِعُ يتَّهِمُونَ الأَحرارَ بكَوْنِهم صَنَائِعَ!!

إنَّ هذه الحَالةَ المَقيتةَ مِن الاستِهبالِ الإعلاميِّ، وخَلْطِ الأَوراقِ، وقَيْءِ عُفوناتِ النُّفوسِ المَريضةِ، وتَكريسِ مَظاهِرِ الأَمراضِ النَّفسيةِ، والإشغالِ والتَّشتيتِ على طَريقةِ (بُصِّ العَصفورَةَ)؛ ستَستمِرُّ مَعَنا طَويلاً، وسنُعانِي مِن فَرقعَاتِها الطَّبليَّةِ وفُقَّاعاتِها الإعلاميةِ كَثيراً؛ فلا يَخدَعَنَّكم عَرَضُ الدَّاءِ عن جَوْهَرِه، ولا فَرعُه عن أَصلِه!!

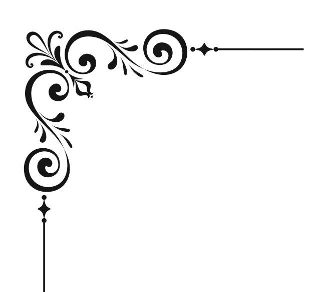
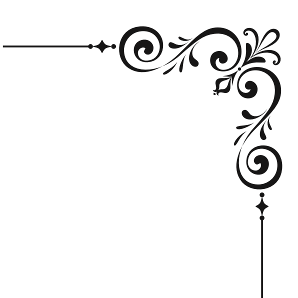
هَؤلاءِ الأَوباشُ لَيسُوا إعلامِيِّين؛ بل مَرضَى يَحتاجُون إلى عِلاجٍ في الوَقتِ الذي يَدَّعُونَ فيه تَقديمَ العِلاجِ.. مَأزومٌ يُعالِجُ مَأزوماً كَمَجنونٍ في يَدِه خَنجرٌ!!

مُدُّوا الخَطَّ على استِقامتِه، واعلَمُوا أنَّه لن يَخرُجَ من هَؤلاءِ خَيرٌ وإن غُلِّفَ بالخَيرِ، ولن تَحصُلَ منهم الأُمَّةُ على دَواءٍ وإنْ غُلِّفَ بالدَّواءِ.. لَيسَ هُناكَ سِوَى مَنطقِ السُّوقِ والمَصلحةِ.. هذه الشَّاشاتُ والمَنَصَّاتُ الإعلاميةُ لَيستْ ضَوءاً في آخِرِ النَّفقِ، بل قِطارٌ قَادمٌ!!

لا تَخافُوا من فَتْحِ جِراحاتِ الأُمَّةِ لتَطهيرِها، فما مِن أُمَّة نَهضَتْ بَعدَ عَثْرةٍ إلَّا وقَامَ نُهوضُها على أَساسٍ من مَعرفةِ أَسبابِ عَثْرَتِها.. بَيْدَ أنَّ الفَرقَ كَبيرٌ بَينَ فَتحِ الجُرحِ لتَطهيرِه، وبَينَ صَبِّ المِلحِ على الجُرحِ!!

٢٧ / جُمادى الأولى / ١٤٤٠هـ

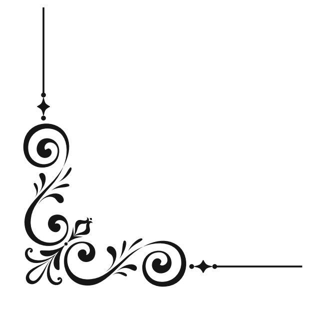
٣ / ٢ / ٢٠١٩م

(٢٢)

شُركاءُ مُتشاكِسُون

(إلى صَدِيقِي الذي يُصِرُّ دَائماً على السُّقوطِ في الحُفرةِ)




بَحْثُ عن مَثَلٍ نَظيفٍ أُقَرِّبُ لك به الصُّورةَ، فلم أَجِدْ سِوَى أَمثلةٍ وَسِخَةٍ لا تَصلحُ لِلكِتابةِ في رَمضانَ ولا في غَيرِ رَمضانَ!!

أَعترِفُ أَنَّني شَعَرتُ بالخَوفِ على نَفسِي حِينَ أَحسَسْتُ أنَّ خَيالِي صَار مَريضاً إلى الحَدِّ الذي يَعجَزُ فيه عن الإِتيانِ بِمِثالٍ نَظيفٍ، بَيْدَ أَنِّي عُدتُ وأَقنعْتُ نَفسِي أنَّ الوَاقعَ الوَسِخَ من الصَّعبِ تَوضيحُه بأَمثلةٍ نَظيفةٍ!!

قَالَ تَامرٌ لوَائلٍ: رَأَيْتُ هَاني الْكهرَبائِيَّ يُعاكِسُ أُختَك في الشَّارعِ.

رَدَّ وَائلٌ: هَانِي لم يكنْ كَهرَبائياً ولم يَفهَمْ قَطُّ في الكَهرَباءِ!!

طُرْفَةٌ قَديمةٌ.. ورُبَّما (بَايخَة) لم تَعُدْ تُضحِكُ أَحداً، بَيْدَ أَنِّي تَذكَّرْتُها حِينَ هَبَّ بَعضُ الحَمْقَى المُستَهبِلينَ للدِّفاعِ عن قَناةِ الجَزيرةِ وجَوارِيها بعدَ أن حَذفَتْ مَنَصَّةُ (+AJ) التَّابعةُ للقَناةِ تَقريراً مَرئياً تَناولَ فيه صَاحِباه ما يُسمَّى (الهُولُوكُسْتَ) بطَريقةٍ لا تُوافِقُ النَّظرةَ الصُّهيونيةَ أو اليَهوديةَ لها، ثُم لم تَكتفِ القَناةُ بذلك، بل طَردَتِ الصَّحفيَّينِ المَسؤولَينِ عن نَشرِه، واعتَذَرَتْ للصَّهاينةِ على مَوقعِ الجَزيرةِ الإنجليزيِّ فَقَطْ، دُونَ الإِشارةِ إلى ذلك الاعتِذارِ في مَوقعِها العَربيِّ المُوَجَّهِ لإِخوانِنا الطَّيِّبينَ عُشَّاقِ الرَّأيِ والرَّأيِ الآخَرِ!!

المُبرِّرُون المُستَهبِلون لم تَشْغَلْهم الجَريمةُ التي اقتَرَفَتْها الجَزيرةُ في حَقِّ الصَّحفِيَّينِ حِينَ طَرَدَتْهما -وهي سَابقةٌ غَريبةٌ ومُتجاوِزةٌ لا أَذكُرُ أنِّي سَمعتُ بمِثلِها في القَناةِ مِن قَبلُ -ولم يَشغَلْهم ابتِلاعُ القَناةِ لأُكذوبةِ الرَّأيِ والرَّأيِ

الآخَرِ حِينَ حَذفَتِ التَّقرِيرَ، ولَم يَشغَلْهم الاِعتِذارُ المُهِينُ للصَّهاينةِ والرُّضوخُ الذَّليلُ لهم في الوَقتِ الذي يَسْتَأْسِدُ فيه الصَّهاينةُ على أَطفالِنا ونِسائِنا ورِجالِنا العُزَّلِ قَتلاً وقَصفاً وتَدميراً!!

لقد شُغِلُوا فقط بمُناقشةِ ما زَعمُوه (أَخطاءً مَنهجيةً قَاتلةً وَرَدَتْ في التَّقريرِ، ومَدَى مُخالفةِ هذه الأَخطاءِ للمَعاييرِ الصَّحفيةِ المَوضوعيةِ المُعتَمَدةِ في القَناةِ ومَنصَّاتِها، والتي لا تَليقُ بوَسيلةٍ إعلاميةٍ كُبرَى بَالغةِ التَّأثيرِ مِثلِ الجَزيرةِ!!).. هكذا اسْتهبلَ أَحدُهم ضِمْنَ (طَقِّ حَنكٍ) كَثيرٍ كَتبَه ونَشَره، ثُم أَعادَتْ نَشْرَه إِحدَى مُذيعاتِ الجَزيرةِ المَعروفاتِ بتَبادُلِ (الرَّدح) الإعلاميّ مَعَ الذُّبابِ الإلِكترُونيّ السُّعوديّ.. ذلك الرَّدحُ الذي يَجعَلُ القَارئَ يَعجَزُ عن التَّفريقِ بَينَهما!!

هذا الاِستِهبالُ وأَمثالُه ذَكَّرَني بوَائلٍ الذي (نَقَحَ) عليه عِرقُ المَوضوعيةِ فَاعتَرضَ على كَهرَبائيةِ هَانِي المَزعومةِ، وتَغافَلَ عن عِرضِ أُختِه المَهتوكِ في الشَّارعِ!!

مُناقشةُ هذه الكَائناتِ عَبَثٌ لا طَائلَ منه؛ لأَنَّ هذه الكَائناتِ نَفسَها تَعرِفُ قَبْلَ غَيرِها أَنَّ مِثلَ هذا الاِستِهبالِ -في مِثلِ هذه المَواقفِ- لا يُقصَدُ به إلَّا التَّشويشُ على مَحَلِّ النِّزاعِ وأَصلِه، وإِشغالُ النَّاسِ بما لَيسَ مَحلاً ولا أَصلاً.

إنْ سَلَّمتَ -جَدلاً- أنَّ التَّقريرَ يُخالِفُ المَوضوعيةَ والمِهنيةَ المُعتمدةَ لدى الجَزيرةِ -وهذا غيرُ صَحيحٍ-، فما عَليك إلَّا أن تقرأَ وتَسمعَ وتُشاهِدَ عَشراتِ المَقالاتِ والتَّقاريرِ المَرئيةِ والمَسموعةِ والمَكتوبةِ التي طَفحَتْ بها -مُنذُ سَنتَينِ تَقريباً- قَناةُ الجَزيرةِ وجَوارِيها من مَنصات ومُدوَّناتٍ، وستكتشفُ -إن كُنتَ تَملكُ مُسْكَةً من عَقلٍ ومِهنيةٍ- كَمَّ التَّهريجِ والانِحيازِ والسَّطحيةِ والتَّفاهةِ وإِسقاطِ الحَقائقِ أو الالتِفافِ عليها في كَثيرٍ من المَوضوعاتِ المَطروحةِ في العِلمِ والسِّياسةِ والاِجتِماعِ والثَّقافةِ والدِّينِ، حتى وَصلَ الأَمرُ في بَعضِ دَرجاتِه إلى التَّرويجِ للإِلحادِ والمُلحِدين بالتَّشكيكِ -مِن طَرْف خَفِيٍّ- في الإِسلامِ ذَاتِه وتَشويهِ عُلمائِه بعُلماءِ السُّلطانِ ثُم جَعْلِهم جَميعاً سَبباً وَحيداً أو أَوَّلياً لانتِشارِ الإِلحادِ والكُفرِ بالدِّينِ.. أمَّا الهُجومُ على المُجاهِدين واتِّهامُهم بأَنَّهم صَنائعُ أَمريكَا، فهذه (تَقليعَةُ) هذه الأَيامِ في الجَزيرةِ تَحديداً، بعدَ أن تَقادَمَ العَهدُ عليها في غَيرِها من مُستنقعاتِ ما يُسمَّى الإِعلامَ العَربيَّ!!

ستَختفِي ادِّعاءاتُ المَوضوعيةِ هنا، لا لشَيءٍ إلَّا لأَنَّهم يَرَوْنَ أنَّ الإِسلامَ لَيسَ له أَهلٌ يَرُدُّون عنه، أو يَطؤُونَ رَأسَ من يَتجرَّأُ عليه كما وَطِئَ الصَّهاينةُ رَأسَ قَناةِ الجَزيرةِ وأَجبَرُوها على الحَذفِ والاِعتذارِ والطَّردِ!!

ستَجِدُ في هذه المَنصَّاتِ سَفَهاً كَثيراً وحُمقاً وضَجيجاً وافتئاتاً على المَوضوعيةِ وجَهلاً، حتى تَظُنَّ أنَّك في (سُوقِ جُمُعةٍ) فيه من (الخُرْدَوَاتِ) أَكثرَ ممَّا فيه من الأَصيلِ.. كما ستَجِدُ أَيضاً بَعضَ مَوضوعيةٍ ومِهنيةٍ وعُمقٍ، مَرَدُّه -في الأَصلِ- إلى اجتِهادِ وفَهْمِ وثَقافةِ مُنشِئِ المُحتَوى ولَيسَ إلى عَارِضِيه!!

رُبَّما تَقولُ لي: إنَّ ذلك السَّفهَ والحُمقَ والجَهلَ والافتِئات مَرَدُّهُ أَيضاً إلى مُنشئِيه ولَيسَ إلى عَارِضِيه.. وهذا صَحيحٌ تَماماً.. ولكن لماذا لم تَنتَفِضِ الجَزيرةُ لِتَمنَعَ هذا السَّفَهَ والحُمقَ والجَهلَ عَملاً بمَعاييرِها المَوضوعيةِ المَزعومةِ، كما انتَفَضَتْ ضِدَّ التَّقريرِ الذي عَامَلتْ صَاحِبَيْه بعُنفٍ غَيرِ مُبرَّرٍ وغَيرِ مَسبوقٍ!!

الجَزيرةُ لم تَحذِفْ وتعتذرْ وتَطرُدْ، بسَبَبِ مُخالفةِ المَوضوعيةِ المُعتمَدَةِ لَدَيْها.. الجَزيرةُ حَذفَتْ واعتَذَرَتْ وطَردَتْ، لأَنَّها كغَيرِها لا تَستطيعُ المَساسَ بمُقدَّساتِ الصَّهاينةِ المَزعومةِ، ولا تَجرُؤُ على الخُروجِ عن الحُدودِ المَرسومةِ لها ولأَمثالِها!!

الجَزيرةُ لَيسَتِ الصُّورةَ التي تُروِّجُها هي أو جَوارِيها.. لَيسَتِ الصُّورةَ التي في ذِهنِكَ أَنتَ.. لَيسَتْ حَاملةَ هَمِّ الأُمَّةِ، ولا المُتحدِّثةَ بِاسْمِ الإِسلامِ والعُروبةِ.. لَيسَتْ كَهفَ الخائفِينَ ولا مَلاذَ المُبعَدِينَ ولا غِياثَ المُستَغيثِين.. هي لا تَدَّعي ذلك وإنْ كَانَتْ تُحبُّ أن يَظُنَّ أَمثالُك ذلك.. الجَزيرةُ بُوقٌ مُنحازٌ للسِّياساتِ التي أُنشِئَتْ من أَجلِها، تَماماً كغَيرِها من الأَبواقِ، فإذا كَانَتْ بَعضُ هذه السِّياساتِ تَقومُ على الاحتِواءِ والتَّدجينِ ومُمارسةِ شَيءٍ من المُقاومةِ أو العُمقِ أو المِهنيةِ أو الاهتِمامِ ببَعضِ القَضايَا العَربيةِ والإِسلامِيةِ مِن قَبيلِ التَّنفيسِ وإِراحةِ الذَّبيحةِ قَبلَ ذَبحِها، فلا يَعنِي هذا أنْ تَحسبَ السَّرابَ مَاءً أو الوَرمَ شَحماً أو الصَّفيحَ اللاَّمعَ في الشَّمسِ ذَهباً!!

قُلتُ لك مِراراً وتَكراراً: لا فَرقَ بَينَ (الجَزيرةِ) و(العَربيةِ) إلَّا كالفَرقِ بَينَ عَاهرةِ الحَوارِي وعَاهرةِ الفَنادقِ، (وأَستغفرُ اللهَ مِن هذه الأَلفاظِ).. لا فَرقَ بَينَ هذه الأَبواقِ كُلِّها، (الكَلبُ أَخُو السَّلقِ)، فلماذا تُصِرُّ -بعد كُلِّ خُروجٍ لك من الحُفرةِ- على التَّقنُّعِ بقِناعِ الدَّهشةِ الغَبيِّ ثُم الوُقوعِ في الحُفرةِ التَّاليةِ؟!

لا مُشكلةَ بَينَ (شِحيبرَ) وأَبنائِه وشُركائِه المُتشاكِسِينَ، الجَميعُ يُحِبُّ شِحيبرَ، والمُشكلةُ فيك أَنتَ!!

مُنذُ سَنةٍ تَقريباً صَرَّحَ وَليُّ العَهدِ السُّعوديُّ مُحَمَّدُ بْنُ سَلمانَ، قَائلاً: «إِسرائيلُ لها الحَقُّ في العَيشِ على أَرضِها بسَلامٍ».. قَامَتِ الدُّنيَا ولم تَقعُدْ، وحُقَّ لها أن تَقومَ فلا تَقعُدَ.. استَغلَّتْ قَناةُ الجَزيرةِ ووَسائلُ الإِعلامِ الدَائِرةُ في فَلَكِها هذا التَّصريحَ، وزَادَتْ مِن وَتيرةِ القَصفِ الإِعلاميِّ الذي لم يَتوقَّفْ بَينَ الجَانبَينِ مُنذُ اشتِعالِ الأَزمةِ الخَليجيةِ.. جَاءَ التَّصريحُ في وَقتِه تَماماً وبَدأَتِ الحَفلةُ والتَّحفيلُ!!

لَاحقاً، غَرَّدَ حَمدُ بْنُ جَاسِمِ بْنِ جَبرٍ وُزيرُ خَارجيةِ قَطرَ الأَسبقُ على تُويترَ غَامزاً مِن قَناةِ ابْنِ سَلمانَ، وكان من جُملةِ تَغريداتِه قَولُه: «أَصبَحْنا أُضحوكةً نُبتَزُّ وتُهدَرُ أَموالُنا بَينَ صَفقاتٍ غَيرِ مَدروسةٍ أو الدَّفعِ (للُّوبِيَّاتِ) في الدُّولِ صَاحبةِ القَرارِ، حتى عِندَما نَذكُرُ أَنَّ للإِسرائِيلِيّينَ الحَقَّ بأن يَعيشُوا

في أَرضِهم بأَمانٍ -وهذه قَناعَتِي مُنذُ سَنواتٍ طَويلةٍ وما زِلْتُ-، نَستَحِي أن نَذكُرَ أنَّ للفِلسطِينِيّينَ الحق نفسه أيضاً»!!

كُنتُ مُتكئاً فَجَلَسْتُ، قُلتُ في نَفسِي: (جَاءَ يُكحِّلُها فعَمَاها)، قَفزَ أَمامِي مَشهَدُ (مُصطَفَى مُتَوَلِّي) وهو يَقولُ لـ(عَادِل إِمَام) في تلك المَسرحيةِ: «ما أَنا كَان بَحِبْ شِجبير»!!

أَوقَعَ ابْنُ جَاسِمٍ ذُبابَ الجَزيرةِ الإِلكترونيَّ في وَرطةٍ حِينَ أَطفأَ -دُونَ أن يَدرِيَ- أَنوارَ الحَفلةِ وأَخرَسَ المُغنِّينَ وخَرَّقَ الطُّبولَ!!

تَحوَّلَ كَثيرٌ من المُهاجِمِينَ لابْنِ سَلمانَ إلى مُهاجمةِ ابْنِ جَاسِمٍ، (وبَاظَتِ الطَّبخةُ)!!

قُلْنا قَديماً وشَتَمَنا إِخوانُنا الطَّيِّبون: «لم تَنجَحْ مُعاهدةُ كَامْب دِيفِيد في كَسرِ الحَاجزِ النَّفسيِّ العَربِيِّ تُجاهَ الكِيانِ الصُّهيونِيِّ ورُموزِه، وَحْدَهَا قَناةُ الجَزيرةِ فَعلتْ ذلك.. الخَنجرُ -أَحياناً- لا يكونُ في يَدِ مَن يُهَدِّدُ بِهِ، بل في يَدِ مَن يُنَدِّدُ بِه»!!

كَانتْ سَنةُ ١٩٩٦م من السَّنواتِ الكَبيسةِ -وما أَكثرَها- على الوَعيِ العَربِيِّ والإِسلاميِّ، ففِي هذه السَّنةِ تَأَسَّسَتْ قَناةُ الجَزيرةِ التي مَارسَتْ -على مَدارِ عَقدَينِ من الزَّمنِ- أَبشعَ أَدوارِ تَجريفِ التُّربةِ لغَرسِ الوَعيِ الزَّائفِ في العُقولِ المُجرَّفةِ.. في هذه السَّنةِ أَيضاً -إن لم تَخُنِّي الذَّاكرةُ- بَدأَتْ قَطرُ علاقتَها التِّجاريةَ مَعَ ما يُسمَّى دَولةَ إِسرائيلَ، وإن كان الجَميعُ يَعلَمُ أَنَّ عِلاقاتِ

جَميعِ المَحميَّاتِ الأَمريكيةِ العَربيةِ -دُبلوماسيةً واقتِصاديةً- مَعَ ما يُسمَّى دَولةَ إِسرائيلَ سَبقَتْ هذه السَّنةَ بعُقودٍ طَويلةٍ!!

عن نفسي -وأَظُنُّ أنَّ كَثيرينَ مِثلِي- لم أَرَ مُحلِّلاً سياسياً صُهيونياً يَتحدَّثُ في وَسيلةِ إِعلامٍ خَليجيةٍ قَبْلَ قَناةِ الجَزيرةِ، بل لا أَكادُ أَذكُرُ أنَّ هذا حَدَثَ في وَسيلةِ إِعلامٍ مِصريةٍ بَلْهَ أنْ تكونَ عَربيةً قَبْلَ ذلك، رَغمَ أَسبقيَّةِ مِصرَ في مُعاهداتِ الذُّلِّ والعَارِ والتَّطبيعِ.. لقد صَارَتِ الأَسماءُ الصُّهيونيةُ وَجبةً شِبْهَ يَوميةٍ في كَثيرٍ من نَشراتِ أَخبارِ الجَزيرةِ حتى اعتَادَتِ العَينُ العَربيةُ على رُؤيةِ هَؤلاءِ المُغتصِبينَ المُحارِبينَ، واعتَادَتِ الآذَانُ على سَماعِ مَنْطقِهم الذي يَدعُو إلى السَّلامِ ويُبرِّرُ وُجودَ دَولتِهم أو يُبرِّرُ دِفاعَها عن نَفْسِها ضِدَّ الإِرهابيِّينَ الفِلسْطينيِّين.. وشَيئاً فشَيئاً تَسرَّبَ الاعتِيادُ البَصريُّ والسَّمعيُّ إلى النُّفوسِ ليَتحوَّلَ إلى اعتِيادٍ نَفسيٍّ قَلَّتْ مَعَه حِدَّةُ العَداوةِ بالتَّدريجِ، حتى وَصَلْنا -بَعدَ عِشرِينَ سَنةً من تَطبيعِ قَناةِ الجَزيرةِ الإِعلاميِّ مَعَ الصَّهاينةِ- إلى ظُهورِ كَائناتٍ عَربيةٍ (مُسلمةٍ بالمِيلادِ) في السُّعوديةِ والإِماراتِ ومِصرَ وغَيرِها من المَحمياتِ العَربيةِ، تُهاجِمُ الفِلسطينيِّينَ في كُلِّ مَجزرةٍ يُديرُها الصَّهاينةُ على أَهلِ غَزَّةَ.. ومن قَبيلِ الرَّأيِ والرَّأيِ الآخَرِ، كَانَتْ قَناةُ الجَزيرةِ تَستضِيفُ المُتحدِّثُ الرَّسميُّ باسْمِ ما يُسَمَّى جَيشَ الدِّفاعِ الإِسرائيليَّ ليَرُدَّ على العَربِ المُنتقِدين للمَجزرةِ ويُبرِّرُها بدَعوى الدِّفاعِ عن النَّفسِ ضِدَّ الإِرهابيِّين، وكان غَايةُ ما تَفعَلُه الجَزيرةُ أن يَأخُذَ الحَماسُ مُذيعةً أو مُذيعاً -إِيعازاً أو اجتِهاداً- فيُهاجمَ المُتحدِّثُ الرَّسميُّ ويَمسَحَ به بَلاطَ الأَشياءِ

ليُصفّقَ المُغفَّلُون فَرِحينَ بـ(فَشَّةِ الخلْق) التي تُريحُهم نَفسياً وتُخفّفُ عنهم عَناءَ العَجزِ وقِلةَ الحِيلةِ؛ تَماماً مِثلُ ذلك العَاجزِ الذي (أَوْسَعَهم سَبّاً وسَارُوا بالإِبِلِ)!!

بالطَّبعِ لم تكُنِ الجزيرةُ وَحدَها سَبباً في ظُهورِ تلك الكَائناتِ العَربيةِ التي تَخلَّقَتْ في الجِيَفِ وظَهرَتْ لتُناصِرَ الصَّهاينةَ ضِدَّ الفِلسْطينيِّين، الأَسبابُ كَثيرةٌ ومُعقَّدةٌ وتَحتاجُ إلى نِقاشٍ مُعمقٍ لا يَغفَلُ سِياقاتِ الأَوضاعِ الحَاليةِ في العَالَمِ العَربيِّ، بَيْدَ أنَّ الجزيرةَ حَازَتْ قَصَبَ السَّبْقِ الإعلاميِّ في إِسقاطِ الحَاجزِ النَّفسيِّ -عَربياً وإِسلامياً- بَينَنا وبَينَ الصَّهاينةِ!!

حِينَ يَخترقُ ما يُسمَّى النَّشيدَ الوَطنيَّ لما يُسمَّى دَولةَ إِسرائيلَ آذانَ المُسلمِين في قَطرَ، ويَرتفعُ ما يُسمَّى عَلَمَ ما يُسمَّى دَولةَ إِسرائيلَ في سَماءِ قَطرَ؛ لا تَسألْني عن التَّطبيعِ، لا تَسألْني عن تَطبيعِ مِصرَ أو السُّعوديةِ أو الإِماراتِ؛ هذه مَحمِيَّاتٌ بَعضُها ظَاهرُ العُهرِ مُنذُ زَمنٍ وبَعضُها اكتَشفَ الطِّيِّبون أَمثالُك عُهرَها حَديثاً.. ستَظَلُّ مُشكلتُك أَنتَ في العُهرِ القَطريِّ الخَفِيِّ الذي لم تكتَشِفْه بَعدُ أو لم تُرِدِ اكتشافَه، لا لشَيءٍ إلَّا لأنَّ دَوْرَ قَطرَ في اللُّعبةِ كان دَوْراً احتِوائياً مَنزوعَ الدَّسمِ لأَمثالك من الفَارِّينَ مِن جَحيمِ الانقِلابات العَسكريةِ على الثَّوراتِ العَربيةِ، تَماماً كدَوْرِ السُّعوديةِ في السَّبعينيَّاتِ والثَّمانينيَّاتِ والتِّسعينيَّاتِ في احتِواءِ التَّيَّارِ الإِسلاميِّ الهَاربِ من جَحيمِ عَبدِ النَّاصرِ، ثُم مُباركةِ ظُهورِ الصَّحوةِ واحتِواءِ غَالبِ مَشايخِها بدَرجاتٍ مُتفاوتةٍ.. وها أَنتَ تَرَى الآنَ ما تَفعلُه السُّعوديةُ في الإِسلاميِّينَ

ومَشايخ الصَّحوةِ!!

أَغرَبُ ما حَدَثَ في هذه الوَاقعةِ تَحديداً أنَّ غَالبيةَ المُغرِّدينَ القَطريِّينَ اعترَضُوا على ذلك التَّطبيعِ الرِّياضيِّ، وَحدَه مُذيعٌ شَهيرٌ في قَناةِ الجَزيرةِ بَرَّرَ هذا التَّطبيعَ بقُيودِ السِّياسةِ وشُروطِ ما يُسمَّى كَأسَ العَالَمِ، ولكي تَظَلَّ الدَّهشةُ الغَبيَّةُ تَملأُ وَجهَك عليك أن تعلَمَ أنَّ هذا المُذيعَ فِلسطينيُّ الأَصلِ!! وحِينَ يَصلُ مِهرجانُ التَّبريرِ للجَميعِ -فيما يَخُصُّ التَّطبيعُ مَعَ ما يُسمَّى إِسرائيلَ- إلى مُذيعٍ فِلسطينيِّ الأَصلِ، ستَعلَمُ أنْ لا أَحدَ -غالباً- مُحَصَّنٌ ضِدَّ الانزلاقِ النَّفسيِّ تُجاهَ العَدوِّ حِينَ تُصبحُ مُعايشةُ العَدُوِّ (رُوتينا) يَومياً دُونَ أن يَكونَ المَقصدُ من مُعايشتِه دِراستَه استِعداداً لحَربِه، وأَنتَ في غِنًى -بالطَّبعِ- عن أنْ أَقولَ لك: إنَّ هذه المُعايشةَ لَيسَتْ مُقدمةَ حَربٍ، بل نَتيجةَ هَزيمةٍ!!

الجَزيرةُ لَيسَتْ جَمعيةً خَيريةً.. أَعرفُ هذا.. وقَطرُ كغَيرِها من المَحميَّاتِ العَربيةِ لا تَملكُ قَرارَها امتِلاكاً كَاملاً.. الجَميعُ أيضاً يَعرِفُ هذا.. لا تُلامُ قَطرُ أو الجَزيرةُ لَوْمَ دَولةٍ مُسلمةٍ مُنطلقةٍ من مُنطلَقاتٍ إِسلاميةٍ.. لَيسَ ثَمَّةَ دَولةٌ مُسلمةٌ ولا مُنطلقاتٌ إِسلاميةٌ.. مَضَى ذلك الزَّمنُ يا بُنيَّ.. الأُصولُ الآنَ مُختَرَقةٌ والحُصونُ مُهدَّمةٌ.. أنا لا أُناقشُ تَفاصيلَ الدَّوائرِ المَسموحِ لقَطرَ والجَزيرةِ بالحركةِ فيها، أو الحُدودَ القَاطعةَ التي لا يُسمَحُ لأَحدٍ بتَخطِّيها.. كُلُّ هذا تَجاوَزْناه مُنذُ زَمنٍ.. أنا أُريدُ فَقطْ أن أَفتحَ رَأسَك وأَغرِسُ فيها أنَّ الجَميعَ مِثلُ الجَميعِ بدَرجاتٍ مُتفاوتةٍ حَسَبَ الأَدوارِ المَرسومةِ.. لَيسَ في

القَنافذِ أَمْلَس.. الأَدوارُ مَرسومةٌ مُنذُ زَمنٍ وأَنتَ كعَربِي أو مُسلمٍ لَسْتَ مَوجوداً أَصلاً.. لم تُدْعَ إلى الحَفلةِ ولم يُعمَلْ حِسابُك فيها!!

حِينَ بَدأَتِ الأَزمةُ السُّعوديةُ القَطريةُ وحُوصِرَتْ قَطرُ حِصاراً ظَالماً، طَالَبْتَنِي أن أَكتُبَ شَيئاً، قُلتُ لك: «أَيْ بُنَيَّ.. قُنفُذانِ يَتَسافَدان بعُنفٍ على قَارعةِ الطَّريقِ، من الحُمقِ أن تُدخِلَ يَديْك بينَهما، إن وَجدْتَ من أَحدِهما بَعضَ خَيرٍ فلا تَستَأنِسْه كَهِرَّةٍ، هو قُنفُذٌ في النِّهايةِ، إنِ اسْتَطعتَ أن تَطَأَهما بحِذائكِ فافعلْ، فإن لم يَكُنْ لك حِذاءٌ فاصنَعْ حِذاءَك.. اصنَعْ حِذاءَك وكُفَّ عن السَّيرِ حَافياً في أَرضِ القَنافذِ»!!

شَتَمْتَني كعَادةِ إِخوانِنا الطِّيِّبينَ، ثُم ارتَديْتَ قِناعَ الدَّهشةِ!!

هل كُنتَ تَظُنُّ أَنَّ (حَفلةَ خَاشُقْجِي) كَانتْ من أَجلِ خَاشُقْجِي؟!

هل كُنتَ تَظُنُّ أَنَّ أَخبارَ مجَازرِ ابْنِ سَلمانَ وابْنِ زَايدٍ في أَهلِنا في اليَمنِ كان يُمكِنُ أن تكونَ وَجبةً يَوميةً في الجَزيرةِ قَبلَ حِصارِ السُّعوديةِ والإِماراتِ لقَطرَ؟!

لقد كَانتْ قَطرُ مُشاركةً ومُبارِكةً لِما يُسمَّى عَاصفةَ الحَزمِ.. شَاركَتْ قَطرُ في الدَّمِ اليَمنِيِّ، كما شَاركَتْ في الدَّمِ العِراقِيِّ، كما شَاركَتْ في الدَّمِ الشَّامِيِّ!!

هي مَصالحُ تَتصالَحُ أو تَتناطَحُ على أَجسادِنا يا بُنَيَّ!!

لم تَكُنْ حَفلةُ خَاشُقْجي التي أَدارَتْها الجَزيرةُ بمَهارةٍ تَغطيةً إِعلاميةً، لم

تَكُنْ مُحاولةً شَريفةً لِكَشفِ الحَقيقةِ، لم تَكُنْ وُقوفاً مَعَ الحَقّ المَظلومِ ضِدَّ البَاطلِ الظَّالِمِ.. كُفَّ عن هذا العَتَهِ.. لقد كَانتْ فِي الحَقيقةِ حَرباً قَذرةً تَدورُ رَحَاهَا فَوقَ جُثَّةِ إِنسانٍ.. خِنزيرَانِ بَرّيَّانِ هَمَجِيَّانِ مُتوحّشانِ يَتقاتَلانِ على أَشلاءِ فَريسةٍ!!

أَمَرَ ابْنُ سَلمانَ بقَتلِ خَاشُقْجِي وتَقطيعِه بَعدَ دُخولِه القُنصليَّةَ بِسَبعِ دَقائقَ.. قَناةُ الجَزيرةِ ظَلَّتْ أَكثرَ مِن ثَلاثةِ أَشهُرٍ تَقتلُ خَاشُقْجِي وتُقَطّعُه فِي اليَومِ مِئةَ مَرَّةٍ.. ولا زَالَ الحَبلُ على الجَرَّارِ كُلَّما سَنحَتِ الفُرصةُ!!

فِلمُ الرُّعبِ الذي أَرادَه ابْنُ سَلمانَ للكِبارِ فَقطْ، حَوَّلَتْه قَناةُ الجَزيرةُ إلى فِلمٍ عَائليّ!!

ضَعْ نَفْسَك مَكانَ أَبناءِ خَاشُقْجِي أو بَناتِه أو أَشقَّائِه أو أَقربائِه، ثُم افْتَحْ قَناةَ الجَزيرةِ وشَاهِدْ واسْتَمِعْ..

مِن غَيرِ الطَّبيعيّ أن يَستمعَ الإِنسانُ -على مَدارِ السَّاعةِ- إلى تَفاصيلِ تَفاصيلِ التَّفاصيلِ عن الكَيفيةِ البَشِعةِ التي قُتِلَ بها أَبُوه أو أَخُوه أو ابْنُه أو صَديقُه، لا لشَيءٍ إِلَّا لأَنَّ مَحميةً أَمريكيةً اسمُها (قَطر) اسْتَغَلَّتْ فُرصةً ذَهبيةً لإِذلالِ مَحميةٍ أَمريكيةٍ أُخرَى اسْمُها (السُّعوديةُ)!!

على مَدارِ عِشرينَ يَوماً بَعدَ الجَريمةِ لم أُشاهِدْ في قَناةِ الجَزيرةِ نَشرةً إِخباريةً وَاحدةً اختَلَجَ فيها وَجهُ مُذيعٍ أو مُذيعةٍ حُزناً أو قَرَفاً أو شَفقةً وهو يَسرُدُ تَفاصيلَ العَمليةِ كَخَبرٍ عَاجلٍ، مِن فَقرةِ القَتلِ، وحتى فَقرةِ تَهريبِ

الجُثمانِ، مُروراً بفَقرةِ المِنشارِ، ثُم فَقرةِ المُوسيقَى المُصاحبةِ للتَّقطيعِ، ثُم فَقرةِ الطَّبيبِ الشَّرعيِّ الأَسرعِ والأَكثرِ حِرفيةً، ثُم فَقرةِ تَغليفِ أَجزاءِ الفَقيدِ المُقَطَّعةِ في أَكياسٍ بِلاستيكيةٍ.. كُنتُ أُدقِّقُ في وَجهِ المُذيعِ أو المُذيعةِ جَيِّداً وأنا في أَشدِّ حَالاتِ الذُّهولِ من الخبَرِ وقَارِئِه مَعاً.. حِيادٌ تَامٌّ.. أو رُبَّما بُرودُ جَرَّاحٍ بِريطانيٍّ يُجرِي عَمليةً جِراحيةً بطَريقةٍ آليَّةٍ تَعوَّدَ عليها!!

أَعرِفُ أنَّ ظُهورَ عِلاماتِ التَّأثُّرِ العَاطفيةِ على وَجهِ قَارئِ الأَخبارِ لَيسَ من كَمالِ إِتقانِ المِهنةِ، بَيْدَ أَنِّي كُنتُ أَشعرُ أَنَّ الأَمرَ كان مُريحاً لهم ولهنَّ؛ حتى تَخَيَّلْتُ أَنَّهم (رُبَّما) سيبتَهِجون أَكثرَ إِنْ جاءَهم خَبرٌ عن تَفصيلةٍ أَشدَّ بَشاعةً في عَمليةِ القَتلِ ليَتشَفُّوا -بنَشرِها- في حَليفِهم القَديمِ الذي يُحاصِرُهم الآنَ!!

التَّشفِّي هو ما وَصَلَني.. التَّشفِّي في القَاتلِ ولَيسَ الغَضبَ للمَقتولِ!!

كُلُّ تلك الضَّجةُ لم تَكُنْ حُزناً على خَاشُقْجِي؛ بل كُرهاً وتَشَفِّياً في ابْنِ سَلمانَ.. وإنَّه واللهِ لحَقيقٌ بالكُرهِ والتَّشفِّي إنْ أَصابَه السُّوءُ في نَفْسه.. نَسأَلُ اللهَ أن يُعَجِّلَ به عليه.

لا قِيَمَ ولا مَبادِئَ في كُلِّ ما تَرَى، هي مَصالحُ تَتصالَحُ أو تَتناطَحُ حَسَبَ السِّياقاتِ المُتغيِّرةِ، ولا بَأسَ أن (تُمَكْيَجَ) المُصالحُ بأَصباغِ القِيَمِ والمَبادئِ لتَخفيفِ مِيكيافِيليَّتِها في عُيونِ الطَّيِّبين أَمثالك!!

حَدَّثَني بَعضُ مَن أَثِقُ به عن صَديقٍ له كان يَعيشُ في قَطرَ -قَبلَ أَزمَتِها

مَعَ السُّعودية-، قَالَ: كَتَبَ صَديقِي تغريدةً لا تَزيدُ على ثَلاثةِ أَسطُرٍ يُهاجِمُ فيها النّظامَ السُّعوديَّ حِينَ كَانَتِ السُّعوديةُ وقَطرُ سَمناً على عَسلٍ في الظَّاهِرِ، فلم يَمُرَّ عليه يَومانِ إلَّا وهو مُبعَدٌ خَارجَ قَطرَ!!

هذا طَبيعيٌّ جِداً في العِلاقاتِ السِّياسيةِ بَينَ المَحمياتِ العَربيةِ وَقتَ الرِّضَا، وطَبيعيٌّ أَيضاً أن يَشتعلَ (الرَّدحُ البَلديُّ) بينَ أَبواقِ تلك المَحمياتِ وَقتَ الغَضبِ.. وإِنِّي واللهِ لأَخشَى من السِّياسةِ البَراجماتيةِ القَطريةِ على أُولئِكَ الشَّبابِ من رَافضِي الانقلاباتِ في العَالمِ العَربيِّ، المَنفيِّينَ عن بِلادِهم بسَببِ مَاضِيهم الثَّوريِّ، والذين تَقاطَعَتْ مَصالحُهم (المَبادئيَّةُ غَالباً) مع مَصالحِ قَطرَ البَراجماتيةِ دَائماً، فاستَخدَمَتْهم الجَزيرةُ ومَنصَّاتُها، أو اسْتَغَلُّوا هم الجَزيرةَ ومَنصَّاتِها، أو فَتَحَتْ لهم قَطرُ الجَزيرةَ ومَنصَّاتِها (صِفِ الصُّورةَ كيف شِئتَ)؛ للهُجومِ على الأَنظمةِ المُعاديةِ لها وللثَّوراتِ العَربيةِ.. أَخشَى عليهم من اليَومِ الذي تَقلِبُ لهم فيه قَطرُ ظَهْرَ المِجَنِّ حِينَ تَنتهِي الأَزمةُ الحَاليةُ بِـ(حَبَّةِ خَشمٍ) هُنا وَ(حَبَّةِ خَشمٍ) هُناكَ!!

أَعرِفُ أَنَّ الوَضعَ مُعَقَّدٌ جِداً.. ولَكنِّي أَعرِفُ أَيضاً أَنَّ الصَّمتَ الغَريبَ على وَاقعةِ الحَذفِ والاعتِذارِ والطَّردِ هذه، مِنْ قِبَلِ بَعضِ الكُتَّابِ والنُّشطاءِ والعَاملِينَ والمُتعاوِنِينَ مَعَ الجَزيرةِ ومَنصَّاتِها لَيسَ له من مَعنًى سِوَى أَنَّ مِساحةَ الحُريةِ المَمنوحةِ لهم لا تَتجاوزُ السُّعوديةَ والإِماراتِ ومِصرَ.. وهذه المِساحةُ لم تُمنَحْ لهم بالطَّبعِ مِن أَجلِ عَدائِهم المَبادئِيِّ مَعَ هذه الدُّولِ، بل مِن أَجلِ عَداءِ قَطرَ البَراجماتِيِّ مَعَها.. وإِنِّي واللهِ لأُجِلُّ كَثيراً منهم عن

أن يَكونَ ذلك كذلك.. فهذا سيُحوِّلُهم مِن كُتَّابٍ ونُشطاءَ ومَبادِئيِّينَ إلى شَيءٍ آخَرَ يُؤسِفُني بِشِدَّةٍ أن أُشَبِّهَه بكَلبِ الصَّيدِ الذي قَالَ فيه الشَّاعِرُ:

كَكَلْبِ الصَّيْدِ يُمْسِكُ وَهْوَ طَاوٍ ** فَرِيسَتَهُ لِيَأْكُلَهَا سِوَاهُ

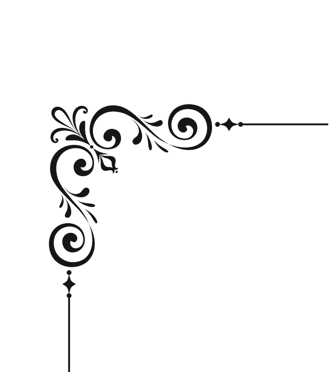
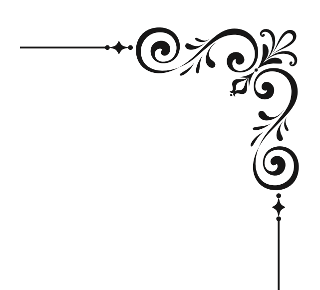
ولن يكونَ بَيْنَهم -بَعدَ ذلك- وبَينَ ذُبابِ السُّعوديةِ الإلكترونيِّ أو مُذيعِي قَنواتِ الانقلابِ السِّيساويِّ وكُتَّابِه وأَبْواقِه كَبيرُ فَرقٍ.. وحَاشَا للهِ أنْ يَكونَ (بَعضُهم) كذلك!!

لا أَقلَّ من الاعتِراضِ والتَّنديدِ والاستِنكارِ على الصَّفحاتِ الخَاصَّةِ، أو الإشارةِ إلى رَفضِ تَصرُّفِ الجَزيرةِ المُهينِ والمَذعورِ في بِدايةِ المَقالاتِ أو مُقدِّماتِ المُحتوياتِ المُختلفةِ.. وقد رَأيتُ -حتى الآنَ- قِلةً منهم فَعَلَتْ ذلك.. وهو مَحمودٌ مشكورٌ رَغمَ قِلَّتِه!!

أَيُّها الكُتَّابُ والنُّشطاءُ.. لقد اسْتفادَتِ الجَزيرةُ ومَنصَّاتُها مِنكم أَضعافَ ما اسْتَفَدْتُم أَنتُم منها، وأَكبرُ فَائدةٍ اسْتفادَتْها الجَزيرةُ مِنكم أَنَّها تَجمَّلَتْ بِكم أَمامَ النَّاسِ فسَحَرَتْ أَعيُنَهم عن بَراجماتيَّةِ حَقيقَتِها بمَبادئيَّةِ حَقيقَتِكم، فلا تكونُوا (كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَاثًا)، (فَتَزِلَّ قَدَمٌ بَعْدَ ثُبُوتِهَا وَتَذُوقُوا السُّوءَ) بسُقوطِ حَقيقتِكم في مُستنقعِ حَقيقَتِها.. (وَإِنْ أَدْرِي لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَكُمْ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ).

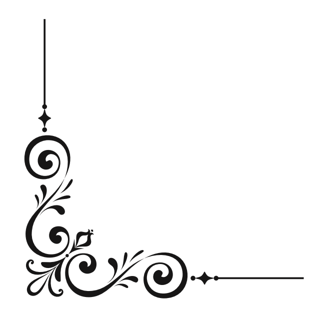
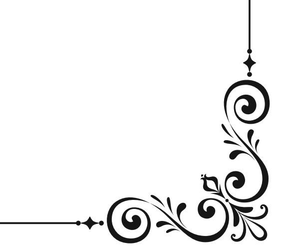
١٨ / رمضان / ١٤٤٠هـ

٢٣/ ٥ / ٢٠١٩م

(٢٣)

قَاسِمِ سُلَيْمَانِي.. إِلَّا طَحِين

زَعَمْتَ أَنَّ الدَّيْنَ لَا يُقْتَضَى ** فَاسْتَوْفِ بِالْكَيْلِ أَبَا مُجْرِمِ
اشْرَبْ بِكَأْسٍ كُنْتَ تَسْقِي بِهِ ** أَمَرَّ فِي الْحَلْقِ مِنَ الْعَلْقَمِ

(إِلَّا طَحِين).. جُملةٌ شَهيرةٌ أَطلَقَها مُجرِمٌ من مُجرِمي الحَشدِ الشّعبيّ الشّيعيّ، يُسمَّى (أَبُو عِزْرَائِيلَ)، كان يَصرُخُ بها ضَاحكاً مَسروراً وهو يُقَطِّعُ بسِكّينٍ شَبيهٍ بسِكّينِ (الشَّاورمَا) جُثمانَ أَحدِ المجُاهِدين بَعدَ حَرقِه وتَعليقِه كالذَّبيحةِ!!

انتَشَرَ مَقطَعُ الفِيديُو الخَاصُّ بالوَاقعةِ، وصَارَتِ الكَلمةُ مَثلاً يُضرَبُ للطَّحنِ والقَتلِ والإِفناءِ، وصَارَ أَبُو عِزرائيلَ شَخصيةً مَشهورةً وبَطلاً شِيعياً شَعبياً، فما كان من المجُرِمِ قَاسِمِ سُليمانِي إِلَّا أن كَافأَه بمُقابلتِه والتِقاطِ الصُّورِ الضَّاحكةِ مَعَه!!

هَلكَ سُلَيماني بذَاتِ الطَّريقةِ التي عَلَّمَها كِلابَه ليُمارِسُوها على مِئاتِ الآلَافِ من المُسلمِين.. صَارَ كُتلةَ لَحمٍ مُحترقةً لا يُدرَى وَجهُهَا من قَفاهَا، تَماماً كما كان يَفعَلُ هو وأَذنابُه بالنِّساءِ والأَطفالِ والشُّيوخِ في العِراقِ والشَّامِ واليَمنِ.

هَلكَ مَعَه أَيضاً أَحدُ قَادةِ أَكبرِ عِصابةٍ إِجراميةٍ في تَاريخِ العِراقِ الحَديثِ: مَهدِي المُهندِس، مَسؤولُ ما يُسَمَّى بالحَشدِ الشَّعبيِّ الذي نَشَأَ خِصّيصاً لقَتلِ المُسلمِين بأَبشَعِ طُرُقِ القَتلِ المَعروفةِ وغَيرِ المَعروفةِ!!

وَلَقَدْ شَفَى الْأَحْشَاءَ مِنْ بُرَحَائِهَا ** أَنْ صَارَ (بَابُكَ) جَارَ (مَازِيَّارِ)

بَدأَ المُجرِمُ سُليمانِي حَياتَه بذَبحِ المُسلمِين الأَكرادِ وخَتَمَها بذَبحِ المُسلمِين العَرَبِ، وكان في الحَالتَينِ أَداةً في يَدِ نِظامٍ عَالميّ، ظَنَّ -حِينَ بَسطَ له النّظامُ الحَبَلَ على اتّساعِه- أنّه صَارَ رَقْماً صَعباً فيه، فاسْتَذْأَبَ على أَسيادِه، فلم يُمهِلُوه تَغرةً أن دَعَسُوا على رَأسِه، والكَلبُ المُستذئِبُ لا دَواءَ له سِوَى السَّيفِ!!

لم تَجِدْ إِيرانُ في (مُرتدَّةِ الأَعرابِ) -بَعدَ صَدَّامٍ- مَن يَقِفُ أَمامَها، خَلَا لها الجَوُّ فبَاضَتْ وصَفَّرَتْ وفَرَّخَتْ..

وَإِذَا مَا خَلَا الْجَبَانُ بِأَرْضٍ ** طَلَبَ الطَّعْنَ وَحْدَهُ وَالنِّزَالَا

حتى إذا ما هَيَّأَ اللهُ لها سَادةَ الدُّنيَا المُجاهِدِين الشُّعْثَ الغُبْرَ نُزَّاعَ القَبائِلِ، فأَذَلُّوها وأَذاقُوها الوَيلاتِ في الشَّامِ والعِراقِ، لم تَجِدْ يَداً تَبطِشُ بها أو سَيفاً تَقطَعُ به سِوَى يَدِ النّظامِ العَالميّ وسَيفِه.. وكأَيِّ ضَبعٍ خَسِيسٍ لا يَجِدُ في نَفْسِه قُوةً لمُواجهةِ الأُسودِ، اسْتعانَتْ إِيرانُ بِيَدِ النّظامِ العَالميّ وسَيفِه، فعَاثَتْ به في الشَّامِ والعِراقِ قَتلاً وتَخريباً، وعَاثَ بها هَدماً ودَمَاراً، فاسْتخدَمَها قُوةً واحتَمَتْ به وَهْماً، وحِينَ حَاولَ الحَلِيفُ الإِفلاتَ من حَبلِ سَيِّدِه عَلَّقَهُ سَيِّدُه بحَبلِه!!

وَمَنْ يَجْعَلِ الضِّرْغَامَ لِلصَّيْدِ بَازَهُ ** تَصَيَّدَهُ الضِّرْغَامُ فِيمَا تَصَيَّدَا

إِيرانُ لا شَيءَ، ولكنَّها لم تَجِدْ أَحداً.. قَاسِمُ سُليمانِي لا شَيءَ، ولكنَّه لم يَجِدْ أَحداً..

لقد كان يَسرَحُ ويَمرَحُ تَحتَ أَعيُنِ النّظامِ الذي أَطلقَه، وحَسَبَ قَواعِدِ

اللُّعبةِ التي وَضَعَها، أَرادُوا نَصْرَه فنَصرُوه، ثُم أَرادُوا قَتْلَه فقَتَلُوه، فلَيسَ له من فَضيلةٍ في ذَاتِه سِوَى أنَّه وَجدَ فُرصةً فاهْتبَلَها، وهَبَّتْ رِياحُه فاغتَنَمَها -وإنَّها لفَضيلةٌ في العُمومِ- وحِينَ رُفِعَ غِطاءُ الحِمايةِ عنه خَمَدَتْ رِياحُه وضَاقَتْ فُرَصُه، وعَادَ كما كان نَمِراً مِن وَرَقٍ يُخيفُ مُرتدَّةَ الأَعرابِ ويُضحِكُ أُسودَ الإِسلامِ!!

مُجاهدٌ شَابٌّ من مُجاهِدِي العِراقِ والشَّامِ وأَفغانِستانَ يَضرِبُ في الأَرضِ فلا يَجِدُ نَصيراً -بَعدَ اللهِ- سِوَى سَيفِه وعَقلِه، فيَفتحُ المُدُنَ، ويَخوضُ المَعارِكَ، ويَدعَسُ رُؤوسَ العُملاءِ وأَسيادِهم، ويُذيقُهم بَأسَ اللهِ وبَأسَه، دُونَ أن يَمتلكَ إِمكاناتِ إِيرانَ وأَذنابِ إِيرانَ، هو في المِيزانِ أَرجحُ مِن أَلفِ سُليمانِي، مَهما صَدَّعَ المُرجِفُون رُؤوسَنا بقُوَّةِ سُليمانِي وعَقلِه وذَكائِه وفُتوحاتِه التي ظَنُّوها فُتوحاتِ يَدِه لا فُتوحاتِ أَسيادِه بيَدِه!!

قُلْنا قَديماً: «الفَريقُ الذي يَلعبُ مُنفرِداً لن يَنهزِمَ أَبداً، ولن يَنتصرَ أَيضاً.. إذا أَردتَ اختِبارَ حَدِّ سَيفِك فَجَالِدْ به ذَا سَيفٍ، كُلُّ السُّيوفِ قواطعُ إنْ ضَربتَ بها الهَواءَ!!».

هل عَلِمْتُم الآنَ أنَّ (سُليمانِي) كان يَلعَبُ مُنفرِداً في مَلعبٍ أُخلِيَ له بقَاصِفاتِ النِّظامِ العَالميِّ؟! هل عَلِمْتُم الآنَ أنَّ مِيلِيشيَّاتِ القَتلِ الطَّائفيةَ كَانَتْ ولا زَالَتْ أَوْهَنُ مِن بيتِ العَنكبوتِ، ولكنَّها تَعمْلقَتْ حِينَ اسْتظلَّتْ بظِلِّ النِّظامِ العَالميِّ؟! هل عَلِمْتُم الآنَ أنَّ الطَّبْلَ القَرمَطِيَّ الأَجوفَ المُسَمَّى

(حَسَن نَصر اللهِ) مَتروكٌ لغَايةٍ وإلى غَايةٍ؟! هل عَلِمْتُم الآنَ أنَّ إِيرانَ -وإنِ اجْتَهَدَتْ لمَشروعِها- كَخَيالِ المآتةِ يَنصِبه الفَلَّاحُ ليَطرُدَ به الطُّيورَ عن حَقلِه وهو لَيَس سِوَى خَشبةٍ؟!

إِيرانُ لَيَستْ عَميلةً لأَمريكَا، ولَيستْ عدوَّةً لها، كِلْتَا الفِكرتَينِ تَدُلَّانِ على خِفَّةِ عَقلٍ وقِلَّةِ فهم!!

عن نَفْسِي.. لن أُومِنَ بعَداءِ إِيرانَ لأَمريكَا أو عَداءِ أَمريكَا لإِيرانَ إلَّا إذا رَأيتُ مُدُنَ إِيرانَ تُدكُّ على أَهلِها كما دُكَّتْ مُدنُنَا على أَهلِها.. وَقتَها فَقطْ سأَقُولُ إنَّ قَواعدَ اللُّعبةِ تَغيَّرَتْ فِعلاً، أو أَنَّ اللُّعبةَ ذَاتَها لم تَعُدْ لُعبةً.. وكُلُّ ما عَدَا ذلك شَكلياتٌ يُمكِنُ النِّقاشُ حولَها!!

إِيرانُ عَدُوَّةٌ لنا نَحنُ وحَليفةٌ لأَمريكَا.. هذه نُقطةُ ارتِكازٍ أَوَّلِيّ إن لم تَفهَمْها فلا تُتعِبْ نَفْسكَ في مُحاولةِ فَهْمِ ما يَجرِي، ونُقطةُ الارتِكازِ الثَّانيةُ أنَّ (نَحنُ) هذه لا تَعنِي (مُرتَدَّةَ الأَعرابِ) مِنْ مَشيَخَاتِ النِّفطِ والغَازِ وجُمهوريَّاتِ العَسكرِ، هَؤلاءِ لَيَسُوا (نَحنُ)، هَؤلاءِ أَعدَى أَعدائِنا وسَببُ انتِكاساتِنا، هَؤلاءِ عُملاءُ أَمريكَا وحُلفاءُ إِيرانَ في ضَربِنا حِينَ يَجِدُّ الجِدُّ!!

إِيرانُ (حَليفةٌ) لأَمريكَا، كما أنَّ مَشيخاتِ النِّفطِ وجُمهورياتِ العَسكرِ (عُملاءُ) لأَمريكَا.. الفَرقُ الذي جَعَلَ إِيرانَ حَليفةً ومُرتَدَّةَ الأَعرابِ عُملاءَ؛ هو أنَّ إِيرانَ تَملِكُ مَشروعاً قَومياً مُغَلَّفاً بوَهْمِ الدِّينِ وتَسعَى لتَحقيقِه.. أَمَّا مُرتَدَّةُ الأَعرابِ فلا مَشروعَ لهم سِوَى البَقاءِ على كَراسِيِّهم، وكَبْحِ

جِماحِ الأُمَّةِ وتَعبيدِها لأَسيادِهم.. وفي سَبيلِ البَقاءِ على الكَراسيِّ؛ ضَربُوا وسيَضربُون -مَعَ إِيرانَ وأَمريكَا- أيَّ مَشروعٍ حَقيقيٍّ لنا، فتكسِبُ أَمريكَا دَوامَ حُلمِها الإِمبراطوريِّ المُغلَّفِ بوَهْمِ الدِّيمقراطيةِ، وتكسِبُ إِيرانُ تَجذُّرَ مَشروعِها الفَارسيِّ المُغلَّفِ بوَهْمِ الدِّينِ، ويَبقَى مُرتدَّةُ الأَعرابِ على كَراسِيِّهم، ونَظلُّ نَحنُ نَدورُ في حَلقةٍ مُفرَّغةٍ بَينَ المَنافِي والسُّجونِ والقُبورِ!!

«لَوْلَا التَّعاونُ الإِيرانيُّ لَمَا سَقطَتْ كَابُلُ وبَغدادُ بهذه السُّهولةِ».. هذا تَصريحُ مُحمَّد أَبْطَحي نَائبِ الرَّئيسِ الإِيرانيِّ للشُّؤونِ القَانونيةِ في ٢٠٠٤ في مُحاضرةٍ أَلقَاها بمَركزِ الإِماراتِ للدِّراساتِ والبُحوثِ الإِستراتِيجيَّةِ بإِمارةِ أبو ظَبْيٍ، إِحدَى مُدُنِ مَشيخاتِ النِّفطِ والغَازِ والعَارِ!!

تَاريخُ التَّحالفِ بَينَ إِيرانَ وأَمريكَا ضِدَّنا أَصبحَ من المَعروفِ الذي لا يُعَرَّفُ، وأَصبحَ الحَديثُ عنه أو التَّذكيرُ به أو رَصدُ وَقائعِه هَرياً وعَبَثاً يُمِلُّ السَّامعَ ويُضجِرُ القَارئَ، تَماماً كَتَاريخِ عِمالةِ مَشيخاتِ النِّفطِ وجُمهوريَّاتِ العَسكرِ.. الأَمرُ بَدأَ مَعَ الخُمَيْنِيِّ كامتدادٍ -في هذا الشَّأنِ للشَّاهِ- ولن يَنتهِيَ بخَامِنْئِي، والسِّيستانِيِّ، والصَّدرِ، وأَضرابِهم!!

قد يَبدُو تَحالفُ دَولةٍ صَغيرةٍ مَعَ دَولةٍ كَبيرةٍ عِمالةً وتَبعيةً، وهذا صَحيحٌ في العُمومِ شَرْطَ عدمِ امْتلاكِ الدَّولةِ الصَّغيرةِ لمَشروعٍ خَاصٍّ بها.. في حَالةِ إِيرانَ يَبدُو الأَمرُ تَحالفاً لا عِمالةَ فيه لامْتلاكِها مَشروعَها الخَاصَّ، وفي حَالةِ مُرتدَّةِ الأَعرابِ يَبدُو الأَمرُ عِمالةً لا تَحالفَ فيه لِانعدامِ المَشروعِ..

وفِي الحَالَتَينِ لا يُوجدُ عَداءٌ حَقيقيٌّ بَينَ إِيرانَ وأَمريكَا.. لا مُقاومَةَ ولا صُمودَ ولا تَصدّيَ، ولا كُلُّ هذه الشّعاراتِ الفَارغةِ التي يُشيعُها الإِيرانيُّون وأَذنابُهم مِن حَمْقَى العَربِ وأَغبيائِهم ومُثقَّفِيهم؛ تجَميلاً لوَجهِ إِيرانَ القَبيحِ وحَقيقتِها البَشِعةِ!!

في (العِمالةِ): المُربَّعاتُ ثَابتةٌ لا تَكادُ تتغَيَّرُ إِلَّا حِينَ يُستبدَلُ عَميلٌ بعَميلٍ.. في (التَّحالفِ): المُربَّعاتُ تَتغَيَّرُ بتَغَيُّرِ قَواعدِ اللُّعبةِ.. ومُنذُ مَجيءِ الهَالكِ الخُمينيّ وحتى هَلاكِ المُجرمِ سُليمانِي كَانتْ (بَعضُ) قَواعدِ اللُّعبةِ تَنُصُّ على: تهَديدِ إِيرانَ وضَربِ العَربِ!!

تَعاونَتْ إِيرانُ مَعَ أَمريكَا تَعاوُناً مُذهِلاً في إِسقاطِ أَفغانستانَ والعِراقِ، وأَطلقَتْ أَمريكَا يَدَ إِيرانَ في المِنطقةِ كُلِّها، شَاماً وعِراقاً ويَمناً، بل إِنَّ أَمريكَا غَضَّتِ الطَّرْفَ أَيضاً عن تمَدُّدِ إِيرانَ الثَّقافِيّ والاِقتصاديّ والدِّينِيّ في القَرنِ الأَفريقِيّ وبَعضِ جمُهوريَّاتِ الاِتّحادِ السُّوفيتِيّ الإِسلاميةِ، وكَانتْ أَمريكَا مَعَ إِيرانَ في هذا الشَّأنِ أَشْبَهَ بقَولِ الشَّاعرِ:

لَيْسَ الْغَبِيُّ بِسَيِّدٍ فِي قَوْمِهِ ** لَكِنَّ سَيِّدَ قَوْمِهِ الْمُتَغَابِي

صَادَتْ أَمريكَا بإِيرانَ أَعداءَها الحَقيقيّينَ في المِنطقةِ، ولا أَعداءَ لأَمريكَا في المِنطقةِ سِوَى المُجاهِدِين، هَؤلاءِ هم الأَعداءُ الحَقيقيُّون لها، وما عَدَاهم لَيسُوا أَكثَرَ مِن عُملاءَ أو حُلفاءَ يَنتقلون بينَ المُربَّعاتِ حَسَبَ السِّياقاتِ الزَّمنيةِ والمَكانيةِ المُختلفةِ.

وظَنَّتْ إِيرانُ أنَّها أَرجعَتْ بأَمريكَا عَرْشَ الشَّاهِنْشاهِ ورَايةَ الصَّفَوِيِّ التي مَزَّقَها سَليمٌ الأَوَّلُ في العَاصمةِ تبْريزَ بعدَ معركةِ (جَالديرانَ)، فسَيطَرَتْ على العِراقِ والشَّامِ واليَمنِ، وتَوسَّعتْ توسُّعاً ظَنَّتْ مَعَه أنَّه يُمكِنُها الخُروجُ مِن تَحتِ عَباءةِ الأَمريكيِّ إلى الهَواءِ الطَّلْقِ.. وهنا يَكْمُنُ مَقتلُ الحَليفِ الغَبيِّ الذي حَقَّقَ بحُلفائِه مكاسِبَ ظَنَّ أنَّه حَقَّقَها بنَفْسِه.. ووَهْمُ القُوةِ كقُوَّةِ الوَهْمِ يُعْمِي الأَبصارَ ويُذهِلُ البَصائرَ!!

السُّؤالُ الآنَ: ماذا ستَفعلُ إِيرانُ؟!

الجَوابُ: ولماذا تَظُنُّ أَصلاً أنَّ إِيرانَ يَجِبُ أن تَفعَلَ؟!

كَلبُ صَيدٍ أَطلَقَه سَيِّدُه ليَصِيدَ به فَرائِسَه، فأَكلَ الكَلبُ بَعضَ صَيدِه قَبْلَ إِذنِ سَيِّدِه، فقَرَعَه سَيِّدُه بالعَصَا ليُعِيدَه إلى الجَادَّةِ، فعَادَ إلى الجَادَّةِ.. هذا هو الأَمرُ ببَساطةٍ!!

قد يَنبَحُ الكَلبُ على سَيِّدِه انطِلاقاً من فِطرتِه في النُّباحِ، قد يَتقافَزُ هُنا وهُناك غَاضِباً، قد يَعدُو على كِلابِ سَيِّدِه الأُخرَى فيَنهَشُ هذا ويَعَضُّ ذاك، قد يَتبوَّلُ على نَارِ سَيِّدِه التي أَشعَلَها لِشَيِّ صَيدِه والاحتِفالِ بِه.. سيَظَلُّ سَيِّدُه ينظُرُ إليه بهُدوءٍ ثُم يُهْبِشُه هَبْشَةً إِثْرَ هَبشةٍ حتى يَعرِفَ قَدْرَه فيَهدأَ غَضبُه، ثُم يأتِيَ صَاغراً ذَليلاً يَتَمَسَّحُ بقَدَمِ سَيِّدِه مُحرِّكاً ذَيْلَه دَلالةَ الخُضوعِ والتَّوبةِ!!

قد تُطلقُ إيرانُ بعضَ (أَلاضيشِها) في العِراقِ والشَّامِ لضَربِ مَصلحةٍ أَمريكيةٍ هُنا ومُنْشَأةٍ أَمريكيةٍ هُناك.. قد توعزُ للحُوثِيّ -كما فَعَلَتْ مِن قَبلُ- بضَربِ حَاملةِ نفطٍ أو قَصفِ الرِّياضِ أو الدَّمَّامِ.. بل قد تُهرِّبُ للمُجاهدِين أَنفُسِهم -الذين يُكَفِّرُونها وتُكفِّرُهم- بَعضَ الأَسلحةِ النَّوعيةِ، وتُسرِّبُ لهم إحداثياتِ أَماكنَ أَمريكيةٍ حَساسةٍ في المَنطقةِ لعِلمِها أنَّ المُجاهدِين لن يَتوانَوْا عن استِخدامِ هذا السِّلاحِ في ضَربِ تلك الأَماكنِ.. قد تُمارِسُ ضَغطاً على (تَرامبَ) بتَفجيرِ فَضيحةٍ مَاليةٍ أو قَانونيةٍ أو دُستوريةٍ له أو عنه، لتَزيدَ مَشاكلَه وتُقلقَ أَمْنَه وهو مُقبلٌ على انتِخاباتِ التَّجديدِ..

هذا وأَمثالُه وأَضرابُه ما يُمكِنُ أن يَحدُثَ إن كان سيَحدُثُ شَيءٌ، أمَّا الكَلامُ عن إِشعالِ المَنطقةِ ونُشوبِ حَربٍ عَالميةٍ ثَالثةٍ، فهو مِن قَبيلِ (اللَّكلُوكِ الفَارغِ) الذي تُوحِي به قَناةُ الجَزيرةِ إلى الطَّيِّبين لتَملأَ فَراغَ أَوقاتِهم وعُقولِهم قَبْلَ أن يَغُطُّوا في نومٍ عَميقٍ بعدَ يومِ عَملٍ شَاقٍّ.. (وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ)!!

إيرانُ الحَاليةُ لَيسَتْ دَولةَ مُواجهاتٍ كُبرَى مُنفردةً، إيرانُ دَولةُ مَكائدَ ودَسائسَ ومَكرٍ.. إيرانُ دَولةُ إزعاجٍ شَبيهةٌ -في السِّياقِ الحَالِيِّ- بطِفلِكَ المُشاكِسِ الذي تُرضِيه بقِطعةِ حَلوَى ليَكُفَّ عن صُراخِه ومُشاكَسَتِه وإِحراجِك أَمامَ ضُيوفِك الذين تَنتظرُ خُروجَهم بفَارغِ الصَّبرِ، لتَحشُرَه في زَاويةِ الغُرفةِ كفَأرٍ مَذعورٍ!!

إيرانُ ستَخسَرُ إنْ رَدَّتْ وإنْ لم تَرُدَّ!!

إن لم تَرُدَّ ستنكشف سَوأَتُها أَمامَ الحَمقَى الذين كَانُوا يَرَوْنها شَيئاً، وتَظهَرُ حَقيقتُها التي يَعرفُها العَارفُون مُنذُ زَمنٍ، والتي ضَخَّمَتْها مَرايَا الدِّعايةِ الإِيرانيةِ المُحدَّبةِ، لتَبدُوَ أَمامَ العُيونِ فِيلاً لا هِرَّةً!!

وإنْ رَدَّتْ، فإنَّ الهُروبَ إلى الأَمامِ هو الحَبلُ الذي سيَتعلَّقُ به تِرامبُ، ووَيْكأَنَّه يَنتظرُه، فهو الحَلُّ الأَمثلُ -دَائماً وأَبداً- لأيِّ حَاكمٍ يُواجِهُ مَشاكلَ دَاخليةً ضَاغطةً، ولا أَظنُّ أنَّ تَاريخَ أَمريكَا المُعاصرَ مَرَّ عليه حَاكمٌ أَهوجُ مِثلُ تِرامبَ حَوْلَه كُلُّ هذه المَشاكلِ ويَحتاجُ إلى (عَصَا مُوسَى) لتَلقَفَ ما يُلقِيه أَعداؤُه في الدَّاخلِ والخَارجِ.. سيَهرَبُ تِرامبُ إلى الأَمامِ بقُوَّةٍ ويُلقِّنُ إِيرانَ دَرساً قَاسياً.. هو يَحتاجُ إلى النَّجاحِ في الانتخاباتِ القَادمةِ، ويَحتاجُ إلى البَقاءِ بصُورةِ البَطلِ المُنقذِ في عُيونِ اليَمينِ المُتطرِّفِ والشَّعبَوِيِّين والإِنجيليِّين الذين يُقيمُون قُدَّاسَاتِهم دَورياً في البَيتِ الأَبيضِ، ويَحتاجُ إلى مَحوِ ما أَثْبَتَه (أُوبامَا) في مِلفِّ إِيرانَ النَّوويِّ وإِرغامِها على الجُلوسِ إلى طَاولةِ المُفاوضاتِ.. أَضِفْ إلى هذا كُلِّه حِصارَ الكُونجرسِ ووَسائلِ الإِعلامِ اللِّيبراليةِ له بسَببِ فَضائحِه الأَخلاقيةِ والقَانونيةِ والدُّستوريةِ.. فإذا جَمَعْتَ كُلَّ هذا وغَيرَه وأَضفْتَ إليه جُنونَه الشَّخصيَّ، ستَعرِفُ أنَّ هُروبَه -مِن كُلِّ هذه المَشاكلِ- إلى الأَمامِ مُؤكَّدٌ كتَأَكُّدِ جُنونِه وشَعبوِيَّتِه!!

رَدُّ إِيرانَ -إنْ رَدَّتْ أَياً كان نَوعُ الرَّدِّ- فُرصةٌ جَيِّدةٌ لترامبَ لتَبريدِ سُخونةِ وَضعِه الدَّاخليِّ وتَسخينِ بُرودةِ الأَحداثِ في الخَارجِ، خَاصةً بَعدَ انتِصارِه المُؤقَّتِ على المُجاهِدين وقَتلِه قَادَتَهم وانحِيازِهم من المُدُنِ إلى الصَّحراءِ..

ذلك الانتِصارُ الذي كَانَتْ إِيرانُ فيه كَلبَ أَمريكَا الوَفِيَّ وحَليفَها التَّابعَ!!

أَمَّا إِيرانُ، فهي -وإن كان قد تَضخَّمَ دَوْرُها كحَليفٍ لأَمريكَا ورُوسيَا في هذا الشَّأنِ- إلَّا أنَّها في النِّهايةِ حَليفٌ من الدَّرجةِ الثَّالثةِ لا يُمكِنُ أن تَعْدُوَ قَدْرَها، وبيَنَها وبينَ أَمريكَا والغَربِ عُموماً مِلفَّاتٌ عَالقةٌ لا بُدَّ من حَسْمِها.. تَذَكَّروا أنَّ بِريطانيَا- على مِحوريَّةِ دَوْرِها في العَالمِ- كَانَتْ حَليفاً تَابعاً لأَمريكَا في حَربِ بُوشَ الابنِ على صَدَّام حُسَين، وخَرجَتْ من المَولدِ بقَليلٍ من الحِمَّصِ لا يُناسِبُ قَدْرَها السَّابقَ، فكيف بإِيرانَ!!

الأَمرُ أَشبَهُ بتَحالفِ دَولتَين: كَبيرةٍ وصَغيرةٍ ضِدَّ عَدُوٍّ مُشتركٍ أَبْلَتِ الدَّولةُ الصَّغيرةُ في حَربِه بَلاءً حَسَناً، فظَنَّتْ أنَّها تَستحقُّ النَّصيبَ الأَوفرَ من الغَنيمةِ، ففَركَتِ الدَّولةُ الكَبيرةُ أُذُنَهَا لتُذَكِّرَها بحَجمِها وبحَقيقةِ دَوْرِها وتُعيدَ تَرتيبَ قَواعدِ اللُّعبةِ.

مَقتلُ السَّفَّاحِ سُليمانِي لم يُقصَدْ به تَغييرُ قَواعدِ اللُّعبةِ، بل تَذكيرُ إِيرانَ بالقَواعدِ التي نَسِيَتْها أو تَناسَتْها من اللُّعبةِ!!

(أَنَا بَابَا يَلَا).. هَكذَا يَقولُ بَعضُ المِصريِّين حِينَ يُرِيدُون تَنبيهَ شَخصٍ نَسِيَ نَفْسَه وعَدَا طَوْرَه واسْتهْبَلَ على مَن صَنَعَه!!

أَمريكَا تَقولُ لإِيرانَ: أَعطيتُكِ العِراقَ والشَّامَ واليَمَنَ، ورَفعْتُ قَدرَكِ إِعلامياً عندَ أَوْباشِ العَربِ السُّنَّةِ وشَبابِهم الأَحمقِ الذي يَظُنُّ نَفْسَه مُثقَّفاً حِينَ يَملأُ فَمَه بكَلماتِ (شَريعتِي وحَافِظ شِيرازِي، والفِردَوْسِي)، وجَعلتُكِ

شُرطيَّ الخلَيجِ والمنِطقة، امتِداداً للشَّاهِ الذي أَسقطتُه من أَجلِ مُعَمَّميك، وأَنهيتُ بكِ وبمُرتدَّةِ الأَعرابِ دُولَ المجُاهِدين وجِهادَهم.. ثُم بَعدَ كُلِّ هذا وأَمثالِه تُطلقِين كِلابَكِ -الذين صَنعتِهِم على عَينِي-لِاستهدافِ مَركزٍ لي في كَركوكَ وقَتلِ مُتعاقدٍ أَمريكيٍّ، وتَطويقِ السِّفارةِ الأَمريكيةِ في بَغدادَ -بأَمرِ سُليمانِي- استِعداداً لِاقتِحامِها؟!! قد عَدَوتِ طَورَكِ وارتَقَيْتِ مُرتَقًى صَعباً!!

لقد كان قَتلُ سُليمانِي رَداً أَمريكياً على فِعلٍ إِيرانيٍّ ولَيسَ فِعلاً أَمريكياً ابتِداءً، ونَحنُ كمُسلمِين لا دَخلَ لنا بَينَ (خِنزيرٍ وكَلبٍ) أَكَلا معاً، وشَرِبَا مَعاً، ونَامَا معاً، وقَتَلا معاً، وهَدَما معاً، ثُم اختَلَفَا أَو تَخالَفَا فأَدَّبَ الخِنزيرُ كَلبَه!!

ستُحاولُ إِيرانُ تَحويلَ خَسارةِ سُليمانِي الجَسديةِ إلى مَكسبٍ مَعنويٍّ بَعدَ سُقوطِ صُورتِها في عُيونِ المُسلِمين الذين ظَنُّوها دَولةً مُسلمةً مُقاومةً مُجاهدةً.. ستَتحدَّثُ الآنَ عن ضَرورةِ إِخراجِ المُحتلِّ الأَمريكيِّ من المِنطقةِ (وكَأَنَّ هذا المُحتلَّ لم يكُنْ سَيفَهَا على الأُمةِ ودِرعَها ضِدَّها طيلةَ عِشرينَ سَنةً)، ستُحاولُ الظُّهورَ بمَظهرِ المُقاومِ المُناضِلِ المُجاهِدِ.. سيَبُثُّ الطَّبلُ الأَجوفُ حَسَن نَصر اللهِ خُطَبَه النَّاصريةَ وتَهديداتِه العَنتريةَ، مُردِّداً الجُملةَ ذَاتَها التي قَالَها أَيَّامَ الهَالكِ عِماد مُغنية مَعَ تَغييرِ الاِسمِ: «ما بَعدَ سُليمانِي يَختلفُ عمَّا قَبلَ سُليمانِي»، ثُم يَبحثُ له عن مَخبأٍ آخَرَ، لتيقُّنه أَنَّ مَخبأَه الحَاليَّ كان مَرصوداً، وأَنَّه لم يكُنْ بَعيداً عن أَعيُنِ البِنتاجونَ الأَمريكيِّ الذي غَضَّ الطَّرْفَ عنه.. سيَبتَلِــعُ أَوساخُ السُّنَّةِ الطُّعمَ مَرَّةً أُخرَى -لأَنَّهم أَوساخٌ ولَيسُوا

سُنَّةَ- ويَتحدَّثُون عن التَّقريبِ بَينَ السُّنَّةِ والشّيعة.. ستُحوّلُ إِيرانُ كَوارِثَها الدَّاخليةَ إلى مَكاسبَ خَارجيةٍ لتنسِيَ النَّاسَ أنَّ ثَورةَ الشَّعبِ الإِيرانيِّ -التي مَرَّ عليها بَعضُ شَهرٍ- أُحرِقَتْ فيها صُورُ خَامِنْئِي وسُليماني قَبلَ أن تَقطَعَ حُكومةُ المَلالِي شَبكَةَ الإِنترنِتَ عن الشَّعبِ الإيرانيِّ وتَذبحَ منه أَكثَرَ من أَلفِ مُتظاهِرٍ (بَعضُهم ذُبِحَ حَقيقةً لا مَجازاً)، سيَخرُجُ أَدعياءُ الثَّقافةِ والمُحلِّلُون الإِستراتِيجيُّون مِن شَبابِ الفِيسِ وتُويتَرَ الذين خَلَعَتْ أُمهاتُهم عنهم حَفَّاضاتِهم بالأَمسِ فقط؛ ليدَّعُوا أنَّ أَمريكَا أَجهضَتِ الثَّورةَ العِراقيةَ بقَتلِها سُليمانِي، مُتناسِين أنَّ المُتظاهِرِين العِراقيّين أَحرَقُوا صُورَ الخُمينِيّ، وخَامِنْئِي، وسُليمانِي، مع قُنصُليَّتَيْ إِيرانَ في النَّجفِ وكَربلاءَ، وأنَّ المُظاهراتِ قَامَتْ -في الأَصلِ- ضِدَّ الحُكومةِ المَحكومةِ مِن إِيرانَ والحَشدِ الشّيعِيِّ الشَّعبِيِّ، وأنَّ الذي أَجهَضَها هو سُليمانِي نَفسُه حِينَ وَجَّهَ عُملاءَه من الحَشدِ الشّيعيِّ -الذي تَفَنَّنَ في قَتلِ المُتظاهِرِين- إلى الهُجومِ على المُنشأةِ الأَمريكيةِ في كَرْكُوكَ، ثُم مُحاصرةِ السّفارةِ الأَمريكيةِ في بَغدادَ؛ لعِلمِه أنَّ أَمريكَا ستَرُدُّ.. دُونَ أن يَعرِفَ أنَّ رَدَّها سيكونُ قَطفَ رَأسِه!!

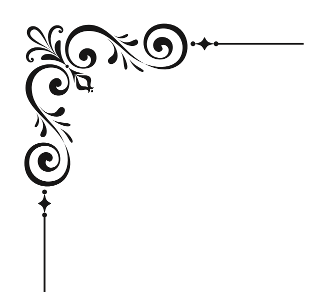
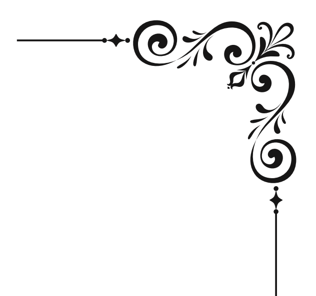
ستُحقّقُ إِيرانُ الكَثيرَ من المَكاسبِ المَعنويةِ والسّياسيةِ بقَتلِ سُليمانِي؛ حتى لَيَكادُ يُظَنُّ أنَّ مَقتلَ سُليمانِي رُبَّما كان أو جاءَ (أَمَلَةً) لإِيرانَ لتُحرِقَ به مَراحلَ كَبيرةً لم تَكُنْ لتُحرِقَها في وُجودِ سُليمانِي.. والأَنكَى من هذا أنَّ أَمريكَا نَفْسَها ستُساعِدُها على تَحقيقِ تلك المَكاسبِ، وإِظهارِها بمَظهرِ (الرَّدِّ) المُظفَّرِ على مَقتلِه.. لَيسَ مِن مَصلحةِ أَمريكَا كَسرُ إِيرانَ نِهائياً إِلَّا إن أَرادَتْ

تَغييرَ قَواعدِ اللُّعبةِ أو إِسقاطَها.. إِيرانُ عَصَا أَمريكَا في المنطقةِ، ولن تَجِدَ مَن يَحُلُّ محَلَّها أو يَقومُ مَقامَها.. ستُثَبِّتُ أَقدامَها في العِراقِ، والشَّامِ، واليَمنِ -تَحتَ سَيطرتِها- إلى حِينٍ، ورُبَّما تُخَفِّفُ عَددَ قُواتِها في العِراقِ لتثيرَ ضَجةً نِضاليةً في قَناةِ الجَزيرةِ وجَوارِيها وأَمثالِها لإِظهارِ انتِصارِ إيرانَ على الشَّيطانِ الأَكبرِ، وستَحلِبُ بذلك مُرتدَّةَ الأَعرابِ بالخَوفِ والرَّجاءِ؛ ليَكتشفُوا -بَعدَ فَواتِ الأَوانِ- أَنَّهم شَارَكُوا بأَنفُسِهم في حِصارِ أَنفُسِهم حِينَ سَاهَموا مُساهمةً فَعَّالةً في تَخريبِ الجِهادِ في العِراقِ والشَّامِ، وإِسقاطِ رَايتِه التي كَانَتْ تَحميهم -إلى حِينٍ- مِن هَجماتِ الفُرسِ الصَّفَوِيِّين!!

وإلى أنْ يَنجلِيَ غُبارُ الأَلاعيبِ عن سَماءِ الوَاقعِ، ستَظَلُّ أَبواقُ إِيرانَ الإِعلاميةُ في المنطقةِ العَربيةِ تَشدُو بِاسمِ سُليماني، وبُطولةِ سُليماني، وعَبقريةِ سُليماني، وعَظَمَةِ سُليماني؛ في الوَقتِ الذي يَعرِفُ فيه الجَميعُ أَنَّ هذا السُّليماني لم يَكسِبْ مَعركةً وَاحدةً دُونَ تَمهيدٍ دَمويٍّ جَوِّيٍّ أَمريكيٍّ أو رُوسيٍّ، وأَنَّه كان أَجبنَ وأَحقرَ في نَفْسه من أن يَدخُلَ حَلبَ أو المَوصِلَ بقُواته مُنفردةً دُونَ العَونِ الأَكبرِ مِن أَسيادِه الذين قَتلُوا به ثُم قَتلُوه.. وما أَصدَقَ المَثَلَ المِصريَّ القَائلَ: (الجَنازةُ حَارَّةٌ والميِّتُ كَلبٌ!!).

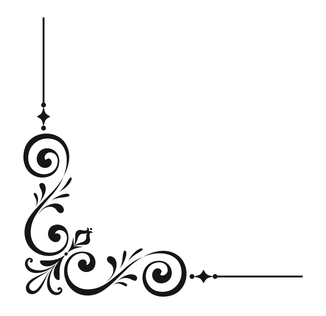
١١/ جُمادى الأولى / ١٤٤١هـ

٧/ ١ / ٢٠٢٠م

(٢٤)

لَمَّا آمَنُوا.. كَشَفْنَا




السَّكِينَةَ السَّكِينَةَ يا عبادَ اللهِ..

لن تَحصُلوا مِن كُلِّ هذا الفَزعِ إلَّا على ضَراوةِ الفَزعِ!!

مَا لا يُستطاعُ دَفْعُه بالأَسبابِ، سَلِّموا الأَمرَ فيه لِرَبِّ الأَسبابِ!!

والأَصلُ التَّسليمُ للهِ قَبلَ الأَسبابِ وبَعدَها.. فإذا اختَطَفَتْنا شَياطينُ المَادِّيَّةِ المُتوحِّشةِ، وعَلَّقتْ قُلوبَنا بالأَسبابِ، فها هو خَالقُ الأَسبابِ يُسقِطُ الأَسبابَ ليُذَكِّرَنا برَبِّ الأَسبابِ!!

لا نَفقَ في الأَرضِ ولا سُلَّماً في السَّماءِ.. أَينَ المَفرُّ ونَحنُ تَحتَ القَدَرِ والقُدرةِ؟! سَلِّمُوا الأَمرَ للهِ فإنَّه أَرحمُ بكم مِن آبائِكم وأُمَّهاتِكم!!

إنْ كان هو المَوتَ، فكانَ ماذا؟! أفي المَوتِ شَكٌّ، عَاجلاً كان أو آجِلاً؟! كُتبَتْ سَاعةُ المَوتِ قَبلَ أن نُولَدَ، ولن نَتقدَّمَ عنها أو نَتأخَّرَ!!

وإنْ كان هو الابتِلاءَ بالخَوفِ والجُوعِ ونَقصٍ من الأَموالِ والأَنفُسِ والثَّمراتِ، فَلْنرِ اللهَ مِنَّا صَبراً وفَزَعاً إليه لا فَزعاً منه، فإنَّ اللهَ يُحِبُّ أن يَسمعَ مُناجاةَ عِبادِه آناءَ اللَّيلِ وأَطرافَ النَّهارِ!!

سَلِّمُوا للهِ ولا تَسْتَسْلِمُوا للهَلعِ، وإيَّاكم أن يَكونَ تَسليمُكم للهِ تَركاً للأَسبابِ المَادِّيةِ، فإنَّ ذلك استِسلامٌ لا تَسليمٌ، وتَواكُلٌ لا تَوكُّلٌ، وإلقاءٌ بالنُّفوسِ إلى التَّهلُكةِ، وقد خَلَقَ اللهُ الدُّنيَا بالأَسبابِ وعلى الأَسبابِ، وهو وَحدَه -جَلَّ وعَلَا- الذي يُجرِي الأُمورَ بها وبُدونِها، فنَارُ إبراهيمَ لم تَحرِقْ إِبراهيمَ،

وسِكّينُ إسماعيلَ لم تَذبَحْ إسماعيلَ.. وقد أَمَرَ سُبحانَه باتّخاذِها حِينَ قَالَ: (وَأَعِدُّوا...)، وحِينَ قَالَ: (خُذُوا حِذْرَكُمْ)، وحِينَ قَالَ: (فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ)، وأَمَرَ النَّبِيُّ -صَلَّى اللهُ عليه وسَلَّمَ- باتّخاذِها أيضاً حِينَ قَالَ: (إِذَا سَمِعْتُمْ بِالطَّاعُونِ بِأَرْضٍ فَلَا تَدْخُلُوهَا، وَإِذَا وَقَعَ بِأَرْضٍ وَأَنْتُمْ بِهَا فَلَا تَخْرُجُوا مِنْهَا)، وحين قال: (نَعَمْ، يَا عِبَادَ اللهِ! تَدَاوَوْا، فَإِنَّ اللهَ لَمْ يَضَعْ دَاءً إِلَّا وَضَعَ لَهُ شِفَاءً...)، وتَدَرَّعَ -صَلَّى اللهُ عليه وسَلَّمَ- بالدُّروعِ في الحُروبِ لحِفظِ نَفْسه، وحَفَرَ الخندقَ حولَ المَدينةِ أيَّامَ الأَحزابِ، ورُوِيَ أنَّه أَرسَلَ عَمرو بْنَ مَسعودٍ الثَّقفيَّ، وغَيْلانَ بْنَ سَلَمَةَ إلى جَرَش لتَعلُّمِ صِناعةِ المَنجنيقاتِ والدَّبَّاباتِ والعَرَّاداتِ، ونَهَى يَعقوبُ -عليه السَّلامُ- بَنِيه أن يَدخُلوا مِن بَابٍ وَاحدٍ خَشيةَ العَينِ والحَسدِ، وما كان يُغْنِي عنهم مِن اللهِ شَيئاً!!

أَلم تَرَ أَنَّ اللهَ أَوْحَى لِمريَمٍ: ** فَهُزِّي إِلَيْكِ الجِذْعَ يَسَّاقَطِ الرُّطَبْ
وَلَوْ شَاءَ أَدْنَى الجِذْعَ مِنْ غَيْرِ هَزِّةٍ ** إِلَيْهَا، وَلَكِنْ كُلُّ شَيْءٍ لَهُ سَبَبْ

اعقِلْها وتوَكَّلْ، واتَّخِذِ الأَسبابَ ولا تَعبُدْها، فإنَّ الذين عَبَدُوا الأَسبابَ، رَأَوُا العَذابَ وتَقَطَّعَتْ بِهم الأَسبابُ!!

الذين قَطَّعوا أَرضَ اللهِ وحَدَّدُوا فيها حُدوداً من عِندِ أَنفُسِهم ثُم أَغلَقُوها على أَنفُسِهم، واسْتأثَرُوا بخَيراتِ الأَرضِ التي نَهَبُوها من أَقطارِ الأَرضِ، (وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللهِ)، أَسقَطَهم اللهُ في حُصونِهم، وأَتاهُم

مِن حَيثُ لم يَحتَسِبُوا وقَذَفَ في قُلوبِهم الرُّعبَ!!

النِّظامُ العَالميُّ الذي صَعِدَ -كما يَقُولُون- للقَمرِ، وشَيَّدَ نَاطحاتِ السَّحابِ، واختَرَعَ أَبشَعَ أَسلحةِ القَتلِ والإرهابِ، وصَنَعَ أَدقَّ الآلَاتِ والأَنظمةِ الطِّبِّيةِ، وأَنشَأَ مِن وَسائلِ الاِتِّصالِ ما يَفوقُ في سُرعتِه الدَّقيقةَ والثَّانيةَ، وَظَنَّ أنَّه قَادرٌ على الأَرضِ ومُقتدرٌ فيها؛ ترَنَّحَ تَحتَ سَطوةِ (شَيءٍ مَيِّتٍ) لا حَياةَ فيه!!

شَيءٌ لم يَبلُغْ -في ذَاتِه- أن يكونَ كَائناً حَياً؛ ها هو يَتلاعبُ بمَن ظَنُّوا أَنفُسَهم سَادةَ الكَائناتِ الحيَةِ!!

العَالَمُ (الذي يُسمُّونه الأَوَّلَ) يَتساقطُ تَحتَ ضَرباتِ شَيءٍ مَيتٍ!!

لم أَسمَعْ -واللهِ- أو أَقرأْ عن عِبرةٍ كهذه في التَّاريخ.. سَمِعتُ عن الهَدمِ والرَّدمِ والخَسفِ والزَّلزلةِ والرِّيحِ السَّمُومِ والطَّيرِ الأَبابيلِ والصَّيحةِ والطُّوفانِ، ولم أَسمعْ عن شَيءٍ مَيِّتٍ يُميتُ الأَحياءَ!!

طَلاقةُ قُدرةٍ رَبَّانيةٍ تَعجَزُ عن فَهمِها العُقولُ، وتَقصُرُ عن إِدراكِها المَدارِكُ، ويَكِلُّ عن تَصوُّرِها الخَيالُ!!

﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ﴾.

لا طَائراتٌ، ولا دَباباتٌ، ولا صَواريخُ، ولا بَوارجُ، ولا سُفنُ فَضاءٍ، ولا مَنظوماتٌ صِحيةٌ مُتقدمةٌ، ولا أَجهزةٌ دَقيقةٌ لرَصدِ الكَوارثِ وتَوقُّعِها..

سَقَطَ مَضمونُ كُلِّ ذلك ومَعنَاه تَحتَ وَطأةِ شَيءٍ مَيِّتٍ!!

الذي قَالَ: ﴿أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ﴾ أَهلكَه اللهُ بحَشرةٍ.. والذي قَالَ: ﴿أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى﴾، ﴿وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِي﴾، أَجرَاها اللهُ مِن فَوقِه، ثُم أَلقَاه ببَدنِه -كالثَّورِ الأَحمرِ- يَنظُرُ إليه مَن كَانُوا يَرتجِفُون من اسْمِه.. والذي قَالَ: ﴿إِنَّمَا أُوتِيتُه عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي﴾ خَسَفَ اللهُ به وبِدَارِه الأَرضَ.. والذي دَخَلَ جَنَّتَه وهو ظَالمٌ لنَفْسِه وقَالَ: ﴿مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً﴾، ﴿أَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَى مَا أَنْفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا﴾.. والذين قَالُوا: ﴿مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً﴾، سَلَّطَ اللهُ عليهم الرِّيحَ وصَيَّرَهم كأَعجازِ نَخلٍ خَاويةٍ.. والذين اجتَهَدُوا في عَلمنةِ المُجتمعاتِ وإِبعادِ اللهِ عن (المجالِ العَامِّ) أَغلقَ اللهُ عليهم المجَالَ العَامَّ، وأَجلَسَهم في بُيوتِهم يَنتظِرُون المَوتَ.. وأَقسَى مِن الموتِ انتظارُه!!

ها هو العَالَمُ الأَوَّلُ -الذي كَادَ بَعضُ أَبناءِ جِلْدَتِنا من الأَوباشِ العَلمانيِّين أن يَعبُدَه من دُونِ اللهِ -يُعلنُ اسْتِسْلامَه وضَعفَه وقِلَّةَ حِيلتِه، ويَخرجُ حُكامُه على شُعوبِه تِباعاً مُنكسِرِين مَخذُولِين يُناشِدُون النَّاسَ البَقاءَ في بُيوتِهم، بَعدَ أن أَعيَتْهم الحِيلةُ وسَقطَتْ مَنظوماتُهم ونُظُمُهم الطِّبيةُ في عَشرةِ أَيَّامٍ فَقطْ!!

وها هي قِيَمُه المَزعومةُ ومِثاليَّاتُه المُتوَهَّمةُ التي تَغَنَّى وخَدَعَ بها الحَمقَى والمُغفَّلِين من بَني جِلْدَتِنا، تَسقُطُ سُقوطاً ذَريعاً في مُستنقعاتِ الأَنانيةِ والفَرديةِ والتَّوحُّشِ، فمِن دُولٍ تَستجدِي مُساعدةَ جِيرانِها وحُلفائِها دُونَ

جَدوَى، إلى دُولٍ تُصادِرُ سُفنَ المُساعداتِ وتُقرصِنُها، إلى عَوَامَّ يتقاتلُون في الأَسواقِ على المَوادِّ الغذائيةِ والمُعقّماتِ، ويَفزَعُون إلى شِراءِ الأَسلحةِ تَحسُّباً لتوحُّشٍ قادمٍ، إلى أَصحابِ مَتاجرَ يستغيثُون بالشُّرطةِ لحِمايةِ بَضائِعِهم، إلى مُصابِين بالوَباءِ يتعمَّدون نَقْلَه لغَيرِهم في وَسائِلِ المُواصلاتِ ومَصاعِدِ البِناياتِ، إلى جَماعاتٍ يَمينيةٍ عُنصريةٍ متطرِّفةٍ تَحُثُّ أَعضاءَها على نَقلِ الوَباءِ إلى غَيرِهم.. هذا وهُم في بِداياتِ الأَزمةِ التي يَبدُو أنَّها لن تَنتهِيَ حتى نَرَى وَاقعَهم يُماثِلُ أَفلامَهم ومُسلسلاتِهم عن مُجتمعاتِ ما بَعدَ الدَّمارِ وكائناتِه المُشوَّهة.. ولو فَكَّرَ المُنبهِرُون بهذه الحَضارةِ المَزعومةِ في أَوَّلِيَّاتِها وأُسُسِها؛ لَاكتَشَفُوا أنَّها -مُنذُ بِدايتِها- حَضارةُ كائناتٍ مُشوَّهة وهَمَجٍ هَامِجٍ لا يَعرِفُ أَكثرُهم مَعروفاً ولا يُنكِرُ مُنكَراً؛ في الوَقتِ الذي يَدَّعُون فيه امْتلاكَ قِيَمٍ ومِثالياتٍ يَفتقِرُ غيرُهم إليها.. ولا أَدرِي واللهِ كَيفَ يُصدِّقُ أَوباشُ العَربِ من المَهزومِين نَفسياً تَجَذُّرَ مِثلِ هذه القِيمِ عِندَهم في الوَقتِ الذي لا يَجهَلُ أَحدٌ فيه أُسُسَ النِّظامِ العَالميِّ القَائمِ على المَصلحةِ البَحتةِ، والنَّفعيةِ، والفَردانيةِ، والنَّظرِ إلى الإِنسانِ كأَداةِ إِنتاجٍ مَحضةٍ أو تُرْسٍ في آلة؛ يُمكِنُ أن يُتخَلَّصَ منه بَعدَ انتهاءِ عُمرِ إِنتاجِه الافتِراضيِّ.. حتى لَيُخيَّلُ للمُتفكِّرِ أَحياناً أنَّ هذا الوَباءَ -وإِنْ لم يَكُنْ مِن صُنعِ أَيدِيهم- فُرصةٌ لأَساطِينِ نِظامِهم لِيَستَخدِمُوه في التَّخفُّفِ من كِبَارِ السِّنِّ وأَعبائِهم الاقتصاديةِ، وتَجديدِ دِماءِ مُجتمعاتِهم الهَرِمَة.. وهذا الرَّأيُ -وإِنْ كان يُسْخَرُ من أَصحابِه بدَعوَى نَظريةِ المُؤامرةِ- له حَظٌّ كَبيرٌ من النَّظرِ عِندَ من يَفهمُ طَبيعةَ الأُسُسِ التي قَامَتْ

عليها هذه الحَضارةُ المُتوحشةُ، وقد سَبَقَ لهم أنْ أَجْرَوْا تَجارِبَ نَوويةً ونَفسيةً مُميتةً على البَشرِ، وسَعَى بَعضُهم للتَّخلُّصِ مِن المُعوقِين والمَرضَى.. وما (عَقيدةُ الصَّدمةِ) و(الهُولوكستُ) سِوَى انعِكاسٍ عَامٍّ للحَضارةِ الغَربيةِ كُلِّها، ولَيسَ خَاصاً بشُذَّاذِ الآفَاقِ من رُعاةِ البَقرِ الأَمريكانِ، أو المَجبُولين بنَقاءِ العِرقِ الآرِيِّ من النَّازِيِّين الأَلمانِ!!

وأنا لا أَعرِفُ -واللهِ- (هُولوكستاً) أو جَحيماً أَرضياً يُماثِلُ -في بَشاعته- نِظامَهم الرَّأسماليَّ الذي أَنتَجَ -في الوَاقعِ- كَائنات مُشوَّهةً حَقيرةً لا تَعرِفُ غَيرَ المَصلحةِ دِيناً وغَيرَ الدُّولارِ إلهاً، حتى لَيَكادُ أَحدُهم -إنْ أَمِنَ العُقوبةَ- أن يأْكُلَ لَحمَ أَخِيه حَياً لو وَجدَ في أَكلِه مَصلحةً له.. ولو نَظرْتَ إلى مُقلِّدِيهم والسَّائرِين على خُطاهُم ومَناهِجِهم عِندَنا، لَوجدْتَ تَشابُهاً في الوَحشيةِ والحَقارةِ والتَّشوُّهِ النَّفسيِّ يَكادُ يَصلُ إلى حَدِّ التَّطابُقِ، وكأنَّه ارتباطٌ شَرْطِيٌّ يُعرَفُ به مَدَى تَوحُّشِ الإنسانِ بمَدَى قُربِه من تِلكَ الحَضارةِ!!

وقد تَساقطَتْ -بهذا الوَباءِ- مَنظوماتُهم الرَّأسماليةُ على رُؤوسِهم، ويُوشِكُ -إنْ طَالَ أَمدُه- أن يَختَلَّ نِظامُ عَالَمِهم القَذرُ، أو تَنهدِمَ أُسُسُه -جُزئياً أو كُلياً-، فيُشغِلُهم اللهُ بأَنفُسِهم عن القَتلِ والنَّهبِ والإِفسادِ والإِرهابِ والتَّدميرِ الذي أَحدَثُوه في العَالَمِ، فيَجدُ المُستضعَفُون من المُسلمِين مَساراتِ فِعلٍ وفَاعليةٍ يُحسِنُون بها (إدارةَ التَّوحُّشِ) إنْ حَدثَتْ، ويُجَدِّدُونَ بها ما رَثَّ مِن ثَوبِ العَقيدةِ، ليَتدَثَّروا به فَوقَ (ذِروةِ سَنامِ الإِسلامِ).. وكَم مِن مِنحةٍ في جَوفِ مِحنةٍ ونِعمةٍ في طَيِّ نِقمةٍ!!

لقد وَصلَتْ هذه الحَضارةُ الملعونةُ بالبَشريةِ إلى حَضيضٍ لا يَتخَيَّلُ مُتخيِّلٌ حَضيضاً دُونَه، وهي لم تَترُكْ جَريمةً من الجرائمِ التي عذَّبَ اللهُ بسَببِها القُرونَ الأُولَى إلَّا وجَعلَتْ بَعضَها دِثاراً لها وبَعضَها شِعاراً عليها، فكَأَنَّها جَمَعَتْ -في زَمنٍ وَاحدٍ- ما تَفرَّقَ مِن شُرورِ الأَزمنة، وحَازتْ -في حَضارةٍ وَاحدةٍ- ما تَناثَرَ مِن جَرائمِ الحَضاراتِ.. ونَسأَلُ الله -جَلَّ وعَلَا- أن يَجْمَعَ عليها مِن العَذابِ ما فَرَّقَهُ في القُرونِ الأُولَى، ثُم ﴿يُنَجِّي اللهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ السُّوءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾.

إنَّ اللهَ الذي يُذَكِّرنا بنَفْسِه بالرَّحمةِ، هو ذَاتُه الذي يُذَكِّرنا بنَفْسه بالبَلاءِ، والسَّعيدُ مَن ذَكَرَهُ في رَحمتِه قَبْلَ أن يَذْكُرَهُ في بلائِه، وأَسعدُ السُّعداءِ من رأى في البَلاءِ رَحمةً ورَفْعَ دَرجاتٍ وتَكفيرَ ذُنوبٍ، فَسَلَّمَ الأَمرَ للهِ قَبْلَ اتِّخاذِ الأَسبابِ وبعدَها، وأَيقنَ -كما قَالَ الصَّادقُ المَصدوقُ- أنَّ كُلَّ أَمرِ المُؤمنِ خَيرٌ، إنْ أَصابَتْه سَرَّاءُ شَكَرَ فكَانَ خَيراً له، وإنْ أَصابَتْه ضَرَّاءُ صَبَرَ فكَانَ خَيراً له، ولَيسَ ذلك إلَّا للمُؤمنِ!!

خَيرُ الأَقدارِ ما وَقَعَتْ.. وكُلُّ أَقدارِ اللهِ خَيرٌ!!

كلُّ شَيءٍ منه، وكُلُّ شَيءٍ له، وكُلُّ شَيءٍ به..

﴿الْأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ﴾ ﴿وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾، ﴿يَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ﴾، ﴿لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي

الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ﴾، ﴿لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾، ﴿لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾، ﴿يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى﴾، ﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾، ﴿مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ﴾، ﴿يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا﴾، ﴿يُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾، ﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ﴾، ﴿يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾، ﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ﴾..

سُبحانَه لا تُوصَفُ عَظمَتُه ولو كَانَتْ أَشجارُ الأَرضِ أَقلاماً وبُحورُها مِداداً!!

استِشعارُ عَظمةِ اللهِ في النَّوازلِ، ثُم استِصحابُ هذا الاستِشعارُ دَائماً وأَبداً حتى تَمتلِئَ به نُفوسُنا كُلَّ حِينٍ؛ يهُوِّنُ في قُلوبِنا كُلَّ خَطْبٍ، ويُحَقِّرُ في أَنفُسِنا كُلَّ مُصيبةٍ، ويُبقِي أَرواحَنا -كما خُلقَتْ في الأَصلِ- مُتصلةً باللهِ الذي رَبَطَها به حِينَ نَفَخَها في أَجسادِنا، ثُم أَسكَنَنا الأَرضَ اختِباراً وابتِلاءً قَبْلَ أن نَعودَ إليه -سُبحانَه- مُحسِنين أو مُسيئِين.

اللهُ هو المَعنَى -وله المَثلُ الأَعلَى لا نَضرِبُ له الأَمثالَ- وقد أَتعَبَ نَفْسَه مَن بَحَثَ عن المَعنَى بَعيداً عن اللهِ.. وُجودُ اللهِ في حَياتِك هو المَعنَى الحَقيقيُّ لوُجودِك في الحَياةِ!!

وهذا الرَّبُّ العَظِيمُ هو الذي يَقبلُك في وَقتِ الشِّدَّةِ كما يَقبلُك في وَقتِ الرَّخاءِ، فلا تَظُنَّنَّ أنَّ فزعَكَ إلى اللهِ في الشِّدَّةِ -بَعدَ تَلَهِّيكَ عنه في الرَّخاءِ- مُنافٍ لِمُطلَقِ الإخلاصِ، فقد كان النَّبيُّ -صَلَّى اللهُ عليه وسَلَّمَ- إذا حَزَبَه أَمرٌ فَزِعَ إلى الصَّلاةِ، (وحَاشَاه -صَلَّى اللهُ عليه وسَلَّمَ- أن يَتَلهَّى عن اللهِ في أَيِّ وَقتٍ). وما أَعجَبَ قَولَ اللهِ -جَلَّ وعَلَا-: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُمْ بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ، فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.. فانظُرْ إلى (لَعلَّ) و(لَولَا) فكَأَنَّ اللهَ -جَلَّ وعَلَا- أَخذَهم بالبأساءِ -بَعدَ تَكذيبِهم الرُّسُلَ- ليَتَضرَّعُوا، وكأنَّهم لو تَضرَّعُوا كَشَفَ عنهم العَذابَ، تَماماً كقَومِ يُونُسَ الذين قَالَ اللهُ فيهم: ﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا آمَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ﴾!!

أَكثِرْ مِن التَّضرُّعِ للهِ ولا تَفزَعْ!!

أُصِيبَ الصَّحابةُ بالطَّواعينِ والأَوبئةِ، ومَاتَ أَبو عُبَيْدَةَ، ومُعاذُ بْنُ جَبلٍ في طَاعونِ عَمَوَاسَ، فرَأَياه لهما ولمن مَعَهما رَحمةً، وسَعَى غَيرُهما إلى النَّجاةِ منه ورَأَوُا النَّجاةَ منه أَيضاً رَحمةً.. ولكُلٍّ وِجهةٌ هو مُوَلِّيها، ولا فِرارَ مِن قَدَرِ اللهِ إلَّا إلى قَدَرِ اللهِ!!

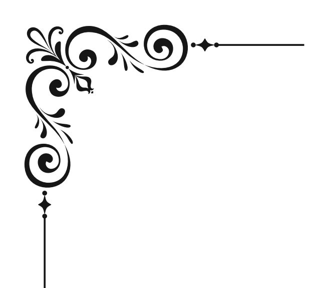
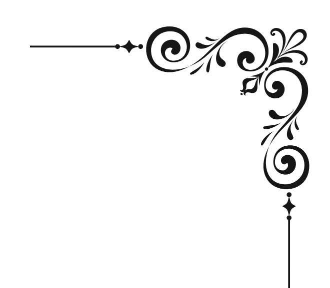
أَكْثِرْ مِن: (لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ).. أَكْثِرْ مِن: (حَسْبِيَ اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ).. أَكْثِرْ من: (بِاسْمِ اللهِ الَّذِي لَا يَضُرُّ مَعَ اسْمِهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ).. أَكْثِرْ مِن: (أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللهِ التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ)، أَكْثِرْ مِن الصَّلاةِ والسَّلامِ على سَيِّدِ الأَنبياءِ والمُرسَلين.. وفَوقَ هذا ومَعَه، أَكْثِرْ مِن قِراءَةِ كَلامِ رَبِّك الرَّؤُوفِ الرَّحيمِ الذي قَالَ عن كَلامِه: (وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا)!!

لا تَخرُجْ مِن بَيتِك قَبْلَ أَنْ تُحصِّنَ نَفْسَك بالأَذكارِ كما تُحصِّنُ يَدَيْك ووَجهَك بالقُفَّازِ والكِمَامَة.. أَشِعْ ذِكْرَ اللهِ في بَيتِك وشَارِعِكَ وحَيِّك.. أَسمِعْ أَهلَكَ وجِيرانَك التَّكبيرَ والتَّسبيحَ والقُرآنَ حتى لا يَستحوذَ عليهم الشَّيطانُ بالفَزَعِ، فإنَّ الفَزَعَ مُستنقَعُ الشَّيطانِ!!

إنْ سَقَطَتِ الأَسبابُ فقد بَقِيَ رَبُّ الأَسبابِ، ولن تَموتَ نَفْسٌ حتى تَستوفِيَ أَجَلَها.. فلا تُمِتْ نَفْسَك بالفَزَعِ قَبْلَ أن تَموتَ.. وتَذكَّرْ: (إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ)، وأنَّهم: (لَمَّا آمَنُوا.. كَشَفْنَا)!!

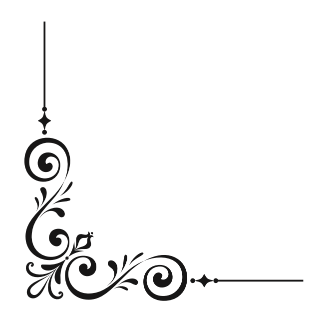
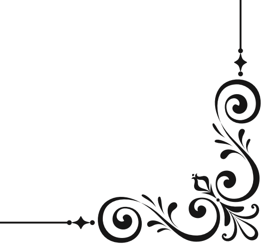
٣٠ / شعبان / ١٤٤١هـ

٢٨/ ٣ / ٢٠٢٠م

(٢٥)

بَلْ أَنتُمْ بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ

مَا حَدَثَ لَنَا حَدَثَ لغيرِنَا..

مَا فَعَلَهُ غيرُنَا يَجِبُ أن نَفعَلَه..

تَنهَضُ الأُممُ بالأَسبابِ كما تَسقطُ بالأَسبابِ..

امتِلاكُكَ العَقيدةَ الصَّحيحةَ يُؤهلُكَ للنَّصرِ ولا يُحقِّقُه!!

اكتِفاؤُكَ بالعَقيدةِ الصَّحيحةِ خَللٌ في فَهمِكَ للعَقيدةِ الصَّحيحةِ!!

الأَسبابُ المُمْكِنةُ بَوَّابةُ الأَسبابِ الكَافيةِ.. تَتابُعُ المُمكِنِ نَصرٌ، وتَتابُعُ الكِفايةِ فَتحٌ!!

التَّاريخُ حَركةُ الإِنسانِ في الزَّمانِ والمَكانِ، ومَا أَصلُهُ الحركةُ عَبثٌ أنْ تَعتقدَ ثَبَاتَه!!

لا ثَابتَ -تَحتَ القَدَرِ والقُدرَة- سِوَى التَّغَيُّرِ!!

مَا يَحدثُ لا بُدَّ أنْ يَحدثَ لِيَحدُثَ ما يَنبغي أنْ يَحْدُثَ!!

- لماذا يَنجحُون ونَفشلُ؟!

- هذا سُؤالٌ تَافهٌ وغَبيٌّ ومُمِلٌّ!!

لقد نَجَحْنا عَشرةَ قُرونٍ وفَشِلُوا عَشرةَ قُرونٍ!!

أينَ -في التَّاريخ- رَأيتَ نَجاحاً دَائماً أو فَشلاً دَائماً؟!

وكَيفَ يُمكنُ أن تُصبحَ الدُّنيَا (دُنيَا) مَعَ النَّجاحِ الدَّائِمِ أو الفَشلِ الدَّائِمِ؟!

لم تُبنَ الدُّنيَا على هذا أو ذاك، ولو بُنِيتْ على هذا أو ذاك، لكَانَتْ جَنةً بالنَّجاحِ أَبداً، أو نَاراً بالفَشلِ أَبداً، ولَكَانَ خَلْقُها -من البِدايةِ- عَبثاً ولَهواً.. وحَاشَاه -جَلَّ وعَلَا- أن يَخلُقَ عَبثاً أو يَتخذَ لَهواً!!

مَا على مَن أَرادَ أن يَفهمَ الدُّنيَا إلا فَهْمَ نَفْسِه!!

مَا خَلَقَ اللهُ الدُّنيَا لكَ وجَعَلَك سَيداً فيها -ولَيسَ سَيداً لها- إلَّا وقد رَكَّبَ فِيكَ بَعضَ ما رَكَّبَ فيها من سُنَنِ الحركَةِ والمُدافعةِ والتَّغييرِ، فأَنتَ لها كالوَلَدِ للوَالدةِ، وهي لكَ كالوَالدةِ للوَلَدِ، فِيكُما مِنكُما ما به تَدومُ الحركَةُ والمُدافعةُ والتَّغييرُ، فإذا سَكَنَ أَحدُكما فَسَدَ وأَفسدَ الآخَرَ.. وهَيهاتَ السُّكونُ وقد طُبِعْتُمَا على الحركَةِ!!

الإِنسانُ للزَّمانِ والمَكانِ كالعِلَّةِ للمَعلولِ، هما حَدَّاهُ اللَّذان يَتغيَّرانِ بحَركتِه، وهو القَلبُ الذي يَنبِضُ لحَركتِهما.. مُتَغيرٌ يُغَيّرُ مُتَغَيّراً.. وكُلٌّ في فَلكٍ يَسبحُون!!

«أَنتَ في الدُّنيَا.. ولا حَلَّ لذلك»!!

لَيسَ أَمامَكَ سِوَى فَهمِ قَوانينِها وسُنَنِها، ثُم بَذلِ الجُهدِ للعَملِ فيها حَسَبَ قَوانينِها وسُنَنِهَا، ولا سُنَنَ في الدُّنيَا أَقوَى من المُدافعةِ الدَّائمةِ، والحركةِ الدَّائبةِ.

الأُمورُ بخَواتيمِها، وخَواتيمُ الأُمورِ في نُضجِ أَسبابِها لا في انتِهاءِ حَياتِك!!

حَياتُك -في نَهرِ التَّاريخِ- لَيسَتْ في الحُسبانِ إلَّا بقَدْرِ ما تُنتِجُ فيها مِن آلياتِ حَركةٍ أو أَدواتِ تَغييرٍ، وإلَّا فهي قَطرةٌ خَرجَتْ من مَنبعٍ، وجَرَتْ في مجرًى، وتاهَتْ في مَصَبٍّ، ثُم إلى رَبِّك المُنتَهى!!

لقد نَجَحْنا عَشرةَ قُرونٍ، فيها من الانتِصاراتِ والانكساراتِ والفُتوحِ ما تُستوفَى بمِثلِه المَغانمُ، وتُستخلَصُ بمِثلِه المَغارِمُ، ولا تَخلُو أُمةٌ مِن ضِدٍّ، ولا فَردٌ مِن نِدٍّ، وكما يَرفَعُك اللهُ -نَجاحاً- بالقَوانينِ والسُّنَنِ، ويَضَعُك -فَشلاً- بالقَوانينِ والسُّنَنِ، يَرفعُ اللهُ الأُممَ ويَضعُها بذَاتِ القَوانينِ والسُّنَنِ، تَعاقُبٌ كتَعاقُبِ اللَّيلِ والنَّهارِ، فيه من حُلْكَةِ اللَّيلِ وسُكونِه، ونُورِ النَّهارِ وحَركتِه، ما به يُنْفِذُ اللهُ أَقدارَه، ويُجرِي سُنَنَه، ويَتخِذُ شُهَداءَه، ويَمتحِنُ أَولياءَه!!

لقد نَجَحْنا عَشرةَ قُرونٍ، بَيْدَ أنَّك تَقرَأُ النَّجاحَ المَاضيَ قِراءةَ مُتَّكِئٍ على أَريكتِه، أو قِراءةَ مُلتقطٍ عَجلانَ -في كِتابٍ أو كِتابَينِ من كُتبِ التَّاريخِ-، ثُم تُعايشُ الفَشلَ الحَاضرَ ساعةً بسَاعةٍ ويَوماً بيَومٍ ويَأساً بيَأسٍ، غَافلاً عن أنَّ ما تَقرؤُه الآنَ -مُتَّكِئاً على أَريكتِك- عَاشَهُ أَصحابُه أَيضاً سَاعةً بسَاعةٍ ويَوماً بيَومٍ ويَأساً بيَأسٍ، فلا النَّاجحُ دَامَ نَجاحُه ولا الفَاشلُ دَامَ فَشَلُه، وإنَّما هو السَّعيُ والكَدحُ والتَّدافُعُ!!

ما نَحنُ فيه طَبيعيٌّ جِداً.. مِنْ غَيرِ الطَّبيعيِّ أنْ نَظلَّ كَما نَحنُ!!

كَيفَ يُمكِنُ أن يَخطُرَ في بَالِ عَاقلٍ أنَّ أَكثرَ مِن مِئتَيْ سَنةٍ من الرُّكودِ

والتَّحريفِ والتَّغريبِ والتَّجريفِ، والاِحتِلالِ الكَاملِ؛ يُمكِنُ أن يُمحى أَثرُه في عِقدٍ أو عِقدينِ مَا تَزالُ السِّيادةُ فيهما لأَسبابِ التَّحريفِ والتَّجريفِ!!

وكَيفَ يُمكنُ أن يَخطُرَ في بَالِ عَاقلٍ أنَّ أُمَّةً -كأُمَّتِنا- تَملكُ كُلَّ مُقوِّماتِ النَّهضةِ- مَادياً ومَعنوياً؛ يُمكِنُ أن ييأَس أَبناؤُها مِن تَقليصِ فَارقِ القُوةِ بينَها وبينَ أَعدائِها؛ في الوَقتِ الذي كان أَعداؤُها هؤلاءِ يَدفَعُون الجِزيةَ لبَعضِ أَقاليمِ الأُمَّةِ مُنذُ ثَلاثِ مئةِ سَنةٍ فَقطْ، ثُم لم يَخلُ عِقدٌ زَمنيٌّ كَاملٌ -بَعدَ ذلك وحتى الآنَ- مِن تَمريغِ رُؤوسِهم في الوَحَلِ على يَدَيْ ثُلَّةٍ من المُجاهدِين الصَّادقِين بِسلاحٍ خَفيفٍ وعَقيدةٍ ثَقيلةٍ؟!

الأُمورُ لا تَنقلبُ فَجأةً، وإنْ ظَنَّهَا المُتعجِّلُون كذلك!!

النَّهضةُ: تَفاعُلُ نتائِجِ الفَشلِ مَعَ عَواملِ إِرادةِ النَّجاحِ!!

ونَتائِجُ الفَشلِ تَحتاجُ زَمناً لظُهورِها، وزَمناً لمَحوِ آثَارِها؛ تَماماً كعَواملِ إِرادةِ النَّجاحِ التي تَحتاجُ -أيضاً- إلى زَمنٍ لبَذْرِها، وزَمنٍ لِاستِنباتِها، وزَمنٍ لقَطفِ ثِمارِها، ثُم لا بَأسَ -بَعدَ ذلك وخِلالَه- ببَعضِ عَوارضِ اليأسِ التي لا تُقيِّدُ حَركةً ولا تَعوقُ فِعلاً ولا تُسقِطُ هِمَّةً!!

لقد اسْتيأَسَ الرُّسُلُ وظَنُّوا أنَّهم قد كُذِبُوا.. ﴿قَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّاراً﴾.. ويُونُس: ﴿ذَهَبَ مُغَاضِباً وَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ﴾.. ويَعقوبُ: ﴿تَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا أَسَفَى عَلَى يُوسُفَ وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ﴾.. ويُوسُفُ: ﴿قَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِنْهُمَا اذْكُرْنِي

عِنْدَ رَبِّكَ﴾.. ومُوسَى: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي﴾.. ولُوطٌ قَالَ: ﴿لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ﴾!!

طَوارِقُ اليأسِ عَوارِضُ بَشرِيةٌ لا يَكادُ يَسلَمُ منها بَشرٌ، والعَارِضُ لا يُقاسُ عليه، فإنْ أَحبطَكَ فَسادُ وَاقِعكَ فتذَكَّرْ حِكمةَ إِيجادِ اللهِ لكَ فيه، فما أَوْجَدكَ فيه إلَّا لإِصلاحِه، وقد جِئتَ في وَقتِك تَماماً -لا قَبْلَه ولا بَعدَه- كما جَاءَ المُصلِحُون والمُفسِدُون مَعاً، فَانظُرْ أَيْنَ ستَضعُ نَفْسَك.. وكُنْ على يَقينٍ من أنَّ ما سَتُصلِحُه أَنتَ اليَومَ سَيُفسِدُه غَيرُك غَداً، وما سيُفسِدُه غيرُكَ غَداً سيُصلِحُه غَيرُه بَعدَ غَدٍ، في حَركَةٍ دَائبةٍ من الصِّراعِ والتَّدافُعِ، فلا الإِصلاحُ سيَدومُ ولا الإِفسادُ سيَدومُ، وإنَّما هو العَملُ الذي تَعبَّدَكَ اللهُ به دُونَ أن يَكونَ لك من الأَمرِ شَيءٌ!!

ما يَعيشُه المُسلمُون الآنَ لن يَدومَ، وهو -مَعَ ذلك- طَبيعيٌّ جِداً، حَدثَ لغَيرِنا كَما يَحدثُ لنا، وسيَنتَهِي عِندَنا كَما انْتَهَى عِندَهم، فلا يُيئِسَنَّكَ إِرجافُ المُرجِفِين وتَثبيطُ المُثبِّطِين، فلَيسَ أَكثرُ مِن النَّائحاتِ في المَآتِمِ!!

ذَلِكَ الطَّافِي سَيَطْفُو غَيْرُهُ ** ويَظَلُّ الْغَائِرُ الْمَنْشُودُ أَرْوَعْ

هي (أَزمِنةُ مَعابرَ انْتِقاليةٍ)، وأَزمنةُ المَعابِرِ مُوحِشَةٌ إِيحاشَ الخُروجِ مِن حَالٍ اعتَدْنَاه فاعْتَبَرْنَاه أَصلاً وما هو بأَصلٍ، ووَحشةُ الدُّخولِ في حَالٍ جَهِلْناه فاعْتَبَرْناه طَارِئاً وما هو بطَارِئٍ، ولَيسَ أَخوفُ للإِنسانِ من قَادمٍ

غَامضٍ يَلوحُ فتَسْتشْرِفُه النُّفوسُ، ثُم لا تَدرِي أَعارضٌ مُمطِرٌ هو أَمْ رِيحٌ فيها عَذابٌ أَليمٌ!!

طَبائعُ الأَزمنةِ المُوحِشةِ وَاحدةٌ في كُلِّ عَصرٍ ومِصْرٍ:

الإِحباطُ والكآبةُ.. الخوفُ والقَلقُ.. الأَنانيةُ والفَردانيةُ.. اختِلالُ المَعنَى وضَبابيَّةُ الغَاياتِ.. الشُّعورُ بالضَّآلةِ والضَّياعُ.. سُقوطُ الثَّوابتِ أو اهتِزازُها.. الاستِهانةُ بالمُقدَّسِ أو إِنكارُه.. الانشغالُ بسَفاسِفِ الأُمورِ.. عُلُوُّ السَّفْلةِ وتَغَلُّبُ الأَوباشِ.. إِسقاطُ الرُّموزِ وتَسيُّدُ الرُّوَيبِضاتِ.. التَّأرجُحُ بَينَ الأَفكارِ ونَقيضِها.. التَّفلُّتُ من العَملِ بطَلبِ أَعلَى العَملِ.. غَلَبَةُ الشُّبهاتِ والشَّهواتِ.. التَّجمُّدُ في أَعراضِ ما بَعدَ الصَّدمةِ.. الارتِهانُ النَّفسيُّ لمُتواليةِ الهَزائِمِ..

ولَيسَ أَسوأُ -في طَبائِعِ هذه الأَزمنةِ- من خُروجِ السَّقَطِ والأَنصافِ ومُحْدَثِي فَكِّ الخَطِّ وتَهَجِّي الحَرفِ على النَّاسِ لقَصفِهم بالشُّبهاتِ والشَّهواتِ صَباحَ مَساءَ، وضَربِهم بالتَّفاصيلِ التي يكْمُنُ فيها الشَّيطانُ، وإِشغالِهم بمَعارِكَ جَانبيةٍ تَافهةٍ لا يُرجَى مِن وَرائِها عِلْمٌ ولا يُبنَى على تَفاصيلِها عَملٌ، تَؤُزُّهُم في ذلك نَفسياتٌ مَريضةٌ مَهزومةٌ مَأزومةٌ؛ لا هَمَّ لها سِوَى استِخراجِ أَسوإِ ما طَمَرَه المَاضِي؛ لتَخلطَه بأَبشعِ ما قَاءَه الحَاضرُ، ثُم تَتهارَشَ مَعَ النَّاسِ حَولَ السُّوءِ والبَشاعةِ كما تَتهارَشُ الكِلابُ على العِظامِ القَذرةِ:

المُعتزلةُ والأَشاعرةُ.. السَّلفيةُ والصُّوفيةُ.. تَجديدُ الخِطابِ الدِّينيِّ.. تَنقيةُ

التُّراثِ.. البُخاريُّ ومُسلِمٌ.. قِراءةٌ ثانيةٌ للإِسلامِ.. الحُريةُ قَبْلَ الشَّريعةِ.. تَمكِينُ المَرأةِ.. تَعدُّدُ الزَّوجاتِ.. لا دَولةَ في الإِسلامِ.. الشُّيوخُ سَببُ الإِلحادِ.. الجِهادُ والجِهاديُّون سَببُ الخَرابِ.. الإِسلاميُّون لا يَملكُون مَشروعاً.. تَهنئةُ النَّصارَى بأَعيادِهم.. المَواريثُ.. الحُريةُ الجِنسيةُ.. قَبولُ الآخَرِ (ذَاكَ الذي يَجبُ أن تَقبلَه وقَدَمُه فَوقَ رَأسِكَ)!!

هذا، وغَيرُه، وأَمثالُه، يَكادُ يَكونُ لَازماً مِن لَوازِمِ الأَزمنةِ الانتقاليةِ في حَياةِ الأُمَمِ كُلِّها، فَاحذَرْ نَقيقَ كَائناتِها المُشوَّهةِ التي تَتخَلَّقُ في عَفنِ مُستنقعاتِها، فهي أَشَدُّ وَطأةً عليك مِن تلكَ الأَزمنةِ ذَاتِها، وما اشْتَدَّتْ وَطأةُ تِلكَ الأَزمنةِ إِلَّا لوُجودِ تِلكَ الكَائناتِ فيها!!

تَجميدُكَ في أَعراضِ ما بَعدَ الصَّدمةِ هو هَدفُهم الأَساسُ، فالصَّدمةُ مُثيرٌ لا بُدَّ له من استِجابةٍ، ولَيسَ للصَّدمةِ سِوَى استِجاباتٍ ثَلاثٍ: المُقاومةُ، أو الهَربُ، أو التَّجمدُ، فإِنْ قَاومْتَ أو هَربْتَ فقد اتَّسَقَتْ استِجابَتُك مَعَ طَبيعةِ الحَياةِ والأَحياءِ، وصَارَتِ الصَّدمةُ لكَ بَوابةَ تَغييرٍ لا قَبرَ مَوتٍ، «ولا يُدهِشَنَّك أن يَكونَ الهَربُ مُقاومةً، فهو -لِحفظِ النَّفسِ، وتَجديدِ العَزمِ، وتَلافِي الأَخطاءِ، واستِحداثِ الأَدواتِ- أَصلُ كُلِّ مُقاومةٍ»، وإِنْ تَجمَّدْتَ فسيَدُكُّونَك بالصَّدماتِ تِباعاً حتى يَكونَ أَهونُ ما تَلقَّيْتَه هو الصَّدمةَ الأُولَى، فلا تَستفِيقُ من صَدمةٍ إِلَّا ليُوقِعُوك في أُخرَى، ولا تَخرُجُ مِن دَرَكَةٍ إِلَّا ليُسقِطُوك في التي تَلِيها، (ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا)، حتى يُوصِلُوك إلى (الصَّدمةِ المُعقَّدةِ) التي تُحِيلُ طَاقةَ الحَياةِ الخَارجةِ

مِنك إلى طَاقةِ مَوتٍ محصورةٍ فِيكَ، فتُصبحُ طاقتُكَ كالمَاءِ الآسِنِ حِيلَ بَيْنَه وبينَ الجَرَيانِ، فصَارَ مُستنقعَ أَوبئةٍ تتخَلَّقُ فيه ومنه حَشراتٌ تتغذّى به وعليه، فكَأنَّكَ -بتَجمُّدِكَ في أعراضِ ما بَعدَ الصَّدمةِ- تخلُقُ في نَفْسِك مِن نَفْسِك ما يلتهِمُ نَفْسَك.. ولا يلتَهِمُ النُّفوسَ شَيءٌ مِثلُ الخوفِ والقَلقِ والاكتئابِ والخيالاتِ المُقتحمةِ والذِّكرياتِ المُعاودةِ والشُّعورِ بالخِزيِ والعَارِ.. وكُلُّها أَعراضُ ما بَعدَ الصَّدمةِ المُرادِ تجميدُك فيها!!

فإنْ قِسْتَ على حَالِ الفَردِ حَالَ الأُمَّةِ، فستَجدُ حَالَ الأُمَّةِ قَريباً مِن حَالِ الفَردِ، صَدماتٌ مُتواليةٌ في الدِّينِ والسِّياسةِ والاقتصادِ والاجتماعِ والثَّقافةِ والهُويَّةِ، يُوقِعُونا بها في أَمراضِ الأَزمنةِ المُوحشةِ، لتتآكلَ الأُمَّةُ من الدَّاخلِ، أو تخلُقَ مِن نفْسِها في نَفْسِها ما يلتَهِمُ نَفْسَها، أو تنقسِمَ بَينَ تيَّارَينِ أَحمقَينِ لا يَشتَدُّ بأسُهما إلَّا بَينَهما: تيَارٍ مُتجمدٍ في أَعراضِ ما بعدَ الصَّدمةِ مَغلوبٍ على أَمرِه، صَارَ -لطُولِ استِسلامِه للاضِّطهادِ- مَازوخياً يَستلذُّ بالعَذابِ، ويَركَنُ للسِّلميةِ المُناقضةِ للفِطرةِ، ولطَبائعِ الحيَاةِ والأَحياءِ، وللسِّيرةِ النَّبويةِ ذَاتِها.. أو تَيارٍ مُتحركٍ دَائماً وأَبداً دُونَ وَعيٍ أو هَدفٍ أو غَايةٍ، سَيطرَتْ عليه -لطُولِ شُعورِه بالاضِّطهادِ- رَغبةُ الانتقامِ المُجرَّدةُ من الوَعيِ أو الغَايةِ أو الهَدفِ، فصَارَ كالفيلِ الغَاضبِ في مَتجرِ خَزَفٍ!!

ولَيسَ السُّؤالُ الآنَ السِّلميةَ أَمِ السِّلاحُ، فهو سُؤالٌ سُفسطائيٌّ أَنتجَتْه الصَّدمةُ للانشغالِ به عن الحركةِ في الوَاقعِ -ولا حَركَةَ في الوَاقعِ دُونَ جِهادٍ لِسانيٍّ أو سِنانيٍّ- فلا محَلَّ للسُّؤالِ إلَّا عِندَ من أَقعدَتْه الصَّدمةُ عن العَملِ،

فاسْتسْلَمَ لها ثُم فَلْسَفَ استِسلامَه بالسِّلميةِ!!

تَسييلُ طَاقةِ الأُمَّةِ المُتجمِّدةِ وانعتاقُ جَسدِها ورُوحِها من الصَّدمةِ هو السُّؤالُ الأَساسُ، ولا جَوابَ لهذا السُّؤالِ إلَّا بمَعرفةِ مَن نَحنُ وماذا نُريدُ، ثُم مَعرفةِ طَبيعةِ المَرحلةِ التي نَعيشُها، إذ مَعرفةُ طَبيعةِ المَرحلةِ أَصلٌ في مَعرفةِ كَيفيةِ الخُروجِ منها.. فإذا عَرَفْتَ -يَقيناً- أنَّك مُسلِمٌ أَوَّلاً وآخِراً، ولَستَ مِصرياً أو سُورياً أو عِراقياً، أو غَيرَ ذلك مِن هُويَّاتِ الجَاهليةِ التي فَرَّقَتِ الأُمَّةَ وأَذهبَتْ رِيحَها وجَعَلَتْ بَأْسَها بَينَها شَديداً، ثُم ظَهَرَتْ هذه المَعرفةُ في حَالك وَاقعاً لا في لِسانِك قَولاً فَقطْ، فوَالَيْتَ عليها وعَادَيتَ، كُنتَ قَميناً أن تَعرِفَ مُرادَ اللهِ مِنك فتَعمَلَ به وله وفيه حَسَبَ طَبيعةِ المَرحلةِ التي أَوْجَدَكَ اللهُ فيها، غَيرَ مُنتظِرٍ لثَمرةٍ أو مُحْبَطٍ بعَقبةٍ أو مُنتَكِسٍ بفِتنةٍ.. ولا شَيءَ يَضيعُ سُدًى، فإنْ نَجَحْتَ فبها ونِعمَتْ، وإنْ فَشِلْتَ فقد بَذَرْتَ بَذراً يُوشِكُ أن يَستنبِتَه غَيرُك، وأَلقيتَ أُسُساً يُوشِكُ أن يَبنيَ عليها سِواكَ.. وما أَكثَرَ ما أَصلَحَ اللهُ بفَردٍ أُمَّةً وبطَائفةٍ طَوائفَ!!

أَتُحبِطُك الفُرقةُ والتَّشَرْذُمُ، والهَزائمُ المُتتاليةُ؟!

وهل كَانَتْ أَمريكَا -إنْ كَانَتْ تكبُرُ في صَدرِك- سِوَى وِلاياتٍ مُتفرقةٍ، تَكوَّنَتْ شَيئاً فشَيئاً من شُذَّاذِ آفَاقٍ ومُغامِرِين وتُجَّارٍ ولُصوصٍ وقَتَلَةٍ ومُضَّطَهدِين في بِلادِهم الأَصليَّةِ، كإسْبانيَا وإِنجلترَا وهُولندَا والبُرتغالِ وفَرنسَا، ولم يَجتمِعِ الشَّعبُ الأَمريكيُّ -إنْ صَحَّ أن تُسمَّى هذه الأَوشابُ

شَعباً- في جُمهوريةٍ وَاحدةٍ على الهَيئةِ التي تَراهَا الآنَ إلَّا بعدَ أَكثرَ مِن مِئتَيْ سَنة من الفُرقةِ والتَّشرذُمِ وتَداخُلِ الوَلاءاتِ الاِستِعماريةِ، والهَزائِمِ المُتتاليةِ، والثَّوراتِ، والحُروبِ الأَهليةِ!!

أَلمانيَا والأَلمانُ -الذين تَراهُم الآنَ ورَأيتَهم أَيَّامَ هِتلرَ- كانُوا مُنذُ مِئتيْ سَنةٍ تَقريباً أُضحوكةَ الغَربِ كُلِّه.. أَكثرَ مِن ثَلاثِ مِئةِ دُويلةٍ مَعَ أَكثرَ مِن أَلفٍ وخَمسِ مِئةِ كِيانٍ بينَ مُتوسطٍ وصَغيرٍ ومُتناهٍ في الصِّغَرِ، اعتَادُوا -كالعَربِ الآنَ- الهَزائمَ والاِنكساراتِ حتى وَصَفَهم تُولسْتُوي على لِسانِ أَحد شَخصياتِ رِوايتِه (الحَربُ والسَّلام) قَائلاً: «إنَّهم لا يُجيدُون شَيئاً سِوى التَّناحُرِ فيما بَينَهم، وهم دَائماً يُهزَمُون، محظوظٌ مَن يُحارِبُهم، محظوظٌ نَابليونُ الذي لم يُحارِبْ حتى الآنَ سِوَى الأَلمانِ؛ ومَن الذي لم يَهزِمِ الأَلمانَ؟!».. وحينَ ظَهَرَ (بِسماركُ) رَافعاً شِعارَه الشَّهيرَ: «المَشاكلُ المُهمةُ لا تُحَلُّ بالخُطَبِ؛ بل بالحَديدِ والدَّمِ»، فَرَضَ الوَحدةَ قَسراً -عَسكرياً وسِياسياً-، وسَارَ بالأَلمانِ مِن نَصرٍ إلى نَصرٍ، حتى أَسقطَ بَاريسَ، ولم يَكتفِ بهَزيمةِ جُيوشِ فَرنسَا النَّابوليونيةِ التي أَذَلَّتْ بِلادَه سَابقاً؛ بل أَعلنَ تَأسيسَ الإِمبراطوريةِ الأَلمانيةِ من قَصرِ فِرساي الفَرنسيِّ نَفْسه بَعدَ استِيلائه عليه.. وكَانَتْ لَحظةُ (فِرساي) هذه هي اللَّحظةَ الختاميةَ لمُحاولاتِ توَحُّدٍ فَاشلةٍ استَمرَّتْ أَكثرَ من مِئةِ سَنةٍ!!

الجَيشُ الأَمريكيُّ الذي تَرَى قَواعِدَه الآنَ في كُلِّ مَكانٍ، كان -إِبَّانَ الثَّورةِ الأَمريكيةِ- مُجرَّدِ مِيليشياتٍ مَدنيةٍ مُشَتَّتةٍ لم تَصِلْ في مَجموعِها إلى عِشرينَ أَلفَ جُنديٍّ، ولم تَملِكْ سِلاحاً حَقيقياً أو مُؤَناً أو عَتاداً أو مَلابسَ

كَافيةً، وخَاضَتْ -في ثَماني سَنواتٍ- أَكثرَ من مِئة وخَمسينَ مَعركةً، هُزِمَتْ في مُعظَمِها، وانسَحبَتْ -مَعَ قَائدِها جُورج وَاشُنْطُنَ- من كُلِّ أَرضٍ فَتَحَتْها، حتى عَمَّ اليأسُ كَثيراً من الضُّبَّاطِ والجُنودِ، وانْقلَبَ كَثيرٌ منهم على جُورجِ وَاشُنْطن في مُؤامَرتَينِ مُتتاليتَينِ قَمَعهما بعُنفٍ وشِدَّةٍ..

ما دُمْتَ مُصمِّماً على الاستِمرارِ؛ فلا خَسارةَ في الهَزيمةِ وإنْ هُزِمْتَ؛ كلُّ هَزيمةٍ عَاجلةٍ نَصرٌ آجِلٌ إنْ تَعلَّمْتَ منها!!

أَيُحبِطُكَ قِلةُ وَعيِ الشُّعوبِ المُسلِمةِ وانشِغالُها عن الغَضبِ للدِّينِ وأَحكامِه بالغَضبِ لِلُقمةِ العَيشِ؟! أَيُحبِطُك انشِغالُ مَن يُسَمُّونَهم النُّخبةَ بالسَّفسطةِ الفَارغةِ والتَّناحرِ فيما بينَهم على سَفاسفِ الأُمورِ؟!

الشَّعبُ الأَمريكيُّ الذي رُوِّجَ لمَبادِئيَّتِه ومُثُلِه العُليَا لم يَثُرْ في القَرنِ الثَّامنَ عَشَرَ من أَجلِ المَبادئِ والمُثُلِ؛ بل مِن أَجلِ (أَكياسِ شَايٍ) فَرَضَ الاستِعمارُ البِريطانيُّ الضَّريبةَ والجَمارِكَ عليها، مُختَتِماً بذلك سِلسلةَ ضَرائبَ على السُّكَّرِ والوَرقِ والزُّجاجِ ومَوادِّ البِناءِ؛ فجَاءَتْ ضَريبةُ الشَّايِ كالقَشَّةِ التي قَصمَتْ ظَهْرَ البَعيرِ، فأَشعلَتْ غَضبَ شَريحةٍ لا يُستهانُ بها في ثَلاثَ عَشرةَ مُستعمرةً أَمريكيةً، وانقَسَمَ -رَغمَ ذلك- الشَّعبُ الأَمريكيُّ إلى ثَلاثةِ أَثلاثٍ؛ ثُلثٌ مَعَ الثَّورةِ على بِريطانيَا، وثُلثٌ مَعَ بِريطانيا على الثَّورةِ، وثُلثٌ (حِزبُ كَنبةٍ) لا إلى هؤلاءِ ولا إلى هؤلاءِ..

في وُجودِ الرَّغيفِ قد يَتغافلُ العَامةُ طَويلاً عن إِسقاطِ المَبادئِ، فإذا

فُقِدَ الرَّغيفُ فكُلُّ شَهوةٍ لهم تُصبحْ مَبدأً يَتشدَّقُون بالدِّفاعِ عنه، ولا هَدَفَ لهم سِوَى الرَّغيفِ!!

في مَرحلةِ الصِّراعِ بَينَ ستَالينَ ورِفاقِه ضِدَّ تُروتسْكِي وزِينوفيفَ، كَتَبَ أَحدُ العُمَّالِ قائلاً: «وأَنتُم تَتجادَلُون فيما بَينَكُم قد تَموتُ أُسرتِي من الجُوعِ.. سِجَالاتُكم لا تَختلفُ عن السِّجالاتِ الدِّينيةِ في القُرونِ الوُسطى»!!

أَتُحبِطُك الخِياناتُ وتَعدُّدُ الوَلاءاتِ واللَّعبُ بالمَبادِئِ والبَحثُ عن حُظوظِ النَّفسِ؟!

تِسعةٌ وستُّون بالمِئةِ من المَوقعَينِ على وَثيقةِ الاستِقلالِ الأَمريكيةِ كَانُوا مُوظَّفِينَ لدى بِريطانيَا ومُرتبِطِينَ بها استِعمارياً، ولم يَقرأْ وَثيقةَ الاستِقلالِ مِن شُرفةِ مَجلسِ مَدينةِ بُوسطنَ سِوَى (تُوماسَ كَرَافْتس) عُضوِ جَماعةِ (المُخلِصين التِّسعةِ) التي عَارَضتِ اتِّخاذَ أَيِّ إِجراءٍ عَسكريٍّ ضِدَّ الاحتِلالِ البِريطانيِّ والبِريطانيِّين!!

(بِينْدِكت أَرنُولد)، بَطلُ السَّنواتِ الأُولَى في الثَّورةِ الأَمريكيةِ، دَوَّخَ البِريطانيِّين في مَعاركَ كَثيرةٍ، فأُعجِبَ به وَاشنطنُ وأَرسَلَه إلى فِيلاديفيَا (نُصرةً) لها، فلم يَكتفِ بالانقلابِ على وَاشنطنَ، بل خَطَّطَ -بَعدَ زَواجِه من ابْنةِ أَحدِ الأَمريكيِّينَ المُوَالينَ للتَّاجِ البِريطانيِّ وبتَشجيعِها- للالتِحاقِ بالبِريطانيِّين وتَسليمِهم مِنطقةَ (وِيسْت بُويِنْت)، ثُم هَاجَمَ وِلايةَ فِرجينيَا وأَنهَى خِيانتَه بالهُجومِ على مَسقطِ رَأسِه (كُونكتكْت)، ليَحصُلَ على رُتبةِ

عَميدٍ في الجَيْشِ البِريطانيِّ بلا عَمَلٍ حَقيقيٍّ أو وَظيفة، ويَعيشُ سَنواتِه الأَخيرةَ في بِريطانيَا مُكتئباً ومُصاباً بمَرضٍ عَصبيٍّ نَتيجةَ ازدِراءِ البِريطانيِّين وتَنكُّرِهم له..

في الثَّوراتِ، لا نَكادُ نعرفُ أَيُّهما أَسرَعُ سُقوطاً، الثُّوَّارُ، أمِ الأَنظمةُ التي ثَارُوا عليها!!

أيُحبِطُكَ ما يُقالُ عن الدَّمِ المَسفوكِ دُونَ جَدوَى؟!

في مَعركةِ (بنْكرهِيل) أَرادَ الجَيْشُ البريطانيُّ حِصارَ بُوسطنَ فقَرَّرَ احتِلالَ المُرتفعاتِ حَولَها، وحِينَ عَرفَتِ المِيليشياتُ الأَمريكيةُ ذلك قَرَّرتْ تَفويتَ الفُرصةِ عليه باحتِلالِ هَضبةِ (بنْكرهِيل)، ولأَنَّهم كانوا مِيليشياتٍ بِدائيةً لا يَكادُون يَعرفُون جُغرافيةَ بَلدِهم، احتَلُّوا هَضبةَ (بِريِيد هِيل) بَدلاً مِن (بنْكرهِيل)، واسْتَعدُّوا ببَنادقِ صَيدٍ وسُيوفٍ وخَناجرَ لِلقاءِ جَيشٍ نِظاميٍّ مُزوَّدٍ بأَحدثِ أَسلحةِ العَصرِ، وكَانَتِ المُفاجأةُ أَنَّهم أَبادُوا المَوجةَ الأُولَى للهُجومِ البِريطانيِّ، ثُم المَوجةَ الثَّانيةَ، ثُم اسْتَحَرَّ القَتلُ فيهم بَعدَ نَفادِ ذَخيرتِهم في المَوجةِ الثَّالثةِ، فانْسَحَبُوا تَاركِين الهَضبةَ للجَيْشِ البِريطانيِّ بَعدَ أن كَبَّدُوه خَسارةً مُذلَّةً غَيَّرَ بَعدَها تِكتيكاتِه في الحَرْبِ، مُعتبِراً أَنَّ الثَّمَنَ المَدفوعَ في الاِستيلاءِ على هَضبةٍ لا جَدوَى حَقيقيةٌ مِن الاِستيلاءِ عليها، هَزيمةٌ رَغمَ وَهمِ الاِنتِصارِ، وخَسارةَ المِيليشياتِ الأَمريكيةِ لهَضبةٍ لا مَكسبَ حَقيقيٌّ من الاِحتِفاظِ بها بَعدَ إِذلالِ الجَيْشِ البِريطانيِّ فيها، نَصرٌ رَغمَ وَهمِ الهَزيمةِ..

في بَعضِ المَراحلِ، إذا لم تَستطعْ هَزيمةَ عدوِّك فلا أَقلَّ مِنْ أنْ تجعَلَ انتِصارَه صَعباً!!

أيُحبِطُكَ تَحَزُّبُ لُصوصِ المَحمياتِ العَربيةِ وأَسيادِهم على ثَوراتِ العَربِ وجِهادِ المُسلمِين؟!

اجتَمعَتْ دُولُ أُوربَّا على الثَّورةِ الفَرنسيةِ ومُخرَجَاتِها، وتَحزَّبَتْ سَبعةُ جُيوشٍ أُورُبيةٍ ضِدَّ الثَّورةِ وأَعادَتِ الأُسرةُ المَلكيةُ الحَاكمةُ، واحتَلَّتْ بَاريسَ، وهَزَمَتْ نَابليونَ، ثُم تَسرَّبَتْ أَفكارُ الثَّورةِ الفَرنسيةِ إلى تِلكَ الدُّولِ ذَاتِها، وكَانتْ عَاملاً مُهِماً مِن عَواملِ تَثويرِ شُعوبِها وإِسقاطِ أَنظمتِها.. ومَنْ يَدرُسُ تَاريخَ القَرنِ التَّاسعَ عَشَرَ جَيِّداً سيكتشفُ أنَّه قَرنُ صِراعٍ وتَدافُعٍ بَينَ أَفكارِ الثَّورةِ الفَرنسيةِ ومُخرَجَاتِها وبَينَ الثَّوراتِ المُضادَّةِ لها..

لَيسَ هُناكَ ثَوراتٌ فَاشلةٌ؛ هُناكَ ثُوَّارٌ اسْتسْلمُوا!!

أتُحبِطُك فَوضَى الثَّوراتِ وعَدمُ امتِلاكِها مَشروعاً مُتكامِلاً للنَّهضةِ أو تَصوُّراً وَاضِحاً للحُكمِ؟!

ومَن قَالَ لك أنَّ ثَورةً في التَّاريخ امْتلكَتْ -قَبْلَ اشتِعالها- مَشروعاً كَاملاً للنَّهضةِ، أو تَصوُّراً وَاضحاً للتَّعامُلِ مَعَ وَاقِعِ ما بَعدَ الثَّورةِ؟! إنَّهم يَكذِبُون عليك ليَشغَلُوك عن الأَصلِ بالفَرعِ، وعن المَتنِ بالهَامشِ..

لم تكُنْ مَفاهيمُ (الثَّورةِ) و(الوَحدةِ) و(الاِستِقلالِ) و(الدُّستورِ) مَوجودةً أَصلاً إِبَّانَ الثَّورةِ الأَمريكيةِ، لم يَرفَعِ المُستوطنُون شِعارَ: «الشَّعبُ

يُرِيدُ إِسقاطَ النِّظامِ»؛ بل رَفعُوا شِعارَ: «لا ضَريبةَ دُونَ تمثيلٍ»؛ فانْحصَرَ اعتِراضُهم حَولَ ضَرورةِ تمثيلِهم في البَرلمانِ البريطانيِّ لأَنَّهم كَانُوا يعتبِرُونَ بِريطانيَا هي الوَطنَ الأُمَّ.. لم يَكُنْ هُناكَ أَكثرُ مِن هذا عَشيَّةَ ما سُمِّيَ بـ(حَفلةِ الشَّايِ) في بُوسطنَ، وشَيئاً فشَيئاً بدأَتْ أَفكارُ الثَّورةِ والاستِقلالِ والوَحدةِ تَنبُتُ في نُفوسِهم وعُقولِهم، ونَسَجَتِ الأَقدارُ نَسْجَها الغَريبَ بظُهورِ (تُوماسْ بِين) -الكَاتبِ البِريطانيِّ المُتأمْرِكِ المَغمورِ-؛ فكَتَبَ كُتيِّباً صَغيراً أَشبهَ بالمُذكِّرةِ؛ عُنوانُه (الفِطرةُ السَّليمةُ)؛ فكان هو (كَفأرِ السَّدِّ) الذي خَلْخَلَ سُدودَ بِريطانيَا الاستِعماريةِ في أَمريكَا، وكان كُتيِّبُه الصَّغيرُ كعُودِ ثِقابٍ أَشعَلَ في النُّفوسِ آمَالَ الوَحدةِ والاستِقلالِ والثَّورةِ، حتى أَمَرَ جُورجُ واشُنطنُ بقِراءتِه على الجُنودِ والمُستوطِنين في كُلِّ مَكانٍ.. وحِينَ بَدؤُوا حَربَ الاستِقلالِ كان وَضعُهم -مُقارنةً ببريطانيَا- مُزرياً جِداً بلا دَولةٍ أو حُكومةٍ أو جَيشٍ حَقيقيٍّ أو نِظامٍ مَاليٍّ أو سِياسيٍّ أو إِدارِيِّين أَكْفاءٍ، وازدَادَ الوَضعُ سُوءاً حِينَ فَرضَتْ بِريطانيَا الحِصارَ على سَواحِلِهم فحَرَمَتْهم من وَسيلةِ التَّواصُلِ والسَّفرِ والتِّجارةِ الوَحيدةِ بَينَ مُستوطناتِهم؛ ليَجِدُوا أَنفُسَهم مُضطرِّينَ لِاستِحداثِ طُرُقٍ بَرِّيَّةٍ بَطيئةٍ وقَليلةِ الجَدوَى!!

في الثَّورةِ الفَرنسيةِ.. بَدأَتِ التَّهيئةُ الفِكريةُ لها بكِتاباتِ (مِيكافِيلِّي) الإِيطاليِّ و(هُوبز) و(لُوكَ) الإِنجليزيَّين؛ وانتَقلَتْ تلك الأَفكارُ إلى فَرنسَا عن طَريقِ (جَان جَاك رُوسُّو) و(مُونْتِسكْيُو) اللَّذين قَعَّدَا لنَظريَّتَيْ (فَصلِ السُّلطاتِ)، و(العَقدِ الاجتِماعيِّ).. وبجَماليَّاتِ أَدبِ (فُولْتِير) -الذي حَوَّلَ

فَلسفةَ هَؤلاءِ وتَنظيراتِهم إلى خُطَبٍ وأَشعارٍ-، شُحِنَتْ أَرواحُ الفَرنسيّين بالرَّفضِ والتَّمرُّدِ.. وبنَفيِ زُعماءِ الثَّورةِ السُّويسريةِ (كَاسْتِيلا، ورِيباز، وإِيتان دمون) إلى فَرنَسا، تفَاعَلَتْ خِبراتُ الثَّورةِ السُّويسريةِ المَوؤُدةِ مَعَ بوادرِ الثَّورةِ الفَرنسيةِ الوَليدةِ.. ولم يُترجَمْ كُلُّ هذا إلى ثَورةٍ إلَّا حِينَ بَلَغَتِ المُعاناةُ حَدَّها الأَقصى بعدَ موتِ لُويسَ الرَّابعَ عَشَرَ، ثُم لُويسَ الخَامسَ عَشَرَ، ثُم انْدلَعَتِ الثَّورةُ في عَهدِ لُويسَ السَّادسَ عَشَرَ، فعَمَّتِ الفَوضى أَرجاءَ البِلادِ، وتَغَيَّرَ الدُّستورُ أَربعَ مَرَّاتٍ في خَمسِ سَنواتٍ، وفَشَلَ الثُّوَّارُ فَشلاً ذَريعاً في التَّعامُلِ مَعَ مُشكلاتِ ما بَعدَ الثَّورةِ، وضَربَتِ المَجاعةُ الفَرنسيّين حتى جُمِعَتِ المَوادُّ الغذائيةُ قَسراً مِن فَلَّاحِي فَرنَسا كُلّها، فلم تَكْفِ لإِطعامِ بَاريسَ وَحدَها، وانْقَلَبَ الفَرنسيُّون على الثَّورةِ والثُّوَّارِ حتى صَارُوا يَبحَثُون عن مُخَلِّصٍ ولو كان دِيكتاتوراً، وتَعدَّدَتْ لِجانُ الثُّوَّارِ وجَمعِيَّاتُهم وفَصائلُهم وانقِلاباتُ بَعضِهم على بَعضٍ، حتى دَخلُوا عَصرَ إرهابٍ تَساوَتْ فيه -تَحتَ المِقْصلَةِ- رِقابُ الثُّوَّارِ مَعَ رِقابِ مَن ثَارُوا عليهم، فأَكلَتِ المِقصلةُ (دَانتونَ)، و(سَانتَ جَاستَ)، و(رُوبسبِير)، كما أَكلَتْ لُويسَ السَّادسَ عَشَرَ، ومَارِي أَنطوانيتَ!!

في الثَّورةِ الرُّوسيةِ.. لم يَكُنِ الأَلمانيُّ (كَارلُ مَاركس) يَسعَى لِانتِصارِ البُروليتارِيَا، بل كان يَراهَا حَتميةً تَاريخيةً ستَقعُ دُونَ سَعيٍ أو عَملٍ، حتى جَاءَ لِينينُ وتُروتسكِي فالْتَقَطا الفِكرةَ وطَوَّرَاها وعَمِلَا عليها، ثُم يَئِسَا وهَاجَرَا، ثُم انْدلَعَتِ الثَّورةُ حِينَ توَفَّرَتْ ظُروفُها، فعَادَا ورَكِبَاهَا، ثُم الْتَقَطَها مِنهما

الأَعنفُ والأَقسَى والأَخبثُ ستالينُ؛ ليَستقِرَّ المَشروعُ الشُّيوعيُّ السُّوفيتيُّ على نَحوٍ لم يَكتُبْه مَاركسُ أو يُطوِّره لِينينُ أو يَتَمَنَّاه تُروتسكِي!!

الثَّوراتُ لا تَحملُ مَشاريعَ مُتكاملةً.. هي رُؤًى فِكريةٌ، وأَهدافٌ كُليةٌ، ومَبادئُ عَامةٌ، تَتفاعلُ عَبْرَ زَمنٍ -يَطولُ أو يَقصرُ- مَعَ دَواعِي الثَّورةِ في المُجتمعِ، حتى تَتهيَّأَ لها شَرارةٌ مُناسبةٌ لانفجارِها، فتَنفجرُ مُحدِثةً انقِلاباً في المَفاهِيمِ والتَّصوُّراتِ والأَوضاعِ، يَعقُبُه تَدافُعٌ دَمويٌّ بَينَ الجَديدِ والقَديمِ، مَعَ ارتِداداتٍ مُتتابعةٍ تَنضَجُ بها الرُّؤَى والمَبادئُ والغَاياتُ، لتَتنَزَّلَ على الوَاقعِ في صُورةِ مَشاريعَ مُتخصصةٍ تَتغيَّرُ تَفاصيلُها بتَغيُّرِ الوَاقعِ وتَقلُّباتِه.

إنْ أَحبَطَكَ ما نَحنُ فيه الآنَ وكَبُرَ في نَفْسِك ما هم فيه الآنَ، فاقرَأْ تَاريخَنا وتَاريخَهم لتَكتشِفَ أنَّ ما يَحدُثُ لنا -رَغمَ بَشاعتِه- لا يُعادِلُ رُبُعَ ما حَدَثَ لهم أو ما فَعَلُوه بأَنفُسِهم قَديماً وحَديثاً، وما وَصلُوا إلى ما وَصلُوا إليه إلَّا بتَجرُّعِهم قَديماً أَضعافَ ما نَتجرَّعُ حَديثاً، وما انْتصَرُوا علينا لفَرطِ ذَكاءٍ رُكِّبَ في فِطَرِهم وحُرِمنَا منه، بل لبَشاعةِ تَجارِبِهم التي تَعَلَّموا منها وطَبَّقُوها علينا.. فإنْ ظَنَنْتَ -لفَرْطِ قُوَّتِهم- أَنَّهم لا يُقهَرُون، فقد ظَنُّوا هُم أَيضاً -لفَرْطِ قُوَّتِنا قَديماً- أَنَّنا لا نُقهَرُ، ولم يَنتَبِهُوا إلى إِمكانيةِ قَهرِنا أو هَزيمتِنا إلَّا بَعدَ انكِسارِ الدَّولةِ العُثمانيةِ أَمامَ فِيينَّا سَنَةَ ١٦٨٣م؛ فتَحوَّلَتْ نَفسياتُهم المَسحوقةُ إلى نَفسياتٍ مُتطلِّعةٍ، وتَنَزَّلَ المُستحيلُ في نُفوسِهم شَيئاً فشَيئاً حتى صَارَ مُمكِناً.. ولا يَنتصرُ المَهزومُ إلَّا إذا تَحوَّلَتْ (نَفسيةُ الهَزيمةِ) فيه -بنَصرٍ ما ولو كَانَ ضَئِيلاً- إلى (نَفسيةِ إِمكانٍ) تَضْؤُلُ بها في عَينِه هَالةُ عَدوِّه رُوَيْداً

رُوَيْداً حتى تَختفيَ..

في الفُتوحاتِ الأُولَى للمُسلمِين أَمرَ عُمرُ بْنُ الخطَّابِ -رَضِيَ اللهُ عنه- عَبدَ الرَّحمنِ بْنَ رَبيعةَ البَاهليَّ بغَزوِ التُّركِ -قَبْلَ إِسلامِهم- ومُناوشةِ الخزرِ على بَحرِ قَزوينَ؛ ولكَثرةِ انتصاراتِ المُسلمِين؛ ظَنَّ التُّركُ أنَّ المُسلمِينَ لا يَموتُون، وظَلُّوا على هذا الظَّنِّ وَقتاً طَويلاً، ثُم تَذامَرُوا -كما قَالَ الطَّبريُّ- مِن كَثرةِ انتصاراتِ المُسلمِين عليهم، وتَواعَدُوا على نَصبِ كَمينٍ لهم ليَتأَكَّدُوا هل يَموتُون أم لا، ورَمَى أَحدُ التُّركِ أَحدَ المُسلمِين بسَهمٍ فقَتَلَه؛ فتيَقَّنَ التُّركُ أنَّ المُسلمِين بَشرٌ أَمثالُهم يَموتُون كما يَموتُ النَّاسُ؛ فقَوِيَتْ نُفوسُهم وحَمِيَتْ عَصبِيَّتُهم، وخَاضُوا مَعركةَ (بلنجرَ الثَّانيةَ، بدَاغستانَ اليَومَ) فهَزَمُوا المُسلمِين، واستُشْهِدَ عَبدُ الرَّحمنِ بْنُ رَبيعةَ، وانْحازَ سَلمانُ الفَارسيُّ، وأَبُو هُريرةَ -رُضوانُ اللهِ عليهما- وكَانَا في المَعركةِ إلى مَدينةِ جِيلانَ.. ومن الغَرائبِ آنَذاكَ أنَّ التُّركَ أَخذُوا جُثمانَ عَبدِ الرَّحمنِ بْنِ رَبيعةَ فكَرَّمُوه وبَنُوا عليه مَقاماً يَزورُونه ويَسْتسْقُون به!!

ولَيسَ أَدلُّ على ما يُمثِّلُه تَغيُّرُ نَفسيةِ الهَزيمةِ بنَفسيةِ الإِمكانِ مِن قَولِ المُثنَّى بنِ حَارثةَ -رَضِيَ اللهُ عنه- لجُنودِه بَعدَما سَحَقُوا الفُرسَ في مَعركةِ البُويبِ: «قَاتلْتُ العَربَ والعَجمَ في الجَاهليةِ والإِسلامِ، واللهِ لمِئةٌ من العَجمِ في الجَاهليةِ كَانُوا أَشَدَّ عَليَّ مِن أَلف من العَربِ، ولمِئةُ اليَومَ مِن العَربِ أَشَدُّ عَليَّ من أَلفٍ من العَجمِ؛ إنَّ اللهَ أَذهبَ مَصدُوقتَهم ووَهَّنَ كَيدَهم؛ فلا يَروعَنَّكم زُهاءٌ تَرَوْنه ولا سَوادٌ ولا قِسِيٌّ فُجٌّ ولا نِبالٌ طِوالٌ؛ فإنَّهم إذا أُعجِلُوا

عنها أو فَقَدُوها، كالبَهائِمِ أَيْنَما وَجَّهْتُمُوها اتَّجَهتْ»!!

لا يَهُولَنَّك ما تَرَى وتُعايِشُ، فالأَمرُ نَفْسِيٌّ ابْتِداءً، فإنْ زَالَتْ نَفسيةُ الهَزيمةِ فيك بنَفسيةِ الإِمكانِ، هانَ -باستِصحابِ العَقيدةِ- اتِّخاذُ الأَسبابِ، والتَّحرُّكُ في الوَاقعِ حَسَبَ تَقلُّباتِ الوَاقعِ!!

ما ذَلَّتْ أُمَّةٌ في الأَرضِ كما ذَلَّ اليَهودُ، وما حَلَمَتْ أُمَّةٌ في الأَرضِ كما حَلَمَ اليَهودُ.. قَبْلَ سِتَّةٍ وسِتِّينَ سَنةً مِن قِيامِ ما يُسَمَّى بدَولةِ إِسرائيلَ كَتبَ أَحدُ اليَهودِ الرُّوسِ من فِلسطينَ رِسالةً إلى صَديقِه المُؤرِّخِ الرُّوسِيِّ شَمعونَ دُوفنوفَ، يَقولُ فيها: «لم آتِ إلى إسرائيلَ لأَبنِيَ حَياتِي الشَّخصيةَ، عليَّ العَفَاءُ لو أَردتُ ذلك، بل هَدفِي وحُلْمِي -وهو حُلمٌ لَيسَ بَعيدَ المَنالِ- أن نُسيطرَ على أَرضِ فِلسطينَ ونَبنِيَ دَولتَنا، لا تَضحَكْ مِنِّي، سنَبْنِي دَولتَنا».. ثُم ذَكَرَ عِدَّةَ وَسائلَ لفِعلِ ذلك مِنها: تَأسيسُ المُستعمراتِ الزِّراعيةِ والصِّناعيةِ، وإِنشاءُ المَصانعِ والصِّناعاتِ، وتَدريبُ الشَّبابِ على الإِنتاجِ والسِّلاحِ معاً، ثُم خَتَمَ رِسالتَه بقَولِه: «إِنَّني غارِقٌ في الأَحلامِ، لكنْ سيأَتِي هذا اليَومُ الرَّائعُ»!!

هل عليَّ أنْ أَقولَ لك: احْلُمْ كما حَلَمَ اليَهودُ، وتَمَنَّ كما تَمَنَّى اليَهودُ، وَاسْعَ كما سَعَى اليَهودُ، أم في دِينِنا وتَارِيخِنا ومَجدِنا السَّابقِ ما يَكفِي ليُشعِلَ جَذوةَ السَّعيِ والعَملِ والحَركةِ في رُوحِك؟!!

الأُمورُ تَنقلِبُ وتَتقلَّبُ، والبُعدُ القَدريُّ سَببٌ مِن الأَسبابِ.. بُذورُ السُّقوطِ تُبذَرُ في أَوجِ الصُّعودِ، وبُذورُ الصُّعودِ تُبذَرُ في قَاعِ السُّقوطِ.. في

اللَّحظةِ التي أَكتُبُ لك فيها الآنَ، هُناك مُوسَى يَنشأُ في قَصرٍ لفِرعونَ، وهُناكَ فِرعونُ يَبذُرُ بُذور هَلاكِه!!

في سَنةِ ٦٥٦هـ أَسقَطَ التَّتارُ الدَّولةَ العَبَّاسيةَ ودَخلُوا بَغدادَ وقَتَلُوا آخِرَ خُلفائِها المُستعصِمَ باللهِ.. وفي ذَاتِ السَّنةِ وُلِدَ عُثمانُ الأَوَّلُ مُؤسسُ الدَّولةِ العُثمانيةِ!!

في سَنةِ ٥٣٢هـ هَرَبَتْ أُسرةٌ في ظَلامِ اللَّيلِ مِن قَلعةِ تَكريتَ خَوفاً من أَعدائِها، وفي الأُسرةِ رَضيعٌ عَلَا صِياحُه حتى هَمَّ أَبُوه بقَتلِه خَوفاً من أنْ يُدرِكَهم أَعداؤُهم، فنَهَاه أَحدُ أَتباعِه، ليَحفظَ اللهُ الطِّفلَ المُسَمَّى (صَلاحَ الدِّينِ الأَيُّوبيَّ) لحِطِّينَ والقُدسِ!!

في أَوْجِ عَظمةِ الدَّولةِ العُثمانيةِ سَنَةَ ١٥٣٥م، غَرَسَ أَعظمُ سَلاطِينِها سُليمانُ القَانونيُّ بَذرةَ (الامتيازاتِ الأَجنبيةِ) كأَوَّلِ غَرْسِ خَرابٍ نَبَتَ واسْتفْحَلَ على مَرِّ العُصورِ، حتى كان مِن أَقوَى أَسبابِ سُقوطِ الدَّولةِ بعدَ ثَلاثةِ قُرونٍ!!

لا تَستَهِنْ بنَسجِ الأَقدارِ ولا تَسخَرْ منه، فإنَّ اللهَ لا يَتركُ خَلْقَه لخلقِهِ وإنْ ظَنَّ المُتعجِّلُون ذلك.

لم يكُنِ الثَّوبُ قَبْلَ اكتِمالِه سِوَى قِطعةِ قُماشٍ عَمِلَ فيها المِقَصُّ والإِبرةُ عَمَلهمَا حتى اكْتَمَلَ ثَوباً، ولم يَكُنِ السَّيفُ قَبْلَ اكتِمالِه سِوَى حَديدةٍ عَمِلَتْ فيها النَّارُ عَمَلَها حتى اكْتَمَلَ سَيفاً.. أَنتَ تَنظُرُ إلى الأَشياءِ بعدَ

اكتمالِها وتنسى مسيرةَ آلامِها نحوَ الاكتمالِ، تُريدُ أن تستيقظَ صباحاً لتُعايِشَ لحظةَ هارونَ الرَّشيدِ وهو يقولُ للسَّحابةِ: «أَمْطِري حيثُ شِئتِ فسيأتِيني خَراجُكِ»، وتنسى مسيرةَ المُعاناةِ التي خاضَها أجدادُه على مدارِ سبعينَ سنةً ليُوصِلُوه إلى تلكَ اللَّحظةِ.

لقد تحقَّقَتْ للمُسلِمين في عِقدٍ زمنيٍّ واحدٍ مكاسبُ ما كانَتْ لتتحقَّقَ لولا هذه الثَّوراتُ والثَّوراتُ المُضادَّةُ؛ تساقَطَتْ في نُفوسِهِم صنَمِيَّةُ الدَّولةِ عامَّةً وصنَمِيَّةُ الدَّولةِ القوميةِ والوطنيةِ خاصَّةً، وفقدَتْ مؤسساتُ الأنظمةِ احترامَ قِطاعٍ واسعٍ مِن جماهيرِ المُسلمين، وظهرَتِ الجُيوشُ والعُروشُ على حقيقَتِها كوكيلٍ للنِّظامِ العالميِّ المُحتلِّ، وانْهارتْ شِعاراتُ الوطنِ والوطنيةِ حينَ رأى النَّاسُ لُصوصَ أوطانِهم الحُكَّامَ يقتُلُونهم ويستعينون بالاحتلالِ لقَتلِهم، وتعرَّتِ القُوى العَلمانيةُ واللِّيبراليةُ والمُتأسلمةُ برُموزِها ومُؤسساتِها، واكْتَشَفَ النَّاسُ سرابيَّةَ صُندوقِ الانتخاباتِ وألاعيبَ النِّظامِ العالميِّ به وفيه، وظهرَتِ الدِّيمقراطيةُ على حقيقتِها كأداةِ حربٍ يسحَقُ بها النِّظامُ العالميُّ المُسلمين؛ لا كنظامِ حُكمٍ يَصلُحُ أن يَسُوسَ به المُسلمُون المُسلِمين، وتجذَّرَتْ رُوحُ (الأشعثِ الأغبرِ) في نُفوسِ كثيرٍ مِن شبابِ الأُمَّةِ عامةً وشبابِ الجماعاتِ الإسلاموقراطيةِ خاصَّةً؛ بعدَ أنْ كانُوا يرَوْنَها -منذُ عشرِ سنواتٍ فقطْ- تهوُّراً وحُمقاً ومَجْلبةً للخَرابِ!!

كلُّ هذه المكاسبِ وغيرُها؛ مثَّلتْ خُروجاً لأفرادِ الأُمَّةِ مِن التِّيهِ، بيْدَ أنَّها لا تكفِي لإدخالِهم الأرضَ المُقدَّسةَ.. تحتاجُ الأرضُ المُقدَّسةُ إلى

خَلاصٍ كَاملٍ مِن شَوائبِ الجَاهليةِ المُعاصرةِ، ولا خَلاصَ إلَّا بالعَقيدةِ الأُولَى، لا خَلاصَ إلَّا بخَلْعِ الثَّوبِ كُلِّه، والخُروجِ مِن الصُّندوقِ كُلِّه، وإِسقاطِ الأَوهامِ كُلِّها.

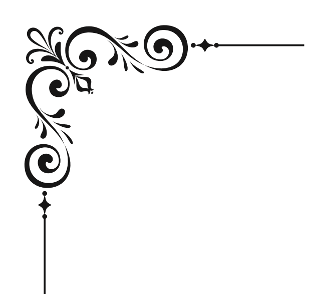
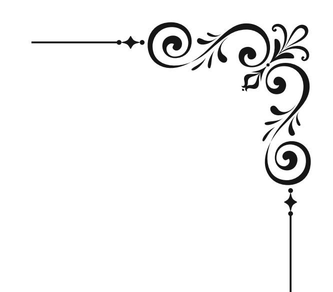
المَراحلُ لا تَنتَهِي إلَّا بهِجرةٍ -جَسديةً كَانَتْ أو عَقليةً- وقد انْتَهَتِ المَرحلةُ المَكِّيَّةُ بهِجرةِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عليه وسَلَّمَ- وأَصحابِه مِن مَكَّةَ إلى المَدينةِ، ولن تَنتهِيَ مَرحلتُنا إلَّا بهِجرةِ عُقولِنا ونُفوسِنا وأَرواحِنا مِن أَوْشابِ العَلمانيةِ والقَوميةِ والوَطنيةِ إلى صَفاءِ الإِسلامِ ونَقائِه.. وإِنَّا لنَعلَمُ أَنَّ هذه الهِجرةَ لن تَحدُثَ -في الوَاقعِ- بينَ عَشيَّةٍ وضُحَاها، فلَيسَ أَشَدَّ بُطْأً مِن التَّحوُّلاتِ الجَذريةِ في المُجتمعاتِ، ولَيسَ أَشَدُّ عُنفاً مِن ارتِداداتِها، فلا يَهُولَنَّك عُنْفُها إنِ ارْتَدَّتْ عليكَ، فإِنَّ عُنفَهَا حِينَ الارتِدادِ دَليلُ ضَعفٍ لا دَليلُ قُوَّةٍ، ولا يُلَبِّسَنَّ عليك إِبليسُ فتَتنازَلَ -أَمامَ عُنفِها- عن بَعضِ ما لا يُتنازَلُ عنه، فإِنَّ إِعادةَ النَّاسِ إلى التِّيهِ بَعدَ أن أَنقذَهم اللهُ منه، جَريمةٌ لا تَسقُطُ بالتَّقادُمِ ولا تُعَلَّلُ بالغَفلةِ!!

واعلَمْ أَنَّكَ لن تَجِدَ وَاقعاً أَشَدَّ فَساداً من الوَاقعِ الذي نُبِّئَ فيه الأَنبياءُ وأُرسِلَ فيه الرُّسُلُ، ولَوَلَا شِدَّةُ فَسادِه ما أُرسِلُوا، ولَسْتَ أَكرمَ على اللهِ من رُسُلِه ليُصلحَ لك -دُونَ سَعيٍ منك- وَاقعاً لم يُصلِحْهُ لهم، وقد أَكرَمَكَ اللهُ بإِيجادِكَ في وَاقعٍ شَبيهٍ بواَقعِهم لتُصلِحَه كما أَصلَحُوه، فإن لم تَكُنْ منهم فَسِرْ على آثارِهم تَكُنْ مَعَهم، ولا تَنتظِرْ في حَياتِك ثَمرةَ سَيْرِك، فمُوسى مَاتَ في التِّيهِ، وعِيسى رُفِعَ في الفِتنةِ، ومُحَمَّدٌ -عليه وعلى أَنبياءِ اللهِ ورُسُلِه الصَّلاةُ

والسَّلامُ- ارْتَدَّ أَعرابُ جَزيرتِه بَعدَ مَوتِه، ولو وَضعَ أَبُو بَكرٍ -رَضِيَ اللهُ عنه- يَدَه على خَدِّه ويَئِس -حِينَ انْتَقَضَ عليه أَعرابُ الجَزيرة- ما وَصلَكَ مِمَّا وَصَلَكَ مِن الدِّينِ شَيءٌ، حَسْبُكَ أن تُؤذِّنَ كما أَذَّنَ إِبراهيمُ، وما عَسَى يَبلُغُ صَوتُ إِبراهيمَ!! إنَّما عليكَ الأَذانُ وعلى اللهِ البَلاغُ، ولكُلِّ ثَغرٍ أَذانُه، وكُلُّ الثُّغورِ شَاغرةٌ، فإنْ وَجدْتَ ثَغرَكَ فالْزَمْه -وذلكَ عِبادتُك- وإنْ لم تَجِدْه فابْحَثْ عنه -وذلك أَيضاً عِبادتُك-، حَسْبُكَ أَلَّا يَراكَ اللهُ إلَّا على ثَغرٍ أو بَاحثاً عن ثَغرٍ!!

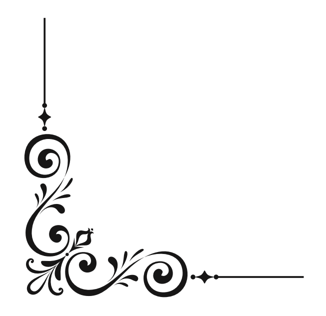
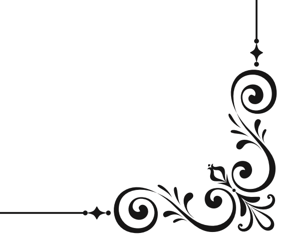
٢٠ / شوال / ١٤٤١هـ

٢٥ / ٥ / ٢٠٢٠م

(٢٦)

الأَوْهامُ.. ثُم يَنْجَلِينَ

قُلْنا قَديماً ولم يَسْمَعْنا أَحَدُ، ونُكرِّرُ الآنَ ولن يَسمَعَنا أَحدُ:

- اختِلافُ اللُّصوصِ لا يَعنِي بالضَّرورةِ ظُهورَ الحَقيقةِ؛ بل قد يَعنِي أَنَّهم اتَّفقُوا على الاِختلافِ ليَسرِقُوك مَرَّةً أُخرَى بطَريقةٍ جَديدةٍ!!
- في الثَّوراتِ: الشَّجرةُ التي لم تُشارِكْ في غَرسِها لا تَنتظرُ ثَمرَتَها!!
- مُؤامراتُ الغُرَفِ المُغلقةِ كاتِّفاقِ الزَّانِي والقَوَّادِ، فلا تَكُنِ العَاهرةَ!!
- فَرَحُك بصِراعِ المَماليكِ أَنْساكَ أَنَّهم يَتصارَعُون على رَأسِك!!
- أَيْبكُ قَتَلَ أَقطايَ.. بِيبرسُ قَتَلَ قُطُزَ.. الحَرافيشُ خَارجَ المُعادلةِ!!

لو خُيِّرتُ بينَ (عَواجيزِ الفَرحِ) و(دَراويشِ الفَرحِ) لَاخترْتُ عَواجيزَه!!

الدَّروشةُ سَرَطانُ الوَاقعِ، والفَرحُ الشَّديدُ كالحُزنِ الشَّديدِ؛ مُذهِبٌ للعَقلِ ومُشتِّتٌ للرُّوحِ.. وقَديماً ذُهِلَ -فَرِحاً- ذلك الذي شَارَفَ على الهَلاكِ في الصَّحراءِ بَعدَ عَودةِ رَاحلتِه وعليها طَعامُه وشَرابُه، فقَالَ: (اللَّهُمَّ أَنْتَ عَبْدِي وَأَنَا رَبُّكَ)!!

لا أَعرِفُ إنْ كان عُلماءُ النَّفْسِ قد سَكُّوا مُصطلَحاً خَاصاً للمَرضِ النَّفسِيِّ الذي يُصيبُ الثُّوَّارَ السَّابقِينَ؛ فيَرْهَنُهم ويَرْتَهِنُهم (للمَيدانِ) دَائماً وأَبداً، سَلباً وإِيجاباً، بَيْدَ أَنَّ (مُتلازمةُ المَيدانِ) هذه سَتُورِدُنا المَهالكَ إنْ مَارَسْناها كُلَّ مَرَّةٍ بالطَّريقةِ ذَاتِها التي مَارَسْناها بها أَوَّلَ مَرَّةٍ!!

الثَّورةُ كالحُبِّ؛ لَيسَ لها (نِيجاتيف)!!

أَعرفُ نَشوةَ دُخولِ المَيادينِ، أَعرِفُ فَرحَتَها كما أَعرِفُ زَخْمَها الرُّوحيَّ والنَّفسيَّ.. أَعرِفُ تلك الحَالةَ التي تُشعِرُك بأنَّك تَقبِضُ على نُجومِ السَّماءِ بيَدَيْك.. كُلُّ هذا أَعرِفُه وأَشتاقُ إليه.. بيْدَ أنَّك لا تَعبُرُ النَّهرَ الوَاحدَ مَرَّتَينِ!!

الذين قَطفُوا القَطفةَ الأُولَى وذَاقُوا عُسَيْلَةَ الثَّورةِ البِكْرِ، ثُم طَالَ عليهم الأَمدُ، ظَنُّوا أنَّ نَافِخَ الكِيرِ يُمكِنُ أن يُحْذِيَكَ، أو تَبتاعَ منه، أو تَجِدَ مِنه رِيحاً طَيِّبةً!!

حِينَ يُصبحُ المَيدانُ غَايةً يَسقُطُ المَيدانُ والغَايةُ!!

أَكثرُ ما كان يُقرِفُني في هُجومِ نُشطاءِ العَلمانيِّين والإِسلامقراطِيِّين على الجِهادِ وأَهلِه، هو اتِّفاقُهم على أَمرَينِ حَقيرَينِ، أَوَّلُهما: أَنَّ الجِهادَ مَصنوعٌ مُخابراتياً بقَصدِ إِغراقِ الشُّعوبِ في الخَرابِ والدَّمارِ لتَسهيلِ السَّيطرةِ عليها، وثَانيهما: أَنَّ الجِهادَ -إنْ آمَنُوا به وسَمَّوْهُ جِهاداً- يَحتاجُ إلى إِعدادٍ واستِعدادٍ وخُطَطٍ تُقارِبُ إِعدادَ العَدُوِّ واستِعدادَه وَخُطَطَه.. ولأَنَّ هذا -بزَعمِهم- لا يَتوفَّرُ للجِهادِ ولا للجِهادِيِّين، فلا يَجوزُ للمُسلمِ إِلقاءُ نَفْسِه إلى التَّهلُكةِ، ثُم يُتبِعُون تلك التَّفاهاتِ ببَعضِ الجُملِ الجَميلةِ لَفظاً الحَقيرةِ مَقصداً، مِثلُ: إنْ لم تَكُنْ لك خُطَّةٌ فأَنتَ في خُطةِ غَيرِك!!

المُذهِلُ الآنَ حَدَّ الجَلطةِ أَنَّك لن تَجِدَ وَاحداً مِن هَؤلاءِ النُّشطاءِ -بل وَاحداً من عَامَّةِ النَّاسِ- إِلَّا وهو يُؤمِنُ إِيماناً جَازماً أَنَّ ما يَحدُثُ في مِصرَ

الآنَ لَيسَ أَكثرَ من مُؤامرةٍ، أو انقِلابٍ على الانقِلابِ، أو صِراعِ أَجنحةٍ في مُؤسَّساتِ النِّظامِ القَذرةِ!!

ورَغمَ كُلِّ هذا الإِيمانِ الجَازمِ بالمُؤامرةِ؛ يُصِرُّ هَؤلاءِ الذين لا خُطةَ لَدَيْهم على الدُّخولِ في خُطةِ غَيرِهم.. يُصرُّ هَؤلاءِ الذين كَانُوا يَنبَحُون كالكِلابِ على أَسيادِ الدُّنيَا المُجاهدِين، ويتَّهمُونَهم بالعَمَى عن رُؤيةِ الفِخاخِ المَنصوبةِ؛ على الوُقوعِ في الفَخِّ للمَرَّةِ الأَلفِ، لا لشَيءٍ إِلَّا لأَنَّ الفَخَّ الخَاصَّ بهم لا يُكلِّفُهم عَناءَ الإِعدادِ لذَاتِ الشَّوكةِ؛ تِلكَ التي يرَوْنها -لجُبنِهم وخَورِهم وعِمَالَتِهم- إِرهاباً وعُنفاً وصِناعةً!!

هُم الآنَ في خُطةِ غَيرِهم.. وباعتِرافِهم!!

هُم لا يَملِكُون شَيئاً.. لا يَملِكُون تَنظيماً، ولا خُطةً، ولا إِعداداً، ولا استِعداداً، وما يَفعلُونه الآنَ لَيسَ أَكثرَ مِن (زِيطَة في مَولِد) (يَا صَابتْ يَا خَابتْ)، ولا واللهِ لا يُصيبُ هذا العَتهُ أَبداً؛ فإِنَّ سُنَنَ اللهِ في الدُّنيَا لا تَسيرُ بالوَهْمِ والتَّوهُّمِ، والمُنى والتَّمنِّي، وما أَنجَحَتْ (مُتلازمةُ المَيدانِ) ثَورةً أو أَقامَتْ دَولةً أو أَسقَطَتْ نِظاماً!!

يَكتُبُ أَحدُ مَرضَى المُتلازمةِ على صَفحته حِينَ رَأى الشَّبابَ في المَيدانِ: (وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا).. يُضيفُ آخَرُ: «اقْتربَتِ السَّاعةُ وانْشَقَّ الأَملُ».. يَكتُبُ ثَالثٌ: (كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللهِ وَاللهُ مَعَ الصَّابِرِينَ)!!

يَحكُّ أَحدُ المُعلّقِين رأسَه ويَسأَلُ كَاتباً مِن مَرضَى المُتلازمة: «ولكنَّ (مُحمَّد عَلي) يَقولُ إنَّ مُشكلتَنا مَعَ السِّيسِي فقَطْ.. وهذا خَطأٌ.. نَحنُ مُشكلتُنا مَعَ النِّظامِ كُلِّه».. يَرُدُّ مَريضُ المُتلازمةِ: هذا تِكتيكٌ مُهِمٌّ جِداً.. (يَا وَاد يَا جَامِد)!!

تَضِجُّ الصَّفحاتُ بذِكرَى يَنايرَ، ورِياح يَنايرَ، ونَسائِمِ يَنايرَ.. يَفرَحُ النَّاسُ بتَوقُّعِ انقِلابِ سَفَّاحٍ على سَفَّاحٍ وكَلبٍ على كَلبٍ.. تَبدأُ التَّحليلاتُ والقِراءاتُ والتَّكهُّناتُ والإِشاعاتُ.. يُصبحُ الحَليمُ حَيراناً، أَهؤلاءِ هم الذين خَرجُوا من الفَخِّ البَارحةَ؟! أَهؤلاءِ هم الذين اعتَذَرَ لهم المَجلسُ العَسكريُّ قَديماً وهو يَنصِبُ لهم الفَخَّ، وقَالَ لهم: «رَصيدُنا لَديْكم يَسمَحُ»؟! أَهؤلاءِ هم الذين ضَرَبَ لهم اللِّواءُ (إِسماعِيل عِتمَان) تعظِيمَ سَلامٍ قَبْلَ أَنْ يُضرَبُوا على أَقْفِيَتِهِم؟! أَهؤلاءِ هم الذين قِيلَ لهم: «هذا الشَّعبُ لم يَجِدْ مَن يَحنُو عليه»؟! أَهؤلاءِ هم الذين قِيلَ لهم: «أَنتُم نُورُ عِينِينا»؟!

تَقولُ امْرأةٌ طَيِّبةٌ: نَعرِفُ أنَّ كُلَّ ما يَحدُثُ مُؤامرةٌ، ولَكنْ دَعُونا نَفرحُ قَليلاً، لا تَزيدُونا كَآبةً»!!

وأنا واللهِ مُتفهِّمٌ لهذا الفَرحِ وسَعيدٌ باختِلافِ اللُّصوصِ -إنْ كَانَ- رَغمَ عِلْمِي أَنَّهم لا يَختلِفُون إلَّا على الرُّكوبِ فَوقَ رُؤُوسِنا!!

تُضيفُ أُخرى وآخَرُ: «نُريدُ فَقطْ خُروجَ المُعتقَلِين»..

وأنا واللهِ أُريدُ خُروجَ المُعتقَلِين، بل لا يَكسِرُني في كُلِّ هذا (المَولِدِ)

سِوَى خُروجِ المُعتقَلِين.. ولَكنْ فَكِّرُوا قَليلاً.. إنْ حَدَثَ ما تَتَمَنَّوْنَ ونَجَحَ كَلبٌ آخَرُ في الجُلوسِ مَكانَ الكَلبِ الحَالِيّ، هل سيُخرِجُ المُعتقَلين حَقاً؟! وهل سيُخرِجُهم كَافَّةً؟! وإنْ أَخرَجَهم سَنةً أو سَنتَينِ فمِن أَيْنَ لنا القُوَّةُ التي تَردَعُه عن اعتِقالِهم واعتِقالِ أَضعافِهم مَعَهم مَرَّةً أُخرَى؟! تَذَكَّرُوا أَنَّ الدُّكتورَ مُحَمَّد مُرسِي كان مُعتقلاً إِبَّانَ الثَّورةِ، وسَجَّلَ كَلمةً صَوتيةً وهو في المُعتقَلِ حِينَ فُتِحَتِ السُّجونُ، ثُم خَرَجَ للنُّورِ سَنةً كاملةً، ثُم إلى الاِنتِخاباتِ مُرشَّحاً، ثُم إلى قَصرِ الاتِّحاديةِ رَئيساً، ثُم إلى المُعتقَلِ مَرةً أُخرَى، ثُم إلى القَبرِ مَقتولاً رَحِمَه اللهُ!!

إنْ كُنتَ لا تَملِكُ خُطةً فأَنتَ في خُطةِ غَيرِك، وإنْ كُنتَ في خُطةِ غَيرِك فأَنتَ ورِيشةٌ في مَهَبِّ الرِّيحِ سَواءٌ!!

يَكتُبُ (مُحَمَّد عَلِي) على صَفحتِه بَعدَ مُظاهراتِ مَساءِ الجُمعةِ المَاضيةِ كَلمةً مَفادُها: (وَصَلَتِ الرِّسالةُ ونَنتظرُ الاِستِجابةَ لها.. وعِندَنا ثِقةٌ كَبيرةٌ في أَبناءِ جَيشِنا العَظيمِ)!

هَكذَا إِذنْ.. وَصَلَتِ الرِّسالةُ ونَنتظرُ إِيصالاً بعِلْمِ الوُصولِ!!

يَبدُو أَنَّ الأَوباشَ الَّذين يَقِفُون خَلْفَ مُحَمَّد عَلِي لا يَرَوْنَ في الشَّعبِ أَكثَرَ مِن (سَاعِي بَرِيدٍ) يَقومُ بتَوصيلِ رِسالةٍ مِن مُرسِلٍ إلى مُستقبِلٍ، دُونَ أن يَعرِفَ الشَّعبُ طَبيعةَ المُرسِلِ أو طَبيعةَ المُستقبِلِ.. ولِكَيْ تَكتمِلَ المُؤامرةُ -التي يَتَحَدَّثُون عنها- بنَجاحٍ كان لا بُدَّ مِن تَحويلِ (مُقاوِلِ الإِنشاءاتِ) مُحَمَّد

عَلِي إلى (مُقاولِ أَنفارٍ) يجمَعُ المَظلومِين واليَائِسِين والبَائِسِين ليُحوِّلَهم إلى (سُعاةِ بَريدٍ) بَينَ مُرسِلٍ ومُستقبِلٍ!!

الأَوباشُ الذين يَقِفُون خَلْفَ مُحمَّد عَلِي هُمُ الوَجهُ الآخَرُ من العُملةِ!!

وسَواءٌ عَرَفَ ذلك مُحمَّد عَلِي أو لم يَعرِفْه فلا بَأسَ عِندِي بتَقبُّلِه على عَلَّاتِه حتى يَنجلِيَ غُبارُه وتَتضِحَ حَقيقتُه.. فلا يجوزُ أن نَبْخَسَه عَمَلَه حتى لو كان عَمَلُه هذا غيرَ مَفهومٍ أو مَلعوبٍ في أَساسِه.. لنا الظَّاهرُ والبَاطِنُ يَعلمُه اللهُ!!

الأَمرُ إذنْ أَشبَهُ بمَجموعةٍ من اللُّصوصِ والقَتلةِ يُسمُّونَهم (جَيشَ مِصرَ العَظيمَ) تَشاكَسَتْ مَعَ مَجموعةٍ أُخرَى من اللُّصوصِ والقَتلةِ يُسمُّونَهم أَيضاً (جَيشَ مِصرَ العَظيمَ)؛ فاسْتَخدَمَتِ المَجموعةُ الأُولَى مَظلوميةَ المَظلومِين واليَائِسِين والبَائِسِين لإِسقاطِ المَجموعةِ الثَّانيةِ مِن فَوقِ رِقابِ المَظلُومِين واليَائِسِين والبَائِسِين، لا ليُريحُوا المَظلومِين والبَائِسِين واليَائِسِين؛ بل ليَركَبُوا هُم فَوقَ رِقابِ المَظلومِين واليَائِسِين والبَائِسِين!!

المَجموعةُ الأُخرَى لا تَطلُبُ أَكثرَ مِن المُشاركةِ في رُكوبِ الرِّقابِ، حتى لو كَانَتْ مُشاركةً هَامشيةً.. لا بَأسَ بقِلَّةِ الرِّقابِ وإنَّما البَأسُ في انعدامِها.. الشُّعورُ (باشتِراكيةِ الرُّكوبِ) شُعورٌ مُريحٌ ولو كان قَليلاً، أَلَمْ يَقُلِ الشَّاعرُ:

فَاسْقِنِي كَأْسَاً وَخُذْ كَأْسَاً إِلَيْكَ ** فَلَذِيذُ الْعَيْشِ أَنْ نَشْتَرِكَا

ألا تَقولُ العَامَّةُ: (خُدْ وهَات)، (سَلِّكنِي واسَلِّكَك) (اللِّي ياكُل لوَحدُه يِزْوَرْ)؟!!

يَبدُو أنَّ المَجموعةَ الرَّاكبةَ تَتمَتَّعُ بغَباءٍ كَبيرٍ إلى الحَدِّ الذي لم تَترُكْ فيه رَقبةً وَاحدةً لتَركَبَها المَجموعةُ الأُخرَى، وهذا الغَباءُ أو الجَبروتُ أو العمالةُ أو الاِسْتبْياعُ -صِفْهُ كَيفَ شِئْتَ- دَفَعَ المَجموعةَ الرَّاكبةَ لاِقترافِ كُلِّ الجَرائمِ التي كَانَتْ تَتَّهِمُ بها الدُّكتورَ مُرسِي -رَحِمَه اللهُ- وجَماعَتَه: بَيعَ الأَرضِ والعِرضِ والمَالِ والمُقدَّراتِ الإستراتيجيةِ (مِياهِ النِّيلِ، غَازِ المُتوسِّطِ، تيرانَ وصَنافِيرَ.. إلخ)، إِضافةً إلى وُصولِ الظُّلمِ والقَتلِ والفَسادِ والإِذلالِ والنَّهبِ إلى دَرجاتٍ غَيرِ مُحتملةٍ أو مَسبوقةٍ.. لقد صَارَ جَبروتاً أَقسَى مِن جَبَرُوتِ (كَاليجُولاَ) الأَحمقِ؛ لا عَقلَ فيه ولا حِكمةَ، لَيسَ لأَنَّه خَانقٌ للشَّعبِ، ولَكنَّه خَانقٌ أَيضاً لبَقيَّةِ المُؤسَّساتِ التي تُمثِّلُ شَرايينَ النِّظامِ وتُحسِنُ مُلاعبةَ الشَّعبِ تَرغيباً وتَرهيباً، وإِذا اختَنَقَتْ شَرايينُ النِّظامِ انْفَجَرَتْ، وإِذا انْفَجَرَتِ الشَّرايينُ سَقَطَ القَلبُ، وإِذا سَقَطَ القَلبُ سَقَطَ النِّظامُ، ولا قَلْبَ لنِظامِ المَحميَّاتِ العَربيةِ سِوَى الجُيُوشِ!!

ولأَنَّ هذه الكَوارثَ كُلَّها حَدَثَتْ بفَجاجةٍ ووُضوحٍ شَديدَين لا يُمكِنُ إِخفاؤُهما، ولأَنَّه لا تَزالُ جَاهليةُ الوَطنيةِ والقَوميةِ والتُّرابِ مُسيطِرةً على النُّفوسِ بَعضَ الشَّيءِ، ولأَنَّ شَريحةً لا يُستهانُ بها من الصُّفوفِ الصُّغرَى في الجَيشِ المِصريِّ ما تَزالُ تُؤمنُ بمِثْلِ هذه الأَشياءِ وتَشعُرُ بالذُّلِّ والعَارِ والمَهانةِ، ويُخشَى انفِجارُها في أَيَّةِ لَحظةٍ.. من أَجلِ ذلك كُلِّه؛ كان لا بُدَّ

مِن قَرعِ جَرَسِ إِنذارٍ لأَساطينِ النِّظامِ حتى لا يَسقُطَ قَلبُ النِظامِ فيَسقُطَ النِّظامُ!!

هذا الجَرَسُ لم يَقرَعه الشَّعبُ ابتِداءً، بل قَرَعَتْه المَجموعةُ الحَاليةُ من الرِّقابِ المَركوبةِ حِينَ استَخدَمَتْ مَظلوميةَ الشَّعبِ اليَائسِ والبَائسِ لتُخرِجه إلى المَيادينِ، فيَكونَ لهم:

كَكَلْبِ الصَّيْدِ يُمْسِكُ وَهْوَ طَاوٍ ** فَرِيسَتَهُ لِيأْكُلَهَا سِوَاهُ

الخُروجُ الآنَ (بهذه الشَّاكلةِ) تَثبيتٌ للنِّظامِ ولَيسَ إِسقاطاً له!!

وإنَّ مِن أَعجبِ العَجبِ أنَّ الذين صَرَخُوا ويَصرخُون صَباحَ مَساءَ: الشَّعبُ يُرِيدُ إِسقاطَ النِّظامِ، يُقدِّمُون أَنفُسَهم -طَواعيةً بَعدَ كُلِّ هذه التَّجارِبِ والخيباتِ- أَعمدةً لتَثبيتِ أَركانِ النِّظامِ!!

لقد أَنتجَ ضَغطُ الوَاقعِ انخِفاضاً شَديداً في سَقفِ الطُّموحاتِ والمَطالبِ القَديمةِ التي كَانَتْ تَدورُ -بحَسَبِ توجُّهاتِ أَصحابِها- حَولَ الشَّريعةِ، والعَدالةِ، وما يُسَمُّونها الدِّيمقراطيةَ، والحُريةَ، والاستِقلالَ، وامتلاكَ الإِرادةِ الشَّعبيةِ، وأُستاذيَّةَ العَالَمِ، وغَيرَها مِن الطُّموحاتِ التي كان تَحقيقُها يَعنِي إِسقاطَ النِّظامِ بالفِعلِ!!

وانخِفاضُ سَقْفِ الطُّموحاتِ هذا دَفَعَ الكَثيرين من مَرضَى المُتلازمةِ إلى ابتِلاعِ الطُّعمِ للمَرَّةِ الأَلفِ، ظَناً منهم أَنَّ ما يَحدُثُ الآنَ رُبَّما يكونُ فُرصةً قد لا تَتكرَّرُ لِاستِعادةِ الثَّورةِ ومَطالبِها، وهو (عَشَمُ إِبليسَ في الجَنَّةِ) حتى لو سَقَطَ السِّيسِي في هذا السِّياقِ الذي يَسِيرُون فيه!!

أَعرِفُ أنَّ الجَميعَ يُريدُ رُؤيةَ السِّيسِي مُهاناً ذَليلاً، ولَكنْ: تَذكَّرُوا أنَّنا ارتَكَبْنا خَطايَا بَشِعةً في غَمرةِ لَهفَتِنا على رُؤيةِ (مُبارَك) مُهاناً ذَليلاً، وكان الذي يُذكِي جَمْرَ لَهفَتِنا تلك هو الذي كان يَقولُ لنا: «أَنتُم نُورُ عِينِينا»، وهو ذَاتُه الذي نَتلهَّفُ الآنَ لرُؤيتِه مُهاناً ذَليلاً!!

إذا كان هُناكَ سِيسِي آخَرُ يَقِفُ الآنَ خَلْفَ الكَواليسِ ويُذكِي جَمْرَ لَهْفَتِنا ليُزِيحَ بها السِّيسِي الحَالِيَّ ويَحُلَّ مَحَلَّه، فهل مِن الشَّرفِ والكَرامةِ أنْ نَظَلَّ كثَوْرِ السَّاقيةِ نُراوِحُ مكانَنَا -كُلَّ سِتِّ سَنواتٍ أو عَشْرٍ- مَعَ مُتآمِرٍ ثَالثٍ ورَابعٍ وعَاشرٍ يَستغلُّ مَصائِبَنا وقِلَّةَ حِيلتِنا، ليُزِيحَ بنا مَنْ أَمَامَه ويَحُلَّ مَحَلَّه، ثُم يَرمِينَا في السُّجونِ والمُعتقلاتِ والقُبورِ والمَنافِي؟!

لماذا تُعمِينا دَائماً قِطعةُ الجُبنِ عن رُؤيةِ الفَخِّ؟!

لا يَزالُ بَعضُ الحَمقَى والمُغفَّلِين يُراهِنُون على الجَيشِ، ويَستغيثُون بالجَيشِ، ويَستثِيرُون ما يُسمُّونه وَطنيةِ الجَيشِ.. وأنا واللهِ لا أَجِدُ في قَاموسِ الغَباءِ والحُمْقِ والتَّفاهةِ والضَّحالةِ مُسَمىً يُعبِّرُ عن قَرَفِي مِن مُراهَنَتِهم هذه!!

أَيُّ جَيشٍ وأَيَّةُ وَطنيةٍ؟! وهل قَتَلَنا سِوَى الجَيشِ؟! وهل النِّظامُ الذي تُرِيدُون إِسقاطَه سِوَى الجَيشِ؟!

الجَيشُ هو العَدُوُّ، ومَن يَستغيثُ بالجَيشِ لإِسقاطِ السِّيسِي كمَن يَستغيثُ بالذِّئبِ ليَحمِيَه مِن ضَبُعٍ!!

الْمُسْتَجِيرُ بِعَمْرٍو عِنْدَ كُرْبَتِهِ ** كَالْمُسْتَجِيرِ مِنَ الرَّمْضَاءِ بِالنَّارِ

أَليسَ السِّيسِي جَيشاً؟! أَليسَ عَنانُ جَيشاً؟! أَليس طَنطاوِي جَيشاً؟!

ستَقولُون: لا.. نَحنُ نَقصِدُ الأَفرادَ!!

جَميلٌ.. وهل يَصُولُ ويَجُولُ هَؤلاءِ على رُؤُوسِكم إلَّا بالأَفرادِ؟! كَيفَ كان سيكُونُ فِرعونُ دُونِ جُنودِه؟!

نَعمْ.. في الجَيشِ شُرفاءُ يَرفُضُون كُلَّ هذه الخِياناتِ، ويَجِبُ الإِفادةُ منهم أو تَحيِيدُهم، ولكنْ.. القَرارُ في يَدِ مَنْ؟!

لم يَكُنْ (أَحمَد عُرابِي) فَرداً في الجَيشِ فَقطْ، بل كان قَائداً، تَماماً كما كان (مُحَّمد نَجيب) قَائداً.. ماذا حَدَثَ لعُرابِي ولنَجيب؟! طَاوَلُوهما فَترةً من الزَّمنِ ثُم أَسقَطُوهما ليَبقَى (نَاصِرُ) الهَزائِمِ و(سَاداتُ) كَامْب دِيفيدَ!!

ثُم هَبُوا أنَّ في الجَيشِ أَفراداً شُرفاءَ.. ألم نَشبَعْ بَعدُ مِن حُكمِ العَسكرِ؟!

كَيفَ يُمكِنُ أنْ يَنجَحَ مُجتمعٌ سُلطَتُه في يَدِ رِجالٍ قَضُوا نِصفَ أَعمارِهم في تَنفيذِ الأَوامرِ، والنِّصفَ الآخَرِ في إِصدارِها؟!

قُلْنا قَديماً:

العَالَمُ نِظامٌ ووُكَلاءُ.. هَكَذا كان وهَكَذا سيَظَلُّ!!

أَوغادُ البِلادِ المُسَمَّوْنَ (حُكَّاماً عَرباً) هم الوَكيلُ المَحَليُّ للكَفيلِ العَالمِيِّ (الصَّليبِيِّ بَاطناً العَلمانِيِّ ظَاهراً)، والمِيليشياتُ المُسَلَّحةُ المُسمَّاةُ (جُيوشاً عَربيةً) هي حَجَرُ الأَساسِ في المَحمِيَّاتِ الصَّليبيةِ المُسَمَّاةِ (دُولاً عَربيةً)!!

لا مَحْمِيَّةَ دُونَ نِظامٍ ولا نِظامَ دُونَ مِيليشيات.. الوَكيلُ المَحَلِّيُّ مَحْمِيٌّ بالنِّظامِ والنِّظامُ مَحْمِيٌّ بالمِيليشياتِ.. قد يَسقُطُ الوَكيلُ بالمُظاهراتِ لِيبَقَى النِّظامُ بالمِيليشياتِ.. النِّظامُ لا يَسقُطُ بسُقوطِ الوَكيلِ بل بسُقوطِ المِيليشياتِ، والمِيليشياتُ لا تَسقُطُ بالمُظاهراتِ، بل بمَجزرةٍ!!

مَنْ خَرجَ لإِسقاطِ النِّظامِ ثُم ظَنَّ أَنَّه حَقَّقَ هَدفَه بإِسقاطِ الوَكيلِ، فقد كَبَّرَ وِسَادَتَه.. أيُّ حَراكٍ لا يَجعلُ هَدفَه إِسقاطَ المِيليشياتِ المُسمَّاةِ جُيوشاً عَربيةً مَحكومٌ عليه بالفَشلِ، وأيُّ حَراكٍ يَسعَى لإِسقاطِ هذه المِيليشياتِ عليه أن يَستَعِدَّ للمَجزرةِ!!

إذا كان هَدفُك إِسقاطَ النِّظامِ فلَيسَ أَمامَك سِوَى الجُيوشِ، وإذا كَانَ هَدفُك تَحسينَ شُروطِ العُبوديةِ فلا بَأسَ بالمُظاهراتِ، ولَيسَتِ المُظاهراتُ -في هذا السِّياقِ- جُهداً ضَائعاً إن (تَنوَّعَتْ وتَتابَعتْ واشْتَدَّتْ)؛ فبها ستَعرِفُ الأُمَّةُ أَنَّ عَدُوَّها الأَوَّلَ هو ما يُسمَّى جيشَها الوَطنيَّ.. وحَسْبُك بهذه المَعرفةِ خَيراً في هذه المَرحلةِ!!

تَسأَلُون الآنَ عن الحَلِّ، أو عن كَيفيةِ الخُروجِ من هذه المَتاهةِ؟!

حَسناً.. بالنِّسبةِ لي لا حَلَّ عِندي سِوَى حَلِّ (الأَشعثِ الأَغبرِ) الذي تَعرِفُونه جَيِّداً، ولكنَّكم تَخافُون تَبِعاتِه، أو تُسمونه إِرهاباً وعُنفاً، أو تَعتقِدُون عِمالَتَه وصِناعَتَه مُخابراتياً، في الوَقتِ الذي تَرتَمُون فيه في أَحضانِ المُؤامرةِ الحَالِيَّةِ التي سَمَّيْتُموها أَنتُم بأَلسِنَتِكم (مُؤامرةً)!!

لا بَأسَ.. اتْرُكُوا عنكم حَلَّ (الأَشعثِ الأَغبرِ)، فهو يَحتاجُ إلى (رِجالٍ وعَقيدةٍ)، ويَبدُو أنَّنا لم نَصِلْ بَعدُ إلى تِلكَ الدَّرجةِ من المَرْحَلَةِ.. خُذُوا حلاً آخَرَ:

في سَنة ١٩٠٥م خَرَجَ عَشراتُ الآلافِ مِن الشَّعبِ الرُّوسيِّ، على رَأسِهم القِسُّ (جَابونُ)، إلى قَصرِ الشِّتاءِ (مَقرِّ القَيصرِ الشِّتَوِيِّ) لتَقديمِ عَريضة يُطالِبُون فيها بجَمعيةٍ تَأسيسيَّةٍ مُنتَخَبَةٍ باقتِراعٍ عَامٍّ سِريٍّ ونَزيهٍ، وتعليمٍ عَامٍّ مجَّانِيٍّ، وحُريةِ صَحافةٍ وتَعبيرٍ، وفَرضِ ضَرائبَ تَصاعُديةٍ، ويومِ عَملٍ لا يَزيدُ عن ثَماني سَاعاتٍ.. أُطلِقَتِ النَّارُ على الجُموعِ وقُتِلَ ما يَزيدُ على أَلفِ مُتظاهرٍ!!

تَفاعَلَت الثَّورةُ بَعدَها -مَداً وجَزراً- بالإِضرابات والاعتِصامات والتَّمرُّدات والظُّلمِ والجُوعِ والمُعتَقَلاتِ والمَنافِي.. اسْتطاعَ العُمَّالُ (البُروليتَاريَا) تَكوينَ لِجانٍ مُنتَخَبةٍ (سُوفيتاتٍ) فِي الأَحياءِ والمَصانعِ وكَثيرٍ من مُؤسَّساتِ الدَّولةِ.. ظَلَّتْ هذه السُّوفيتاتِ تَنشَطُ حِيناً وتَخمُلُ أَحياناً حتى وَصَلْنا إلى سَنة ١٩١٧م؛ سَنة الهَزيمةِ المُنكَرةِ لرُوسيَا القَيصريةِ فِي الحَربِ العَالميةِ الأُولَى.. اشْتَعَلَتِ الثَّورةُ مِن جَديدٍ.. تِلكَ الثَّورةُ التي يَئِسَ (لِينينُ) نَفْسه مِن اشتِعالِها.. عَادَ (لِينينُ) الذي لم يَكُنْ مَعروفاً آنذاك بالقَدْرِ الكَافِي، والذي كان مُتهماً أَيضاً بالعمالةِ لأَلمانيَا حَسَبَ إِشاعاتِ أَعدائه.. نَشَطَتِ السُّوفيتاتُ مَرَّةً أُخرَى، وأَصَرَّ (تُروتسكي) على تَطعيمِها ببَعضِ ضُبَّاطِ جَيشِ القَيصرِ المُنشقِّينَ أو حتى المكسورةِ أَعيُنُهم بسَبَبِ جرائِمِهم السَّابقةِ..

وكَانتْ هذه السُّوفيتاتُ هي النَّواةَ الأُولَى لِلجَيشِ البَلْشَفِيِّ الأَحمرِ الذي حَسَمَ المَعركَةَ بعدَ سَبعةِ أَشهرٍ من المُهارَشات الكَلاميةِ والتَّخبُّطاتِ السّياسيةِ ضِمنَ الحُكومةِ الانتِقاليةِ (مِن فِبرايرَ إلى أُكتوبرَ) لتَسقُطَ حكُومةُ (كرينسكي) وتَبدَأَ الحَربُ الأَهليةُ الرُّوسيةُ التي انْتَهَتْ سَنةَ ١٩٢٢م لِيَسْتَتِبَّ الأَمرُ للبَلاشفةِ بجَيشِ اللِّجانِ الشَّعبيةِ (السُّوفيتاتِ)، الذي تكوَّنَ من الشَّعبِ وبَعضِ ضُبَّاطِ القَيصرِ المُنشقِّينَ!!

من ١٩٠٥م -بل قَبْلَها بكَثيرٍ- إلى ١٩٢٢م والشَّعبُ الرُّوسيُّ يَتفاعلُ مَداً وجَزراً بالثَّورةِ وللثَّورةِ وفي الثَّورةِ، رَغمَ أنَّ هذا الشَّعبَ كان مِن أَذلِّ شُعوبِ الأَرضِ وأَكثرِها عِبادةً للقَيصريةِ وارتباطاً بها واستِخذاءً أَمامَها، حتى اسْتَبعَدَ غَالبُ مُثقَّفِي أُوربَّا وبَعضِ ثُوَّارِ رُوسيا نَفْسِها أن يَتأَثَّرَ هذا الشَّعبُ بأَفكارِ الثَّورةِ الفَرنسيةِ التي هَبَّتْ رِياحُها على الغَربِ والشَّرقِ آنَذاكَ!!

لقد استَطاعَ الثُّوَّارُ -وهم مَدنِيُّون لا يَعرِفُون عن العَسكريةِ كَثيرَ شَيءٍ- أن يُسقِطُوا جَيشَ القَيصرِ، ويُحَيِّدُوا بعضَ ضُبَّاطِه، ويَستفِيدُوا من خِبراتِهم، ثُم كَوَّنُوا جيشاً وَطنياً حَقيقياً بعَقيدةٍ جَديدةٍ!!

مَن يُقدِّسُ الجيُوشَ فهكذا تَتكوَّنُ الجيُوشُ وهكذا تَنجَحُ الثَّوراتُ.. أمَّا مَنْ يُقدِّسُ جَيشاً كَوَّنَتْه القَناصلُ الأُوربِّيةُ وبَقايَا الحَملةِ الفَرنسيةِ على يَدِ (مُحمَّد عِلِي بَاشَا)، ثُم تَطوَّرَ هُبوطاً وسُفولاً على يَدِ الإِنجليزِ، فصَارَ ذِراعاً

ضَارباً لـ (كتشنر) في قَتلِ المُسلمِين في السُّودانِ أَيَّامَ (المَهدَوِيَّةِ)، أو تَجريدةً عَسكريةً مَعَ الجنرالِ (اللّنبيّ) لإِسقاطِ القُدسِ في الحَربِ العَالميةِ الأُولَى، أو نَياشِينَ فَارغةً تَجلِسُ على مَائدةِ تَواقيعَ في (كَامْب دِيفيد) وما تَلاهَا، ثُمَّ تَقتُلُ أَهلَها في سَيناءَ وتُهَجّرُهم؛ مَنْ يُقدّسُ جَيشاً كهذا فَمِن العَارِ أَصلاً أن نَعُدَّهُ بَشراً سَوِياً نُخاطِبُه بالعَقلِ والمَنطقِ!!

مَن كان هَدفُه إسقاطَ السِّيسِي فلْيَخرُجْ في هذه المُظاهراتِ فرُبَّما سَاعَدَ خُروجُه في إِسقاطِه، ومَن كان هَدفُه إِسقاطَ النِّظامِ فلْيَستَغِلَّ حَالةَ السُّيولةِ الحَالِيَّةِ ويَتخِذْها فُرصةً لتَكوينِ وإِنشاءِ لِجانٍ ثَوريةٍ عَقائديةٍ تَعملُ بجِدٍّ ودَأْبٍ وهُدوءٍ وحِكمةٍ وصَبرٍ وفَهمٍ للأَوضاعِ المَحليةِ والإِقليميةِ والعَالميةِ.. العَالَمُ الآنَ في حَالةِ سُيولةٍ شَديدةٍ تَتبدَّلُ وتَتغيَّرُ كُلَّ لَحظةٍ، وأَنْ تَأْتِيَ اللَّحظةُ الفَارِقةُ وأَنتَ مُستعدٌّ لها خَيرٌ مِن أَنْ تَأْتِيَ وتَذهَبَ وأَنتَ فَارغٌ مُتبَطِّلٌ تُنادِي وتَنتظرُ مَنْ تُسمِّيهم شُرفاءَ الجَيشِ لِيرفَعُوا عن رَأسِك بِيادةَ سِيسِي ويَضعُوا بِيادَةِ سِيسِي آخَرَ!!

سيَقولُ قَائلٌ: ولكِنَّ هذا الحَلَّ الرُّوسيَّ دَمويٌّ أَيضاً، وهو شَبيهٌ إلى حَدّ كَبيرٍ بحَلِّ الأَشعثِ الأَغبرِ، بل هو حَلُّ الأَشعثِ الأَغبرِ نَفْسُه بوَجهٍ شُيوعِيٍّ لا إِسلاميٍّ!!

وهذا صَحيحٌ تَماماً.. فلْنَترُكِ الحَلَّ الرُّوسيَّ إِذَنْ كما تَرَكْنا حَلَّ الأَشعثِ الأَغبرِ..

- ما رَأيُكم في حَلِّ الثَّورةِ الفَرنسيةِ؟!

- هي أَيضاً أَكثرُ دَمويةً مِن الرُّوسيةِ.

- طَيِّبُ.. حَلُّ الثَّورةُ الأَمريكيةِ؟!

- دَمويةٌ أَيضاً!!

- الثَّورةُ الإِيرانيةُ؟!

- دَمويةٌ وثُيوقراطيةٌ أَيضاً.

- الثَّورةُ الكُوبيةُ، الصِّينيةُ، والفِيتنامية، والهَايتيَّةُ..

- كُلُّ هذه ثَوراتٌ دَمويةٌ ونَحنُ لا طَاقةَ لنا بجَالوتَ وجُنودِه؟!

حَسناً.. الحَقيقةُ الوَحيدةُ التي يَجِبُ أن نَعرِفَها جَميعاً هي أَنَّه لن يَتغَيَّرَ الوَضعُ الحَاليُّ تَغيُّراً جَذرياً إلَّا بهذا الحَلِّ.. كُلُّ الطُّرُقِ تؤَدِّي إلى الأَشعثِ الأَغبرِ!!

لو جَلَسْنا مِئةَ سَنةٍ نَخرُجُ إلى المَيادينِ لنُسقِطَ -كُلَّ عَشرِ سَنواتٍ- سِيسِي وَراءَ سِيسِي، فلَنْ يَتغَيَّرَ شَيءٌ، بل وسيُساعِدُنا النِّظامُ في إِسقاطِه بَعدَ أن يَكُونَ قد قَضَى عَشْرَ سَنواتٍ على رِقابِنا وتَضَخَّمَتْ ثَروتُه من أَموالِنا، ثُم يَتقاعَدُ في أُوربَّا أو أَمريكا تَقاعُداً مُريحاً، ليَأتِيَ آخَرُ وآخَرُ وآخَرُ!!

ومَنْ يَظُنُّ أنَّ حَلَّ الأَشعثِ الأَغبرِ قد فَشِلَ أو يُمكِنُ أن يَفشَلَ؛ فهو وَاهِمٌ ومُتوَهِّمٌ ومَوهُومٌ!!

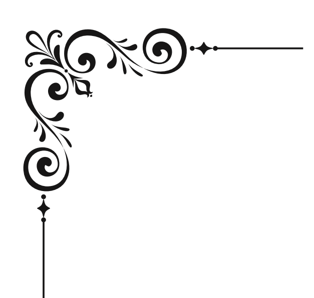
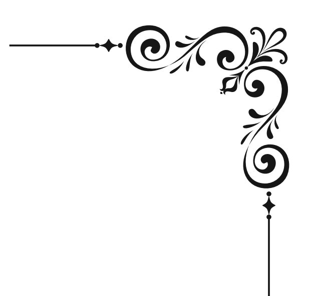
الجِهادُ لا يَفشَلُ أَبداً وإِنِ انحَسَرَ مَدُّه.. هو مَوجاتٌ مُتتابعةٌ تَضرِبُ صَخرةً قَديمةً فتُخلخِلُها ولا تَقتَلِعُها، ومَعَ تَتابُعِ المَوجاتِ -مَداً وجَزراً- تَنقلِبُ الصَّخرةُ مُخلِّفَةً وَراءَها فَراغاً تَملَؤُه المَوجةُ الأَخيرةُ.. أمَّا التَّجارِبُ السِّياسيةُ أو الهَبَّاتُ المُؤقَّتةُ -دُونَ تَنظيمٍ عَقائديٍّ يَستثمِرُها ويُنمِّيها-؛ فهي أَشبهُ بعَوالقِ الطَّحالبِ على تِلكَ الصَّخرةِ؛ تُثبِّتُها ولا تُخلخِلُها، وتَبدُو لِعَينِ الرَّائِي مِن بَعيدٍ خَضراءَ جَميلةً، بَينَما هي في الحَقيقةِ طَحالبُ قَذِرةٌ!!

أَمامَ الأُمَّةِ مجزرَتَان لا بُدَّ مِن خَوضِهما -وستَخوضُهما شَاءَتْ أم أَبَتْ: (مَجزرةُ الوَكيلِ) و(مَجزرةُ الكَفيلِ)، والأُولَى أَشدُّ فِتنةً وأَصعبُ إِعداداً وأَكثرُ دَمويةً، وما خَفِيَ الكَفيلُ فيها وإِنْ كان في الثَّانيةِ أَظهرَ، فإِنْ قَدَرَتِ الأُمَّةُ على النَّجاحِ في الأُولى فهي على النَّجاحِ في الثَّانيةِ -بمَشيئةِ اللهِ- أَقدَرُ!!

لا بَديلَ عن السَّيرِ في طَريقِ الأَشعثِ الأَغبرِ، لا بَديلَ عن الحركةِ والإِعدادِ والاستِعدادِ، وأَيُّ طَريقٍ وَلَجْناه غَيرَ هذا الطَّريقِ فهو أَوهامٌ ثُمَّ يَنْجَلِينَ، وإِنْ طَالَ بِنا وبِهم الزَّمنُ؛ فسنُبْصِرُ ويُبْصِرُون!!

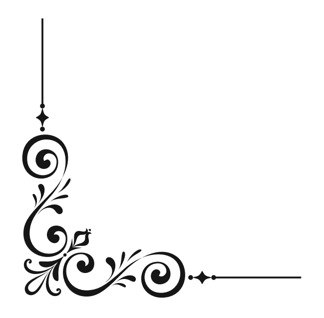
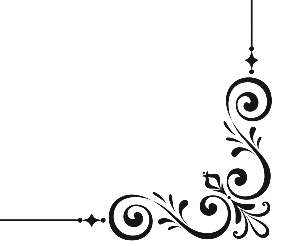
٧ / صَفَر / ١٤٤٢هـ

٢٤ / ٩ / ٢٠٢٠م

(٢٧)

أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا

يَقُولُونَ أَقوالاً ولا يَفهَمُونَها

وإِنْ قِيلَ: هَاتُوا حَقِّقُوا لَمْ يُحَقِّقُوا

كَتَبَ الأُستاذُ (القُرَّه دَاغِي) كَلاماً طَويلاً عَرِيضاً (تَمَحَّكَ) فِيهِ بالأَصلِ اللُّغويِّ لِمُصطلَحِ (شَهِيد)؛ لِيُحَلِّلَ -بِذَلِكَ التَّمَحُّكِ- ما يَبدُو أَنَّ ضَغطَ الوَاقِعِ قَد أَجْبَرَهُ على تَحليلِهِ!!

وقد كُنتُ قُلتُ مِن قَبْلُ: «فِي كلِّ شَيخٍ فِقهٍ تَعْرِفُه تَعْرِفُه درويشٌ لا تَعْرِفُه؛ يَخْدَعُهُ العَلمانِيُّونَ عن عقله، فَيَظُنُّ إِسْقاطَهُمْ للأُصولِ اختلافاً في الفروعِ؛ فيعاملهم معاملةَ المجتهِدِ المُخْطِئِ بَدَلاً مِنْ مُعَامَلَةِ المُنافِقِ المُبْطِل، فتكون الفتنةُ بِغفلتهِ أَشدَّ على الناسِ من الفتنةِ بنفاقِهِم.. وَمَن لكَ بالفَقيهِ الفَقيهِ!!»

وأظنُّ أنَّ الأَمْرَ الآنَ قد تَعدَّى الغَفلةَ والدَّروشَةَ إلى التَّحريفِ المُتعمَّدِ بجَهلٍ أو بعِلْمٍ.. والظَّنُّ -وإنْ كَانَ أَكذَبَ الحَديثِ- إِلَّا أَنَّ البعرَةَ تَدُلُّ على البَعيرِ كما أَنَّ الأَثرَ يَدُلُّ على المَسيرِ!!

وقد هَالَنِي تَهليلُ بَعضِ المَقاصِدِيِّينَ المُعاصرِينَ مِن شُيوخِ جَماعةِ الإِخوانِ المُسلمِينَ لذلك التَّمَحُّكِ، كما هَالَنِي تَهليلُ بَعضِ صِبيانِهِم له أَيضاً.. وكُنتُ أظنُّ -وبَعضُ الظَّنِّ إِثمٌ أَيضاً- أَنَّ غَالِبَ صِبيانِ الجَماعةِ يَختلِفُون عن غَالِبِ شُيوخِها، فإذا هُمْ هُمْ، أو فإذا هُمْ إِيَّاهُم؛ (وسيبويهِ -رَحِمَهُ اللهُ- أَصدَقُ، وغَفَرَ اللهُ لِلكِسائِيِّ، والمعنى في بَطْنَيِ العَقربِ والزُّنْبورِ)!!

والمَقَاصِديُّون المُعاصِرُونَ -كما قُلتُ مِن قَبلُ أَيضاً- قَومٌ ظُرفاءُ، تَضخَّمَتْ في أُنفُسِهِم -بضَغطِ الوَاقعِ- مَقاصدُ الشَّريعةِ حتَّى أَصبحَتِ المَقاصدُ في ذَاتِها شَريعةً خَارِجَ الشَّريعةِ، وصَارُوا كَأنَّهم يَحفَظُون (الدِّينَ) بالكُفْرِ، و(النَّفسَ) بالقَتلِ، و(العَقلَ) بالشُّبهاتِ، و(العِرضَ) بالشَّهواتِ، و(المَالَ) بالرِّبا.. لقد هَدَمُوا البَيتَ وتَوَاصَوْا بالمَفَاتيحِ!!»

أَرادَ الأُستاذُ (القُرَّه دَاغِي) الوُقوفَ بمُصطَلَحَي (الشَّهيدِ والشَّهادةِ) عِندَ مَعناهُما اللُّغويِّ فقط، ليَسهُلَ -بعدَ ذلك- إِلباسُهُمَا أو تَلبيسُهُمَا لأَيِّ أَحد مُسلماً كان أو كَافراً، غَيْرَ عَابِئٍ بالحُمُولاتِ الشَّرعيةِ الَّتي ثَبَتَ بها المُصطلحُ حِينَ تَرَحَّلَ مِن اللُّغةِ إلى الدِّينِ، والَّتي يَعرِفُ العَالِمُ والجَاهلُ والصَّغيرُ والكَبيرُ أَنَّها لا يَجوزُ صَرفُها إلى غَيرِ المُسلمِينَ، بل لا يَجوزُ صَرفُها إلى المُسلِمِينَ أَصلاً صِرفاً جَازماً غَيرَ مُعَلَّقٍ بالمَشيئةِ!!

والتَّعاملُ اللُّغويُّ مَعَ المُصطلحاتِ الدِّينيةِ -بهذه الطَّريقةِ (القُرداغِيَّةِ) مَزلَقٌ خَطيرٌ قد يُؤدِّي -مَعَ الزَّمنِ- إلى إِسقاطِ الدِّينِ كُلِّه، أو تَفريغِ المُصطلحاتِ الدِّينيَّةِ من مَعانِيها المُقَدَّسةِ الَّتي أَنتَجَتْ أَحكاماً شَرعيَّةً ثَابتةً، والاكتفاءِ بالمَعاني اللُّغويَّةِ العَارِيَةِ مِن الأَحكامِ الشَّرعيَّةِ!!

ودُونَكُم هَذهِ الأَمثلةَ فتَمَثَّلُوها لِتَفهَمُوا المُرادَ:

الصَّلاةُ لُغةً: الدُّعاءُ.. قَالَ الأَعشَى يَصِفُ الخَمْرَ:

وصَهْباءَ طَافَ يَهُودِيُّها ... وأَبرَزَها وعَلَيها خَتَمْ

وَقَابَلَها الرِّيحُ في دَنِّها .:. و(صَلَّى) على دَنِّها وارْتَسَمْ

أيْ: دَعا لها أَنْ لا تَحْمَضَ ولا تَفسُدَ.

فهل سَمِعْتم مِن قَبلُ أَحداً يَقولُ: سأَذهبُ (لدُعاءِ) العَصرِ، أو (لدُعاءِ المَغربِ)؛ وهو يَقصِدُ: لِصلاةِ العَصرِ أو لِصلاةِ المَغربِ؟!

الزَّكاةُ لغةً هي: النَّماءُ، والزِّيادةُ، والطَّهارةُ، والتَّطهيرُ.. قَالَ الشَّاعِرُ:

والمَالُ (يَزْكو) بِكَ مُسْتَكْبِراً .:. يَخْتالُ قد أَشرقَ لِلنَّاظِرِ

أي: يَليقُ بكَ أو يَطهُرُ بك..

فهل سَمِعْتم مِن قَبلُ أَحداً يَقولُ: سأَذهبُ لأَدفعَ النَّماءَ، أو لِأَدفعَ الزِّيادةَ أو لأَدفعَ الطَّهارةَ؛ وهو يَقصِدُ دَفعَ الزَّكاةِ؟! وهل رَأيتُم أَحداً مِن أَهلِكم دَخلَ بَيتَ الخلاءِ في مَنزِلِه بِقَصدِ الِاستحمامِ والتَّطهُّرِ، وهو يَقولُ: سأَذهَبُ لِأَتَزَكَّى؟!

الصَّومُ لُغةً هو: الإِمساكُ، والتَّركُ، والوُقوفُ، والصَّمتُ، ورُكودُ الرِّيحِ، واسْتواءُ الشَّمسِ عِندَ انْتِصافِ النَّهارِ.. ومَعانٍ أُخرَى كَثيرةٌ؛ لِكُلِّ مَعنًى مِنها دَليلٌ مِن نَثرِ العَربِ أو شِعرِهم؛ مِثلُ قَولِ النَّابغةِ عن الخَيلِ:

خَيلٌ (صِيامٌ) وخَيلٌ غَيرُ صَائِمةٍ .:. تَحتَ العَجَاجِ وأُخرَى تَعلُكُ اللُّجُمَا

أيْ: قَائمةٌ، أو مُتوقِّفةٌ عن العَلفِ.

وقولِ امْرِئِ القَيسِ:

فَدَعْها، وسَلِّ الهَمَّ عَنْكَ بِجَسْرةٍ .:. ذَمُولٍ، إِذَا (صَامَ) النَّهارُ وهَجَّرَا

أيْ: إذا اعتَدَلَ النَّهارُ.

فهل سَمِعتُم أَحداً يقولُ: سأَترُكُ غَداً، أو سأَتوقَّفُ غداً، أو سأَركُدُ غداً، أو سأَستَوِي غَداً، أو سأَعتدِلُ غَداً.. وهو يَقصِدُ الصَّومَ؟!

الحَجُّ والعُمرةُ لُغَةً: القَصدُ والزِّيارةُ.. قَالَ المُخَبَّلُ السَّعديُّ:

وأَشْهَدُ مِنْ عَوْفٍ حُلُولاً كَثِيرةً .:. (يَحُجُّونَ) سِبَّ الزِّبْرِقانِ المُزَعْفَرا

أَي: يَقْصِدُونه ويَزُورُونَه.

وقَالَ أَعشى بَاهِلَةَ:

وَجَاشَتِ النَّفْسُ لَمَّا جاءَ فَلُّهُمُ .:. وراكِبٌ جاءَ مِن تَثْلِيثَ (مُعْتَمِرُ)

أيْ: زَائِرٌ.

كما أنَّ مِن مَعاني العُمرةِ لُغوياً -بِحَسَبِ ابْنِ الأَعرابِيِّ-: «أَنْ يَبْنِيَ الرَّجلُ بامْرأَتِه في أَهلِها، فإِنْ نقَلَها إلى أَهلِهِ فذَلِكَ العُرْسُ».. فهل قَالَ لك صَديقُك يَوماً: سأَحُجُّ إِليكَ اللَّيلةَ، أو سَأَعتمِرُ إليك اللَّيلةَ؛ وهو يَقصِدُ زِيارَتَك؟! وهل عَاتَبْتَ صَدِيقاً لكَ على عدَمِ دَعوتِكَ لِعُرسِه؛ فتَعَلَّلَ بأَنَّه تَزَوَّجَ في بَلَدِ زَوجتِهِ، وقَالَ: اعتَمَرْتُ؟!

اسْتخدامُ اللُّغةِ بهذه الطَّرِيقةِ لَيسَ له سِوَى مُسَمًّى وَاحدٍ: (الاِسْتِهبالُ).. والاِستهبالُ أَخفُّ كَلمةٍ يُمكِنُ أَنْ تُقالَ في هذا السِّياقِ!!

تَخَيَّلْ أنْ تَدخُلَ مَسجداً لِتُصلِّيَ فتَجِدَ صَفَّاً قَائِماً يُؤدِّي الصَّلاةَ المَعروفةَ، وتَجِدَ وَراءَ الصَّفِّ (فَذْلُوكاً) جَالساً رَافعاً يَدَيْهِ بِهيئةِ الدُّعاءِ مُعتبِراً أنَّه يُصلِّي!!

تَخَيَّلْ أَيضاً أنْ تَدخُلَ مَطعماً فَتَحتاجَ إلى غَسْلِ يَدَيْكَ فتَذهَبَ إلى المَغسلةِ لتَجِدَ لَوحةً على بَابِ المَغسلةِ مَكتوبٌ فِيهَا: (بَيتُ الزَّكَاةِ)!!

بِهذِهِ الطَّريقةِ لن يَسقُطَ الدِّينُ فَقطْ، بل سيَسقُطُ المُجتمعُ كُلُّهُ، إذِ اللُّغةُ مَجموعةُ اصطِلاحاتٍ لَفظيةٍ لمَعانٍ مُتخيَّلةٍ، اصْطَلَحَ عليها النَّاسُ فاسْتَخدَمُوهَا بِغرَضِ التَّفاهُمِ والتَّعارُفِ.. والانتقالُ بَينَ المَعانِي اللُّغويَّةِ المُتعدِّدةِ لِلفظٍ الوَاحدِ في وَقتٍ واحدٍ دُونَ قَرينةٍ أو سِياقٍ، سيُسقِطُ أُسسَ الاجتماعِ الإنسانيِّ كُلِّه.. وما أَكثَرَ ما قَرأْنَا في مُذكَّراتِ السَّاسةِ العَربِ -إنْ كَانَ ثَمَّةَ سَاسةٌ عربٌ- عَن مُعاهداتِهم أو مُفاوضاتِهم المُخزِيَةِ مَعَ اليَهودِ تَحديداً، وتَلاعُبِ اليَهودِ بالأَلفاظِ والمُصطلحاتِ، وتَفسيرِهم لها على غَيرِ وَجهِهَا المُتعارَفِ عَليهِ، طَلباً لِلغَدرِ والتَّملُّصِ مِن الاتِّفاقاتِ السَّابقةِ، أو تَمهيداً لِلغَدرِ والتَّملُّصِ مِن الاتِّفاقاتِ اللَّاحقةِ.. فكَأنَّ هذا التلعُّبَ بالأَلفاظِ طَبْعٌ يَهوديٌّ لم يَقتصِرْ على أَصحابِ السَّبتِ الَّذِينَ تَلعَّبُوا بالسَّبْتِ، ولا على الَّذينَ قِيلَ لهم: «وَقُولُوا حِطَّةٌ»، فقَالُوا: حِنْطَةٌ.. بل كُلُّ مَن تَلَبَّسَ به تَلَبُّسُه مِن صِفاتِ اليَهودِ بِقَدْرِ ما تَلَبَّسَ به!!

ولَعَلَّ كَثيراً مِن القُرَّاءِ قَرَأَ بَعضَ تلعُّبِ مَن يُسَمُّونَ أَنفُسَهم (دَكَاتِرَةً) في آيَةِ قَطعِ السَّارقِ، أو آيَةِ ضَربِ النَّاشزِ بَعدَ المَوْعِظَةِ والهَجْرِ.. فقد تَسافَهَ

هَؤلاءِ حَولَ الآيَتينِ وغَيرِهما حتَّى فَسَّرُوا الآيَةَ الأُولَى لُغويّاً -وبالقُرآنِ أَيضاً- بجَرحِ اليَدِ فَقطْ لا فَصْلِ الكَفِّ كَاملاً، مُعتَمِدينَ -اسْتِهْبالاً- على قَولِه تعالَى عَن نِسوَةِ يوسُفَ: (وقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ)، أيْ: جَرَحْنَ أَيْدِيهُنَّ.. كما فَسَّرُوا الآيَةَ الثَّانيةَ لُغويّاً -وبالقُرآنِ أَيضاً- بالابتعادِ أو السَّفرِ أو الارتِحالِ عن الزَّوجةِ النَّاشزِ، مُعتمِدِينَ -اسْتِهبالاً أَيضاً- على قَولِه تعالى: «وآخَرُونَ (يَضرِبُونَ) في الأَرضِ يبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللهِ»، أيْ: يَرتحلُونَ في طَلبِ الرِّزقِ!!

وقد كُنتُ- ولا زِلْتُ- أَقرأُ هذا وأَمثالَه فأَضرِبُ عنه صَفحاً مُعتبِراً أنَّ ضَغطَ الوَاقعِ يعمَلُ في عَقلِ الإِنسانِ عَمَلَ الخَمرِ في عَقلِ شَارِبِها، فيُخرِجُ مِنه أَخزَى ما فِيهِ حتَّى يَترُكَه عارياً بينَ النَّاسِ غَيرَ عَابِئٍ ببَشاعةِ عُرْيِهِ.. وأَبشعُ العُرِي العُريُ مِن العَقلِ!!

حِينَ تَقرأُ قَولَه تَعالَى: «إِنَّ الصَّلاَةَ كَانَتْ عَلَى المُؤْمِنِينَ كِتَاباً مَوْقُوتاً»، لن يَخطُرَ في بَالِكَ سِوَى هَيئَةِ الصَّلاةِ المَعروفةِ.. وحِينَ تَقرأُ قَولَه تَعالَى: «إِنَّ اللهَ وَمَلاَئِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ»، أو قَولَه تَعالَى: «وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلاَتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ»، مُحالٌ أنْ تَخطُرَ في بَالِكَ هَيئَةُ الصَّلاةِ المَعروفةِ.. سَتَفهَمُ مَعنَى صَلاةِ اللهِ ومَلائكتِه على نَبِيِّه، وصَلاةِ نَبِيِّه على المُؤمنِينَ، على وَجهٍ غَيرِ الوَجهِ الَّذي تَفهَمُ به مَعنَى الصَّلاةِ المَعروفةِ.. القَرينةُ المُتخيَّلَةُ هنا، أو المَدسُوسَةُ في السِّياقِ، أَحالَتِ المَعنَى المُتعارَفَ عَليهِ في ذِهنِك إلى مَعنًى آخَرَ مُتعارَفٍ عَليهِ في ذِهنِك أَيضاً!!

وحِينَ تقرأُ قولَه تعالَى: «وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاءَ» لن يتبادَرَ إلى ذِهنك إلَّا مَعنَى القتلِ في سَبيلِ اللهِ، بخلَافِ المَعنَى الَّذي ستفهَمُه حِينَ تقرأُ قوله تعالَى: «وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ..»، فلن يَتبادَرَ إلى ذِهنك مَعنَى القَتلِ في سَبيلِ اللهِ أَبداً.. تماماً كما تقرأُ قَولَه تعالَى في سِياقِ آيَةِ الدَّيْنِ: «وَلَا يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ»، فتَفهَمُ معنَى كَلمةِ (شَهِيدٍ) هُنا على غَيرِ المَعنَى المَوجودِ في قَولِهِ تعالَى: «وَاللهُ شَهِيدٌ عَلَى مَا تَعْمَلُونَ»!!

مَا أَكتبُهُ الآنَ مَعلومٌ مِن العَقلِ بالضَّرورةِ، يَفهَمُه العَالِمُ والجَاهلُ والصَّغيرُ والكَبيرُ، بَيْدَ أَنَّا في زَمنٍ دُفِعْنا فيهِ دَفعاً إلى توضيحِ الوَاضحاتِ وتَبْيينِ البيِّناتِ.. وما أَسوأَ ما دَفَعَنَا إليه زَمَنُنَا!!

اتْرُكِ المُصطلحاتِ الدِّينيَّةَ جَانِباً وفَكِّرْ في المُصطلحاتِ العَامَّةِ الَّتي تَستخدمُها في حَياتِك الاجتماعيَّةِ.. في دراستك أو تجارتك أو صناعتك أو زراعتك أو ثقافتك، أو بينَ أهلك وأصدقائك.. هل فكرت يوماً كَيفَ انتقل مصطلحٌ بعينه من لفظةٍ لغويةٍ صماء أو موحية لمعنى غير المعنى الَّذي اصطلح عَليهِ المجتمع، إلى المعنى الَّذي اصطلح عَليهِ المجتمع؟!

خُذْ مَثلاً كَلمةَ (ثَقافَة) وانظُرْ في المَعاجِمِ عن مَعناهَا اللُّغويّ الأَوَّلِ، ستَجِدُ مِن مَعانِيها مَعنَى الحِذْقِ والمَهارةِ -وهُو مَعنًى قَريبٌ مِن مَعناهَا الاصطلاحيّ الآنَ-، كما ستَجِدُ مِن مَعانِيها مَعانِيَ الخِفَّةِ، والظَّفَرِ، والعَملِ بالسَّيفِ، والآلَةِ الَّتي تُقَوَّمُ بها الرِّماحُ.. ومِن مَعنَى الظَّفَرِ قَولُه تعالَى: «فَإِمَّا

تَثْقَفَنَّهُمْ فِي الْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِمْ مَنْ خَلْفَهُمْ»، أيْ: إذا ظَفِرتَ بِهِمْ فشَرِّدْ بِهِمْ مَن خَلفَهُم.

فالمُصطلَحُ الَّذي تَراهُ أَمامَكَ كَامِلاً مُتكامِلاً الآنَ، وتَستخدمُه بَداهةً -غَيْرَ عَالِمٍ أو غَيْرَ عَابِئٍ بمَعناه الأَصليّ أو مَعانيهِ المُتعدّدةِ-، شَدَّ رِحَالَهُ مِن مُرَبَّعٍ خَاصّ في اللُّغةِ إلى مُربَّعٍ خَاصٍّ آخَرَ-، مُعتمداً على قَرينةٍ في مُربَّعِهِ الأَوَّلِ تُشَابِهُ طَبيعةَ مُرَبَّعِهِ الثَّاني.. والقَرينةُ الَّتي دَفَعَتِ النَّاسَ لِاشتِقاقِ كَلمةِ (ثَقافَةٍ) مِن الفِعلِ (ثَقُفَ) هي قَرينةُ الحِذْقِ في عَمَلِ اليَدِ، أو قَرينةِ الاعتدَالِ والتَّقويمِ في الرُّمحِ، أو قَرينةُ المُلاعَبةِ بالسَّيفِ، والَّتي تُسَمَّى (مُثاقَفَةً).. وعلى المُثاقَفةِ العَقليَّةِ والعِلميَّةِ -أَخذاً وَرَدَّاً- تَقُومُ الثَّقافةُ!!

فهذه كُلُّها قَرائنُ اسْتدعَتْ صَكَّ مُصطَلحٍ مِن جَذرٍ لُغويّ خَاصّ ليُرْحَلَ به إلى فَضاءٍ آخَرَ مِن فَضاءاتِ الاجتماعِ، سِياسياً ودِينياً وتِجارياً وصِناعياً وزِراعياً.. وما شِئْتَ بعدَ ذلك مِن مَجالاتِ الحَياةِ، بسَببِ تلكَ القَرينةِ المَدسوسَةِ في مَعناهُ الأَوَّلِ، والَّتي توافِقُ أو تُشَابِهُ مَعناهُ الاصطلاحِيَّ الجَديدَ!!

هل هَذهِ هي نِهايةُ رِحلةِ المُصطلَحِ؟!

كَلَّا.. فالمُصطلحُ حِينَ يَحُلُّ مُستقِراً في مُربَّعِه الثَّاني، يَكتسبُ صِفاتِ ذلك المُربَّعِ كُلَّهَا، وَيَحملُ حُمولاتِه كُلَّهَا، ويَختزِلُ أَحكامَه كُلَّهَا، ويُكَثِّفُ أَفكارَه كُلَّهَا.. فهو تكثيفٌ لَفظيٌّ لِصِفاتٍ ومَعانٍ وأَفكارٍ وأَحكامٍ خَاصَّةٍ -دِينيَّةً كَانَتْ أو اجتِماعيَّةً أو سِياسيَّةً أو ثَقافيَّةً- يُعبِّرُ به أَصحابُه عن تِلكَ

الصِّفاتِ والمَعانِي والمحمُولاتِ والأَفكارِ والأَحكامِ، دُونَ حَاجةٍ لشَرحِ تِلكَ المَعانِي والأَفكارِ، لِنيابَةِ المُصطلَحِ عنهم في شَرحِها أو تكثيفِها أو اختِصارِها.

فإذا حَدَثَ هذا -وهو ما يَحدُثُ دَائِماً- فقد ثَبَتَ المُصطلحُ.. وإذا ثَبَتَ المُصطلَحُ فلا يَجوزُ العَبَثُ به، إذ لو عُبِثَ به لسَقَطَ بفُروعِه!!

لا يَجوزُ العَودةُ به إلى مَعناهُ اللُّغويِّ المجُرَّدِ، كما لا يَجوزُ تَحويرُ مَعناهُ الجَديدِ دُونَ سِياقٍ، كما لا يَجوزُ صَرفُه إلى مَعنًى مِن مَعانِيهِ اللُّغويَّةِ الأُخرَى، خَاصةً إذا كَانَ السِّياقُ سِياقَ مَعناهُ الخَاصِّ الَّذِي ثَبَتَ به مُرَبَّعُهُ الجَديدُ، وَكَثَّفَ هو -بِحُروفِهِ- أَفكارَ مُرَبَّعِهِ الجَديدِ!!

إذا قُلتُ لك: (كَتَبَ مُحمدٌ القِربَةَ)، فإنه لن يَتبادَرَ إلى ذِهنِكَ -غَالباً- إلَّا أنَّ مُحمداً أَمسَكَ وَرقةً وقَلَماً وكَتَبَ كَلمةَ (القِربَةِ)..

ورَغْمَ صَوابِ ما تَبادَرَ إلى ذِهنِكَ إلَّا أنَّه لَيسَ هو المُرادَ.. فالكَتْبَ لُغوياً -بِسُكونِ التَّاءِ- هو الجَمْعُ والضَّمُّ، وكَتْبُ القِربةِ هنا يَعنِي جَمْعَهَا وضَمَّهَا، أو ضَمَّ فِيهَا كَيْ لا يَقطُرَ ما فِيهَا، أو خِياطَةً فِيهَا بِسَيْرَيْنِ لِإِحكامِ غَلْقِها وشَدِّهَا.. وبه سُمِّيَتِ الكَتيبةُ (كَتيبةً)، إذ هي قِطعةٌ مِن الخَيلِ، أو جَماعةٌ مِن الجَيشِ مَضمومةٌ إلى بَعضِها على هَيئةٍ مُعيَّنةٍ، و(الكُتْبَةُ) هي السَّيْرُ الَّذِي تُخرَزُ به القِربةُ.. ومِن ذلك ونَحوِه جَاءَ مَعنَى (الكِتَابةِ)، لأنَّها جَمعٌ لِلحُروفِ والكَلماتِ والجُمَلِ وضَمٌّ لِبعضِها إلى بَعضٍ في رِقٍّ وَاحدٍ أو كِتَابٍ وَاحِدٍ!!

حِينَ أُخبرُكَ بِهذَا المَعنَى سَتعرِفُ أنِّي تَلَعَّبْتُ بك -حَاشَاكَ وحَاشَانِي-

حِينَ اسْتَخدمْتُ الجذَرَ (كَتَبَ) بمَعناه الأَوَّلِ أو بِمعناه الآخَرِ وأَنتَ فَارِغُ الذِّهنِ منه، أو مُمتَلِئُ الذِّهنِ بالمَعنَى المُتعارَفِ عَليهِ لِلجَذرِ (كَتَبَ)..

الآنَ.. ماذا فَعَلَ في عَقلِكَ هذا التَّلعُّبُ؟!

والجَوابُ: لقد أَنتَجَ هذا التَّلعُّبُ سُقوطاً كَاملاً لِكُلِّ المحُمولاتِ العَقليَّةِ المُتعارَفِ عَليها لِلجَذرِ (كَتَبَ) ومُشتقَّاتِه، مِثْلُ: كِتَابةٍ، وكِتَابٍ، ومَكتبةٍ، ومَكتبٍ، ومَكتوبٍ، وكَاتبٍ.. لقد سَقَطَ كُلُّ هذا في ذِهنِكَ مَرةً وَاحدةً، لِيَثْبُتَ فِيهِ معنًى آخَرُ قَريبٌ لِمعنَى الجَذرِ (خَاطَ) ومُشتقَّاتِه، مِثْلُ: خِياطةٍ وخَيَّاطٍ ومَخيطٍ، وخَيطٍ، وخَائطٍ، وأَخياطٍ وخُيوطةٍ!!

ما الَّذي سَيَحدُثُ لك حِينَ تَجِدُ لَوحةً على دُكَّانٍ مَكتوبٌ فِيها: (مَحَلُّ كِتَابةٍ رِجالي) لِتكتشفَ أنَّ صَاحِبَ الدُّكَّانِ خَيَّاطٌ (فَذلوكُ) عَرَفَ أَنَّ (كَتَبَ) يُمكِنُ أن تَحمِلَ مَعنَى (خَاطَ)؛ فاسْتَخدَمَ كَلمةَ (كِتَابةٍ) الَّتي اصطَلَحَ عَليهَا النَّاسُ لِعَملٍ مَعروفٍ؛ لِيُعبِّرَ بها عن مَعنَى (الخِياطَةِ) الَّتي اصطَلَحَ النَّاسُ عَليهَا لِعملٍ مَعروفٍ أَيضاً، ثُمَّ زَادَ الطِّينَ بِلَّةً فسَمَّى الإِبرةَ الَّتي يَخِيطُ بها (قَلماً) -بِقَرينةِ الغَرزِ، إذ القَلمُ يَغرزُ الوَرقَ-، وسَمَّى مَاكينةَ الخِياطةِ (مَقْلَمَةً)؟! وما دَامَتِ اللُّغةُ تَحتملُ ذلك فلا يَحِقُّ لأَحدٍ الاعتراضُ على ذلك؛ لأَنَّه -وبِبَساطةٍ شَديدةٍ-: (مَفيشْ حَدّ أَحسَنْ مِن حَدّ)!!

وأَنا أَسألُ العُقلاءَ مِن القُرَّاءِ:

هل يُمكِنُ أَنْ يَقومَ مُجتمعٌ إِنسانيٌّ على هَذا وأَمثالِه؟!

هل يُمكِنُ أنْ يتعايَشَ النَّاسُ فيما بينَهم، أو يتعارَفوا بهذا وأَمثالِه؟!

هل يُمكِنُ أنْ يقومَ دِينٌ أو سِياسةٌ أو تِجارةٌ أو صِناعةٌ أو زِراعةٌ أو حَياةٌ أَصلاً إذا جَازَ على العُقولِ هذا وأَمثالُه؟!

ما فَعَلَه الأُستاذُ (القُرَّه دَاغِي) قَرِيبٌ جِداً مِمَّا فَعَلَه ذلك الخيَّاطُ الفَذلوكُ!!

مُصطلحُ (شَهيدٍ) مُصطلحٌ دِينيٌّ خاصٌّ، يَحملُ حُمولاتٍ خَاصَّةً، وله أَحكامٌ دُنيويَّةٌ وأُخرويَّةٌ خَاصَّةٌ، ولا يُقالُ إلَّا في سِياقاتٍ خَاصَّةٍ.. وهو في الإِسلامِ خَاصٌّ بأَنواعٍ مَعروفةٍ؛ أَعلاهَا شَرفاً المَقتولُ في سَبيلِ اللهِ، بالإِضافةِ إلى الأَنواعِ الخَمسةِ أو السَّبعةِ الأُخرَى الَّتي صَحَّتْ عَن رَسولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَليهِ وَسَلَّمَ، كالمَبطونِ والغَريقِ والمَرأةِ تَموتُ بجَنِينِها.. إلى آخِرِه!!

حِينَ تَأخُذُ هذا المُصطلحُ وتُعيدُه إلى أَصلِه اللُّغويِّ، أو تَخلِطُ بَينَه وبَينَ مُصطلحٍ آخَرَ قَريبٍ مِن مَعناهُ اللُّغويِّ، ثُم تَسْحبُه -بحَسَبِ ذلك الأَصلِ- على سَيِّدَةٍ غَيرِ مُسلمةٍ أَصلاً، ولا تُؤمِنُ بِكُلِّ تِلكَ الحُمولاتِ الإِسلاميَّةِ الَّتي يَحمِلُها مُصطلحُ (شَهيدٍ)؛ فأَنتَ بذلك تُسقِطُ في عُقُولِ المُسلمينَ كُلَّ تِلكَ الحُمُولاتِ والأَحكامَ والأَفكارَ الَّتي يَحمِلُها هذا المُصطلَحُ!!

هل هَذهِ السَّيِّدةُ النَّصرانيَّةُ سَتُكَفَّنُ في ثِيابِها دُونَ غُسلٍ؟! وهل سيُغفَرُ لها مَعَ أَوَّلِ دَفقَةٍ مِن دَمِها، وتَرَى مَقعَدَها مِن الجنَّةِ، وتُجَارُ مِن عَذابِ

القَبرِ، وتَأمنُ مِن الفَزعِ الأَكبرِ؟! ويُوضَعُ على رَأسِهَا تَاجُ الوَقارِ يَومَ القِيامَةِ؟! وتُشَفَّعُ في سَبعِينَ مِن أَهلِها؟!

هل هَذهِ السَّيّدةُ النَّصرانيَّةُ ستكونُ رُوحُها في حَواصِلِ طَيرٍ خُضْرٍ تَسرَحُ في الجَنَّةِ حَيثُ تَشاءُ، ثُمَّ تَأوِي إلى قَناديلَ مُعلَّقةٍ في ظِلِّ العَرشِ؟!

كُلُّ هذا -وغَيرُه- مِن أَحكامِ الشَّهيدِ في الإِسلامِ.. فهل ستَحصُلُ هَذهِ السَّيِّدةُ النّصرانيَّةُ على كُلِّ هذا، وهي غَيرُ مُؤمنةٍ بكُلِّ هذا أَصلاً؟!

حِينَ نَحكُمُ على هَذهِ السَّيّدةِ بالشَّهادةِ فنَحنُ نُعطِيها كُلَّ هَذهِ الأَحكامَ الَّتي لا يَجوزُ لنا أن نَحكُمَ بها لِمُسلِمٍ مُعيَّنٍ، فَضلاً عن نَصرانيٍّ أو يَهوديٍّ..

لا يَجُوزُ لِمُسلِمٍ كَائناً من كَانَ -بَعدَ رَسولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَليهِ وَسَلَّمَ- أنْ يَحكُمَ لِمُسلِمٍ آخَرَ بالشَّهادةِ دُونَ أنْ يُعَلِّقَ حُكمَه بمَشيئةِ اللهِ.. فكَيفَ بِغيرِ المُسلِمِ الَّذي تَأبَى عَليهِ مِلَّتُه- إن كَانَ مُلتزماً بها- أن يُوافِقَ على إِطلاقِ مُسمَّيَاتِ المِلَلِ الأُخرَى عَليهِ دُنيوياً أو أُخروياً!!

ما زَادَ عَمَلُ القُرَّه دَاغِي -وهو الَّذي يُسَوَّقُ لِلنَّاسِ عَالِماً وفقيهاً- عن إِسقاطِ هَذهِ الأَحكامِ كُلِّها في عُقولِ المُسلمينَ، أو خَلْخَلتِها بَعدَ ثَباتِها، لأَنَّه اسْتَخدَمَ مُصطلحاً ثَابِتَ الحُمولاتِ والأَفكارِ على غَيرِ وَجهِه، وفي غَيرِ وَجهِهِ!!

الاِسْتِسْهالُ يُؤدّي غَالباً إلى الاِسْتِهْبالِ.. وعَواقبُ الاِسْتِهْبالِ في الدِّينِ وَخيمةٌ جِداً، خَاصةً إذا خَرجَتْ مِمَّنْ يُظَنُّ فِيهِمُ العِلْمُ أو الفِقهُ، أو مِمن

يَشغَلُونَ مَناصِبَ فِي هَيئاتٍ دِينيَّةٍ لا يُعرفُ ما هو عَمَلُها بالضَّبطِ.. اللَّهُمَّ إلَّا (تَقْيِيفَ) الفَتاوَى على مَقاساتِ الحُكَّامِ، أو على مَقاساتِ ما يَطلبُه المُستَمِعُون، أو على مَقاساتِ ضَغطِ الوَاقعِ!!

إذا عُبِثَ فِي الأَصلِ سَقَطَ بفُرُوعِه.. ومُصطَلَحُ الشَّهادةِ مُصطلحٌ دِينيٌّ تَرَحَّلَ مِن اللُّغةِ إلى الدِّينِ؛ فَحَمَلَ شَرَفَ الدِّينَ وقُدْسِيَّتَه، ثُمَّ ثَبَتَ بذلك الشَّرفِ على ذلك الشَّرفِ، وبتِلكَ القُدسيَّةِ على تِلكَ القُدسيَّةِ.. فلا يَجُوزُ لأَحَدٍ رَدُّهُ إلى مَعناهُ اللُّغويِّ، ثُمَّ سَحْبُ هذا المَعنَى اللُّغويِّ على مَن لا يُؤمِنُ -أَصلاً- بشَرفِ الدِّينِ أو قُدسِيَّتِه.. هذا عَبَثٌ لا طَائِلَ مِنه، وهَوانٌ لا شَرَفَ فِيهِ..

وقد رَأَيْنَا مِن بَعضِ المُسلِمِينَ عَجَباً.. فقد بَدَأَ الأَمرُ بالتَّرحُّمِ، ثُمَّ بالشَّهادةِ، ثُمَّ بصَلاةِ جَنازةٍ، أو بِطَلَبِ دُعاءٍ فِي صَلاةِ جَنازةٍ، ثُمَّ بالوُقُوفِ على قَبرِها والدُّعاءِ لها بِالدَّرجاتِ العُلَا مِن الجَنَّةِ، وقِراءةِ الفَاتحةِ على رُوحِهَا.. كما رَأَيْنَا مِنَ المُسلمِينَ مَن يَكتُبُ قَائلاً: إنَّ رَبَّاً لا يُدخِلُ شِيرِينَ الجَنَّةَ لن يُدخِلَكُم أَنتُمُ الجَنَّةَ.. ومَن يَكتُبُ: «جَنَّةٌ لَيسَ فِيهَا شِيرِينُ لا أُرِيدُ أَنْ أَدخُلَها».. بل رَأَيْنَا وسَمِعْنا خَطِيباً على مِنبرٍ قِيلَ -ولم أَتَثَبَّتْ- أنه فِي (غَزَّةَ) يَقُولُ بحَماسٍ شَدِيدٍ: «شِيرِينُ لا تَخضَعُ لِحِساباتِكُمُ البَعِيدةِ عن الوَطنِ والنِّضالِ ومُقاومةِ الاحتِلالِ، شِيرِينُ لَيسَتْ كَكُلِّ شِيرِينَ».. وفَضلاً عمَّا فِي هَذِهِ الجُملةِ مِن الحُمقِ المُضحِكِ والسَّفَهِ المُبكِي؛ فإنَّ فِيها وَجهاً خَطِيراً مِن وُجوهِ الكُفرِ يَجعَلُ الوَطَنَ والنِّضالَ والمُقاومةَ عَقائدَ تُعتَقَدُ وأَوثاناً تُعبَدُ، ثُمَّ يَحصرُ الوَلاءَ والبَراءَ

فيها وعَلَيهَا، مُسْقِطاً ما عَدَاها.. وظَنِّي أنَّ الخَطيبَ جَاهلٌ لا يَعرفُ مَعنَى كَلامِه، أو غَلَبَهُ الحَماسُ على عَقلِه، فأَساءَ التَّعبيرَ كما أَساءَ الحَماسَ!!

إنَّ هذا الحَالَ مِن التَّردِّي المُتدرِّجِ الَّذي يَحْرِصُ العَلمانيُّونَ واللَّادينيُّونَ ومَن تَابَعَهم مِن المُتأسلِمينَ على إِشاعتِه بَينَ النَّاسِ، لا حَدَّ له سِوى القَاعِ.. فهو كالانزِلاقِ مِن قِمَّةِ جَبلٍ جَليديٍّ، لن يَرُدَّكَ -في تَرَدِّيْكَ مِن أَعلَاهُ- سِوى قَاعِه.. أو هو -كما صَوَّرَه الشَّيخُ رِفاعِي سُرُور رَحِمَه اللهُ- كالنُّزولِ على سُلَّمٍ كَهربائِيٍّ، لا يُكلِّفُكَ النُّزولُ عَليهِ سِوى وَضْعِ قَدَمِكَ على أَوَّلِ سُلَّمَةٍ فيه، لِيَنزِلَ بك وأَنتَ وَاقِفٌ.. أو: وأَنتَ تَظُنُّ أَنَّكَ وَاقِفٌ!!

١٧ / شوال / ١٤٤٣هـ

١٨ / ٥ / ٢٠٢٢م